
حكاوي الكتب
www.hakawelkotob.com
أسيرة
تحكمهُ
ل أسيل الباش

رواية اسيرة تحكمه
الجزء الاول من سلسلة هوس العشق
بقلم الكاتبة: اسيل الباش

تصدر عن
حكاوي الكتب للنشر الالكتروني
www.hakawelkotob.com

تدقيق: هالة جبر
تصمم : فاطمة الزهراء

المقدمة

تهب العواصف لتقلع جذور الأشجار الخضراء.. وتأخذ معها كل جمال الربيع البديع.. لتحل الكآبة فتتغلغل في نسمات الهواء الباردة.. ولتنقلب حياتها رأسًا على عقب..

كيف يسرقون منها حلمها.. حلم طفولتها.. لماذا؟ ولماذا الان؟! لن تخضع لهم وليفعلوا ما يريدون.. لقد حسمت قرارها ولن تتنازل عنه ولو حدث ما حدث..

كانت جالسة على السرير تفكر بما اخبرها به ابيها اليوم.. كيف يأمرها بمثل هذا الشيء؟! هو حتى لم يأخذ رأيها.. ولأول مرة في حياتها يفرض عليها شيئا ما.. دائما كانت مدللته ومحبوبته.. هي صغيرته التي مهما كبرت تبقى صغيرة.. كيف لم يأخذ رأيها بعين الاعتبار، وكأنها مجرد هامش بين هذه العائلة الخرقاء!! تكاد تجن من غيظها منهم.. بل هي جنت بالفعل..

تساقطت دموعها على شكل خيوط شفافة تذيب الحجارة.. لم تود ان تبكي.. لكنها مخنوقة.. كيف يجبروها على الزواج من ابن عمها الذي تخشاه؟ هي تعرف حق المعرفة كم هو مغرور وبارد والأسوأ انه قاس.. لا يرحم.. لقد سمعت الكثير عنه من ابن عمها الاخر عماد.. اخبرها ان تتجنبه دائما.. وكرهت تصرفاته بشدة لكن لم تكرهه.. كل ما في الامر انها تخاف منه ومن مواجهته..

هي قطة صغيرة فكيف ستواجه اسد شرس.. ستبقى معه طوال حياتها لأنهم ببساطة لا يؤمنون بمفهوم الطلاق.. تبا تبا تبا.. شتمت بداخلها عدة مرات.. ستكون ملكه والى الأبد.. ستكون ملك من تخافه.. ستكون ملك "ريس الجايد".. المغرور الوسيم..

لا تنكر انه اجمل شاب رأته عينها لكن شخصيته وغروره.. تأففت بضيق وغضب مكتوم.. وصرت على اسنانها هامسة بتوحش قطة صغيرة:

- سأريك الويل اذا تزوجتني يا ريس الجايد.. فأنا هي لين الجايد.



الفصل الأول

اخبروني ان اللقاء قريب قريب..

كيف اتهرب من مواجهتي لك يا غريب؟!

المواجهة حانت ولا للهروب يا نقيب..

لا تكن لئيما وقاسيًا يا عجيب..

وتحرقني بنار لاسعة كاللهيب..

ايامنا قادمة معا معا يا ابن النجيب..

اتوسل رفقك وما من مجيب..

كن لقلبي كحنو الحسيب لا كوجع الصليب..

افهمت يا مراد اللبّ الحبيب؟!

ها هي الأيام تمر.. يوما يتلو اخرا.. الدقائق تتراكض وتتسابق وكأنها تجاهد للوصول الى الخلاص.. ومع ذلك

تبدو للبعض وكأنها قرون.. وكأن الوقت يأبى ان يمر ليشعرهم بالإطمئنان والراحة..

كان يجثم على مقعده المخملي في شركة الجايد بهيبته المعتادة وهو يتابع اعماله بكل بهدوء ودقة..

وفجأة خرج من انهماكه بهذه الملفات التي امامه على صوت هاتفه المعلن عن اتصال ما لينزعج ويتجاهله، متابعا عمله بضيق جلي..

تأفف بحنق شديد واذنيه تستمع الى تكرار رنين هاتفه ليلتقطه بأنامله السمراء.. ويضغط على زر القبول دون القاء نظرة واحدة على من هو المتصل.. ثم رد بصوته الرجولي الخشن:

- الو.. من؟!

اتاه صوت جده الحبيب وهو يهمس بصلابة حانية:

- انا جدك يا ريس، اريدك ان تعود حالا الى المنزل دون اي اعتراض فهناك امرا هام يجب ان اناقشه معك.

اراد الاعتراض الا ان جده لم يفسح له المجال لذلك..
تساءل عن سبب اصرار جده في عقله.. إصراره هذا غريبا
عليه.. وقبل ان يعاود جده تكرار طلبه بصيغة امر اجابه
ريس بإحترام وانصياع:

- كما تريد يا ابو يوسف.. انا اتي.

نهض عن مقعده بتثاقل.. وخرج بخطوات سريعة من
الشركة دون ان يلقي بالاً لأي كائن..

توسد سيارته السوداء الفخمة ليتبعه حراسه الشخصيين..

وما ان وصل الى القصر ترجل من سيارته بخطوات واثقة
جامدة.. ثم دلف الى غرفة جده ليراه جالس ينتظره..

سار نحوه ثم احنى رأسه وطبع قبلة على يده المهترئة من
الشيخوخة.. وهمس بحب واحترام:

- السلام عليكم جدي، ما الأمر لكي تدعوني من
الشركة حالا لأعود؟!

ربت ايمن بحنية خشنة على ظهره ورد عليه:

- وعليكم السلام بني، اجلس لنتحدث.

انصاع لأمره بكل هدوء وجلس امامه، ينظر الى ملامحه المرهقة.. فتساءل بقلق:

- جدي هل انت بخير؟ هل انت مريض؟ تبدو شاحبا للغاية.

ابتسم الجد لحفيده الذي رباه منذ صغره، منذ وفاة عائلة ابنه يوسف فتبقي هو واخاه جواد الذي يصغره بأربعة اعوام واخته عدن .. وهمس:

- انا بخير يا ريس، لا تقلق.. لكن هناك موضوع هام اود ان احدثك به وامل ان لا ترفض طلبي يا بني.

اومأ ريس برأسه بتوجس مفكرا عمّ يريد جده الحديث به.. فبدأ ايمن بالحديث قائلا:

اسمعني جيدا يا بني، وسأدخل فورا في صلب الموضوع، ولا اريدك ان تعارض فهذه امنيتي الاخيرة! اريدك ان تتزوج ابنة عمك ادم لين.. ورجاءا لا ترفض وحقق لي هذا الطلب.

نظر له بذهول.. غير مصدِّقا ما طلبه منه.. انه لا يريد الزواج ليس فقط من ابنة عمه.. لم يفكر يوما بأمر كهذا!!؟ لم يحب اية فتاة بل يكره جنس حواء، نظر الى جده واراد الاعتراض بشدة.. الا انه لم يعطيه مجال لذلك وتابع كلامه:

- انصت يا ريس انا اعلم انك لا ترغب بالزواج اطلاقا؛ لكن هذه هي وصية والدك قبل ان يتوفى، فمنذ ان ولدت لين حجزت لك.. ربما انت لا تذكر ولكنك كنت متعلق بها جدا قبل وفاة والدك وكنت دائما ما تقول انها لك وعندما تكبر ستتزوجان بالرغم من انك كنت طفل في التاسعة من عمرك وهي في الثالثة من عمرها..

هي كانت طوال الوقت برفقتك، منذ ان وُلدت في هذه الحياة، فأصر والدك ووالدها بعد ان رأيا تعلقكما ببعض على ان تكونا لبعض.. صحيح انت لم تراها منذ فترة طويلة، فهي كانت تتعلم ببلد اخر في الدولة وهي الان

تدرس في الجامعة بكلية الطب لذلك ستنتقل هي وعائلة عمك الى بلدنا هذا..

صدقني هي جميلة جدا وطيبة للغاية وستحبها وتحبك، انا واثق من ذلك.. بعد اسبوع سنقيم حفل خطوبتكما ولا مجال للتراجع.

ماذا يفعل الان؟؟ لا يستطيع ان يرفض طلبا لجده حتى لو اراد.. تأفف بداخله بحنق شديد واراد قتل تلك الحمقاء الذي يخبره عنها جده.. كل الذي يقوله هراء.. لم يفكر قط في فتاة وحتى بصغره ليأتي جده الان ويخبره بالتراهات الرومانسية التي لم يعيرها اهتماما قط.. على اي حال هو لن يخسر شيئا من هذا الزواج.. بل هي التي ستخسر الكثير.. ارتفعت زاوية شفتيه بخبث.. سيريها الويل فهو لا يحب ولن يحب.. اساسا لا يملك قلب ليحمل المشاعر.. نظر الى جده بتمعن ثم قال ببرود:

- كما تريد يا ابو يوسف، سأتزوجها.. ولكن لدي سؤال هل هي تعلم ام لا؟

نظر له ايمن بضيق.. يعرف الى ما يلمح اليه هذا الشاب الذي يمتلك غروره وبروده.. فرد عليه بصلابة:

- على حد علمي اخبرها عمك البارحة.

- وما كان جوابها؟!

صمت الجد وتنهد بهدوء، رادفا:

- لقد رفضت كما رفضت انت الان، لكن لا مجال للتراجع لقد حسم الامر وانتما ستتزوجان شئتما ام ابيتما.. وهذه وصية والدك ايضا قبل ان يموت، ستأتي غدا وستراها لتتعرفا على بعضكما..

هل رفضت!! احقا رفضته تلك الحمقاء.. كيف تجرؤ على رفضه؟! ولكنها على حق فهي لا تعرفه.. تأفف بضيق وحنق مفكرا كيف ستكون حياته الان.. وكيف ستكون تلك الخرقاء ابنة عمه؟!

****

ماذا تفعل الان؟! كيف تتخلص من تلك اللعنة التي حلت على حياتها؟! تأففت بضيق وغضب جلي قبل ان تسمع صوت والدها يناديها..

نزلت من غرفتها على درجات السلالم بخطوات سريعة.. ثم سارت نحو والدها المستند على الأريكة بجانب امها واخاها جود..

نظرت لهم جميعا ومن ثم جلست امام والدها ليغمغم:

- اسمعي يا ابنتي، انا اعرف عدم رغبتك بهذا الزواج.. ولكن هذا الامر سيتم بإرادتك او دونها.. هذا اتفاق بيني وبين عمك يوسف رحمه اللّه وجدك ايمن، ولن تخذليني.. غدا سنذهب الى قصر ابي وسنسكن في بلدنا القديمة.. ستتعرفين على ريس ابن عمك وبعد اسبوع حفل خطوبتكما.

انتفضت من مكانها صارخة بغضب عارم:

- ماذا!!!!!!!!! اتعلم ماذا تقول يا ابي؟! محال لن اتزوجه ولن انتقل من هنا.. فأنا سأكمل تعليمي ولن اتركه لأن سبب كان.

جفلت برعب من صوت جود الصارخ بغضب مخيف:

- اصمتي يا لين! لا ترفعي صوتك على ابي قبل ان اقطع لسانك الطويل.. اسمعيني جيدا كلمة ابي ستنفذ وغصبا عنك وكما قال ابي غدا سننتقل.

نظر لها والدها بهدوء وتفهم وقال بحنو:

- انا اتفهمك يا ابنتي.. صدقيني لن تندمي على هذا الزواج مطلقا.. ريس شاب طيب وجيد.. الاف الفتيات تتمناه.. وبالنسبة لدراستك ستكملينها في الجامعة هناك.. لذا لا تقلقي.

انهمرت دموعها رغما عنها وهي تهز رأسها لكلا الجانبين برفض.. لقد حسم الأمر! ماذا تفعل ولمن تلجأ؟! انها خائفة بشدة.. نظرت الى امها باستنجاد لتومئ امها رأسها بحنو وكأنها تعلم ما يدور بعقل طفلتها..

نظرت لوالدها وهمست بصوت خافت:

- كما تريد سيحدث يا والدي.. لكن لن اكون لين الجايد اذا لم اريه الويل.. وها انتم شاهدون!

ضحك ادم باستمتاع على صغيرته.. يعلم طيبة قلبها وانها ستنسى بسرعة.. ولكن ليس بيده حيلة هو الأخر.. هذا اتفاق بينه وبين اخيه قبل وفاته.. انه على يقين انهما سيعشقان بعضهما بجنون فيما بعد.. فهما منذ الصغر يناسبان بعضهما..

الفصل الثاني

كزنبق الياقوت يفوح شذاكِ يا ريحانة النساء..

يا امرأة نهد خطاك يأسرني..

وهذا سيشقيكِ يا مليحة الرواء..

كالحشيش والخمر تثملين روحي..

يا امرأة حبي قاسيا ومتعبا فتجنبيه..

اخاف عليك من اوار غيرة القسورة..

فأنتِ كشجرة الأقحوان تبهر الأنفاس..

اشرقت الشمس نورها لتتسلل اشعتها الذهبية الدافئة وتستند على جفونه المنغلقة وهو نائما..

اغاظه الضوء المُسلّط عليه ليتململ على الفراش الراقد عليه بضيق ويرفع مرفقه ليحجب مقلتيه المنكمشة دون فائدة فزفر بحنق قبل ان ينهض عن سريره متثائب..

ولجت عدن البالغة الثامنة عشر من عمرها الى غرفة اخاها ريس وجالت بعينيها الزرقاوتين لتجده واقفا يمط بجسده العضلي فهتفت بسخط:

- ها هو الذي سيأخذني اليوم معه لأشتري لي ملابس.. لماذا نهضت؟ عد ونام.. هيا عد ونام يا ريس.. دائما ما تفعل بي نفس الأمر.. تخبرني انك ستأخذني الى المجمع التجاري وتقضي اغلبية اليوم نائما.

- الناس تقول صباح الخير او كلمة جميلة في الصباح، لا ان تتصبح بك.. بالتأكيد يومي سيكون تعيسا مثل وجهك.. عندك اخ اخر غيري على ما اظن.. فلماذا مصرة على تعكير صفو مزاجي انا خاصة؟؟

اردف بغيظ وهو يرمقها بحنق لتقاطعه صارخة بغضب طفولي:

- لا يهمني يا ريس انا اريد الذهاب معك انت وليس مع جواد.. فذوقك بالملابس يعجبني وكما تعلم اقتربت الجامعات.

- عدن لا تدعيني احزنك في بداية يومك.. اياك ان ترفعي صوتك مجددا.

زمجر بتهديد لتهمس بخوف:

- انا اسفة ريس.. لكن.. لكن..

قاطعها ريس بجدية حانية.. فهي ابنته قبل ان تكون اخته.. على الرغم من فرق السنوات الضئيل الذي بينهما الا انه لها اخ، اب وصديق.. فبعد وفاة والده كانت لا تزال طفلة صغيرة لذا كان هو لها كل ما تحتاجه.. ولم يبخل عليها ولو لثانية بحنانه بل كانت معاملته لها وكأنها اميرة استثنائية:

- اقتربي عدن.

زلفت منه بخطوات سريعة ثم وضعت يداها الرقيقتين حول جسده الضخم، متشبثة به بقوة.. وبدأت عيناها بذرف الدموع.. فربت على ظهرها برفق وهمس بحنو:

- ما الأمر يا عدني؟ ما الأمر يا جنتي؟ انت لا تبكين دون سبب.. بالتأكيد لا تبكي فقط لأنني تأخرت في النوم او تكلمت بحدة معك لوهلة!!

رفعت رأسها ببطء ونظرت الى وجهه البديع بمقلتيها الدامعتين وهمست ببكاء:

- اخبرني جدي منذ قليل انك ستتزوج، وهذا يعني انك ستتركني ولن اعود عدنك ولا جنتك ولا حتى مدللتك.. انت ستتركني بعد زواجك.. وانا لن يتبقى لي احد.

شعر وكأن سكاكين تغرز بقلبه على حال شقيقته الصغيرة.. لا يستطيع رؤية دموعها.. ولا رؤيتها حزينة لأي سبب كان.. نظر لها بتأنيب وكأنه يلومها على ما تفوهت به من حماقات.. هو اساسا نسي موضوع زواجه من تلك التي لا يعرف مظهرها ونساها كليا منذ الصغر.. لو انها لم

تتكلم بهذا الموضوع الان لما تذكر اطلاقا موضوع زواجه اللعين.. فقال بعتاب:

- أأنت حمقاء ام ماذا! كيف تفكرين بمثل هذا التفكير! من قال انني سأتركك! يا مجنونة انت ابنتي قبل ان تكوني اختي.. اهناك انسان يتخلى عن اطفاله! انا لن اتركك مهما حصل، ستبقين مدللتي الصغيرة واختي الشقية وابنتي الغالية.. انت اغلى انسانة على قلبي يا عدن.. اياك التفكير بمثل هذه الامور مجددا صدقيني سأحزن واغضب منك للغاية.

اشتدت ذراعيها حول جسمه.. وشعرت براحة عارمة تغرق جسدها ووجدانها بعد كلامه.. شعرت بالسكينة وبالأمان يعودان اليها.. هو كل شيء بالنسبة لها في الحياة.. على الرغم من حبها لأخيها جواد.. الا انها ترى ريس حبيبها وابيها واخيها وصديقها وكأنها تملك الحياة بوجوده.. فهو حاميها، وهو سندها وقدوتها العليا في كوكب الأرض هذا..

همست من بين شفتيها بحب وامتنان:

- احبك يا اخي.. احبك يا ابي.. احبك يا كل ما املك.. انا اسفة على تفكيري الأحمق بك.. لكن كما تعلم فأنا اغار واخاف من ان يأخذك احد مني.. انت هو مثلي في هذه الحياة.. وانت هو

سندي.. لا تغضب مني رجاءا..

ابتسم بخفوت لشقيقته الصغيرة المتعلقة به كالأطفال.. لن يدعها تغار من اي كائن.. فهي اخت ريس التي يجب انت تكون مغنجة ومبجلة..

دمدم بمزاح، مغيرا الجو الكئيب قليلا:

- اذا لا تريدي الذهاب الى المجمع؟

انتفضت من حضنه، دافعة اياه بعد ان خفف من ضغط ذراعيه حول جسدها الصغير.. ثم هتفت بحنق لطيف:

- مستحيل يا ريس، لن تضحك علي.. الان اذهب واستحم وانزل لنفطر ثم نذهب.. فأنا اريد شراء الكثير من الأغراض.. وكما اريد ان اعود باكرا لأرى زوجة اخي المستقبلية..

كان يضحك بسعادة على نبرة صوتها وكلامها.. لكن بدأت تتلاشى ابتسامته ببطء فور تذكيرها له بأن من سيتزوجها اتية اليوم هي واسرة عمه فشرد بعالمه الخاص.. لا يصدق كيف نسي ايضا انهم اتون اليوم..

تأفف بحنق في جوفه.. اليوم سيراها! يتمنى لو يهرب من هذه المهزلة..

خرج من شروده على نبرة عدن العالية وهي تناديه فنظر اليها.. وعادت الابتسامة تحتل ملامح وجهه الجميل عند سماعها تغمغم بسخط:

- اين شردت؟

تطلع اليها بإبتسامة خفيفة وهتف بهدوء:

- اسبقيني.. سألحقك بعد ان استحم.

انصاعت لأمره بهدوء وانبجست من ردهته الواسعة لتدعه وحيدا يفكر كيف سيكون يومه الذي يبدو شاق من بدايته..

بعد استحمامه وارتدائه لثيابه، وقف امام المرآة متأملا انعكاسه.. كان يرتدي بنطالا اسودا وقميص رمادي يعلوه معطف اسود يزيده اناقة وجمالا فوق جماله.. ثم وضع من عطره المفضل الجذاب وهبط بخطوات هادئة الى الأسفل..

****

كانت توضب اغراضها بحزن وغضب.. اليوم ستذهب الى ذاك المتوحش الذي رأته في الصورة من هاتف ابن عمها عماد الذي يساويها في العمر.. انه وسيم للغاية.. لا تنكر ما قاله جود ووالدها بأن الاف الفتيات تتمناه.. لكن بالتأكيد ليس الا من مظهره الجذاب.. هي لا تهتم بالمظهر بتاتا.. كل ما يهمها هو ما بجوف الانسان..

هي لا تود الزواج اطلاقا الان.. تود ان تكمل دراستها.. تود ان تعيش حياتها كما يفعل كل ابناء جيلها.. هي فقط في التاسعة عشر من عمرها! امامها حياة طويلة لتفكر في امر مثل الزواج..

انزلقت دموعها على وجنتيها الناعمة وهي تفكر كيف ستكون حياتها بعد الان.. والدها حسم الأمر وهي لا تستطيع ان تغضبه حتى لو ارادت..

انتهت من توضيب اغراضها الكثيرة ونزلت الى الأسفل لترى الجميع جاهزا، منتظرين اياها..

تطلعت اليها والدتها وسألتها بصوت دافئ:

- هل انتهيت حبيبتي من توضيب اغراضك؟

اومأت برأسها دون ان تهمس ببنت شفة قبل ان تشاهد رماديتيها اخيها يدنو منها، مغمغما بأسف:

- انا اسف لين على صراخي عليكِ.. كانت لحظة غضب فقط.. ليس لي المقدرة على رؤيتك حزينة يا صغيرتي.

عاودت عبراتها الانهمار بعد ان جاهدت على كبحها ليزلف منها جود سريعا ويسحبها الى حضنه بحنو، هامسا بأسف شديد:

- انا اسف.. اهدئي فقط.. رجاءا لا تبكي يا حبيبتي.. لا اريد رؤية دموعك الغالية.

رفعت رأسها اليه ورمقته بنظراتها الشجية المحمرتين من كثر بكاءها.. تتطلع اليه وكأنها تعاتبه من خلال مقلتيها الرمادية دون ان تتفوه بحرف واحد..

لم يتحمل ادم نظرات طفلته المتألمة فخرج بسرعة صافعا الباب خلفه بقوة بعد ان قال بنبرة جامدة تخفي حزنه:

- انا انتظركم في السيارة.. لا تتأخروا.

بقيت ليان واقفة بصمت وهي تشاهد زوجها الحبيب يخرج بجمود.. تعرف ما يشعر به وما يخفيه وخاصة الان.. تعلم ان هذا الزواج لا يمكن التراجع عنه.. لأن هذا الأمر قد حُدد مسبقا قبل وفاة اخ زوجها وزوجته وكما ان هذه هي وصيته..

وجهت انظارها لأبنتها الساكنة في حضن اخيها لتتنهد بصوت عال قبل ان تردف:

- لين اصعدي الى غرفتك واجلبي حقائبك.. وانتَ جود رافقها حتى تساعدها.

اومأ بانصياع قبل ان يبتعد جود قليلا عن اخته ويحاوط ظهرها بذراعه ويصعد برفقتها بخطوات بطيئة الى مقصورتها..

تأملت حدقتيها الدامعة غرفتها للمرة الأخيرة وكأنها ترفع راية الوداع لحريتها..

احسّ جود بما يطوف بثنايا شقيقته فدنى منها هامسا بتشجيع:

- كل شيء سيكون بخير صدقيني يا لين.. فقط ابق قوية وابعدي نظرة الحزن هذه عن عيناكِ الجميلة.. فأنا اكره رؤية اجمل عينان في العالم هكذا.. وهيا دعيني ارى لمعة عيناكِ المرحة التي اعشقها.

ابتسمت لعينان اخيها السوداء الذي يحاول ان يبثقها من قوقعتها الحزينة ثم همست من بين شفتيها الكرزيتين:

- سأحاول يا اخي.. سأحاول..

****

بعد ان اسدل الليل ستائره الداكنة وصلت سيارة ادم الى القصر..

ترجلت من السيارة هي واسرتها لتتأمل حدقتيها مبنى القصر الفخم الذي يشع اناقة وثراء.. ولأول مرة ترى قصرا بهذا الجمال..

توقفت رماديتيها عن توسم جمال القصر حينما سمعت صوت جدها وهو يخرج من الحديقة ليستقبلهم هو وشاب لم تراه مسبقا.. تظن انه ابن عمها الأخر، اي اخ ريس.. يبدو وسيما بوقفته الرجولية..

تطلعت الى تفاصيل وجهه.. عيناه بنية جميلة.. طويل القامة.. يشبه الشخص الذي يُدعى ريس والذي رأته في الصورة.. استنتجت انه اخاه لذا ابعدت عيناها عنه وثبتتهما على جدها الذي تقدم منها وهتف بشوق:

- الن تسّلمي على جدك يا حبيبته؟

بان شعورها بالخجل والتوتر على ملامح وجهها لتتسع ابتسامة الجد على احراجها.. فاقتربت منه واحنت وجهها

لتقبل يده الا انه سحبها الى حضنه متنشقا عبيرها ومغمغما:

- منذ مدة طويلة لم اراكِ يا ابنتي.. اشتقت اليك للغاية يا حبيبة وروح جدك.. في صُغرك كنت دائما مدللتي.. وستبقين كذلك الى الأبد.

احست بالإطمئنان من كلام جدها الذي لم تراه منذ سنوات طويلة.. تعلم انه يحبها.. والدها دوما ما يحدّثها كيف كان يعاملها ويفضّلها على جميع احفاده.. استشرى شعورها بالأمان والراحة في اعماقها بعد ان قابلته... ثم همست وهي تبتسم لعينان جدها:

- تسلم يا جدي.. وانا ايضا اشتقت اليك كثيرا مع انني لا اذكر الكثير عن ايامنا معا.. الا انني فور ما رأيتك شعرت والامان والحنان تجاهك.

وقبل ان يهم ايمن بالرد على حفيدته استمع الى صوت ابن بكره الرجولي الذي القى تحية

السلام.. فاعتلت الابتسامة الحانية وجهه والتفت هو والبقية اليه ليشاهدوه يخرج من سيارته السوداء برفقة اخته عدن..

تمعن ادم بأبن اخيه بعد ان انتبه الى وجوده.. وغمغم متبسما:

- وعليكم السلام يا ابن اخي.

ثم وجه انظاره الى ابنة اخيه الاخرى والواقفة بجوار اخيها بخجل واستطرد متابعا:

- انتِ عدن اليس كذلك؟ رباه كم انت جميلة.. فليحميكِ اللّه يا ابنة الغالي.

تطلعت اليه بابتسامة خجولة ودنت منه برفقة ريس لتُسلم على عمها وزوجته بود قبل ان تسمع اخيها يهتف بتساؤل:

- كيف حالك عمي ادم؟

- بخير يا بني ما دمتم بخير.. انت تشبه والدك وتذكرني به للغاية.

ابتسم ريس ابتسامة باردة خالية من المشاعر ثم انحرفت عيناه ليرى تلك الفتاة الواقفة برفقة جده.. التي هي بالتأكيد ليست سوى "لين" ابنة عمه وزوجته المستقبلية..

تمعنت عسليتيه النظر بها بجرأة وهاله ما رأى بها من جمال لم يتوقعه.. جسدها الرشيق.. قامتها المتوسطة.. بشرتها القمحوية الناعمة.. شفتيها الكرزية المنتفخة قليلا.. عيناها التي ابدع الخالق في رسمها وتلوينها.. وشعرها المتموج العسلي الذي يصل حتى نهاية ظهرها..

الوصف الوحيد الذي يلائمها هو الملاك.. هي ملاك!! كلمات الجمال قليلة جدا عليها..

هناك شعور غريب يتسرب في اوردته.. لا يعرف ما هو.. ولكنه قاس للغاية عليه.. ربما هي الغيرة او التملك..

انتبهت الى نظراته التي لم تحيد عنها منذ ان تطلع اليها لتحمر وجنتيها اكثر واكثر من فرط خجلها وتوترها.. اخفضت مقلتيها بارتباك وفركت اناملها ببعضهم..

اعترفت بينها وبين نفسها انه وسيم اكثر من الصورة التي رأتها.. يمتلك هيبة وقوة تجعل قلبها يدق خوفا وخجلا.. الهالة المحيطة به تدب الرعب في نفوس من يراه..

تقدم اليها، الى حيث تقف برفقة جده الذي يتابع نظراتهما باستمتاع.. كان يعرف بأن حفيده سيقع لها.. انها تجعل كل من يتعرف اليها يحبها فقط من النظر اليها.. لأنها تبدو كالملاك!! لها سحر خاص بها..

هتف ريس بصوته الصارم الجاد:

- كيف حالك.. يا.. يا لين؟

الفصل الثالث

هوَى قلبي ساجدًا فورَ رُؤياهَا..

وقع اسيرًا من أول وَهلةٍ لِعيون رآاهَا..

عيناي لَم تعُدْ ترَى سِواهَا..

ماذا فعلَتْ بقلبي تلكَ التي ليسَ بروحي سِواهَا..

أيهرُب المُتيّم بعشق هواهَا..

أم يبقَى أسيرُ عيناهَا..

التِي لم يرَى قِط نِداها..

تقدم اليها ، الى حيث تقف برفقة جده الذي يتابع نظراتهما باستمتاع.. كان يعرف بأن حفيده سيقع لها.. هي تجعل كل من يتعرف اليها يحبها فقط من النظر اليها.. لأنها تبدو كالملاك.. لها سحر خاص بها..

هتف ريس بصوته الصارم الجاد:

- كيف حالك.. يا.. يا لين؟

ازدادت حمرة وجنيتها احراجا.. لم تكن تخطط ان يكون لقائهما الاول هكذا.. ارادت ان تكون قوية.. ارادت القانه درسا لا يُنسى.. ارادت ان تجعله يندم على ساعة رؤياها.. لكن له حضور قوي يجعلها غير قادرة على الكلام من شدة التوتر والخوف.. كيف يمكن ان تخاف فقط من حضوره؟! طريقة لفظه لأسمها تجعلها تتمنى ان تُشَّق الأرض وتبتلعها.. ازدردت لعابها بتوتر ونظرت الى الأرض بارتباك واضح.. وهمست بصوت منخفض شكً بأنه سمعها:

- انا بخير.

صوتها عزف الحان عذبة في اذنيه.. طريقة كلامها جعلته ينجرف بهواها اكثر.. صوتها الناعم اطرب لُبّهِ.. وانعش روحه الباردة..

الان بات على يقين ان زواجه من تلك الصغيرة الخجولة سيكون امرا جميلا للغاية.. سيخوض تجارب لم يخوضها مسبقا.. وكم يعشق التجديد!!

خرج من تأمله بها وحديثه المبطن في جوفه على صوت عدن التي اقتربت منهما وقالت موجهة حديثها للين الصامتة:

- اذا انتِ لين ابنة عمي.. انتِ جميلة جدا ولا يبدو انك تكبرينني كثيرا.. كم عمرك؟

تطلعت لين بهدوء الى تلك الفتاة التي توازيها جمالا.. كلامها اخجلها خاصة وانها تتكلم امام الجميع.. فهمست بابتسامة بسيطة:

- انا في التاسعة عشر من عمري.. وانتِ؟

احست عدن بشعور فرح يتفشى في ثناياها.. لم تكن تظن ان زوجة اخاها ستكون بهذه الرقة والجمال.. كما انها لا تكبرها كثيرا.. الفارق بينهما هو عاما واحدا.. اي ستشّكل معها فريقا قويا لإستفزاز تلك العائلة المثيرة

للحنق.. وها هي اخيرا وجدت فتاة غيرها تستطيع التقرب منها وتعاملها كأنها اختها.. لطالما تمنت ان يكون لديها اخت على الرغم من صلتها القريبة من اخويها وخاصة من ريس..

فقالت بمرح محبب:

- انا في الثامنة عشر وسأدخل الجامعة قريبا.

ثم استطردت بمرح:

- انا وانتِ بإمكاننا فعل الكثير معا وخاصة ضد اخي وجدي.. انت لطيفة جدا.. لكنني اشعر بالأسف عليكِ لأنك للأسف المثير للحزن ستتغيرين للأسوأ وتصبحين مثلي مجنونة العائلة كما يدعوني جدي.. اتعلمين سنسهر ونمرح ونخرج ونفعل الكثير والكثير.. يا الهي لقد تحمست.

قهقه الجميع عليها وابتسمت لين بخجل ابتسامة تخطف القلوب..

كان يتأمل ضحكتها التي لم يرى مثلها قط.. ود اخراج تلك الأفكار والمشاعر التي تداهمه.. لكن لم يستطع! لقد اسرته وجعلت عقله مهووسا بها..

غمغم الجد بقهقهة عالية يصاحبها صوت ضحك الأخرين:

- ايتها المجنونة، لقد اخجلتيها.. انظري الى وجهها كيف احمرَّ منك.

ثم تنهد بإبتسامة واستأنف بحب:

- هيا لنصعد.. لا نريد البقاء طوال الوقت هنا.. وانت يا جواد اطلب من 'علي' ان يحمل الحقائب ويضعها في الغرف التي اعدّها لهم، لأنهم سينامون الليلة هنا فأنا لم أُشبع شوقي منهم بعد.

كانت تشعر بنظراته تخترقها وهي تسير امامه.. تتبعها بتعقب.. حاولت ان لا تبالي الا انها لم تستطع.. رفرفت برموشها عدة مرة قبل ان تجاهد لتُركّز رماديتيها على المنظر الموجود قبالتها..

توهجت مقلتيها اعجابا من جمال ما تشاهده.. كان القصر فخما بحق.. كله ممزوجا بين اللونين

الأبيض والرمادي.. الأرائك، طلاء الجدران، الأبواب...

انحدرت حدقتيها الى الحديقة الكبيرة المليئة بالأزهار والأشجار والتي يتوسدها اضواءًا خفيفةً مع العشب الأخضر الفاتح.. اضافة الى طاولات صغيرة مع مقاعد باللون الأخضر العشبي وكأنها صُنعت خصيصا من العشب الطبيعي..

اما هو فكان يتابع كل خطوة تخطيها.. نظراتها، حركاتها، طريقة سيرها... علم من خلال نظراتها المتعجبة بأنها احبت الحديقة.. فإبتسم بينه وبين نفسه على هذه الصغيرة الحسناء..

فكر كيف ستكون علاقتهما.. هل سيناسبان بعضهما ام لا؟! هل سيحبان بعضهما ويعيشان كأي زوجين اخرين ام لا؟!

نفض كل هذه الأفكار بعيدا عن رأسه وتابع سيرهِ، متأملا حركاتها العفوية..

بعد وصولهم من كلام لا يخلو بين الجد وابنه ادم صعدوا الى غرفهم ليرتاحوا قليلا من ارهاق السفر.. بينما تبقى ريس واخويه جالسين مع الجد بهدوء..

قطع هذا الصمت الممل صوت جواد الذي هتف:

- جدي.. عائلة عمي ظريفة للغاية.. لم اعتقد انهم هكذا.. كما ان لين جميلة بحق لتناسب ملكنا الوسيم.

- معك حق يا بني هما منذ الصغر يناسبان بعضهما.

دمدم ايمن مقهقها لتهتف عدن بمرح:

- اجل صحيح انا لم اكن اظنها هكذا.. فغِرتُ منها قبل ان اراها على ريس، لكن الان عندما رأيتها لم يعد يهمني اذا احبها ريس ام لا.. فهي اصبحت شقيقتي وزوجة اخي قريبا.. وانا اتمنى فعلا ان يحبا بعضهما.. اتعملوا قبل كنت اتخيلها تشبه معلمتي الرياضيات في الثانوية.. اوه كم اكرهها! مجرد التفكير بها يثير اشمئزازي وحنقي.

تعالت ضحكاتهم يرافقهم ابتسامة ريس الشارد في الملاك الذي رأه.. كل ما قالته عدن صحيح فحتى هو لم يكن يتخيلها بمثل هذه الروعة والرواء..

غمغم الجد بعد رؤيته لحفيده الذي يبدو بعيدا كليا بفكره:

- وانت يا ريس ما رأيك بها؟ لم تطلعني على رأيك بعد.

نظر ريس لجده المبتسم بخبث فردَّ اليه الابتسامة وهمس ببرود:

- عادي، لا يوجد شيئا مهم للذكر.

هتفت عدن بحنق من برود اخيها المستفز:

- لا يوجد شيئا مهم للذكر!!.. اوه يا الهي اكاد اصدقك وانت طوال الوقت شارد بها وبحركاتها.. كدتُ اشعر بأنك ستخطفها لأول وهلة.. اتعلم؟ اظن انها ستغيرك.

لم يستطع ايمن وجواد تمالك انفسهما فقهقها بشدة لتحتد نظرات الاخر ويزمجر بحدة:

- لسانك سأقطعه لك يوما ما يا عدن اذا لم تعدِّليه.

صمتت بضيق ولم تتكلم فتمتم جواد بضحك:

- اظن انها معها حق.. ما رأيك يا جدي؟

- انا دائما اوافق عدن على كلامها.

اقتربت عدن وجلست بجانب جدها وقبلت وجنتيه هامسة بحب ومرح:

- يا عالم ايوجد اغلى من هذا المخلوق؟؟ تعلّما منه قليلا.. لا تبقيا طوال الوقت متشردين واغبياء.. لا اصدق انني اختكما! ضاع مستقبلي بسببكم.

قهقه الجد عاليا بينما رمقها ريس بنظراته الغاضبة.. وتشدق جواد الذي يتطلع اليها بحنق:

- اشفقي على نفسك يا فتاة من تواضعك المثير للشفقة.. مئات الفتيات يتمنينَّ ان يكونوا مكانك.. وانتِ الان بكل غرور تقللين من قيمتي.. تبا لك ايتها الغبية.. تتكلم عن تفكيري وهي المجنونة بحد ذاتها!

زمت شفتيها بضيق شديد وهمت ان ترد عليه الا ان هناك صوتا ناعما قاطعها بحرج:

- جدي..

تطلعوا الى لين التي يبدو انها لتوها انهت استحمامها..
وجالت العينان العسليتين على ثيابها بضيق..

كانت تتأزر بنطالا ابيضا وقميصا زيتيا يلائم بشرتها القمحوية.. ورافعة شعرها الحريري الى الأعلى على هيئة ذيل الحصان..

دنت بخطوات بطيئة وجثمت على الاريكة بجانب جدها الأيسر ليصبح وسيطا بينها وبين عدن.. ثم احاط بذراعيه حفيدتيه الإثنتين وابتسم بحنو وهمس لها:

- عيون جدك.

ردّت له ابتسامة رقيقة وغمغمت بحب هي الأخرى:

- أستطيع التجول في القصر؟ اريد التعرف عليه اكثر.

- بالتأكيد يا ابنتي.. فهذا منزلك قبل اي شيء..
سيرافقك احد ابناء عمك اثناء التجول.. حسنا؟

- اوه جدي اقسم سأبدأ اغار اذا دللتها اكثر مني.. اياك وفعل ذلك.

هتفت عدن بغيظ ليقهقه ايمن ويرد:

- جميعكم احفادي واحباء قلبي.. لا تقلقي انتما الاثنتان لديكما نفس المكانة في قلبي.

ابتسمت عدن بشقاوة وأردفت:

- اعلم لذلك اعشقك.

ثم نظرت الى ريس الذي كان يشاهد بصمت ويبدو عليه اثار الغضب لسبب تجهله.. فاستطردت بمكر:

- مممم.. لين سيرافقك ريس اثناء تعرفك على القصر.. فأنتما يجب ان تتعرفا على بعضكما.. اليس كذلك جدي؟

ابتسم ايمن بإستمتاع وأكّد كلامها وهو يومئ برأسه:

- لقد قلت لك مُسبقا انني دائما اوافقك الرأي لذا سيرافقها ريس.

- لا.. لا داعي سترافقينني انتِ يا عدن.

همست لين بخجل والحمرة تستشري في سائر وجهها ليهتف ريس بصوته الرجولي الحازم:

- سأرافقك انا.

ثم اضاف بحسم مستمتعا بنظراتها الزائغة والتوتر البادي بوضوح بتحركاتها:

- هيا سنذهب الان.

ترددت وهي تراه يقترب منها وفغرت فاهها بعدم تصديق ريثما مدَّ يده ليسحبها من بين احضان جدها..

دقّ قلبها بقوة خوفا وخجلا من جرأته.. وتطلعت الى جدها بإرتباك شديد قبل ان تنتصب واقفة بجانبه..

ودت الإعتراض على طريقته الا انه لم يمنحها المجال حيث قام بجرّها ورائه دون ان يأبه بنظرات الجميع المندهشة من جرأته المبالغة..

هذه اول مرة يراها ويتصرف هكذا.. اذا كيف لاحقا؟!

نزعت يدها بعنف من قبضته الصلدة.. وصاحت بغضب وتوتر شديدان حينما وصلا الى الحديقة:

- انت! كيف تجرؤ على التصرف معي هكذا وتجرني امامهم بمثل هذه الطريقة الوقحة؟!

رمقها بنظراته المستمتعة وهتف ببرود اغاظها:

- اوه ظهرت مخالبك ايتها القطة الصغيرة!! تعرفين كيف تتكلمين.

لم ترد عليه الا بتطلعاتها الحانقة ليتابع بجدية:

- ومن الجدير ان تعلمي انني اتصرف كما اشاء ومتى اشاء.. لذلك لا تسألي كيف ولماذا.. حسنا ايتها الطفلة؟

- لا لم افهم واياكَ ان تنعتني بالطفلة ايها البارد المغرور.

غمغمت بتحدي ليضحك بتهكم تمنت ان تقتله بسببه:

- اتعلمين؟ بدأت أُعجب بشراستك.. لوهلة ظننتك ضعيفة مثيرة للشفقة.. ولكن اتضح العكس.

ودت ان تجاوبه الا انه ردع ردها من الانبثاق ريثما تابع بحدة عكس كيفما تحدث قبلا:

- اسمعيني جيدا يا ابنة عمي.. لن اصمت على اي تصرف خاطئ.. فأنت ستصبحين زوجتي اي ستحملين اسمي.. وكل ما يخصني.

لم تستطع الحفاظ على هدوءها اكثر.. ليضمحل كل خجلها وخوفها تحت وطأة غضبها وغيظها منه.. فهتفت بحدة:

- لا.. لم افهم يا.. يا ابن عمي وصدقني بعد ان رأيتك سأُصرّ على عدم الزواج بإنسان مُتلّبد المشاعر مثلك.

انكمشت حدقتيه بغضب مخيف.. وطفح الكيل به من استهزاءها وسخريتها في الكلام.. فزلف منها بخطوات ارعدت فؤادها وابجسته من مكانه.. وقبض على ذراعيها بقسوة المّتها.. ثم زمجر بإهتياج، مُثبتا نظراته الشرسة بمقلتيها المذعورة:

- صوتك هذا اذا ارتفع مجددا لن اتردد في اخراسه صدقيني.. هذا الزواج سيتم بإرادتك او دونها.. اتعرفين؟؟ قبلا كنت لا ارغب بهذا الزواج مطلقا، لكن بعد رؤيتك غيّرت رأيي مئة وثمانون درجة وخاصة بعد طريقة تحدثك الوقحة.

تململت بين قبضتيه بخوف بان جليا على ملامح وجهها البريء وغمغمت برجاء:

- اا.. ابتعد عني.. اتركني.

استفحلت قوة قبضتيه على معصميها لتطلق آهة موجوعة.. فصرّ على اسنانه مكررا بإصرار:

- افهمت ماذا قلت ام تحبي ان اكرر؟!

اومئت برأسها بخوف هامسة برجاء:

- ريس.. ارجوك اترك يدي، انتَ تؤلمني.

نفض ذراعيها بقوة وقال بإبتسامة ساخرة:

- احسنتِ يا صغيرة.. احسنتِ.



الفصل الرابع

غريبة هي مشاعري واحاسيسي..

معكَ عرفتُ امورًا لَم أدْركُها يومًا يا عجيبي..

أهِيَ بداية صفحة كتاب عصرِّي؟..

أم إستمرار لعالمٍ إعتياديٍّ؟..

لِنرى كيف هي النهاية يا عزيزي..

استيقظت صباحا على رنين هاتفها المزعج الذي يدُّق بإستمرار.. ففركت وجهها بإنزعاج بالوسادة البيضاء التي تنام عليها.. وامسكت الهاتف بإنزعاج جلي ثم اجابت بصوت شبه نائم:

- الو..

- اما زلتِ نائمة كعادتكِ؟! هيا استيقظي، اليوم يوجد جامعة.

نهضت من سريرها بفزع وهمست:

- شام! يا الهي كم الساعة الان؟

ضحكت الاخرى وهي تجيب:

- انها السابعة صباحا.. اظن انك تتدّللين كثيرا عند جدك وهذا الوسيم، لذا نسيت امر الجامعة كليا.

نظرت حولها بتوجس.. فتذكرت انها في قصر جدها ودارت ذاكرتها حول الحديث الذي دار بينها وبين ريس لتحتقن ملامحها بضيق جلي وهي تتذكر كيف تصرف بتعجرف وتسلط معها.. وكيف نعتها بالطفلة.. وتأمره الذي لا يطاق عليها بحيث يخبرها اين تذهب، ومع من، وكيف تتصرف واحاديثه الطويلة الغير قابلة للإنتهاء..

اشعرها بأنها طفلة صغيرة لا تعرف شيئا واتى هذا الغبي ليعلّمها.. ويجبرها على التصرف كما يريد بتهديداته المخيفة.. ها هو منذ الان بدأ بتحكماته بها فكيف عندما يتزوجان؟؟

خرجت من تفكيرها الغاضب على صوت شام التي تنادي عليها:

- لين.. لين اين شردت؟!

- اه.. اجل.. انا معك شام.

- ظننتك هاجرتي الى كوكب اخر.. المهم هيا استعدي.. اراك في الجامعة.. وداعا.

زمّت شفتيها بضيق ونهضت بتثاقل لتغتسل وتبعد اثار النوم بعيدا قبل ان تجهز نفسها للذهاب الى الجامعة..

نظرت لنفسها في المرآة نظرة اعجاب اخيرة.. وما ان فتحت الباب لتخرج قابلها وجهه وهو يغلق باب غرفته.. فأشاحت نظراتها عنه بضيق ثم سارت متجاهلة اياه بفظاظة..

وسرعان ما كان يوقفها صوته المغتاظ من تجاهلها له:

- من واجب الذوق القاء تحية الصباح.. ام انك ايضا لا تعرفي كيف تقولين صباح الخير؟!

زمت شفتيها وهي ترمقه بنظراتها الحانقة قبل ان تهمس:

- صباح الخير.

وما انا ارادت متابعة مسارها اوقفها مرة اخرى بسؤالهِ:

- الى اين انت ذاهبة؟

- وما شأنك؟! انت لست ابي ولا اخي.

ردت بتعجرف وقح قبل ان تصمت لبرهة وتضيف بإبتسامة اصرار خبيثة:

- ولا حتى زوجي.

اشتعلت النيران بأوداجه من طريقة حديثها الوقحة معه..
فجاهد على كبت غضبه ليحل مكانه البرود المثلج..
وارتفعت شفتيه الى الجانب بسخرية وهو يغمغم:

- ممم.. معك حق.. لكن قريبا جدا صدقيني سأعلّمك ابجدية الكلام بإحترام.

نظرت له ببرود متجاهلة كلامه.. وهمست بخفوت:

- اوه!! ايجب علي ان اتخذ حذري منك منذ الان ام ماذا؟!

لم تختفي الابتسامة اللعينة عن ملامح وجهه الجذابة..
ودنى منها بهدوء نمر متربص لتتراجع تلقائيا للوراء الى ان
توقف قبالتها تماما ليحني رأسه رويدا وتتقابل ذهبتيه مع
فضيتها.. ثم همس بصوت اثار القشعريرة في اوصالها:

- يتوجب عليك ذلك عزيزتي.. والان اخبريني قبل ان
تري تصرف لا يعجبك الى اين ذاهبة في هذا الصباح
الباكر يا..

توقفت حروفه عن النفاذ لوهلة قبل ان يتابع بمكر
يجوفه الكثير والكثير من التهكم:

- يا زوجتي المستقبلية.

تطلعت اليه بضيق شديد.. تمنت ان تشوه ملامح وجهه
الوسيمة لتلقنه درسا لا يُنسى.. بقيت صامتة دون ان
تعطيه الجواب الذي ينتظره ليبقى هو يتفرس ملامح
وجهها الناعمة بتمعن.. انعقاد حاجبيها الرقيقين بضيق..
تأففها اللطيف من عجرفتيه كطفلة صغيرة.. وطريقة

وضعها ليدها اليمنى حول خصرها لتبدو فتاة مدللة كنجمة بحر جذابة..

انتظر لبعض الوقت علّها تعطيه الجواب الذي ينتظره منها.. مرّ القليل من الدقائق ليبدأ صبره بالنفاذ من سكوتها الذي استفزه فهتف بنبرة حادة جعلت قلبها يرتعد من الخوف:

- الن تعطيني الجواب الذي انتظره يا لين؟! صبري بدأ ينفذ وهذا ليس بصالحك مطلقا عزيزتي.

- لماذا مُصّر ان تعرف؟ ماذا ستستفيد؟!

تساءلت بضيق ليزمجر بعصبية:

- ليس هذا الجواب الذي انتظره لين.

ابتلعت ريقها بصعوبة وبرز الخوف جليا على ملامح وجهها من صوته العال الغاضب.. فهمست بإرتجاف حاولت بكل جهدها اخفاءه الا ان دون فائدة:

- اا.. ايا يكن لن تستفيد شيئا، ولكن لتهدئة فضولك فقط الغير مرّحب به سأخبرك.

ارتفع حاجبه الى الأعلى بسخرية تامة.. ولم يستطع انكار اعجابه بها.. فها هي حتى رغم خوفها وارتباكها الظاهر تحاول التظاهر بالقوة والصمود.. أراد الرد عليها ولكنها سريعا ما كانت تضيف لتمنعه من التكلم:

- انا ذاهبة الى الجامعة والان ارح فضولك.. الى اللقاء.

بقي متسمر مكانه بذهول من هذه المخلوقة العجيبة.. لقد تركته بلمح البصر وتجاهلته.. زفر بغيظ وضيق وهمس بصوت منخفض، متوعدا اياها في سره:

- لن اكون ريس يا لين اذا لم أعدِّلُكِ.. اه ماذا تفعل تلك الصغيرة بي؟! تشوش كياني دون اي مجهود.. سأريكِ يا لين.. صدقيني القادم اعظم.. انتظري فقط يا امرأتي.

لم تصدق انها تمكنت من الهروب منه.. تنهدت بإرتياح شديد وهي تسير بسرعة لتصطدم بعدن فجأة فشهقتا الإثنتان عاليا قبل ان تغمغم عدن:

- اوه لين.. ما خطبك تسيرين بهذه السرعة؟!

تلعثمت، لاعنة ريس في مضمروها:

- اه.. لا شيء فقط تأخرت على الجامعة.

- اذا انتظري ريس ليوصلك بطريقهِ فهو ذاهب ايضا الى العمل.

قاطعتها لين بسرعة، تكره رؤيته فكيف الذهاب معه الى الجامعة؟!:

- لا لا.. لا داعي استطيع تدبر امري لوحدي، فأنا املك رخصة سياقة.

- سأوصلك انا.

ابتلعت ريقها فهي اضحت تعرف صوته عن بعد الاف الأمتار..

والتفتت اليه لتجده يقترب منها ومن عدن.. فهمست:

- لا داعي، اشكرك.. لا احب الركوب مع شخص غير محرم لي.

نظرت لهما عدن بإندهاش.. وفغرت فاهها كالحمقاء من كلام لين.. ثم دمدمت بحيرة:

- لكن يا لين ريس ابن عمك كما وانكما تعتبران خطيبان وقريبا زوجان.. فلن يكون هناك اي مشكلة اذا قام بإيصالك.

وقف ريس مكانه يتطلع اليهما بتلذذ.. لا ينكر اعجابه بحديثها بأنها لا تركب مع شخص غير محرم لها.. ولكن هو قريبا سيستطيع فعل الكثير والكثير لها.. فهي ستصبح ملكه.. سيتحكم بكل كبيرة وصغيرة تخصّها.. سيجعلها تحت تحكمه وتسلطه الذي لن ينتهي قط..

ارتفعت زاوية شفتيه بإستهزاء وقال بتأكيد غير مباليا بعدن الواقفة معهما:

- قريبا جدا سأفعل الكثير يا ابنة عمي.. ولن اقوم فقط بإيصالك الى الأماكن التي تودين الذهاب اليها.. هذا اذا سمحت لك انا بالذهاب طبعا.

احمرت وجنتيها خجلا من حديثه الوقح والمحرج امام عدن.. فأشاحت بوجهها بعيدا عنه بعد ان نظرت له بحقد.. بينما عدن حاولت قدر الإمكان التحكم بضحكتها كي لا تنزلق.. فمظهرهما يبدو بغاية الظرافة والحلاوة..

لين الغاضبة والمحرجة من حديثه.. وهو المستمتع والغائظ منها في نفس الوقت!

فهمست عدن بخبث ومكر:

- في الواقع يا لين ريس معه حق.. فهو قريبا سيكون زوجك وستقيمان في منزل واحد.. وليس ذلك فقط بل في غرفة واحدة.

تفاقم احمرار وجهها وتفشى الحنق في اوصالها من هذان الأخين وهي تصوب تجاههما نظراتها الغاضبة ليبتسم ريس بخبث على كلام شقيقته.. وتتوسم مقلتيه النظر بملامح وجهها الغاضبة

والخجولة.. فغمغم ضاحكا:

- الان عدن اثبتي لي بقوة وبجدارة انك اختي.. والان انا حقا اصادق واوافق جدي بقوله دائما انك تقولين الحق.

ابتسمت عدن بغرور وقالت بتعالي:

- الان توّك ادركت هذا يا اخي! حقا خسارة السنوات التي قضيتها برفقتي.

نظر لها ريس بحنق وهتف:

- مغرورة ولن تتغيري.

ثم وجه انظاره الى لين الواقفة تتطلع اليهما بذهول وغيظ شديدان واستطرد:

- وانت يا لين.. اذا لم اقوم انا بإيصالك الى الجامعة لن تذهبي ولا تجادليني لمصلحتك.

تأففت بضيق يخفي خوفها وهمست:

- حسنا.. هيا لنذهب فأنا تأخرت.

كان الصمت طوال الطريق هو المسيطر الوحيد حتى بدأت تشعر بالملل فسألت بفضول لم تستطع كبته:

- لماذا يتبعونك هؤلاء الرجال؟!

اجاب ببرود دون ان يشيح بحدقتيه عن الطريق:

- هؤلاء الرجال هم حراسي الشخصيين.. ويتبعونني لضمان عدم حدوث اي ضرر يمس بالحفاظ على امني وامن عائلتي.. فأنا املك الكثير من الأعداء.

نظرت له بحنق من بروده الذي اغاظها وهمست بصوت منخفض:

- بالتأكيد لك الكثير من الأعداء! فأنت متعجرف.. متسلط.. لا تُطاق.. ايها البارد!

- سمعتك على فكرة.. والان اذا انهيت فضولك الغبي، اصمتي لأركز في الطريق.

****

كانوا مُتجمعين على مائدة الإفطار يأكلون بهدوء.. حتى قال ادم موجهها كلامه لوالده:

- ابي اليوم سأنتقل الى منزلي انا وعائلتي.. فأنا لا استطيع النوم ايضا اليوم هنا.

- لماذا يا بني؟! القصر كبير ويكفي للجميع.. كما وانني لم اشبع عيناي منكم بعد.. واضافة الى ذلك ريس ولين يجب ان يبقيا بجوار بعضهما ليتعارفا اكثر.

- المنزل ليس بعيدا عن القصر.. كما وبإمكانهما التعارف حتى وان لم يكونا في نفس المنزل.. وانا كل يوم سآتي واجلب لين.. ومنزلي مفتوح لكم في اي وقت.. لقد اخبرت الخدم بتجهيز المنزل، ولن ارتاح سوى بمنزلي.

نظر له ايمن بعتاب وقال:

- اذا الان تعني ان هذا ليس بيتك!

- لا اعني ذلك يا ابي.. لكنني لن ارتاح هكذا كثيرا، فأنا احتاج الى خصوصية اكثر.

تنهد ايمن بصوت عال واردف:

- كما تريد يا بني.

****

كانت تسير برفقة صديقتها "شام" في ممرات الجامعة الى ان رأت "عماد" ابن عمها، صديقها، واخاها في الرضاعة.. فشوّحت له بيدها.. ليقترب منها بإبتسامة اسرة ويغمغم بشوق:

- لين!.. اشتقت لك يا فتاة.. افضل شيء حصل من زفافك من ريس هو انتقالك الى هذه الجامعة لأتمكن من رؤيتك دائما.

تقلصت ابتسامتها رويدا رويدا فور تذكرها ذاك المغرور البارد الا انها سرعان ما اعادتها وهمست بحب:

- انا ايضا اشتقت اليك يا شقي.

ثم تطلعت الى شام واستأنفت:

- اه.. عماد اعرّفك هذه شام صديقتي.. وشام هذا ابن عمي.

تبادلا الإبتسامة برسمية ثم نظر عماد للين واردف بصوت لعوب:

- الجميل لا يصاحب غير الجميلات.

قهقهت لين على روحه المرحة ليغمزها بعينه وتتورد وجنتي شام من حديثهم قبل ان يستمروا في تبادل بعض المواضيع التي لا تخلو من شقاوة ومرح عماد..

****

كان منهمك بتفحص الملفات التي امامه حتى اتت تلك الحسناء الى ذهنه.. ليترك ما بيده قليلا ويبتسم وهو يفكر بها..

قرّر فعل شيئا ما.. فقام بالإتصال بأحد موظفيه ليعرف متى ستنتهي من التعليم..

انحدرت عسليتيه لتتطلع الى الساعة التي في يده ليبتسم وينهض متوجها اليها..

وصل اخيرا الى الجامعة فتقصّت مقلتيه عن طيفها حتى وجدها اخيرا واقفة مع شخص ما ليشتعل بريق الغضب في عيناه.. وتبرز عروق عنقه بشكل مخيف.. وتشتد يده

على شكل قبضة مُعدًّا نفسه للهجوم على اي من يكون.. ثم سار نحوها كالصقر الذي يحلق نحو فريسته..

كانت غافلة تماما عن ذاك الذي يحدق بها بشراسة مرعبة الى ان انتبهت اليه يقبل عليها بسمّته التي بثت الرعب في وجدانها.. لا تدرك ما خطبه، ولما عيناه محمرتان الى تلك الدرجة.. لكنها على يقين ان شيئا سيئا قد حدث..

- لين...

صاح بصوت عال افزعها لتتسارع خفقات لبها اكثر.. وليهمس عماد بصوت منخفض:

- ها قد اتى الصقر.

لم يحيد بنظراته عنها وزمجر بعصبية:

- لماذا انت واقفة برفقته؟ على حد علمي انت لا تقفين مع شخص غير محرم لك!! ألم يكن هذا كلامك في الصباح؟!

همّ عماد بالتدخل والتكلم.. الا ان ريس اوقفه بحركة سريعة من يده قائلا بصوت حاد زعزع روحها:

- لا تتدخل يا عماد.. واذهب.. انا سأقوم بإيصالها.

وقبل ان تحاول الاعتراض امتدت يده لتقبض على معصمها بقوة آلمتها ثم سحبها الى جانبه.. وهتف بنبرة تشع تملكا:

- فلين هي خطيبتي.. اي انا فقط لوحدي من يحق لها التحدث معه.. والوقوف بجانبه.. والأهم الانصياع لأمره.

اشتعلت اوداجها غضبا من سيطرته المهيمنة.. وحاولت افلات يدها من براثن قبضته الا انها لم تستطع.. فضاعف من ضغط قبضته عليها حتى صرخت بصوت متألم:

- دعني يا ريس.. دعني.

رمق عماد لين المتألمة بشفقة وود التدخل مرة اخرى.. الا ان ريس زأر بصوت جهوري ردعه:

- اذهب يا عماد.. افضل لك ولها.

لم يكن بيد عماد اي حيلة سوى الذهاب خشية من غضب ريس على لين وعلى نفسه..

تململت لين بين ذراعيه ليجرها خلفه غصبا الى ان وصل الى سيارته.. فقام بفتح الباب.. والقاها بداخلها بعنف.. ثم توجه نحو مقعد السائق قبل ان يقود بأقصى سرعة ويتحدث بصوت هادئ لا يعكس ما يعتمل في ثناياه:

- لماذا كنت واقفة معه؟ وايضا تضحكين برفقته!

نظفت حنجرتها بخوف وقلق من هدوءه الذي يخفي الكثير.. وحاولت تمالك اعصابها وان لا تظهر خوفها مطلقا.. فهتفت بتحدي:

- ليس من شأنك! ثم لماذا لا اقف معه بينما انا اقف معك واخرج معك.. فهو ايضا ابن عمي و...

- اصمتي...

فجعت من صراخه فجاهدت على الحفاظ على ثباتها وعدم ظهور خوفها الا انها همست بصوت مرتجف:

- اه.. انت ليس لك دخل بي.. فأنا وأنت لا تجمعنا اي علاقة سويا! خطوبتنا لم تتم بعد.. ولا يوجد اي رباط يبرر تصرفك.

القى عليها نظرة أرهبتها وهتف بوعيد:

- انتظري يا لين ماذا سيحدث وماذا سأفعل.. لن اكون ريس الجايد اذا لم اغيرك بطريقتي.

وصلا اخيرا.. بعد ان تمكنا من النجاة من العديد من الحوادث الذي اوشك على فعلها.. فنزلت مسرعة من السيارة.. ووجدت جدها ووالدها جالسان في الحديقة.. فإنطلقت نحوهما مسرعة وقلبها يكاد ان يقفز من مكانه..

ابتسما فور ان رأها.. فحاولت لين رسم ابتسامة صغيرة على ملامح وجهها الخائفة.. وقامت بالسلام عليهما.. وتقبيل جدها ووالدها من رأسيهما..

فقال ادم بإبتسامة:

- لين اصعدي حبيبتي لتجهزي حقائبك.. فاليوم سننتقل الى منزلنا.

- لماذا يا عمي؟!

كان هذا صوته الحاد المتسائل الذي جعلها تنتفض بخضة امامهما.. فإبتسم ادم بحب واجاب برفق:

- هذا افضل يا بني.. كما ان بعد ايام قليلة حفل خطوبتكما.. ولين تحتاج لتجهيز نفسها بعيدا عنك قليلا.

حاد ريس بنظره نحوها ليرى صدرها يعلو وينخفض من التوتر والخوف.. فإعتلت زاوية فمه بإبتسامة مكر ووّجه انظاره الى جده وعمه وقال:

- عمي.. جدي.. بعد اذنكما، انا اريد اقامة حفل الزفاف مكان حفل الخطوبة.. لا داعي للإنتظار.

الفصل الخامس

تائهة في ممرات الفناءِ..

أتَقَصَى عن مُغيث ليغثني من الشقاءِ..

فَأينَ السبيل إذْ لم يكن هناك سبيل؟!

لماذا لا املُك مُعين ولا دَليل؟!

كفى إرهاقًا لروحًا مُجهدة..

لعلّها تستجم من حُرية مُطلقة..

حادَ ريس بنظره نحوها ليرى صدرها يعلو وينخفض من التوتر والخوف.. فإعتلت زاوية فمه بإبتسامة مكر ووّجه انظاره الى جده وعمه وقال:

- عمي.. جدي.. بعد اذنكما، انا اريد اقامة حفل الزفاف مكان حفل الخطوبة.. لا داعي للإنتظار.. وكما اننا يكفينا اسبوعا واحدا للتعارف.. واضافة الى ذلك انا

اصبحت اعرف لين جيدا، وحتى انني ارى اسبوعا كثيرا جدا.. واظن انها كذلك.

اذبهلت بشدة من الحماقات التي يتفوه بها.. ماذا يقول؟!!.. زواج!!.. هي فكرة الخطوبة لوحدها ابغضتها وارعبتها.. اذا كيف الزواج؟!..

الان علمت تماما ماذا كان يقصد بأنها سترى.. وها قد رأت وسمعت.. ولكنها لا تريد.. ماذا ستفعل؟! والى من ستلجأ؟! بالتأكيد سيوافق الجميع عِداها..

كل ما يتفوه به سخرية!! هي لا تريده.. ولا تريد الزواج بشخص مثله..

هو محق.. هما باتا يعرفا بعضهما جيدا.. فقط بهذا الشيء هو محق!! فهو المغرور، المتجرف، المستبد، والمتسلط..

احست بغضب اعمى يجّل بداخلها عندما قال ايمن بإبتسامة تزين ملامح وجهه الهرم:

- انا يا بني احبً على قلبي.. هذه الساعة الميمونة.. لكن ما رأيك يا ادم؟!

اين رأيها هي؟! لما لم يسألها؟! لما يتصرف الجميع وكأنها هامش!! ليس لها رأي.. ولا يحق لها الإجلاء برأيها!!

نظرت لوالدها بتوجس خشية من جوابه.. نظرت له بأمل علّه يرفض.. ولكن رده خذلها.. حطمها الى اشلاء..

- اوافقك الرأي يا ابي.. فرأيي هو من رأيك.. لنفرح بهما فرحة تامة.

تأمل وجهها المصدوم، الذي الألم والحزن ظاهران جليا عليه بإبتسامة نصر مرسومة على وجهه الوسيم..

لوهلة شعر بحزن عجيب على ملامح وجهها الذي يطغيها الألم.. رغب بالذهاب اليها وضمها الى صدره.. الا انه تمالك نفسه بصعوبة.. فهو يعلم ما تفكر به الان.. لكن هذا ليس صحيح.. ربما ذلك هو الدافع الذي جعله يطلب بتعجيل الزواج.. ولكنه يريدها.. نعم يريدها!! يريدها ملكه وحلاله.. يريد ان يجعلها تحت طوعه وتحت متناول يده..

لا يعلم لماذا يشعر بتملك غريب نحوها.. مجرد وقوفها مع اي شخص غيره تجعل الغيرة والغضب يحتدمان في اوصاله..

عاد الوجوم يكتسي ملامحه فور تذكره لمظهر وقوفها مع عماد.. فقال بصوت جاد وكأنه يوجهه اليها لا اليهم:

- اذا بإذن اللّه سيتم الزفاف.. و..

- انا لا اوافق.

كان هذا صوتها الغاضب الذي قاطعه.. فنظر اليها شزرا وهمّ بالتحدث.. الا ان جده قاطعه مدمدما بصوته الدافئ:

- لكن لماذا يا لين؟! الأمر لن يختلف اذا الان ام لاحقا.. انتما ستتزوجان عاجلا ام اجلا.

قالت بصوت حاد غير عابئة بأحد:

- انا لا اطيقه.. انا اكرهه.

- لين!!...

انتفضت بذعر من صوت صراخ والدها.. ودون ارادة منها بدأت الدموع بالتجمع في لؤلؤتا عيناها الرمادية..

وادركت ما تفوهت به من حماقات امام جدها ووالدها..

فأطرقت رأسها بخجل وخزي.. وهمست بتلعثم وأسف:

- ااا.. انا اعتذر جدي!! ل... لكن كل ما في الأمر ان لا يوجد وقتا كافيا لتجهيز نفسي.

نظر ايمن الى ادم بعتاب على صراخه على هذه الصغيرة الشفافة.. التي لا تستطيع كبت ما بداخلها.. وتقول كل ما في قلبها دون تفكير.. ثم غمغم بصوت هادئ جاد:

- لا تصرخ عليها امامي يا ادم.

نظرت الى جدها بدموعها التي تتساقط تدريجيا على وجنتيها الناعمتين.. فوّجه هو انظاره اليها وهمس بحب وحنان جعلاها تتألم من الندم على اندفاعها في الكلام:

- انظري الي يا قلب جدك، ولا تبكي! فدموعك تنزل مثل النار على قلبي.

ابتسمت بنعومة وهي تستشعر صدقه في الكلام..
فإقتربت منه سريعا لترتمي في حضنه الدافئ.. وتنعم
ببعض الاطمئنان والامان.. فقام الجد بالربت على رأسها
بحب ونعومة، وهمس:

- لماذا لا تودي الزواج الان يا ابنتي؟

رفعت عيناها الباكيتين اليه ودققت النظر في وجهه..
ولم تستطع فعل شيئا سوى الخضوع امام نظراته الدافئة
والحانية.. فهمست وهي تمسح دموعها كالأطفال:

- انا موافقة يا جدي.. اعتذر على غبائي.

كان ريس يشعر بنار لاسعة تكوي صدره وهو يراها في
حضن غيره.. اراد الذهاب وسحبها بقوة من حضن جده..
والصراخ عاليا واخبار الجميع انها ملكه!.. هي من حقه
فقط!.. هو لوحده من يحق له ضمها!..

كوّر قبضته بقوة حتى برزت شرايين يده.. وانعقد
حاجبيه بضيق وغضب وهو يرمقها بنظراته القاتلة..

ابتعدت عن جدها بهدوء.. ونظرت لوالدها نظرات تحمل الكثير من العتاب والخذلان.. وهمست بأسف:

- اعتذر ابي.. ارجوك سامحني.

فهم ادم نظرات صغيرته جيدا.. وشعر بألم يخترق لبّه وغصة مريرة تخنقه.. الا انه هتف بصوت جاد عكس ما يشعر به:

- اعتذري لريس يا لين.

انكمشت عيناها بضيق، ووجهت انظارها اليه لترى ان حالته تماثلها سوءا بل اكثر.. فأوداج الغضب واحمرار مقلتيه العسلية بارزان بوضوح..

ثم همست بخفوت:

- انا اعتذر ريس!

تلاشت كل ذرة غضب في جوفه حينما سمع صوتها، الذي عزف بآلات ناعمة على لباب قلبه..

اقترب بخطوات بطيئة منها.. ومال برأسه الى جانب اذنها.. وهمس بصوت بارد خفيض اقشعر له بدنها:

- وماذا اذ لم اقبل اعتذارك بعد يا زوجتي؟!

ثم صمت وهو يضيف بمكر:

- لكن لا تقلقي سأجعلك تعتذرين بطرقي الخاصة بعد الزواج.

توردت وجنتيها بحمرة الخجل من قربه الشديد وهمسه امام والدها وجدها.. فأبتعدت عنه بتوتر وهمست بإضطراب من مقصده الوقح:

- ااا... ااانت وقح.

ابتسم بخبث واستمتاع، وهمس بخفوت:

- اعدكِ انني سأكون انا من سيعُدِّل لسانك الطويل هذا.

اكتفيا ادم وايمن بمراقبتهما بإستمتاع، وابتسامة عابثة تزيّن وجهيهما.. ثم تساءل ايمن بضحكة لم يستطيع كبتها على وجه لين المشتعل بحمرة الحنق والخجل:

- ما الامر؟! بماذا تتهامسان؟

- لا.. لا شيء.

قالتها لين وهي ترمق ريس بنظرات حانقة ليتقبلهم بإستمتاع لم يبان.. ويهتف بجدية:

- عمي.. لين لن تترك القصر.

- لكن يا بني يجب عليها تجهيز نفسها..

قاطعه ريس بسرعة:

- اعلم يا عمي، لا تقلق لين بإمكانها تجهيز نفسها بجواري.. انا وهي يجب ان نبقى بقرب بعضنا لنعتاد على بعض اكثر.

- انا اوافق ريس يا ادم.

- لكن انا لن ابقى بمكان لا تكون به عائلتي.

تطلع ايمن الى لين وقال بعتاب:

- اذا نحن لسنا عائلتك يا لين؟؟

اخفضت حدقتيها بأسف قبل ان ترفعهما مجددا وتبرر بجدية:

- لا اقصد ذلك يا جدي.. اعتذر على توصيل فكرتي بهذا الأسلوب الخاطئ.. انتم عائلتي بالتأكيد.. لكن انا لا استطيع البقاء بمكان بعيد عن امي وابي.. وخاصة ان بعد بعض ايام قليلة

سأنتقل للعيش في مكان اخر، وأنا اريد قضاء الوقت المتبقي معهما.

وافقها ادم مغمغما بجدية:

- انا رأيي من رأيها.. اعتذر يا ريس، ولكن قريبا ستكون في منزلك.. فدعني اشبع روحي منها.

تفهم ايمن ابنه ادم واردف:

- كما تريدان يا بني.. اذا اتفقنا.. هيا لين اصعدي ووضبي اغراضك للذهاب.. وكل يوم ستأتي الى هنا لأراك انا ايضا.

ابتسمت لين بحب وهمست وهي ترمق ريس بإنتصار:

- من عيوني الإثنتين يا روحي.

****

ها هي الأيام تمضي.. يوما يتلوه اخرا.. لحظة وراء لحظة.. حتى اتى اليوم المنتظر..

وها هي الشمس قد بزغت لتعبُر عبر ستائر غرفتها.. فنهضت بتثاقل وهي تنظر حولها بتوجس..

عيناها تؤلمانها من شدة البكاء الذي بكته البارحة.. ها هو اليوم سيقام حفل زفافها.. وليس بيدها فعل اي شيء غير الانصياع.. عادت الدموع تتغلغل في عيناها الرماديتين لتضع يداها الناعمتين حول فمها حتى تكتم شهقاتها التي بدأت تتعالى..

انها الساعة السادسة صباحا فقط! لا تريد ان توقظهم..بدأت تتذكر لقاءاتها هي وريس الأيام الماضية..

كيف كان بإستمرار يأتي ويوصلها الى الجامعة ويأخذها منها.. وحتى كل الأماكن لم تكن تخرج من دونه بحجة انهما يجب ان يعتادا على بعضهما.. والبقاء معا وقتا اطول..

زفرت بضيق شديد ودموعها تتصبب على وجنتيها بحرارة مؤلمة..ثم نهضت بتثاقل شديد ودخلت المرحاض لتستحم وتتوضأ وتصلي..

وبعد انتهاءها من قضاء فريضتها.. نزلت الى الأسفل ووجدت والدها ينظر الى السماء بشرود من خلال النافذة.. فإقتربت بهدوء وهمست بصوت مبحوح:

- صباح الخير.

التفت والدها اليها، وحدق بعينيها الحمراوتين ليدرك انها كانت تبكي.. فأحس ان قلبه يتوارى بنار الهاوية على حال طفلته..

همس بإبتسامة حاول بجهدٍ رسمها:

- صباح النور يا حبيبة والدك.

- ظننتك لا زلت نائما.

عرف ما تشعر به غاليته.. فهي لم تكن هكذا قبلا تلقي عليه تحية الصباح.. كانت تقفز عليه وتقبله.. لكن الان هي تتعامل معه برسمية شديدة..

شعر بغصة مريرة عالقة في حلقه.. ففتح يداه لها حتى تقترب منه..

طالعته بهدوء بارد لعدة لحظات.. ثم سرعان ما لبثت ان ركضت اليه.. ودفنت نفسها بجسده الضخم.. وبدأت شهقاتها تتعالى رغما عنها..

مرّر انامله بحنية على شعرها.. وهمس بحزن واسف شديدين:

- انا اسف يا لين.. اسف صغيرتي.. سامحيني.. اشعر وكأنني اموت يا ابنتي في الثانية الف مرة.

وضعت يدها بسرعة على شفتيه لتمنعه من الإستمرار في الكلام الذي ألّمها بشدة، وهمست ببكاء:

- لا تعتذر يا ابي.. ليس هناك شيئا لأسامحك عليه.. ولا تقل مثل هذا الكلام الذي يجعل حزني اضعاف.. اشفق علي ارجوك! لست قادرة على حمل هم اخر.

تساقطت دمعة من عينه لتنزل على جبهتها.. فشهقت بقوة وقالت ببكاء مرير وهي تمسح دموعه بسرعة:

- لا لا.. ارجوك يا قلبي لا تبكي! انا اسفة، اقسم لك انني راضية وموافقة الان بإرادتي على هذا الزواج.. لا تضع اللوم على نفسك.. فإنت والدي، وُيجبَر علي ان ارضيك وأُلبِّي طلباتك.. فرضى اللّه من رضى الوالدين.. لا تجعلني السبب في نزول دموعك الغالية لأول مرة! اي شيء ستطلبه مني سأفعله.. فمهما طلبت مني لن اكتفي عن تعويض ما فعلته لأجلي طوال حياتي.

ابتسم بألم من كلام ابنته الرقيقة، الحنونة.. التي لا يوجد لها مثيل في هذا الكون اجمعه.. هي ملاكه!.. هي انقى ما رأته حدقتيه في الوجود.. لا تحمل طغينة ولا حقد.. حتى عندما تتألم.. ومن صفاتها الجميلة انها تضعف امام حزن الأخرين وتسامح بسرعة..

همس بإبتسامة مريرة:

- فليديمك اللّه يا ابنتي.. لا تزالي تثبتي لي بإستمرار انني بالفعل انجبت فتاة بارة.. ستجعلني بإذن اللّه ادخل الجنة بسببها.

ثم استأنف بجدية وهو يمسك بيدها ليحثّها على السير معه قبل ان يجلسا على الأريكة:

- اسمعيني يا لين.. انا اعلم انك تبغضين هذا الزواج واساليبه.. لكن كوني على يقين بأن هذا الزواج خير لك وللجميع، وما هو الا امر ايجابي وليس سلبي كما تعتقدين.. ربما انت وريس الان لا تحبان بعضكما لكن

بعد الزواج انا متأكد وجدك كذلك انكما لن تحبا بعضكما فحسب بل ستعشقان بعضكما.

نظرت لوالدها بحب.. وعادت الى حضنه تنعم نفسها الامان والدفء الذي تفتقده.. واولجت كل حرف نطقه الى عقلها.. وايقنت ان لا مجال للتراجع وها هي الان سترضي والدها والجميع.. والأهم انها سترضي ربها على عدم عصيان والدها..

كانت هناك عينان تراقبهما بصمت.. ودموع حزينة تنهمر منهما.. وفقط الان تشعر بالراحة بعد عودة علاقة ابنتها الغالية مع زوجها وحبيبها كما كانت..

****

كان الجميع منهمكا في التحضيرات.. بينما كانت عدن ترافق لين بكل خطوة تخطوها لتشعرها بالأمان والراحة.. فهي تحبها وتشعر بسعادة عارمة بداخلها، لأنها اخيرا ستصبح زوجة اخيها.. تحسها وكأنها الأخت التي لطالما تمنت وجودها..

وكذلك الامر كانت لين ممتنة للغاية لعدن التي لم تتركها حتى للحظات قليلة.. شعرت بها الصديقة.. الرفيقة.. والأهم الأخت التي تفتقدها في هذه الساعة..

كانت تبدو مثل الأميرات بشعرها المرفوع قليلا من الأمام على شكل تسريحة بسيطة ناعمة.. وبقيته منسدلا على طول ظهرها لتبدو كالملاك..

بينما مساحيق التجميل الخفيفة التي وضعتها زادتها جمالا ورقة على جمالها الخلاب..

هتفت عدن بمرح وهي تطالعها بإنبهار:

- اوه يا الهي سيُغمى علي.. فليمسكني احدا ما قبل ان اقع.

قهقهت لين على ظرافتها بشدة وقالت:

- لا تبالغي يا فتاة.

- لا ابالغ بماذا!! انتِ تبدين في غاية الجمال والأناقة والرقة.. لن اطلب شيئا سوى ان يكون اللّه في عون قلب ريس على هذا الجمال.

احمرت وجنتاها خجلا ولم ترد عليها لتتابع عدن بعبث:

- يا فتاة بدأت اغار منك، هذا ليس عادلا البتة.

قهقهت مرة اخرة لين عليها.. واذ بوالدها ووالدتها واخاها يدلفون الى الغرفة المتواجدتان بها..

وفور رؤية ايقونتها الآسرة تعالت تسبيحاتهم.. ثم دنت ليان منها بسرعة وضمتها الى صدرها هامسة ببكاء:

- ما شاء الله! ما شاء الله! فليحميكِ الله يا قلب امك.. تبارك الله على هذا الجمال.

ادمعت عيناها هي الأخرى.. وابتسمت بحب وهمست:

- امي هل ابدو بهذا الجمال حتى تبكي؟!

- بالتأكيد انت كذلك لكن ينقصك شيئا واحدا، وهو فستان الزفاف، وحان الوقت لأنفذ الوعد الذي وعدتك اياه حينما كنتِ صغيرة.. اتذكرينه؟!

اومأت لين برأسها بإبتسامة جميلة، والدموع تتساقط برقة على وجنتيها.. بينما عدن انسحبت بخفة من الغرفة وهي تمسح دموعها بسبب هذا المشهد الذي اثر بها..

- لا يمكنني ان انسى شيئا كهذا.

- ابتعدي قليلا يا امرأة لأشاهد جمال ملاكي الصغير الذي لا يوجد مثله بالعالم.

تعالت قهقهاتهم بشاشة.. وابتعدت ليان بإبتسامة، لتفسح مجالا لزوجها بالإقتراب من صغيرتهما..

اقترب ادم من ابنته وقبّل جبينها بحنان عذب.. لتغمض عيناها وتتنهد بإبتسامة قبل ان تشاهده يبتعد قليلا ويخرج علبة صغيرة من جيب سترته.. ويقوم بفتحها ليظهر عقد انيق وفاخر من اللؤلؤ، يتوسده قلبا صغيرا.. ومكتوب عليه بالمنتصف بخط صغير باللون الرمادي حرف اسمها..

ابتسمت بشدة وما ان ودت التكلم قاطعها بحب:

- اجل يا روح والدك، انه يشبه عقد امك.. لكن يختلف فقط بلون حرفه، فأنا اردته ان يكون على لون عيناك الجميلة التي تسرق الأبصار.

عانقته بقوة وهمست:

- احبك يا والدي.. فليديمك الرب لي.

ربت على رأسها بحب وهو يحمد اللّه بداخله.. وغمغم:

- وانا اكثر يا حبيبتي.. وانا اكثر.

- الن يكون لي دورا في هذه الدراما العاطفية المؤثرة؟!

ابتعدت لين عن والدها برفق.. وابتسمت بشدة وهي تقترب من جود ثم ضمته هو الأخر.. ليهمس لها وهو يقبلها من جبينها:

- مبارك لك يا شقيتي الصغيرة.

- عقبالك فأنا لن اقبل ان تكون الوحيدة التي تتزوج.. سأشتاق لك يا مجنون.

قهقه بقوة وقال:

- حسنا حسنا كما تريد اميرتنا، وانا سأشتاق لك اكثر يا لين.. لكن لماذا تشعرينني بأنك مهاجرة ها؟!

ابتسمت بخفة ليهتف ادم بجدية:

- اخرجوا قليلا ودعوني اتكلم مع لين لوحدنا.. لكي ترتدي بعدها فستان زفافها.

انصاعوا لأمره وخرجوا بينما هو نظر لها وقال بجدية:

- اريدك ان تصغي الي الان جيدا يا لين.

نظرت له بتركيز لتسمع ما سيقوله.. فتنهد ادم واردف:

- انظري يا ابنتي انا اعرفك جيدا.. وانا اعلم انك ستتحملين مسؤولية زوجك وبيتك وستصونيهما.. لكن يجب ان تعلمي ان عليك طاعة زوجك دائما، فأنت تحاسبين على طاعة زوجك.. لذلك يا ابنتي لا تجعلي اللّه يغضب عليك، فإرضي زوجك كما ارضيتيني وارضيتي امك.

اجابته لين بجدية وثقة:

- سأفعل يا ابي.. انا اعرف كل هذا مسبقا.. على الرغم من ظروف هذا الزواج، الا انني لن اغضب ربي ولا اغضبكم.. كن واثقا بذلك.

ابتسم ادم بحب وقال:

- هذه هي تربيتي التي سأفتخر بها في الدنيا وفي الاخرة.

****

كان واقفا بهيبته الرجولية وطلته البديعة، متأزرا بدلة سوداء وقميصا رماديا ومنتظرا زوجته..

رأها اخيرا تنزل الدرج برفقة والدها ليخفق قلبه بقوة من شدة جمالها الذي لم يرى مثله قط..

الان ستصبح ملكه.. كل هذا الجمال ملكه لوحده.. لم يستطيع ان يحيد عينيه عنها ولو لثانية..مع كل خطوة تسير بها نحوه يشعر بأنه يغرق اكثر واكثر..

وقفت امامه ليتأمل حمرة الخجل التي تزين وجنتيها.. فإبتسم بهيام لم يستطع اخفاءه.. الان ادرك انه يعشقها.. هذه الملاك جعلته يحب ولأول مرة طوال حياته..

مدّ يده برفق ليضع والدها يدها الناعمة في يده الخشنة..

وبعد ان وقعا عقد الزفاف، وتم الاعلان عنهما زوج وزوجة امام الجميع وامام اللّه عزه وجل احس بأنه امتلك الدنيا كلها.. فها هي اصبحت له.. حلاله.. زوجته..

ولكنها كانت تختلف عنه.. فالخجل والتوتر كانا ينهشاها نهشا..

بعد انتهاء الزفاف توجه برفقتها الى المنزل الذي سيجمعهما معا.. لوحدهما..

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تراه يخرج مفتاحا من جيبه ليفتح الباب..

دخلا بخفة وهمس بصوت منخفض:

- بسم اللّه.. ادخلي.

ولجت بإرتباك وخجل شديدين ليتبسم بخفوت قبل ان يسمعها تهمس بتلعثم:

- مم.. انا اين سأنام؟!

نظر لها بعدم فهم.. فأكملت وهي تقول بتحشرج:

- اا.. اانا اقصد انني لا استطيع النوم معك في نفس الغرفة.. انا.. لم اعتاد عليك بعد.

تجمدت ملامح وجهه.. وقال بصوت جاد حاد:

- اسمعيني يا لين.. لن ننام سوى بنفس الغرفة، اي بغرفة واحدة!! وعلى سرير واحد!!.. ولكن.. لا تقلقي فأنا لن افعل لك شيئا الليلة.. وايضا لا تنسي ان اللّه يحاسبك على طاعتي وعلى واجباتك نحوي.

ابتلعت ريقها بتوتر ودون ارادة منها تجمعت الدموع في مقلتيها ثم غمغمت:

- لكن..

قاطعها بصوت صارم اخافها، وخاصة لأنهما في منزل واحد.. لمفردهما:

- لا يوجد لكن يا لين.. ولا تجادليني.. والان اذهبي الى غرفتنا وافعلي بها ما تريدين.. فأنا لن امنعك.

صعدت الى غرفتهما تسبقها شهقاتها.. ليتنهد بضيق شديد.. ودّ ان يتبعها الا انه فكر ان يعطيها مجالا لتجلي ما في داخلها..

لا يريد الإستعجال الان والضغط عليها.. فهي الان ستبقى معه طوال دربهما.. ولن يفرقهما شيئا سوى الموت..

الفصل السادس

يا امرأة تبججّي وتغنجّي!!

فأنتِ مَنْ مَلِكَتْ قلبي وَعقلِي..

إرفعِي رأسكِ لأشهق السماء، فَقلمِي لا يَكتُب عن سواكِ..

وأشْعَاري باتَتْ لا تعرف الكتابة الا عنكِ..

فأنا أعلن عليكِ الحب..

وَما لإعلاني بالعشق الا غالب..

صعدت الى غرفتهما تسبقها شهقاتها.. ليتنهد بضيق شديد.. واراد ان يتبعها الا انه فكر ان يعطيها مجالا لتجلي ما في داخلها..

لا يريد الإستعجال الان والضغط عليها.. فهي الان ستبقى معه طوال دربهما.. ولن يفرقهما شيئا سوى الموت..

فور دخولها الى الغرفة.. اوصدت الباب جيدا بالمفتاح.. واستندت على الباب بخوف.. لا تعلم مما هي خائفة.. انها غير معتادة على البقاء مع رجل بمفردها.. صحيح هو زوجها الان لكن لا تعلم..

انخرطت في بكاء شديد لتخرج كل الكبت والعبء الذي تحملتهما طيلة هذه الأيام..

بعد فترة ليست قصيرة، استطاعت تهدئة نفسها.. وسمحت لعيناها ان تجول في الغرفة بتمعن.. فأعجبها حقا اثاثها وطرازها الأنيق..

توجهت بخطوات متثاقلة نحو الحمام.. لتغيِّر فستانها الثقيل وتقضي صلواتها..

فور انتهائها من الصلاة.. سمعت باب الغرفة يُدّق.. فإبتلعت ريقها في خوف وتوتر.. وإقتربت من الباب بتوجس وقامت بفتحه ببطء..

حدقت به، فكان لا يزال بملابس الزفاف.. وإبتعدت قليلا لتعطيه مجالا للدخول..

اما هو فكان يتأمل هيئتها من اخمص قدميها حتى اشهق راسها..

كانت لا تزال ترتدي اسدال الصلاة.. شعر وكأن ملاك يقف امامه.. وكم يليق بها الحجاب الذي لأول مرة يراها به!..

خجلت من نظراته.. وهمست بإضطراب:

- ممم.. تستطيع ان تدخل لتستحم وتصلي.. فأنا انتهيت.

تنحنح قليلا وهمس وهو يصوِّب نظراته تجاهها:

- ااا.. حسنا.

ثم سألها بفضول لسبب ما:

- هل انتهيت من الصلاة؟!

نظرت له بتعجب من سؤاله واجابت:

- اجل، لماذا؟!

- لا شيء انسي.

استغربت بشدة كلامه وتساءلت ما به بداخلها.. لكنها تناست الأمر سريعا وهي تنظر الى السرير بضيق..

اقتربت منه ببطئ وهي تنزع اسدال الصلاة عن جسدها.. لتبقى بفستان نوم اسود يظهر تقسيمات ومنحنيات جسدها..

جلست على الجانب الأيسر من السرير.. واحكمت الغطاء جيدا حولها..

خرج هو اخيرا وقطرات الماء تتساقط من شعره.. ليبدو جذاب بكل معنى الكلمة.. كان فقط يرتدي بنطالا ابيضا قصيرا.. بينما عضلات صدره القوية مكشوفة..

احمرت وجنتيها خجلا من هيئته هذه.. وانزلت عيناها في حياء يليق بها.. وهمست بتلعثم:

- ااا.. ارتدي ملابسك.. لا تبقى هكذا امامي.

نظر لها وابتسم بداخله على هذه الصغيرة الخجولة.. ثم بعد لحظات قال بجدية:

- اظن انني زوجك يا لين.. يجب ان تعتادي علي في مثل هذا الوضعية دائما.. وانا لا انام الا عاري الصدر.. ولا تنسي انني حلالك وكذلك الامر انتِ.

لم ترد عليه.. بل اولته ظهرها وادخلت جسدها الصغير كله تحت الغطاء..

تنهد بصوت عالٍ وقضى هو الأخر فريضته..

كان يشعر بها طوال الليل وهي تتنفس بصعوبة من قربه منها.. على الرغم من انها نامت في اقصى السرير.. كانت لا تتحرك من مكانها.. لا شيء يدل على استيقاظها الى الان سوى صوت تنفسها العال..

وبعد مرور الكثير من الوقت استطاع ان ينام.. بعد ان انتظمت انفاسها، ودخلت في ثبات عميق..

استيقظت على رنين منبه الصلاة.. فرأت الساعة لا تزال الخامسة والنصف صباحا..

نظرت اليه وإبتسمت بخفة وهي تراه نائما كالملائكة.. واثار الإرهاق بارزة بوضوح على ملامحه الوسيمة..

ثم همست بداخلها:

- يا ليتك هكذا طوال الوقت.. من يراك الان وانت نائم لا يصدق انك ريس الجايد المتعجرف، المغرور، والمتسلط.

ابتسمت وهي تشتمه بداخلها وهو لا يسمعها ولا يراها.. ففكرت ان توقظه هو الاخر ليصلي.. لكنها شعرت بالخجل.. فتركته وقامت هي من مكانها دون ان توقظه..

في صباح يوم جديد.. يحمل الكثير في طياته.. استيقظ ريس من سباته العميق.. ونظر حوله في ريبة.. فرأى الغرفة فارغة، لا اثار لها بها..

نهض عن السرير بكسل.. وغيّر ملابسه ونزل الى الأسفل.. ليراها جالسة تنظر بشرود نحو حديقة منزلهما المليئة بالأزهار والأشجار، والتي يتوسطها بركة سباحة وبعض المقاعد والطاولات الجميلة..

اقترب منها وحمحم بخفوت لتنتبه له..

جفلت بخضة.. والتفتت اليه سريعا وهي تضع يدها على قلبها.. بينما هو ابتسم وقال:

- هذا وحمحمت قبل ان اتكلم حتى لا تفزعي.. ومع ذلك جفلت.

نظرت له بضيق.. وهمست:

- صباح الخير!

ابتسم بخفة وهو يمعن النظر بما ترتدي.. فقد كانت ترتدي فستان رمادي ضيّق على جسدها.. ويظهر مفاتن جسدها بإغراء.. كان يلائم لون عيناها كثيرا.. فردّ عليها:

- صباح النور.

ثم نظر لها لوهلة وقرر ان يغيظها.. واضاف:

- اصبحت تعرفين كيف تلقين تحية الصباح.. يوجد تقدم.

كانت تشعر بالخجل وهي تراه يأكلها بعينيه.. ولكن حين قال هذا الكلام الذي اثار حنقها وغيظها بقوة.. ردّت عليه بعجرفة:

- انا اعرف جيدا كيف القي تحية الصباح.. وعلى من ايضا!.. ولكن ذلك يتعلق بالشخص نفسه وليس بي انا شخصيا.. فمن المهم ان تعرف هذا الامر جيدا.

ارتفعت زاوية فمه بخفة.. واحتدت نظراته بقوة.. الا انها لم تخاف.. بل بقيت واقفة بشموخ.. رافعة الرأس بتحدٍ سافر..

اقترب منها اكثر حتى بات لا يفصلهما سوى انشات صغيرة.. فخفق قلبها بقوة.. وتجمدت الدماء في اوصالها عندما قال بحدة عالية وهو يرمقها بنظراته المميتة:

- اعتذري.. كي لا اجعل كلامك الوقح هذا ينقلب عليك بالسوء.

- لن اعتذر!

اردفتها بتحدي.. بينما في داخلها ترتجف خوفا من قربه ونظراته وكلامه.. ثم بللت ريقها قليلا قبل ان تضيف:

- انت من بدأ! فلماذا يجب ان اعتذر انا؟! اذا كان هناك احدا يتوجب عليه الاعتذار فهو انت.

امسكها من مرفقها بقوة.. فتأوهت بألم ودموعها تتكور في لؤلؤتي عينيها.. وهمست بصوت متحشرج خائف:

- اترك يدي يا ريس.. لماذا تتصرف معي على هذا النحو!! فأنت الذي بدأ.. اعلم انني تواقحت لكن.. لكن ااا.. انا ايضا لدي كرامة ولا اصمت الا عندما اخذ حقي.. فإعتذر انت اولا لأنك انت الذي بدأت، وبعدها فورا سأعتذر انا.. اعدك!!.. اقسم بذلك!

ترك يدها بتعجب بعد تكلمها بهذه الطريقة الطفولية التي جعلت رغبة قوية تستيقظ بداخله لينعم ويتذوق حلاوة هاتان الشفتين الرقيقتين.. اللتان تتفوه بالكثير من الكلام الذي لا يعجبه.. فأظلمت عيناه العسلية الداكنة برغبة قوية..

حاول بجهد تمالك نفسه كي لا يمسكها بقوة ويتذوق رحيق شفتيها النعيم..

وابتسم حتى برز صفي لؤلؤ اسنانه البيضاء.. فتعجبت هي من حاله.. وتساءلت بتوجس وهي تتأفف بضيق:

- ما بك؟! الم يعجبك ايضا ما قلت؟! انت غريب لا يعجبك شيئا!

انزلقت من شفتيه قهقهة عالية بينما نظرت له هي بريبة.. فقال وهو يحاول تمالك نفسه:

- يا الهي يا لين! متأكدة ان عمرك تسعة عشر عاما؟.. فأنا ارى امامي طفلة في السابعة من عمرها.

نظرت له بغيظ وهمست وهي تتأفف بضيق:

- لماذا الجميع يخبرني انني طفلة!! انا لست طفلة!.. انت غريب حقا! قبل قليل كانت شرارات الغضب تفوح من عيناك.. وبعدها اصبحت عيناك سوداء غائمة.. لا اعرف لماذا!! والان تضحك بهدوء واستمتاع!! لا افهمك حقا.

- ولن تفهمي لأنك صغيرة جدا.. وتفكيرك طفولي وضئيل.. لا اصدق انك تتعلمين طب!

اجابها والإبتسامة الجميلة لم تزول عن وجهه.. بينما هي ارادت طرق وجهه الوسيم وخاصة ابتسامته التي خطفت انظارها وعقلها في الأرض مئات المرات..

ثم اكمل كلامه ولم يحيد بنظراته عنها:

- وبالنسبة لما قلتيه لا يعجبني ولن يعجبني فليس ريس الجايد من يعتذر.

- مغرور حقا.. وانا مثلك اذا! فأنا اريد تقليدك من بعد اليوم.

قهقه بشدة وهمس بخبث:

- لا اريدك ان تقلديني بهذه الأشياء.. فأنا اريد اشياء اخرى تقلديني بها.

اكتست وجنتيها بحمرة الخجل وهي ترمقه بنظرات غاضبة.. فهي فهمت مقصده جيدا.. وهمست بغضب قبل ان تختفي من امامه بلمح البصر:

- منحرف لعين.

تصنم مكانه وهي يحاول استيعاب ما قالته وما فعلته.. ثم سرعان ما ضحك بشدة على ملاكه اللطيف والخجول..

****

في مكان اخر كليا.. كانت هناك امرأة في اواخر الأربعينات من عمرها.. تجلس على مقعدها قُبال مكتبها، تستمع الى رجل ما.. يبدو انه احد رجال الأعمال..

- سيدتي لقد تزوج ريس الجايد البارحة من ابنة عمه.. واظن ان اسمها..

قاطعته وهي تبتسم بسخرية:

- اسمها لين.

- اوه اجل، كيف عرفت؟

لم تجيب بل نظرات امامها بحقد.. وهي تقول بهمس:

- اذا بالفعل نفّذتَ الوعد يا ادم انت والغبي ايمن.. احمق لعين.

نظر اليها الرجل وقال بتساؤل:

- ماذا تقولين؟! انا لا اسمعك.

صوّبت نظراتها الحادة في عيناه، وهي تهتف بصرامة وعزم:

- اريدك ان تتابع كل تحركاتهما.. وتحركات العائلة اجمعها.. اريد معرفة كل صغيرة وكبير.

اومأ لها بهدوء وقال بإنصياع تام:

- كما تريدين سيدتي.

خرج هو.. بينما بقيت هي شاردة في مكانها.. تفكر بما ستفعله..

****

بعد بعض ايام بدأت لين تعتاد على ريس.. واصبحت تتعامل معه كما يجب.. وتفعل واجباتها كزوجة اصيلة..

لكن بالطبع لم تكن تخلو لحظاتهما من جدالات واستمتاع ريس بإثارة حنقها وغضبها..

كانت تعد الإفطار في المطبخ حينما دخل ريس بهدوء.. ورأها وهي تتحرك وتتمايل بخفة الفراشات.. نظر لها بإبتسامة عاشقة..

حبها كل يوم يزداد بقلبه.. بل لنقل هو تعدّى بكثير مراحل الحب.. هو اصبح يعشقها وهائم بها..

تنهد بهدوء وهو يقترب منها..

التفتت تلقائيا عندما شعرت بوجوده من رائحة عطرته العبقة التي باتت تستنشقها عن بعد امتار..

هي الان بدأت تشعر معه بالأمان فهو لم يقم بإيذائها واوفى بوعده.. وكذلك لم يجبرها على فعل شيئا.. تركها براحتها حتى يحين الوقت الملائم.. مع انه يحاول بجهد تمالك نفسه..

ابتسمت وهمست:

- لقد عدت باكرا.. الطعام لم يجهز بعد.

ردّ اليها الإبتسامة واقترب منها.. وهمس بإرهاق:

- لا يهم.. انا مرهق وبحاجة الى النوم.

قالت بسرعة شديدة، غير قادرة على اخفاء قلقها:

- لماذا؟ ما بك؟ هل تشعر انك لست بخير؟؟

قفز قلبه طربا من السعادة التي غمرته وهو يستشعر قلقها عليه.. فهمس بإبتسامة اطمئنان ومكر:

- لا انا بخير.. لا داعي للقلق هذا!

شعرت بالخجل يعتريها.. فهي لم تكن تريده ان يستشعر قلقها عليه.. كرامتها لا تسمح لها.. فهتفت بإرتباك شديد:

- انا لم اقلق عليك.. لا داعي للتباهي.

اقترب منها اكثر حتى بدأ يشعر بأنفاسها تلفح وجهه.. فتراجعت هي الى الخلف بإضطراب حتى اصطدمت بالجدار.. فقد كان يقف حاجزا يمنعها من الرجوع اكثر..

رفع يداه الاثنتين ليحصرها بينه وبين الجدار.. فإزدادت حمرة وجنيها.. وبدأت تتنفس بصعوبة.. وقلبها يكاد يخرج من مكانه من شدة خفقانه..

حاولت ان تبتعد عنه الا انه لم يفسح لها المجال مطلقا.. فهمست بخجل وارتباك جلي:

- ماذا تفعل يا ريس؟! ابتعد.

وكأنه لم يستمع لها.. فأحنَى رأسه ليتقابل وجهيهما معا.. وما ان اراد الإقتراب منها ليتذوق رحيق شفتيها.. فإذ بها تدفعه سريعا لتحاول الهروب من براثنه..

لكنه استدرك الامر سريعا قبل ان تتمكن من الهروب.. فأمسك مرفقها واعادها الى مكانها.. وسألها بغضب شديد:

- الى متى؟! الى متى يا لين سنبقى على هذا الحال؟! الن تفهمي انك زوجتي وحلالي؟! اقسم يا لين صبري بدأ ينفذ وهذا سيضرك جدا!!

ارتعشت بين يداه من نبرة صوته الحادة.. فهمست والدموع تتألق بعينيها:

- انا لا زلت لم اعتاد عليك بعد.. انت يجب ان تتفهمني.. وانت وعدتني ان لا تقترب مني اذ لم اسمح لك انا بذلك.

نفض ذراعيها بعيدا.. وهتف بغضب شديد:

- لنرى الى متى يا لين! لنرى.. فصبري بدأ ينفذ ولن انتظر طويلا.

نظرت له بذهول وهو يخرج صافعًا الباب خلفه بقوة اجفلتها.. فتساقطت دموعها بشدة على وجنتيها الناعمتين.. وهمست بصوت منخفض:

- انت لا تفهمني يا ريس ولن تفهمني.. انا بالفعل بدأت اعجب بك.. فأنا اكتشفت انك انسان حنون، قلبه ناصع البياض، لكن يرتدي ملامح القسوة والبرود.. انا احتاج حبك يا ريس فقط لنكون مثل اي زوجين عاديين.. يا ليتك تفهمني قط.

لم تهدأ شهقاتها الا بعد مرور زمن ليس قصيرًا.. فبحثت عن هاتفها، وقامت بالإتصال بعدن..

ردت عليها اخيرا:

- لا لا يا جماعة.. انظروا من يتصل، الأميرة لين.. كيف فعلتيها يا فتاة؟!

ابتسمت لين بخفة على مرح عدن.. وهمست بصوت مبحوح:

- عدن كيف حالك؟..

ارتعدت عدن من نغمة صوتها.. فسألتها بقلق:

- لين ما بك؟ هل كنت تبكين؟!

تعالت شهقاتها على الهاتف، وهي تهمس ببكاء:

- عدن ارجوك تعالي الي! انا بحاجة لك.

هبّت من مكانها بفزع.. واردفت سريعا بقلق:

- بعض الدقائق فقط واكون عندك.

****

بعد وصول عدن.. جلستا الإثنتان بجانب بعضهما على الأريكة في الصالة..

ثم قالت عدن بسرعة:

- الان يا لين اخبريني لماذا كنت تبكين؟

قصّت عليها لين كل ما حدث ببكاء.. فصاحت عدن بإستنكار:

- ماذا؟؟ انتما لم تقتربا من بعضكما حتى الان!! اقصد انكما لستما مثل اي زوجين اخرين!!

احمرت وجنتا لين خجلا.. وهزت رأسها نفيا.. فتنهدت عدن وقامت بضمها الى صدرها.. وهمست:

- لين من الواضح لي انك بدأت تعجبين بريس.. اليس كذلك؟

صمتت لين ولم تجيب.. بينما اصرّت الأخرى على سماع اجابتها.. فصارحتها لين اخيرا وهي تشهق ببكاء:

- اجل معك حق يا عدن، انا بدأت احبه.. لكنني خائفة ان يكون لا يحبني.

نهرتها عدن بقسوة.. وقالت بحنق:

- انت اغبى فتاة رأيتها في حياتي.. الم تشعرين بمدى عشق ريس لك فقط من نظراته؟! حقا غبية.

تنهدت لين عاليا وهمست:

- لا اعرف يا عدن.. لا اعرف.

****

كان يسوق بأقصى سرعة ليُنفِّث عن غضبه.. انها حقا غبية.. شتم عاليا عدة مرات وهو يضرب المقود بعنف شديد..

وصل اخيرا الى منزل صديقه المقرب "وقاص".. فطرق الباب، ليفتح له الاخر قائلا بحب:

- انظروا من اتى.. اهلا بالأسد الوسيم.

ابتسم ريس وهما يعانقان بعضهما وهمس:

- اهلا بك يا رجل.

ثم توجها نحو حديقة المنزل ليجلسا.. فقال وقاص:

- كيف حالك يا رجل؟ وكيف احوال الزواج معك؟

تنهد ريس عاليا واجاب:

- الحمدالله بخير.

فسأله وقاص وهو يمعن النظر به:

- هل انت بخير يا ريس؟ انا اعرفك جيدا.. لا بد ان هناك امر ما.

- لا شيء، انا بخير، لا تقلق.

تفهم وقاص رغبته بعدم التحدث.. فلم يسأله مرة اخرى.. وبقيا يتحدثان في مواضيع مختلفة

حتى غربت الشمس وحلّ الظلام.. فاستأذن ريس؛ وتوجه الى منزله بعد ان رفّه عن نفسه قليلا..

****

كانت لين جالسة تنتظره بقلق فهو تأخر كثيرا.. ثم سرعان ما هبّت من مكانها واقفة، فور ما راته يدخل من الباب.. واقتربت منه بسرعة.. وهمست بهدوء:

- تأخرت.

لم يرّد عليها ريس.. وتجاهلها وكأنه لم يسمعها ولم يراها.. وتوجه نحو غرفتهما مما ادى الى ايلامها بشدة.. فتبعته بسرعة، ووقفت امامه، واطرقت رأسها في اسف شديد وهي تهمس:

- انا اسفة يا ريس.

اكتسى قلبه الما على منظرها الحزين.. ولكنه لم يظهر ذلك وقال ببرود:

- لا يهم!

فكرّرت كلامها مرة اخرى بألم جلي:

- سامحني يا ريس.. انا حقا اعتذر!! فقط امنحني بضعة ايام قليلة، واعدك انني سأتغير.

نظر له طويلا.. ثم سرعان ما جذبها الى حضنه، يستنشق عبيرها الذي اودى بعقله ولبّه..

تشبثت هي به بقوة، وهمست ببكاء:

- لا تغضب علي يا ريس؛ فيغضب اللّه وتلعنني الملائكة.

ابتسم من قوة ايمانها ومن خوفها الشديد من غضب اللّه عزه وجّل.. وهمس:

- انا لست غاضبا.

- حقا!!

- اجل.

ابتعدت عنه برقة وهي تقول بفرح:

- حسنا اذا.. سأذهب لأعد العشاء لن اتأخر.

اومأ برأسه وهو يبتسم بإرتياح.. فرؤية ملاكه حزين تجعل قلبه ينزف الما وحزنا لأجلها..

****

في صباح يوم جديد.. كانا ريس ولين جالسان على المائدة يتناولان الإفطار ويتحدثان بالكثير من الامور.. حتى قاطعهما رنين هاتف لين..

امسكت الهاتف، وريس ينظر لها بمعنى من المتصل..

فهمست:

- انها شام صديقتي.

اجابت لين بتوتر من نظرات ريس المراقبة لها:

- الوو شام.. صباح الخير.

- صباح النور ايتها المدللة.. هل ستذهبين الى الجامعة اليوم ام ستبقين في العسل مع زوجك؟

خجلت لين وهي تنظر لريس الذي لم يشيح بأعينه عنها.. واجابت بهدوء:

- لا اليوم سآتي الى الجامعة.

- حسنا انتظرك وداعا.

فور ما انتهت من المكالمة.. نظرت لريس الذي كان يحدق بها ببرود وقال:

- لن تذهبي الى الجامعة يا لين.

نظرت له بعدم فهم وهمست بإرتياب:

- ماذا تقصد؟!

كرّر كلامه ببرود اشد.. وكأنه يوصم كلماته في عقلها:

- لن تذهبي بعد الان الى الجامعة يا لين.

سقط قلبها من مكانه.. وكأنه القى قنبلة عليها.. فصاحت بقوة:

- ماذا؟ ماذا تقول؟!

احمرت عيناه بغضب عارم وهتف بنبرة حازمة:

- اخفضي صوتك يا لين.. لا ترفعيه مرة اخرى.

لم تأبه وصاحت به بغضب اشد:

- لن اخفض صوتي.. وافعل ما تريد.

صاح بها بصوت عال افزعها:

- لين.. صوتك اخفضيه قبل ان اقلب يومك من اوله راسا على عقب.

نظرت له بخوف ودموعها تتدحرج مدرار على وجنتيها، وهتفت ببكاء:

- لكن لم يكن هذا ما اخبرني ابي به.. لقد وعدني انني سأكمل تعليمي بعد الزواج.. والان انت تخبرني بكل بساطة انني لن اذهب بعد الان الى الجامعة؟!

هتف بتصميم وعزم:

- هذا قراري ولن اغيره.

ثم اضاف بنبرة حادة جادة:

- ويجب عليك ان تتقبليه سواء برضاك او لا.

فقدت سيطرتها على نفسها وصاحت دون وعي:

- إنت مجنون ام ماذا؟!.. بالتأكيد انت مختل لتخبرني ان حلمي الذي يراودني يوميا انتهى.

برزت عروق عنقه.. واصطكت اسنانه ببعضها بغضب قاتل.. واذ به دون شعور يصفعها بقوة صفعة اوقعتها ارضا.. وقال بتحذير وعيناه الحمراوتين تبجس شرارات من النار:

- احترمي نفسك يا لين قبل ان اجعلك تحترمينها غصبًا.. عدِّلي لسانك كي لا اتعامل معك بتصرف قاس.. ولن يعجبك هذا بالتأكيد، صدّقيني.

شهقت بقوة ارتياعا منه.. وادركت ما تفوهت به من كلام بلحظة غضب.. فهمست بصوت باك اسف:

- انا اعتذر فقط على الكلام الذي تفوهت به بلحظة غضب.. انما غيره لا!.. ولن اعتذر.

ثم صمتت قليلا واضافت:

- لكن الان اخبرني كيف سأتعلم يا مُثّقف اذا لم اذهب الى الجامعة؟! وكيف سأكمل تعليمي؟

نظر لها ويده لا تزال ترتجف مما فعل.. ولأول مرة طوال حياته يمد يده على فتاة.. وليست ايّة فتاة.. انها الفتاة التي يعشقها.. فهي بحماقتها اخرجته عن طوره ورشده..

اجابها ببرود، عكس ما يدور كليًا بداخله:

- ستتعلمين في المنزل.

- ماذا تقول؟!.. اتعلم ماذا تقول انت!!.. هل انت جاد بحق السماء؟!

اجابها مرة اخرى ببرود جعلها تنهض عن الأرض بغضب شديد:

- اجل؛ هذا الموجود يا لين.. امري سيُنفذ وانت ستطيعينني شئت ام ابيت.

رمقته بنظرات حادة، وهي تقول بتحدي سافر:

- سأذهب يا ريس، وافعل ما تشاء.

نظر لها بسخرية.. وقال بإستهزاء وهو يسير نحو الباب:

- سنرى كيف وانتِ لن تتمكني من الخروج خطوة واحدة من المنزل.

ادركت ما يرمي اليه.. فركضت ورائه مسرعة، قبل ان يوصد الباب من الخارج بالمفتاح وهي تصيح:

- لا تفعل يا ريس.. لا تفعل.. انا لست اسيرة ولا سجينة لتحبسني في هذا المنزل اللعين.

لكن لا حياة لمن تنادي.. فها هو قد خرج وتركها اسيرة منزله..

الفصل السابع

ها انا مُتَرَبِّصة في قَوقعَتي..

حُرِّمَ عليَّ النظرَ خارج عَريني..

ها انا أتنفسُ فقط في براثنَ أسري..

فأنا حُرِّمَت كلمة الحرية في قاموسي..

وما لِروحي الا الخُنوع امام سجيني..

فأينَ المفر؟ إذ فِكرة الإبتعاد عن جَلادِي تَذبحني..

ما اقسى ان تحاول جُهدًا وسعيًا الوصول الى حلمك ثم يأتي من ملَكَ قلبك وعقلك والذي بات يجري في عروقك مثل سريان الدم الممزوج بالماء الشفاف ويقف امامك رادعا وعائقا لإستمرارية انجازه..

تحتار من ترضي.. هل ترضي عقلك الطموح ام قلبك المهيوم؟!تفكر وتفكر بلا حلٍ، بلا حاصلٍ وبلا مصيرٍ..

هذا ما كانت تفكر به لين الجالسة على الأريكة، متربعة الأرجل، تسترجع احداث شجارها مع زوجها..

دموعها ابت عن التوقف وهي تفكر بحبيب قلبها الذي سيقف عائقا في سبيل نجاحها.. وسيمنعها عن تحقيق ما تمنته وبدأت في انجازه..

لماذا يفعل بها شيئا كهذا؟ وماذا سيحصل اذ واصلت تعليمها في الجامعة؟ والأسوأ انه اوصد باب المنزل عليها من الخارج وكأنها احدى سجيناته.. وكأنها ليست زوجته.. وانسانة يحق لها الحرية كغيرها..

التفكير كاد ان ينزع عقلها من مكانه.. انتصبت فجأة واقفة، تدور حول المنزل كالمجانين..

امسكت هاتفها اخيرا واتصلت بصديقتها شام لتخبرها انها لن تتمكن من الحضور، وعندما سألتها الأخرى لماذا؟ اجابتها ان طرأ ظرف طارئ..

****

كان ريس متربعا امام مكتبه.. منهمكا في الكثير من الأعمال.. حتى اقبلت على عقله تلك المخلوقة التي يتفنن في تعذيبها ببروده وكبحها حريتها..ترك ما بيده وهو يفكر بها هامسا بصوت خفيض:

- اه يا لين لو انك تفهمينني.. غيرتي عليكِ هي السبب! مجرد ان ارى شخصا ينظر اليك حتى اذا كان والدك او اخاك اغار، واشعر ببراكين من الغضب تشتعل في اوصالي.. فكيف تريدينني ان اسمح لك بالذهاب الى الجامعة؟!

بتر همسه صوت جواله الذي صخب بصوت عالٍ ازعجه.. وخاصة انه يشعر بالضيق..

نظر الى شاشة الهاتف فوجد جده المتصل..

فردّ بصوت عادٍ وكأن لم يحدث شيئا معه قِط:

- السلام عليكم.. يا هلا بكبيرنا.

اتاه صوت جده المفعم بالحنان:

- ما هي اخبارك يا بني؟ وما اخبار لين؟

- الحمد للّه جدي نحن بخير.. وما اخبارك انت؟

- انا مشتاق لكما يا بني.. اهكذا تحرمني من رؤيتكما؟؟

على الأقل قبل الزواج كنت تعيش في القصر اما الان انت بعيد عنا.. وبالكاد نراك فتعال وزورنا اليوم.

- وانا اكثر يا غالي.. ان شاء اللّه سأمر بعد الدوام الى القصر واراكم فأنا ايضا اشتقت اليكم ولصغيرتي عدن.

ابتسم الجد بحنان وهو يقول بلهفة:

- اجلب معك لين بطريقك يا بني.. انا مشتاق اليها ايضا.

تذكر ريس فورًا ما حصل في الصباح بينهما ليحتقن وجهه بضيق شديد الا انه همس بهدوء:

- صعب يا جدي ان احضر لين هذه المرة.. سأحضرها قريبا.

وقبل ان يتمكن الجد من الإعتراض قال ريس سريعا:

- انا مشغول الان يا جدي.. اراك لاحقا.. وداعا.

واغلق الهاتف وهو يتنهد بإرتياح.. وبدأ يفكر كيف سيتعامل مع هذه المعضلة التي جرت بينه وبين لين.. زوجته.. ومعشوقته..

****

كانت عدن تسير سريعا لتتمكن من الوصول الى الصف الذي ستلازمه ابتداءًا من اليوم.. فها هو

اول يوم لها في الجامعة..

وجدت رقم الغرفة الذي تبحث عنه، فتوجهت سريعا نحو الباب وفتحته.. فتحولت جميع الانظار اليها مما ادى الى ارباكها واحراجها.. بينما هتف الشخص والذي يبدو عليه انه المعلم بصوت صارم جاد:

- منذ اول يوم تتأخرين.. فكيف لاحقا؟

احمرت وجنتيها غيظا واحراجا من كلامه، ومن النظرات المصوبة تجاهها.. فأضاف وهو يشير بجدية نحو مقعد ما بصوت حازم:

- بإمكانك الجلوس هناك.

سارت بهدوء نحو ما اشار اليه وجلست وهي تشتمه على احراجها بهذه الطريقة امام الجميع..

بينما هتف هو بصوت جاد:

- حسنا اذا، انا المُحاضر أوس، في الرابعة والعشرون من عمري.. من اهم قواعدي هو الإلتزام بالوقت، واذا تأخر احدكم اكثر من مرة فلن يدخل محاضراتي مرة اخرى..

كان ينظر اليها وهو يتكلم وكأنه يرمي بهذا الكلام خصيصًا لها.. فإزداد ضيقها وحنقها من هذا المعلم الوقح الجذاب..

****

وصل ريس الى القصر بعد ان غربت الشمس وحل الظلام.. يتبعه رجاله الذين لا يكّفون عن حراسته ابدا..

وفور ما رأته عدن قفزت عليه سريعا.. مما جعله يضحك بشدة وهو يضمها اليه بحب.. لينعمها بالحنان والأمان..

همست عدن بعتاب:

- انا حقا غاضبة منك يا ريس.. طوال هذا الوقت تمنعني من رؤيتك.. الا تعلم كم اشتقت اليك؟!..

ابتسم بعطف وحنو عارم، ومرّر انامله على شعرها الطويل الاشقر كشروق الشمس.. وهمس:

- انا اكثر يا عدني، لكنني كنت مشغول جدا، ولم اتمكن من القدوم لزيارتكم.ابتعدت عنه قليلا وهي ترد له الإبتسامة بحب وشوق:

- اعلم ذلك.

- انظروا من تكرّم واتى وزارنا.

ابتسم ريس لأخيه بحنان وهو يضمه برجولة مليئة بالحب.. بينما جده كان ينزل درجات السلالم.. فإنتبه له ريس، واقترب منه بشوق معانقا اياه بإحترام واجلالًا لهذا الرجل الذي يعزه ويعتبره والده الثاني رغما انه جده..

فقال الجد:

- الان نوَّر القصر فقط.

لم تفارق الإبتسامة وجه ريس.. بينما هتفت عدن بتهكم:

- لا تبالغ يا جدي فنوري لوحده كافي.. لا تجامله كذبا.

قهقهوا جميعا عاليا وهم يتوجهون نحو الصالة ليجلسوا.. فأردف ريس موجها حديثه للشقية عدن بضحك:

- يا الهي يا عدن لن تكبري.. والان اخبريني كيف كان اول يوم لك في الجامعة؟

عبست ملامحها فور تذكرها هذا المُحاضر البغيض الذي يُدعى اوس.. ستُنكّد له ايامه.. لن تكون عدن الجايد اذ لم تفعل!

نظرت له وهمست بهدوء:

- جيدة لا بأس بها.

قهقه الجد وقال:

- انتِ كل شيء عندك لا بأس به، لن ترضي بشيء كامل ابدا.

صاحت بحنق وطفولة:

- جدي! لماذا كلما ترى ريس تنقلب ضدي؟ هذا ليس عادل.

قهقهوا مرة اخرى عليها بينما رمقتهم هي بنظرات حانقة وغاضبة..

ها هي الساعة قد اصبحت الثانية عشرا في منتصف الليل وهو لم يعد بعد.. قلقت بشدة عليه رغم غضبها وضيقها الشديد منه.. ارادت الإتصال به الكثير من المرات الا ان كبريائها كان يقف رادعا، يصدّها بقوة..

جالت في الصالة ذهابا وايابا وهي تصوب نظراتها نحو الباب..

القلق والخوف يتقمصاها من اخمص قدميها حتى شعر رأسها خشية ان يكون اصابه مكروها او سوءا.. والأقبح

من ذلك انه موصد الباب عليها، ولا تستطيع الخروج مطلقا حتى للإطمئنان

عليه..كان هو غافلا تماما وهو منسجم في الأحاديث مع اسرته التي اشتاق اليها بشدة.. ووعَى على نفسه فجأة حينما قال الجد:

- بني اذهب الى منزلك الان.. الوقت قد تأخر وزوجتك لا بد من انها قلقة وخائفة وهي لوحدها.

انتفض من مكانه سريعا.. لقد نسي امرها تماما.. لامَ نفسه بقوة وهو ينظر الى الساعة السوداء الأنيقة التي في يده..ثم ودّعهم سريعا.. واعتلى سيارته الفخمة، سائقا بعجلة كبيرة..

وصل اخيرا بعد ان تعدّى بكثير السرعة المسموح بها في السياقة..

اراد دق الباب، الا انه تذكر بأنه موصد الباب عليها فألمه قلبه ولام نفسه اكثر..

شعرت بصوت القفل يلتف.. فإستدارت تلقائيا نحوه وفور ما رأته بحالة جيدة وسليمة عاد قلبها الى جسدها وعادت روحها اليها.. وكأنها من قلقها عليه كانت بلا قلب وبلا روح.. وشعرت بإرتياح قوي يغمرها..

لكن فور ما تذكرت فعلته المشينة أشاحت نظراتها عنه بكبرياء..

اما هو قفز قلبه طربا وهو يستشعر خوفها وقلقها عليه.. لكن... كانت هناك غصة مريرة في حلقه تعتصره..

عندما اشاحت نظراتها عنه تفهمّ لماذا.. وتفهم كبريائها وكرامتها لنفسها..

اقترب منها بخطوات بطيئة.. واراد ان يضع يده على كتفها الا انها ابتعدت فورا وكأن عقرب قد لسعها.. فعاد اليه بروده وجموده وقال بصوت خال من المشاعر:

- لماذا ما زلتِ مستيقظة؟

لم ترد عليه.. بل لم تنظر له حتى.. فقال بصوت حاد غاضب:

- عندما اكلمك يا لين واسألك سؤال تنظرين الي وتجاوبينني.. افهمت؟!

احست بأن سهم فاتك قد اصاب قلبها وانتزعه من مكانه..

هذا هو جلّ ما يهمه، ان تكون تحت طوعه وتحت تحكمه.. وهي بكل بساطة ترضخ له.. انه حتى لم يكلّف عناء نفسه للسؤال عنها وهي لوحدها في المنزل، او حتى ان يحاول ان يرضيها ببعض الكلمات..

تقسم لو انه تحدث معها بطريقة لبقة كانت ستعذر له وتسامحه.. لكن لا فائدة فهو ريس الجايد.. الصارم، البارد، المتسلط والذي لا يعتذر ابدا.. حتى عندما يخطأ!..

نظرت اليه نظرات تحمل الكثير من الحزن والعتاب.. فضاق صدره اختناقا.. ومع ذلك لم

يبدي اي من ذلك خارجا.. بل بقيت نظراته كما هي.. حادة، باردة ومؤلمة..نهضت ببطء.. وفور ما ارادت الصعود

الى الأعلى.. امسك مرفقها بقسوة شديدة وصاح بها بصوت غاضب:

- لماذا تتجاهلينني؟ اللعنة!

لم تستطع ان تسكت اكثر من ذلك.. فصاحت هي الأخرى به، والدموع تتكور في جفونها:

- اترك يدي ولا تقترب مني! انا لا اريد الحديث معك.

اصبحت ملامحه مرعبة بكل معنى الكلمة.. الا انها لم تأبه فألم قلبها اقوى بكثير وكثير..

ضغط على مرفقها بقوة وقسوة.. حتى شعرت بأنه خلعه من مكانه..

حاولت ان تبقى قوية امامه وان لا تظهر المها قدر الإمكان.. لكن لم تستطع فالألم كان يعصف بها عصفا.. فتساقطت دموعها بغزارة على وجنتيها.. وعضّت على شفتيها بقوة حتى ادمتها.. واخفضت رأسها ارضا لتحاول ان تحجبه عن رؤية دموعها التي تأبى التوقف..

حاول تمالك اعصابه قليلا وهو يرى هيئتها الحزينة التي جعلت قلبه يلين ويتألم على حال محبوبته.. فترك يدها وهو يقبض على يده الأخرى بشدة وعصبية..

استغلت هي فرصة تركه لها.. وهربت سريعا نحو غرفة ما، بعيدة عن غرفتهما.. واوصدتها عليها من الداخل جيدا.. وانهارت في بكاء مرير، يُبكي الحجر!..

فور هروبها السريع منه، وكأنه وحش وسيهجم عليها.. بدأ بتكسير كل ما تطول له يداه.. حتى اصبحت الأرض مليئة بالأشياء المحطمة والمنكسرة..

كانت تسمع صوت تحطم الاغراض بسبب ما يفعله.. فإنكمشت على نفسها ذعرا وارتياعا مما سيفعله بها.. ووضعت يدها على شفتيها بإرتجاف لتخفف شهقاتها المتعالية..

صعد نحو الغرفة المتواجدة بها.. ودقّ الباب بعنف شديد حتى كاد ان يكسره.. مما ادى الى مضاعفة رعبها

وارتجافتها المذعورة، والى جعلها تستقر في نهاية الغرفة مخافة وخشية منه..

صاح بصوت غاضب للغاية وكأنه وحش كاسر:

- افتحتي الباب يا لين قبل ان اخلعه.. افتحيه!

كانت ترتجف بقوة، ووضعت يداها الإثنتين على اذنيها.. وهزت رأسها يمينا وشمالا وكأنها تنفي ما يقوله..

وفجأة صرخت بقوة وهي ترى الباب قد ارتطم بالأرض بقوة بسبب كسره له.. فإزداد ارتجافها وخوفها.. ولفّت يداها حول نفسها وكأنها تحتمي منه..

اقترب منها بلمح البصر وعيناه حمراوتين كالجحيم.. فسقط قلبها بين ضلوعها.. وهي تنظر في

ارجاء الغرفة محاولة الفرار من براثنه..

استدرك نفسه اخيرا وهو يحدق في حالتها المزرية.. فسحبها من يدها بقوة لتصطدم بصدره القاس والصلب..

وهمس وهو يحاول تهدئة نفسه لأجلها.. لأجل الملاك الصغير الذي امامه ينتفض ارتياعا:

- اشش.. اهدئي.. لين.. لين اهدئي!

لم تهدأ مطلقا بل ازداد ارتعاشها وهي في احضانه.. فمرر يداه على ظهرها بحنو ودفئ علّها تهدأ قليلا..

واضاف بحزن على حالها:

- انا اسف.. انا حقا اسف.. فقط لم استطع السيطرة على نفسي.. انظري الان لقد هدأت.. لم اقصد اذيتك صدقيني.

بعد محاولات طويلة في بثّ الطمأنينة والامان في جسدها وقلبها، استطاعت ان تهدأ وان تتحكم في السيطرة على نفسها..ابتعدت عنه قليلا وعيناها منتفختين من اثر البكاء.. ووجهت اليه نظرات مليئة بالحزن، الالم، الخوف، العتاب والضياع...

تقبّل نظراتها بأسف ظاهر، وهمس بصوت منخفض:

- انا اسف يا لين.

ولأول مرة في حياته يعتذر لأحد ما.. لكنها ليست اي احد.. انها حبيبته، صغيرته، ملاكه وزوجته...

ارادت ان تتفوه بالكثير والكثير من الكلام.. لكن حبالها الصوتية لم تسعها.. حاولت ان تنظف حنجرتها مرارا وتكرارا للتحدث؛ لكن دون فائدة! وكأن هناك قبضة فولاذية تقف حاجزا لتمنعها من التحدث..

اقترب منها مرة اخرى الا انها ابتعدت تلقائيا.. فغمض عيناه محاولا التحكم في نفسه..

لا يريد ان يخيفها.. لا يريد ان يؤذيها.. ولا يستطيع رؤيتها حزينة.. همس بصوت جاد وهو يتفرس النظر بها بعسليتيه:

- انظري الي يا لين.. سأقول لك الان شيئا وانت قرري اذ كنت ستسامحينني ام لا.

رفع رأسه عاليا وغمضّ عيناه وهو يحاول ان يستجمع الكلمات التي سيقولها..نظرت اليه بتوجس وترقب بعد ان استشعرت نبرة صوته الصادقة والجادة..

فهتف اخيرا بعد صمت دام طويلا.. وهو يراقب كل تحركاتها:

- لين انت زوجتي الان صحيح؟

اومأت برأسها بخفة وهي تنتظر ان يكمل كلامه.. فتابع هو:

- اسمعيني جيدا.. انا طوال حياتي لم افكر يوما بالزواج او بالحب، ولا كل هذه الامور التي كنت اعتبرها تافهة.. لكن بعد ما رأيتك اول يوم في القصر، اذهلتينني! عيناي لم تستطع الإبتعاد عنك حتى لو لثانية.. بدأت تداهمني رغبة عارمة في امتلاكك واخذك بعيدا عن عيون الناس..

تفاجأت من هذه المشاعر التي قط لم استشعرها تجاه احد غيرك.. وحاولت جاهدا انكار خفقات قلبي التي تتعالى فور رؤيتك.. الا انني عرفت اخيرًا انني وقعت في حبك.. اجل انا احبك يا لين!.. لأكون صادقا اكثر، انا لا احبك بل اعشقك..

لا تصدقي كم اغار عليك!.. اخشى ان ينظر احد ما اليك فأقتله.. ربما تقولين عني متملك او شيئا كهذا المثيل.. لكنني احب! وانا لا أُهزَم في الحب.. انا اغار عليك حتى من والدك، من اخاك، من جدي، ومن الجميع... انا اغار بجنون!

كانت هي غير مصدقة ما يتفوه به.. رعشة جميلة اصابت اوصالها.. لم تصدق! هو يحبها.. الشخص الذي تكّن له مشاعر الحب، يحبها..

لكنه يغار عليها وبقوة.. اجل عرفت انه متملك، وهي سعيدة بذلك؛ فهو لا لشيء يمنعها ويقف رادعا امامها، بل بسبب شعوره بالغيرة عليها..

الان تشك، بل متأكدة انه يسمع دقات قلبها المتعالية فرحا.. حاولت جاهدة ان لا تظهر مشاعرها وان تبقي نظراتها كما هي، لكن دون جدوى، فها قد برزت لمعة ناصعة في لؤلؤتيها...

كان ريس وهو يتكلم لا ينظر اليها.. بل كان ينظر بعيدا شاردا في كلامه.. فنظر اليها اخيرا وهمس بصوت اجش:

- اتتذكرين عندما اتيت لإصطحابك من الجامعة، وكنتِ برفقة عماد؟

اومأت له موافقة بهدوء.. فتابع هو محاولا التحكم في نفسه:

- جيد.. وقتها كنت سأقتله لو انني لم اتمالك نفسي بصعوبة.. وخاصة عندما رأيتك تضحكين معه بسعادة.. اردت ان اكسر لك اسنانك التي تضحك بسعادة مع غيري.. فكيف تريدينني ان اسمح لك بالذهاب الى الجامعة؟! واسمح ان تلاحقك الكثير من نظرات الإعجاب!!.. اتريدينني ان اقتل كل من ينظر اليك؟ فأنا مستعد ليس فقط للقتل من اجلك، بل لتعذيب الإنسان الذي يتجرأ وينظر اليك ببطء حتى يموت الما.

هزت رأسها رفضا.. وهي تُدخِل كل كلمة تتفوه بها شفتيه الى اعماقها.. فتابع كلامه بعد ان تلّقى الإجابة منها:

- اذا لهذا انا منعتك من الجامعة، لكنني لا امنعك من تحقيق حلمك.

نظرت له بعدم فهم.. وهمست بصوت منخفض تائه:

- لم افهم! كيف سأحقق حلمي اذ لم اذهب الى الجامعة؟!

اجابها بثقة وهو يتمعن ملامحها الذابلة:

- ستتعلمين في المنزل.. هنا.. في منزلي.. وامامي.

- كيف؟ لم افهم!!

- سأحضر لك معلمة وليس معلم.. وستتابعين تعليمك.. هنا .. امام عيناي التي تعشقك.

صمتت ولم تعرف ماذا تجيب.. واشاحت عيناها بتوتر وخجل من كلامه الذي مسّ قلبها وروحها.. فإقترب هو

ببطء شديد منها حتى اصبح قبالتها.. وهمس بصوت اقشعر له بدنها:

- هل سامحتينني يا لين؟!

ردّت بتلعثم من قربه ومن نظراته اللامعة حبا وعشقا:

- ا.. اانا .. لا اعرف.. انا خائفة!

احتضنها بقوة وكأنه يريد ادخالها في جسده الصلب.. وهمس بصوت صادق:

- ليس مني يا لين.. ليس مني.. انا اعدك انني سأحبك.. سأعشقك.. وسأحقق لك كل طلباتك.. لكن دون الإبتعاد عني.

ابتسمت هي من تمسّكه الشديد بها.. واومأت برأسها وهي تستنشق رائحته الرجولية.. فهمست بصوت ناعم:

- اذا ستدعني اكمل تعليمي واحقق حلمي؟

اجابها بحب:

- اعدك.. فنجاحك هو من نجاحي.. وسعادتك هي سعادتي.

****

في قصر يتألق بفخامته واناقته.. كانوا جالسون يتناولون الإفطار حتى نظرت ليان الى زوجها وقالت:

- ادم..

نظر لها ادم بمعنى ماذا.. فأكملت كلامها:

- اشتقت للين.. اريد رؤيتها.

تنهد ادم عاليا.. وقال وهو يوزع انظاره بين زوجته وابنه جود الذي يؤيد كلام والدته.. واردف:

- سأدعوهما غدا الى العشاء.. وادعو والدي، واخي لؤي وعائلته.

اومأت ليان برأسها وهي تهمس:

- حسنا هكذا جيدا.

نظر ادم الى جود الجالس بجوارهما على المائدة وقال بأمر:

- جود لا تذهب غدا الى العمل.. دِع نائبك يتولى امر الشركة.

اومأ جود له بهدوء واجاب:

- كما تريد ابي.

****

في صباح يوم جديد حافل بالسعادة والحب.. تستيقظ لين النائمة بجوار ريس..

نظرت له نظرات مفعمة بالعشق والوله.. تذكرت كيف عاملها مساء البارحة برقة شديدة وكأنها كنز يخاف ان يسرق منه.. وتذكرت كلماته المليئة بالرومانسية التي جعلتها تذوب خجلا.. وكيف بقيا مستيقظان حتى صلاة الفجر.. وصلّيا معا لأول مرة وكان هو إمامها..

نهضت بتثاقل شديد عن السرير وهي تتوسم النظر بملامحه الوسيمة والرجولية..

ثم نزلت الى الأسفل لتعّد الافطار لها وله.. وهي تبتسم بهيام مع كل حدث يمر في ذاكرتها..

انهت اعداد الطعام.. ورتبته بشكل جميل على المائدة.. وصعدت الى غرفتهما لتوقظه..

وجدته لا يزال كما هو.. على نفس الوجهة نائم، ولم يتحرك انش واحد من مكانه.. اقتربت منه بخطوات مرتبكة.. ووضعت يدها الرقيقة بخفة على كتفه.. وهمست بصوت ناعم هادئ:

- ريس.. ريس استيقظ.. هيا الساعة الان الثانية عشرا ظهرا.

تململ قليلا في الفراش.. ثم ببطء فتح جفونه ليقابله اجمل وجه في الوجود يتمنى ان يراه فور ما يستيقظ دائما..

ابتسم بحب شديد وهمس:

- صباح الخير.

بادلته الإبتسامة وهي تبتعد بخفة عنه، متوجهة نحو غرفة الملابس قائلة:

- انهض واستحم.. سأحضّر لك الثياب.. ولا تتأخر فالإفطار جاهز.

نهض عن السرير بنعاس وهو يتجبد، وقال بحب طاغي:

- كما تريد ملاكي.

خجلت هي، وتصرفت كأنها لم تسمعه، فقهقه عاليا على خجلها الذي لن ينتهي لو بعد حين..

****

دخل هذا الرجل الذي يحمل معلومات عديدة جديدة للسيدة المجهولة، ليجدها جالسة تتابع بعض الأعمال.. فتوجه نحوها وانحنى بإحترام قائلا:

- سيدتي.. لقد عرفت بعض المعلومات عنهم.

ابتسمت له بتهكم وهتفت ببرود:

- اخبرني ما عندك.

- الفتاة التي تدعو بعدن بدأت التعليم في الجامعة.. واما لين منذ زواجها من ريس لم تخرج اطلاقا من منزلهما.. حتى الجامعة لم تذهب عليها!

- وماذا عن جواد وجود؟!

- في الواقع جواد لم استطع ان انال على اية معلومة تخصه.. وبالنسبة لجود لا يوجد شيء جديد سوى انه يتابع عمله في الشركة.

همهمت بهدوء وهي تفكر.. ثم قالت:

- اريد منك ان ترسل رجلا ما الى الجامعة التي تتعلم بها عدن.. واجعلها تثق به لمعرفة المزيد من الأخبار عنهم.. واما بالنسبة للبقية اريدك ان تتحرى عنهم بدقة.. لا اريد ان يفوتك شيئا حتى لو صغيرا لمعرفته.

اومأ برأسه بطاعة.. وانحنى مرة اخرى، ثم سرعان ما خرج من مكتبها.. اما هي همست بتفكير:

- لقد كبرت يا عدن.. كنت طفلة! وانت يا جواد لا زلت كما انت يحيط بك غموض غريب.

****

كانت لين تجهز نفسها للعزومة بسعادة بالغة.. فهي اخيرا سترى عائلتها التي اشتاقت لها اشتياق يفوق الحدود..

اما ريس كان ينتظرها في الأسفل ويجري مكالمات هاتفية ليتمكن من انهاء بعض الأعمال المتراكمة على عاتقه..

بعد بضعة دقائق نزلت لين بخطوات بطيئة.. فإنتبه لها ريس وشعر كأن سحر ما يُقبل عليه.. فهي كانت ترتدي بنطالا جينز اسود ضيق، يحدد تفاصيل ساقيها.. وقميص ابيض يفصل جسدها العلوي بإغراء.. وكانت تضع عقد اسود قصير جدا اضافة الى العقد الذي اهداها اياه والدها يوم زفافها.. اما شعرها الطويل كان منسدل بحرية على ظهرها بنعومة اجشة.. واضافة الى ذلك القليل من مساحيق التجميل.. مع حذائها الأسود العال..

احتدت عيناه بغضب عارم وهو يرى جسدها مفصل بإغراء.. وسحرها القوي مع انها تضع القليل فقط من

مساحيق التجميل.. فقد كان يفكر كيف سيراها غيره بهذا المظهر الفاتن..

اقترب منها وعيناه العسلية تشع سوادا.. فإرتعدت هي من هيئته هذه.. ولم تعرف لما هو غاضب او بماذا اخطأت..

ابتلعت ريقها بخوف شديد.. وتصنمت في مكانها عندما هتف بصوت هادئ لا يلائم مظهره مطلقا:

- اصعدي وغيري ملابسك يا لين.

نظرت له بإستفهام وقالت ببلاهة:

- لكن لماذا؟ هل هي ليست جميلة؟

قبض على يده بقوة كادت ان تحطمها.. وهمس ببطء شديد:

- لا تسألي لماذا يا لين.. اصعدي وغيري ملابسك والان.. لن تخرجي ابدا وانتِ بهذا الجمال.

ابتسمت لين على غيرته القوية.. وهمست وهي تقترب منه اكثر:

- اذا ابدو جميلة.. وانا التي ارتعدت وظننت انني ابدو قبيحة.. لكن كما تريد يا زوجي، فهذا حقك.

تلاشت كل ذرة غضب وتحولت نظراته الى عشق ووله.. وتهلل وجدانه بهجة، بعد سماعه لكلامها الذي اخترق لبه.. فواصلت كلامها وهي تمسك له يده لتسحبه معها نحو غرفة الملابس:

- تعال لتختار لي انت ماذا ارتدي.

عندما دخلا الغرفة بدأت تريه بعض الملابس حتى يقرر هو.. فبعد الكثير والكثير من النبش.. نال على رضائه فستان طويل اسود ذو اكمام طويلة، ضيق قليلا من الأعلى..

فتنهدت هي بتعب وهمست بغيظ:

- اخيرا اعجبك شيئا بعد ان بعثرت الخزانة كلها!

ابتسم ريس.. وهتف بضيق:

- لكنه ايضا لم يعجبني كثيرا فهو ضيق كثيرا عند الصدر.

نظرت له بحنق شديد.. فقهقه بشدة عليها.. بينما اردفت هي:

- اخرج يا ريس.. اخرج لأبدل ملابسي.. فليكن اللّه في عوني فقط.

****

كان الرجال يجلسون بمفردهم في حديقة المنزل يتحدثون في الكثير من الأمور، والنساء في المطبخ يحضرن العشاء..

بعد برهة من الزمن اتت اسرة لؤي، اخ ادم.. فأقبلوا الى حيث يجلسون اما زوجته توجهت الى الأعلى حيث النساء..

امسك لؤي يد والده وقبلها احتراما وحبا له.. وكذلك الشيء فعل ابنه عماد.. وبعد ان انتهيا من السلام على الجميع، جلس عماد بجانب ريس متناسيا ماذا حدث في الجامعة.. فرمقه ريس بنظرة قاتلة.. بينما الأخر تصرف بشكل طبيعي..

ثم فجأة نظر عماد الى جود وهمس بتساؤل ولهفة:

- اين لين؟

ابتسم جود بتهكم وهتف بسخرية:

- كل ما تأتي الى هنا هذا ما يهمك، لين!.. انها في الاعلى.. اذهب اليها ستفرح حين تراك.

توجه عماد سريعا نحو الأعلى.. بينما ريس لم يكن منتبه الى ما تحدث جود وعماد به.. لأنه كان منهمك في الحوار مع عمه لؤي وجده..

بعد مرور القليل من الوقت انتبه ريس ان عماد ليس بجانبه فسأل جود عنه:

- اين هذا الأحمق؟

قهقه جود واجاب:

- صعد الى لين.. فهو...

لم يسمع ريس بقية كلامه.. وحلق بعجلة نحو الأعلى كالصقر.. وهو يقول بصوت غاصب منخفض:

- من هو هذا اللعين ليتجرأ ويصعد ليراها؟!

وصل ريس ورأى مظهرا جعله يقف مبهوتًا، متصنمًا..

واسودت عيناه برغبة عارمة في القتل وهو يرى حبيبته، ملاكه، وزوجته في حضن عماد!!.. فصاح بغضب وهو يهرول نحوهما:

- لين!!!!!!!

ابتعدت لين عن عماد بذعر.. وسقط قلبها ارضا وهي ترى ريس يهجم بشراسة على عماد..

الفصل الثامن

تقول لي: لا تخافي وانتِ بجانبي..

فكيف ذلك؟!

وانت الذي اخاف والذي اخشى..

فإذ كان حبك امانا فهو اكثر رعبا..

ولكن ما الحل؟!

اذ كان لبّي خادما تحت امرك..

ابتعدت لين عن عماد بذعر.. وسقط قلبها ارضا وهي ترى ريس يهجم بشراسة على عماد.. وتجمدت الدماء في عروقها خوفا على نفسها وعلى هذا الذي لا بد انه يوم موته، وهي ستتبعه لا شك من هيئة ريس..

صاح ريس عاليا وهو يلكمه بقوة حتى وقع الأخير ارضا ولم يستطع حتى الدفاع عن نفسه او ان يخبر ريس بأن كل ما يتفوه به خطأ:

- اتعانقها يا حقير؟ اتتجرأ ان تضع يدك على ما هو ليس محرم لك؟ وعلى من! على زوجتي.. اليوم ستموت يا حقير.

كاد عماد ان يفقد وعيه من شدة ضرب ريس العنيف له.. وكأنه اسدا وقد هاج..

تجمّع الجميع على صوت صراخ ريس الشرس.. فجفلوا من وضع ريس الذي يعنّف عماد بفظاعة.. ومن منظر لين المتصنمة مكانها، تذرف شلالات من الدموع.. غير قادرة على الحراك ولا على التحدث من شدة رعبها..

تعاون جود وجواد في محاولة ابعاد هذا الوحش عن المسكين الذي كاد ان يموت من كثر الضرب الذي تعرض له.. واخيرا ابعداه عنه بقوة وصعوبة.. وفقد عماد

وعيه غير قادر حتى بالدفاع عن نفسه من هذه التهمة الباطلة..

اما لين كانت ترتجف بإنهيار تام وهي ترى مظهر عماد الفاقد للوعي و الدماء تنزلق من جسده كالينابيع..
وازدادت ارتجافتها اكثر حينما نظر لها ريس بغضب هائل.. فإبتعدت الى الوراء بخوف جلي..

تساءل الجد محاولا السيطرة على اعصابه من فعلة ريس الشنيعة بحق ابن عمه:

- لماذا ضربته يا ريس؟!

لم يهتم ريس للإجابة.. اساسا لم يكن يسمع.. جل ما يدور في عقله هو رؤية لين في احضان رجل غيره.. وما هي بنظره ليست الا خيانة.. خاصة انه يعتقد ان عماد غير محرم لها..

اقترب ريس من لين ببطء وعيناه تشع شرا بل اسوأ بكثير.. فوقف تلقائيا جود امامها ليحجبها عن غضب ريس القاتل.. الذي قد يودي بحياتها هي الأخرى، مثلما

فعل بعماد الذي الى الان اللّه وحده سيعلم كيف سيكون حاله بعد تلقي هذا الضرب المبرح..

عرف جود جيدا ما يفكر به لأنه لا يعرف ان لين وعماد اخوة في الرضاعة..

همس ريس بصوت منخفض وهو يمعن النظر بلين المتشبثة خوفا ببُردة اخيها.. فتضاعف غضبه اضعافا:

- ابتعد يا جود ولا تتدخل بيني وبين زوجتي كي لا يحدث لك مثلما حدث مع هذا الحقير.

صاح لؤي بصوت غاضب وهو يرمق ريس بنظرات حادة:

- هل انت مجنون؟ كيف تفعل هذا به؟! انت وحش.

ابتسم ريس بتهكم وقال بصوت يحمل الكثير في طياته:

- ما زلتم لم تروا شيئا بعد!

لم يأبهوا بكلامه مطلقا.. فحمل جواد ولؤي عماد سريعا، متوجهين الى المشفى.. بينما النساء كانوا يرتجفن

ويبكين من المنظر القبيح الذي رأوه، ومخافة على لين التي تقطع القلوب بأيقونتها المزرية..

- ابتعد يا جود.. هذا اخر تحذير لك.

لم يبالي جود.. وبقي واقفا حاميا وحارسا امام الملاك المرتاع..

فدفعه ريس بقوة بيده ليتكلم ادم اخيرا بهدوء محاولا تضبيط نفسه:

- ريس هذا ليس تصرفا.. و..

صاح ريس بحنق وغضب قد بلغ منتهاه:

- لا يتدخل احد بي وبزوجتي.

ثم اقبل على لين كالصقر ممسكا يدها بقسوة وقوة وساحبا اياها خلفه..

حاولوا الايقاف في طريقه الا انهم لم يتمكنوا من ذلك، فهو كان بأسوأ حالات غضبه.. والذي لا بد ان هذا كله سيُنفّثه على لين المرتجفة كعصفور ضئيل بين براثنه..

القاها بالسيارة بعنف المها.. فتأوهت عاليا لكنه لم يعيرها اي اهتمام بل اطبق الباب عليها بقوة حتى كاد ان يتحطم.. وساق بسرعة شديدة نحو منزلهما..

فور وصولهما ركن السيارة بسرعة فصدر صوت شج قرح والتفّت السيارة الى الجانب.. ثم نزل وسحبها معه بقوة وعنف شديدين..

دموعها لم تشفع لها عنده وكأنه انسان متلبد المشاعر..

كان قلبها على وشك الخروج من مكانه من حالة الذعر التي تعيش بها، واصبح تنفسها غير منتظم.. فهمست بصوت مبحوح متقطع:

- انت فاهم الموضوع خطأ.

- اخرسي!

صاح بها وعيناه تلمعان بالجحيم.. فإنتفضت من مكانها ارتياعا.. ثم همست ببكاء وهي تراه يقبل عليها بشر:

- اقسم لك يا ريس انه اخي بالرضاعة.. لا شيء مما تظنه انت.

اقترب منها اكثر حتى وقف قبالتها.. فكادت ان تسقط ارضا من ارهاقها النفسي.. الا انه امسك يدها وضغط عليها بقوة وسلّط عيناه الحادة بعينيها الباكية الزائغة:

- كرري ما قلتيه.

حاولت ان تتحكم بنفسها قليلا من هذا الدوار الذي ينتابها.. وهمست بصوت بالكاد سمعه وهي تترنح بين قبضته:

- انا وعماد اخوة في الرضاعة.. انا وهو بنفس العمر.. وامي كانت ترضعه معي.. اقسم لك بربي.. واذا اردت ان اضع يدي على القرآن الكريم لن امانع.

كانت تقول كلماتها وخامتها تنخفض تدريجيا.. حتى فقدت الوعي تماما بين يديه.. فقطب جبينه بإنزعاج وهو يراها تستكين في حضنه.. فحملها متوجها نحو غرفتهما.. ووضعها برفق مفكرا:

- كيف يكون اخاها بالرضاعة وانا لا اعلم؟!.. يا الهي كدت ان اقتله والان بكل بساطة اعلم انه ليس سوى شقيقها!

فرك جبينه بضيق، وهو يهمس، ناظرا لها:

- يستحيل ان تقسمي كذبا يا لين فأنا اعرف قوة ايمانك.. رباه لقد ظلمتها!.. ماذا سأفعل الأن؟!

بقي مسلط عيناه نحو جسدها الهزيل المتراخي على الفراش.. ثم اقترب منها ببطء شديد ونظر لها نظرة حزينة فهو احزنها واخافها.. وهذه ليست اول مرة يخيفها.. دائما يرعبها.. دائما يحزنها.. ولم يكن يوما امان لها بل دائما يكون البارد القاسي المتهجم..

مرر انامله برقة على وجنتيها وهمس بصوت يغمره الألم:

- انا اسف يا لين.. انا فقط.. فقط لم اعرف ماذا داهني فور رؤيتك بأحضان غيري.. انا..

تنهد بألم واضطراب وهو يكمل:

- لا اعلم كيف نسيت انك انت هي الفتاة النقية، الفتاة التي يهمها ربها، وتصون عرضها وشرفها.. لكن غيرتي وغضبي.. اللعنة عليهما فقط!..

****

في قصر ادم كان الجميع يجلس بقلق شديد.. فقال ادم بصرامة:

- سأذهب الى المشفى لأرى حال عماد.

هتفت ليان ببكاء متقطع:

- انتظر يا ادم سآتي معك.. وبعدها سأمر على ابنتي لأرى ماذا فعل بها ذاك المتوحش.

صاح ادم عاليا وهو يحذرها:

- ليان.. لا تتكلمي بهذا الأسلوب.. منذ متى وانت تتصرفين تصرفا طائشا؟!

قال الجد مؤيدا كلامها:

- انا لا اعلم ما الذي اصابه ولكنه ولأول مرة يفعل شيئا كهذا امامي.. حتى انه لم يطاوعني بل كان يتصرف كليث هائج..

همست عدن التي كانت هي الأخرى تبكي بشدة:

- لا تظلموه! انا اعرفه جيدا.. لا بد ان امرا قد حدث ليتصرف بهذه الهمجية.. وهو اكيد سيندم عليها لاحقا فريس يملك قلبا ناصع البياض.. واظن ان انت يا جدي جل من يعرفه.. فلا تسيئون له وتستغفلونه في غيابه.

تنهدوا جميعا عاليا من كلام عدن المحقة.. بينما جود كان يجلس وكأنه تائه، لا يعرف ماذا يجب ان يفعل بهذه المعضلة..

وبعد ان اطمئنوا على حالة عماد.. وتأكدوا بأن وضعه قد استقر.. توجهوا نحو المنزل الذي ترقد به لين.. بل السجن التي تعيش به اذا صح التعبير..

سمع ريس الباب يدق فإبتعد عن لين بإنزعاج وحنق.. ثم تنهد عاليا فهو يعرف حق المعرفة من هم اللذين في الأسفل..

توجه نحو الباب المرصد وقام بفتحه ليندفعوا جميعا الى الداخل.. واحدا تلو الاخر..

صاحت ليان بغضب وبكاء:

- اين ابنتي؟! ماذا فعلت بها؟!..

اجابها ببرود:

- انها في الأعلى.

ارادوا جميعا الصعود اليها.. الا انه سرعان ما اوقفهم قائلا بحزم واصرار:

- لن يصعد لها رجلا ولو كان اخاها او والدها.. لن ادع اي نوع من الذكور يرى حبيبتي وزوجتي وهي نائمة.

انذهلوا وفغروا فاههم من الحماقات التي يتفوه بها.. لكنه لم يبالي وبقي مصر وعازم على قراره.. ثم وجه انظاره نحو عدن وليان:

- تستطيعان الصعود لها.

صعدتا سريعا لها بينما هو نظر للبقية بجدية وهتف:

- تفضلوا واجلسوا.

ساروا برفقته بخطوات حانقة ضائقة من اسلوبه المستفز حتى مع جده الذي كان يعامله بأسلوب اخر كليا.. لكن عند لين كل شيء يتغير مئة وثمانين درجة..

قال الجد وهو يجلس على الأريكة:

- ماذا فعلت بها؟ هل اذيتها؟!

- اعتذر يا جدي ولكن اذا ضربتها ام لا فهذه حياتنا الشخصية.. ولكن فقط لأنني اعتبرك والدي واحترمك سأجاوبك واسكت قلقكم وفضولكم..

انا لم امد يدي على لين ولن امدها عليها.

ثم تابع وهو ينظر لهم بعتاب:

- لماذا لم تخبروني مسبقا ان عماد اخ لين في الرضاعة؟ لماذا علي ان اعلم في ظرف كهذا وافعل به ما قد فعلته؟! لماذا جعلتموني اشعر بالذنب بسبب عدم ادراكي لهذا الأمر؟! اجيبوني.

تنهدوا عاليا وهم يرمقونه بنظرات اسفة متفهمة.. فهم عرفوا ما قد فهمه ريس، وبالتأكيد الحق معه.. فلين هي شرفه وعرضه وهم باتوا يعلمون جيدا كم هو يحبها.. وكم يعشقها..

همس ادم بأسف:

- اعتذر لك.. هذا خطأي لا اعلم كيف نسيت شيئا كهذا.. لأول مرة اغفل عن امر ما.. اما بالنسبة لعماد فلا تقلق وضعه قد استقر وحينما يستيقظ بإمكانك الذهاب الي..

اومأ ريس له بتعب من هذا اليوم الذي انهك قواه بعد ان كان يوم مفعما بالبهجة والسرور..

****

فتحت لين عيناها ببطء شديد.. فهتفت امها بلهفة:

- لين كيف انت يا روحي؟

اعتدلت لين بجلستها بمساعدة امها وعدن وهمست بصوت متعب:

- اين ريس؟

ردت امها بضيق، غير مراعية لشعور عدن الجالسة بصمت:

- انه في الاسفل.. اتعلمين؟ لقد رفض ان يصعد اي رجل الى الأعلى ليراكِ.. حتى انه منع والدك.. هذا الرجل ليس طبيعي.

لم تستطع عدن الصمت اكثر وهي ترى ليان تشتم اخاها.. وما ان ارادت ان تتكلم تفاجأت بصوت لين الذي منعها عن التفوه:

- امي.. اعلم ما تشعرين به ولكن رجاءا هو زوجي وانا لا اقبل التحدث عنه بسوء.. وانا اعلم جيدا سبب فعلته وهو

محقة.. رغم ان ردة فعله كانت قاسية جدا ليس علي بل على عماد.

همست ليان بعدم فهم وهي تمعن النظر بوجهها تارة وبوجه عدن المرّكزة بحديث لين تارة اخرى:

- لا افهم ماذا تقصدين؟!

تنهدت لين وهي تنظر الى أمها ثم ما لبثت ان همست وهي تسترجع ذكريات ما حدث:

- امي ريس لا يعرف ان عماد هو شقيقي بالرضاعة.. فعندما رآني اعانقه جنّ جنونه اضافة الى انه من النوع الذي يغار بجنون.. ريس يحبني وانا المثل ولكنه اخبرني انه يغار بجنون ويشعر بشعور التملك الشديد نحوي من شدة عشقه لي.. فما بالك ان رآني بأحضان عماد وهو لا يعلم انني اخته؟!

كانت امها وعدن مذبهلتين من الصدمة.. ريس، حب، غيرة، شقيق في الرضاعة...

تابعت لين كلامها وهي تنظر لهما بحنان:

- امي ريس يغار من ابي ومن اخي ومن اي ذكر يقترب نحوي لذلك لم يسمح لهم في الصعود لكنني احبه بل اعشقه رغم كل ما يفعله.. فأنا اعرفه جيدا واعرف الان انه نادم ويتألم.

انهت كلامها وعدن متصنمة من الصدمة.. ريس اخيها يغار لهذه الدرجة.. ويتصرف مثل هذا التصرف.. يا للهول اصبحت تخاف الحب الان من ان يفعل بها رجلا شيئا من هذا القبيل، ولكن لين سعيدة بذلك لأنها تحبه..

نهضت لين من مكانها متوجهة نحو المرحاض لتعدّل مظهرها وتنزل الى الأسفل..

****

كانوا يتكلمون وصمتوا فور ما رأوا الملاك الصغير يقبل عليهم.. فنهض ريس من مكانه وحلق نحو حبيبة قلبه التي توقفت عن السير.. وهتف بقلق لم يتمكن من اخفاءه:

- هل انت بخير لين؟

نظرت له طويلا وهي تستشعر قلقه وخوفه عليها.. لا تعلم كيف يجب ان تتصرف معه.. فمن جهة اي شخص بمكانه كان سيفعل نفس الشيء.. فهذا شرف!!

وما اقصى واصعب ان ترى حبيبك وحلالك بأحضان غيرك فتشعر وكأن سكاكين تنغرز في قلبك من شدة الشعور بطعنة بالخيانة.. ومن جهة اخرى كانت متألمة لفعلته الشنيعة وثقته الضئيلة بها دون ان يفكر انها يستحيل ان تقبل على ما يؤذيه قبل ان يؤذيها هي.. وغاضبة وحزينة لما فعله مع عماد الذي لحد الان لا تعلم كيف هو..

اجابت بهمس وهي تتوسم ملامحه المرهقة بحق:

- انا بخير يا ريس.

ثم اقتربت نحو جدها وقبلّت يداه وعانقته وفعلت نفس الشيء مع والدها واخيها لتنتقم منه بواسطة اثارة غيرته وحنقه.. فهي تعلم كم يكره ان يراها هكذا.. ونظرت له بتحدي شامخ..

اما هو كان يشعر بجبال وبراكين من الغضب تتفاقم بداخله.. والغيرة كانت تنهشه نهشا فإقترب منها حينما كانت تعانق جود، وامسك بيدها وجذبها نحو صدره لترتطم به بقوة.. فإبتسمت بوجهه بإنتصار وهتفت بصوت عال امام الأعين التي تراقب فعلتها بإستمتاع وقد فهموا جيدا الى ما ترمي اليه هذه الصغيرة بقيامها بأمر كهذا.. وخاصة امام الرجل الولهان الغيور:

- اظن يا زوجي العزيز انني يحق لي ان اعانقهم فهم محرمون علي مثل عماد.

قهقهوا عاليا ولم يستطيعوا كبح ضحكاتهم من منظر ريس الغاضب ومن منظر لين التي تبدو كقطة صغيرة، واقفة تتحداه بثقة..

ابتسم لها ريس بتهكم ومال برأسه نحو جانب اذنها وهمس بصوت ناعم منخفض، خفق قلبها له، كأنها كانت تعدو في سباق عنيف:

- اوه يا لين تعجبني طريقتك هذه، ولكن تذكري ما سيحدث بعد ذهابهم.. انا الان احاول جاهدا تمالك نفسي

لكي لا اشوه وجوهم المبتسمة لأنهم اكبر مني واعزهم، واكن احتراما جليا لهم.. اما بالنسبة لجود فقط لأنه شقيقك ولا اريد الان ان ارسله الى عماد الراقد في المشفى ليتمدد بجانبه هو الاخر.. يا.. يا حبيبتي؟!

همست لين بتلعثم وهي تبتعد عنه بإرتباك وخوف:

- انت لن تؤذيني يا ريس.. و.. وانا اريد الان رؤية عماد.

عند هذه النقطة تكلم والدها بجدية، والسرور يملئ وجهه وهو يرى نظرات العشق بارزة في عيناهما:

- لين عماد بخير.. والان الوقت قد تأخر ونحن سنذهب.. وانتما اذهبا لزيارته غدا حينما يستيقظ.

اقتربت عدن من ريس وهمست بصوت ناعم وهي تنشد وتلحن:

- يا حبيبي الحب ماذا يفعل بالإنسان.. مرة سعيد ومرة غبي.. وفي كل حالاته يبدو كالأبله وهذا هو حالك يا اخي العزيز.

رمقها ريس بنظرات حانقة بينما لين توردت وجنتيها خجلا وابتسمت رغما عنها على منظر ريس.. ترافقها قهقهات الجميع..

قال ريس بجدية وهو يثبت نظراته في عينان عمه:

- عمي الوقت بالفعل قد تأخر ولذلك بإمكانكم النوم هنا.. فالمنزل واسع جدا.. وانا لن اسمح ان تعودوا في مثل هذا الوقت وغدا بإذن اللّه سنذهب معا لنزور عماد.

اندفعت لين سريعا وهي تهتف بلهفة كطفلة صغيرة:

- اجل.. اجل ارجوك ابي! ارجوك جدي!.. يااااه يا رجل دائما تعجبني قراراتك الذكية.

ابتسم ريس على طفوليتها وقد تناسى غضبه كليا وهو يرى السعادة التي تغمرها.. وكم يعشق رؤية ابتسامتها التي تجعل قلبه يقفز حبا بها.. واردف بثقة وغرور:

- ليس جديد على ما اظن.

ثم صمت لبرهة ووزع انظاره بين عدن ولين وقال بصوت شارد:

- لكن لماذا انتما الإثنتان تتشابهان احيانا في التصرفات؟!.. انا لم اصدق وهربت من عدن الحمقاء.. لتأتي لي عدن اخرى وتكون زوجتي... و.. وحبيبتي.

اخفضت لين رأسها خجلا بينما اندفعت عدن نحوه قائلة بغيظ:

- اشكر ربك انني اختك.. اتعلم؟ افكر ان اقضي طوال حياتي في منزلك لأجعل ايامك كلها نكد في نكد.

قهقهوا عاليا حتى ليان التي كانت غاضبة من ريس.. وقال الجد وهو يمسح دموعه بيده من كثر ما ضحك:

- و اللّه انكم مجانين.. وحسنا سننام هنا يا ريس.

****

في صباح يوم جديد مفعم بالسرور والمحبة تتململ لين بخفة على ذراع زوجها.. وابتسمت فورا وهي تراه مستيقظ وجالس يتمعن بها ونظرات العشق والوله بادية جليا في عينيه.. ثم همست بخجل:

- صباح الخير.

ابتسم بحب وهو يقترب منها ليأخذها في حضنه ويستنشق رائحتها المزهرة البديعة.. وهمس:

- احلى صباح في الوجود.

ابتعدت لين عنه بخفة ورقة ثم جلست بجانبه على السرير.. فقال ريس متنهدا:

- لين اسمعيني البارحة لم نستطع التكلم لأن الوقت كان متأخر جدا وكنت مرهق للغاية وكذلك انت.. ولكن الان يجب علينا التحدث بما حدث البارحة.

همست لين له برقة وهي تنهض عن السرير متوجهة نحو الصالة المتواجدة في غرفتهما:

- لنتحدث هناك افضل.

تبعها واجلسها بجانبه.. وثبت حدقتيه العسلية الناعسة بمقلتيها الرمادية البريئة واردف:

- انا يا لين اولا اعتذر على اخافتك البارحة مع انك اظن يجب ان تعرفي انني لم اكن اعرف ان عماد شقيقك

بالرضاعة والا لم يكن سيكون تصرفي بهذه القسوة وبهذا العنف.

- اعلم انك لم تكن تعرف ولذلك فقط سامحتك.. ولكن رغم ذلك يا ريس المني قلبي لأنك لم تفكر ولو لثانية واحدة انني لن اقبل على ما يؤذيك قبل ان يؤذيني انا شخصيا.

ابتسم ريس على كلامها وهمس:

- لين انا لم استطع التحكم بنفسي.. شعرت بقبضة قاسية تعتصرني وتخنقني اذ لم اقتله واعاقبك اشد عقاب.. لا اعلم ماذا داهني! فرؤيتك بأحضان غيري تقتلني.

ثم صمت لوهلة واضاف بجدية يتخللها بعض الحدة:

- ومن الجدير ان تعلمي يا لين انني لا احبذ هذا التصرف مرة اخرى وثم هذا لمصلحتك.. انا البارحة تحكمت بنفسي بالقوة لكي لا اقتل الجيش الذي عانقتيه.. وانا اعلم جيدا ان هذا لم يكن سوى عقاب بسيط لي.. لكن

يا لين انا اكره هذا التصرف وهذا يغضبني وقد افعل ما لا احبذ عقباه لذا من المفضل لك ان تتجنبي فعل هذه الامور الغبية.

وتابع كلامه وهو يقول:

- وبالنسبة لعماد سأذهب اليه اليوم واتفاهم معه على ما حدث.. ولكنني لست نادم يا لين فإذ رأيتك مرة اختك بأحضان رجل غيري سأقطع لك يداك ولسانك الثرثار هذا.. وبالنسبة للرجل الذي تعانقيه وان كان ابي او جدي لا اعلم ماذا سأفعل به.. لكن ردة فعلي ستكون قاسية جدا عليك وعليه.

تطلعت اليه لين بغيظ شديد وهمست بضيق:

- ما هذا التسلط والتحكم؟! هذا تملك يا ريس! كل ما تقوله جنون وليس شيء اخر.

قاطعها ريس بصوت حازم صارم:

- لين ستنفذين كل ما اخبرتك به.. لا تحاولي ان تعصيني وتثيرين غضبي، لذا اختصري شري يا زوجتي العزيزة.

تأففت لين بقوة وهي ترمقه بسخط.. ووقفت وهي تضرب قدميها في الأرض بطريقة طفولية جعلت ريس يبتسم..

****

- اذا ريس ضرب الشاب الذي يدعى عماد؟ وهو الان في المشفى؟

- اجل سيدتي.. وضعه كان حرج للغاية البارحة ولكنه الأن مستقر.

وضعت "ترنيم" يدها على شفتيها بتفكير.. ونظرت له وهي تقول بتساؤل:

- الا تعلم ما هو السبب الذي دفعه لذلك؟

- لا سيدة ترنيم لكن لا بد ان يكون لزوجته لين علاقة بالموضوع.

تأففت بضجر وهتفت بأمر:

- اريدك ان تعرف لي السبب سريعا.. وان تعرف ردة فعل العائلة على ما فعله ريس بعماد.

- حاضر سيدتي.

****

ولج ريس برفقة زوجته والعائلة الى الغرفة التي يرقد بها عماد.. واذ بلين تشهق بفزع من منظره المرعب، المثير للشفقة.. ووضعت يداها على شفتيها وتراكمت الدموع بعينيها.. فهو شقيقها والذي كان يرافقها طوال مسار حياتها.. هو الذي تشعر معه بالراحة ولا تخفي عنه شيئا لشدة تعلقها به.. والان هو محاط بسبب جنون زوجها بالكثير من اللفائف الطبية البيضاء التي اخفت اغلبية جسده بسبب ضرب ريس القاسي له..

انبّت ولامت نفسها بشدة.. فهي السبب فيما وصل اليه حاله.. اقتربت نحوه بعد ان رمقت ريس بنظرة حزينة متألمة.. فإبتسم عماد لها بخفوت لكثرة الامه..

تبعها ريس بينما البقية انسحبوا بهدوء ليتركوهم يحلون المشكلة فيما بينهم.. ويصفّون النفوس بأنفسهم..

نظر عماد لريس وهو يهمس بصوت مرهق:

- ها يا ريس ادركت الامر ام ماذا؟..

اقترب ريس معانقا اياه فهو يصغره بستة سنوات.. اي في عمر لين.. لا يوازيه قوة ولا شهامة ولا عقلا ولا فكرا حتى..

ثم اردف بأسف بعد ان نظر للين التي تبكي بصمت:

- اعتذر يا عماد على سوء التفاهم الذي حدث البارحة وعلى ما فعلته بجسدك من رضوض.. لكن يجب ان تعلم انني لست نادم اطلاقا.. اولًا لأنني لم اكن اعلم، وثانيا لأن كل من يتجرأ ويقترب من زوجتي سأقتله، ولن اكتفي بما فعلته معك ابدا.. ولكن الذي غفر لك هو انك اخاها بالرضاعة والا ما كنت ابقيتك على قيد الحياة الى الان.

نظرت اليه لين بضيق شديد من تملكه واسلوبه المستفز في الكلام.. ثم تطلعت الى عماد بحزن وحنان وهي تمسح دموعها كالأطفال.. وهمست:

- عماد حبيبي كيف انت الان؟!

صاح ريس بقوة مما اجفلهما معا:

- لين لا تقولي له حبيبي.. قبل ان اقطع لسانك.. ولن اتردد!

تأففت لين بضجر وسلّطت نحوه نظرة حانقة وهي تهمس بضيق:

- حتى هذا ممنوع! ماذا ايضا؟

قال ريس بإبتسامة يتخللها الحزم:

- كل شيء جميل يفعله جسدك وتتفوه به شفتيك سيكون موجها فقط لي وحدي.. فقط انا من يحق لي بهذا!

نظر لهما عماد بغيظ وهتف:

- هلا كففتما عن شجاركما الرومانسي وانا اعاني هنا من الألم الذي سببته لي ايها العاشق الولهان.

هتفت لين سريعا بقلق ولهفة:

- ما الذي يؤلمك؟ هل انادي الطبيب؟

- لا، لا تقلقي.. انا بخير.

ثم وجه انظاره الى ريس وتابع:

- اما انت لا تقلق يا ريس فأنا قد تفهمت ردة فعلك والتي هي بكل تأكيد طبيعية.. لكن غيرتك مبالغ فيها يا رجل.. كدت ان اموت!

ابتسم ريس وقال بجدية ساخرة:

- تستحق لأن لا يجرؤ من في الوجود على الاقتراب على ما يخصني وخاصة ان كنت اعشقه.. ولين هي كل ما املك.. بل هي كل حياتي.

ابتسمت لين بحب على كلامه الذي مس قلبها.. وشعرت بعشقها له يتفاقم يوم بعد اخر في وجدانها..

****

كانا جالسان في مطعم، يطلّ عليه الفخامة والأناقة..
بعد ان اصرّت لين عليه بالجلوس في مكان ما لأنها ملّت البقاء من لوحدها في المنزل..

ثم همست فجأة:

- ريس..

همهم ريس ونظر اليها ليحثها على قول ما تريد فاستطردت:

- انا افكر ان اتحجب.. ما رأيك؟

لمعت عينَان ريس بسعادة وهمس بسرور متوسما النظر بجمالها الخلاب:

- احبّ على قلبي يا لين.. متى تريدين ان شاء اللّه ذلك؟

شعرت لين بسعادة غامرة في داخلها من ردة فعله وتشجيعه لها على فعل ما امر اللّه به.. وهمست بحب طاغي:

- اليوم يا ريس.. اريد ان اشتري ما يلزمني.. اليوم.

نهض ريس وامسك يدها برفق وحنان.. وقام بدفع الحساب سريعا ليتوجها نحو مجمع التجاري ويشتري ما يلزم حبيبة قلبه التي تكبر بعينه يوما بعد اخرا..



الفصل التاسع

رُدّي عليّ يامن هي الحياة.. واوفقي قلبًا صارخًا باللوعةِ..

يا ليتَ هيامُكِ اتنفسه.. ويا ليتَ تتيمكِ انطقه..

رُدّي عليّ يا من هي الروح.. وارحمي فؤاد لاهف وهائم بهواكِ..

اخبري الخلق عني وعن بهاء اعمالي.. واخبريهم عن غرامي..

فأنا لست لمُهجكِ الا بناسك وزاهد.. ولست لعيناكِ الا بخانع..

كانا يتنقلان من مكان الى اخر والسعادة تغمر قلوبهما..

البهجة والسرور يتجولا براحة تامة في دماء عروقهما..

الحب والإحترام يتفاقم ويتضاخم بفؤاد كل منهما.. وما

اجمل الحب حين يكون حلالا! وما اجمل الحب حين يأتي

بعد الرفض والتحدي! وما اجمله حين يكون الإحترام هو الخيط الوالِ به..

كانت لين تتطلع الى فستان قصير لونه ابيض.. فنظر اليها ريس متسائلا:

- الا تريدين ان تتحجبي؟!

لم تبعد لين عيناها عن هذا الفستان الجميل حقا.. وهمست:

- ريس اريد ان اشتريه.. هذا لا يمنع انني لن ارتدي هذه الثياب امامك او امام الفتيات!

ابتسم ريس على كلامها.. بينما هي كانت شاردة وسرعان ما شهقت بعد ان ادركت ما تفوهت به.. فشعرت بإحراج شديد وتصاعدت حمرة الخجل الى وجنتيها لتبدو اية من الجمال.. ثم همست بتلعثم واضح:

- اا.. انا لم اقصد.

قهقه ريس عاليا وامسك يدها بحنو وهمس بحب عارم:

- كل ما تريده حبيبتي سأجلبه لها.. وانتِ لا تعلمي كم اعجبني كلامك هذا.. والان يا زوجتي المصون ستجربينه لنشتريه.. حسنا؟

ابتسمت لين بخجل وهمست ولأول مرة بعد انتظار دام طويلا بالنسبة له:

- احبك.

خفق قلب ريس بسعادة ولمعت عيناه العسلية حتى اصبحت تضيء كنور الشمس.. وهمس بهيام:

- اعيديها يا لين! اعيديها.

اخفضت لين رأسها وهمست بصوت منخفض من شدة الخجل:

- احبك يا ريس.

تنهد ريس تنهيدة عاشق الى حد النخاع:

- ياه يا لين واخيرا.. الا تعلمين كم انتظرتها من شفتيك هذه؟!

لم تستطع لين رفع رأسها من خجلها المفرط.. فضحك ريس وهمس بمكر وضيق:

- متى ستزيلين خجلك هذا؟! خاصة الان ليس مناسب ابدا.. فأنا بالكاد اتمالك نفسي لكي لا افعل امرا محرجا في هذا المكان الذي لا يروق لي حاليا ابدا.. فكِّفي عن خجلك هذا لأنه يذبحني.

ابتسمت لين بسعادة.. وخفق لبّها من كلامه وازدادت وتيرة انفاسها من كثرة ارتباكها.. فسار بها ريس نحو العاملة وطلب منها ان تعطي الفستان للين ليراه عليها..

اخذت لين الفستان بأصابع مرتجفة من نظرات ريس الجريئة والعاشقة نحوها.. ودخلت لتجربه..

بعد بعض دقائق فتحت لين الستار ليراها ريس.. فتصنم بمكانه من فتنتها وهيئتها المغرية والجذابة..

فسألت لين بخجل وتوجس:

- كيف يبدو علي؟! هل يناسبني؟!

وعندما لم تجد منه اي اجابة ارادت الخروج من غرفة قياس الملابس لتنظر الى المرآة وترى نفسها.. لكن يد ريس كانت اسرع منها ، فأمسك مرفقها ودفعها مرة اخرى الى داخل الغرفة واغلق الستار.. وهمس بغضب:

- الى اين تظنين نفسك خارجة بهذا المنظر؟!

همست لين بخوف وهي تنظر الى عينيه الحمرواتين:

- ما الأمر يا ريس؟! انا كنت فقط اريد ان ارى كيف ابدو به.. وهذا المتجر نسائي لا يوجد به رجال!

اقترب ريس منها ببطء شديد حتى تقابلت انفاسهما.. فإزداد ارتباكها وخوفها وهمست بتلعثم:

- رر.. ريس انت تخيفني!

لم يأبه ريس بكلامها مطلقا واخذها بقبلة طويلة.. يتذوق بها نعيم شفتيها.. ويصبُّ كل غضبه وغيرته بها.. بينما هي شعرت وكأنها في عالم اخر كليا.. هذه القبلة جعلت قلبها يدق كالطبول الصاخبة.. جعلتها ترفرف في السماء كالطيور..

بدأت لين تتراخى بين قبضتيه فوضع يده سريعا على خصرها ليثبتها.. ولم يفصل القبلة الا بعد ان انقطعت انفاسهما..

فإبتعدت عنه بخجل وتوتر.. وهي تحس بكل انحاء جسدها تشع حرارة حتى باتت الحمرة تزينها من اخمص قدميها حتى رأسها..

همست بإضطراب وهي تتحاشى النظر اليه:

- ااا.. انت كيف تفعل شيئا كهذا في مكان عام؟!

ابتسم ريس على خجلها وارتباكها الظاهران جليا من منظرها الجمريّ.. وهتف وهو يحاول تهدئة قلبه الرافض عن تخفيف خفقاته المجنونة:

- زوجتي وحلالي وانا حر.. والان يا لين اخلعيه لنأخذه.

- حسنا اخرج.

اراد ريس ان يجننها ويخجلها اكثر فهمس بمكر وخبث:

- لا اريد.. فأنا زوجك وتستطيعي ان تغيري ثيابك امامي.

نظرت له لين بحنق من وقاحته وقالت بضيق وخجل:

- اخرج يا ريس.. لا تجعلني افقد صوابي بسببك.. لن اغير مطلقا اذا لم تخرج.

قهقه ريس عاليا واقترب منها وقبلها مرة اخرى قبلة خفيفة وهمس امام شفتيها:

- سأخرج ولكن بإرادتي فقط، فلدينا منزل!.

غمز لها بعينه ثم خرج تاركا خلفه فتاة منصعقة من وقاحته وجرأته..

همست لين بسخط وخجل:

- وقح لعين ولن تتغير.

بعد ان دفع ريس الحساب وما ان همّا بالعودة الى المنزل وهما يضعان احزمة الامان في السيارة..

هتفت لين بسرعة وهي تضرب رأسها بقبضتها الصغيرة:

- يا الهي كيف نسيت!

تساءل ريس بقلق:

- ما الأمر؟ ما خطبك؟!

- ريس لنعد حالا.. لقد نسيت ان اشتري لعدن جلباب.

نظر لها ريس بعدم فهم وهمس:

- لكن عدن ليست محجبة! لماذا ستشتريه لها؟!

- هذا امر يخصنا نحن لوحدنا.. فأنا اريد ان اهديها اياه عندما تتحجب.

هتف ريس باستنكار:

- لوحدكما!! وماذا عني؟ هل انا دخيل مثلا؟

هزت لين كتفيها وهمست بشقاوة:

- لا اعرف.. كل واحد يرى نفسه كما يريد.

نظر لها ريس بتهكم وقال:

- فتيات اخر زمان.. هيا انزلي لنشتري لتلك الحمقاء ما تريدين.. فليعينني الرب عليكما.

قهقهت لين عاليا ونزلت برفقة زوجها، عازمة على فعل ما يدور برأسها..

****

كانت عدن جالسة برفقة فتاة تعرفت عليها في الجامعة.. وكانتا تتحدثان بمواضيع لا تخلو من المرح حتى اصبحتا صديقتان.. واذ بشاب طويل القامة يقترب منهما:

- عذرا يا فتيات هل تعرفان اين المكتبة؟!

ردت عدن بجدية:

- اذهب الى الأمام ثم الى اليسار.

- شكرا لك.

دخلت عدن الى محاضرة المغرور "اوس" برفقة صديقتها "ديم" وجلستا في اخر القاعة..

ثم دخل اوس وبدأ بفحص الحضور والغياب حتى وصل الى اسمها.. فنظر اليها وقال:

- من الجيد انك لم تتأخري اليوم انسة عدن والا لن تكوني الان في محاضرتي.

نظرت له عدن بغيظ وحقد دفين.. وارادت وتمنت بقوة ان تحلق نحوه لتشوه له معالم وجهه المستفزة.. بينما هو ابتسم بإستهزاء وانتصار وهو يرى نظراتها الشرسة..

فُتح الباب مرة اخرى ليدخل الشاب الذي سألها عن المكتبة.. وقام بالاعتذار بأدب من المحاضر اوس.. ولكن كانت ردة فعله هي تأنيبه بقوة وغرور كما فعل مع عدن حينما تأخرت..

سار قيس نحو عدن والحرج يقتله ثم جلس بجانبها.. فإبتعدت عدن قليلا ولم تلقي عليه نظرة واحدة حتى.. ثم لكزت ديم بكوعها وهمست لها:

- ابتعدي قليلا الى الجانب.. لا احبذ الجلوس بجانب الرجال.. ولا اشعر بالإرتياح لهذا الشاب.

ابتعدت ديم قليلا وهي تهمس بهيام:

- لماذا؟ انه وسيم جدا يا بلهاء.. ارأيت لون عيناه الخضراوتين؟ يا الهي ما اجمله.. اظن ان هذه الجامعة لا يدخلها غير الوسيمين، انظري الى الأستاذ اوس والى جماله.. اشعر بأنني سأفقد الوعي من جاذبيته.

رمقتها عدن بنظرة حادة قاتلة وهتفت بضيق وانزعاج:

- اصمتي يا حمقاء قبل ان اقطع لسانك.. اين الجمال بهمت؟! انهم يبدوان كالفاكهة المتلفة من شدة سوادها.. لا بل حتى كالبقر والغنم!.. اشك بأنني اهينهم الان على تشبيه هذا الاحمق المغرور بهم!! انا حقا اعتذر لهم.

حاولت ديم كتم ضحكتها بالقوة فوضعت يدها على فمها واخفضت رأسها لتتمكن من الضحك بصوت منخفض قليلا..

نظر قيس لعدن وهمس بتساؤل:

- ما اسمك؟!

اجابته عدن بإنفعال وتهكم:

- لماذا؟!

ابتسم قيس بحرج ووضع يده على رقبته وفركها ببطء..
وهمس:

- اوه انا اسف اذا ازعجتك بسؤالي.. لكن لا لشيء.. فقط
اردت ان نصبح اصدقاء.

- اعتذر لكنني لا اصادق رجال لذا من الأفضل لك ان لا
تتجاوز الحدود معي اكثر من الخطوط الذي يسمح بها
ربي.

وما ان اراد ان يرد عليها اجفلهما صوت اوس الصادح:

- انتما كفّا عن الكلام حالا او اخرجا من المحاضرة.

صمتت عدن بحنق ورمقته بنظرة غاضبة.. ثم فتحت فمها
لتجيب الا انه ردعها مرة اخرى بصوته الحاد:

- لا اريد سماع كلمة واحدة.. والان تقدمي واجلسي هنا..
امامي انسة عدن.

انتصبت واقفة بضيق وسارت بخطوات متعجرفة وجلست حيث اشار لها.. ثم نظرت له بكره فائق وهي تضرب بأناملها الرقيقة على الطاولة بغضب..

اما هو ابتسم على مظهرها في داخله.. واستمر في محاضرته الطويلة جدا بالنسبة لعدن وبعض الطلاب غيرها..

****

كانت لين جالسة لوحدها في الحديقة التابعة لمنزلهما تنتظر قدوم ريس من العمل.. لم يبقى شيئا ولم تفعله من شدة شعورها بالملل البغيض..

فكرت متى سيجلب لها ريس المعلمة لتتابع تعليمها.. هو وعدها وهي تعلم انه لا يخلف بوعوده ابدا ابدا..

تنهدت ثم امسكت هاتفها واتصلت بصديقتها شام..

- الوو لين.

- ماذا تفعلين يا حمقاء؟

- لا شيء ادرس.. وانتِ؟

زفرت لين بضيق وهمست:

- جالسة لوحدي.. لا يوجد ما افعله.

قهقهت شام وهي تهتف بسخرية على حال لين:

- لماذا الن تتعلمين في المنزل؟! لين اعتذر على التدخل، لكن غيرة زوجك ليست عادية يا فتاة.. من يتعلم في ايامنا هذه في المنزل؟!

ردت عليها لين بضيق وهي تحذرها:

- شام لا تتكلمي عن ريس ابدا.. هل فهمت؟!

- حسنا حسنا.. لا يبدو فقط انه من يغار بل يوجد مجنونة مثله تغار بجنون.

قهقهت لين وهي تغمغم بثقة وغرور:

- زوجي وحبيبي ويحق لي.. والان انسة شام ما رأيك ان تتابعي تعليمك معي في المنزل؟ فأنا اريد ان أتكلم اليوم مع ريس في هذا الموضوع.

همهمت شام وهي تردف بتفكير:

- لا اعلم.. سأفكر بعد ان تسألي زوجك.

سمعت لين صوت سيارة تقبل من بعيد فأدركت ان زوجها قد عاد.. فإعتذرت من شام واغلقت المكالمة لتتمكن من استقبال زوجها بحرية..

خرج ريس من سيارته بعد ان رفض ان يتبعه حراسه.. ثم سار نحو الحديقة بعد ان رأى لين تجري نحوه..

ابتسم لها وقام بإمساك يدها ليقربها اليه اكثر وقبّل جبينها بحب.. وهمس بصدق:

- اشتقت لك.

ابتسمت لين وتوردت وجنتيها خجلا.. وهمست بحب مماثل:

- وانا ايضا.. لا بد من انك مرهق.. هيا تعال لتأكل وترتاح.

تبعها ريس بخنوع تام.. ثم توقف بمكانه حينما التفتت اليه لين في منتصف الطريق.. وقالت:

- ريس انهض واستحم اولا ثم تعال لتأكل.

اومأ لها برأسه ثم صعد ليزيل قليلا شعوره بالتعب والنعاس من كثرة الضغوطات الملقية فوق عاتقه.. بينما لين بدأت بتجهيز الطعام ليأكلا سويا..

****

كان ايمن جالست برفقة اولاده ادم ولؤي في القصر..

وفجأة قال ادم بجدية وهو يوزع نظراته بين اخيه وبين والده:

- لقد عادت.

تساءل لؤي بعدم فهم:

- من هي التي عادت؟!

- ترنيم.. وهي تحوم حول اولادها وباقي افراد العائلة..

يجب ان اتكلم مع ريس والا لا نعلم ما سيحدث وماذا قد تفعل.

شهق لؤي وهتف بإستنكار وعدم تصديق:

- ماذا؟! لكن كيف؟! الم تمت؟

تنهد ايمن بصوت عال واغمض عينيه بضيق:

- لا لم تمت انها تسعى لشيء ما.. فهي تتابع كل خطوة يقوم بها ريس وجواد وعدن حتى انا وانتما والجميع.. لا اعلم ما الذي تخطط له.. لكن بالتأكيد ليس شيئا جيدا.

توسعت عينان لؤي وهمس بإضطراب:

- لكن كيف هذا؟! هل يعلم ريس ان امه على قيد الحياة؟!

- لا ..ريس لا يعلم.. لا هو ولا احد غيري انا ووالدي والان انتَ.

- ماذا سنفعل اذا؟

رفع ايمن رأسه الى الأعلى بتعب وتراخى اكثر على مقعده.. وهمس بإرهاق:

- لا نعلم بعد.. سننتظر فقط.. اريد ان اعلم ما الذي تريد الوصول اليه الان.. هذا الذي يهمني حاليا.

****

همست لين وهي تنظر لريس الذي يأكل بصمت:

- ريس..

همهم ريس ونظر لها فتابعت:

- متى سأبدأ بالدراسة؟

- غدا.

قفزت لين من مكانها بفرحة وصاحت بلهفة:

- حقا!

ابتسم ريس بحب على انفعالها الفاتن وهمس بجدية:

- اجل غدا ستبدئين..

من الغد تعليمك سيبدأ من الساعة عاشرة صباحا حتى الثالثة ونصف عصرا.. والتعليم سيكون في المنزل عدا الإمتحانات ستفعلينها في الجامعة.

رمت لين نفسها في حضنه الكبير دون شعور وهمست ببهجة وسعادة تفوق الخيال:

- احبك احبك احبك! اخيرا بعد انتظار طويل سأعود لممارسة ما احلم به.

قهقه ريس بقوة على فعلتها الطفولية وضمها لصدره بحنان وهمس:

- الهذه الدرجة تحبين موضوع الطب؟

- بل اكثر بكثير.

ثم سرعان ادركت ما فعلت فإبتعدت عنه بخجل وحرج.. فقهقه مرة اخرة على شكلها البريء الخجول..

واضافت بعد ان هدأت قليلا:

- ريس اريد ان تتعلم معي صديقتي شام.

- لا يوجد مشكلة سأتحدث مع الجامعة ايضا لأجلها.. هل انت فرحة الان؟!

اومأت له لين برأسها.. فسحبها مرة اخرى الى مكانها الوحيد والأوحد وهو حضنه الدافئ.. فشدت على العناق بقوة وهي تحمد اللّه بداخلها على انه ارسل لها انسان تحبه ويحبها بقدر ريس.. على الرغم من غيرته الشديدة عليها الا انه يعشقها.. يسعى دائما الى جعلها سعيدة .. ويقف معها ويثبت لها طوال الوقت بأنه يحبها بل انه تعدى مراحل الحب بفوارق شاسعة! لا بد انه الهيام!!

****

في مكان يبدو عليه الثراء بضواحي الجبال.. يقف رجلا يبدو في عقده الخامس من عمره ينتظر سيدة ما..

فنزلت ترنيم على درجات السلالم بتغنج حتى وقفت قبالته.. فأمسك بيدها وقبلها وقال:

- اشتقت لك.

ابتسمت له ابتسامة مكر وخبث وهتفت بصوت ناعم متصنع:

- وانا اكثر حبيبي.. لماذا تأخرت علي في سفرك هذه المرة؟ اخبرتني انك لن تتأخر، ولكنك لم تفي بوعدك.

- اعتذر يا ترنيمتي لكن كان يجب ان انهي بعض الأمور الهامة.. والان اخبريني ماذا فعلت في غيابي والى اين وصلت في المهمة التي وكلتك بها؟

اقتربت منه بتمايل ووضعت اناملها على تلابيب قميصه بإغراء وهمست:

- انا افعل ما تريد يا حبيبي.. فلا تقلق سنصل الى مبتغانا.

ابتسم بوجهها ابتسامة ماكرة وهتف بثقة:

- اعلم ذلك فأنتِ ترنيم ولذلك احبكِ.

****

استيقظت لين بعد ثبات عميق.. ونظرت حولها علها تراه بجانبها.. الا انها لم تجده فأدركت انه ذهب الى العمل

باكرا.. فأمسكت هاتفها الملقى تحت وسادتها واتصلت به..

- صباح الخير.

- صباح النور.. لماذا لم توقظني عندما ذهبت الى العمل؟

ابتسم ريس على سؤالها وهمس بحب:

- لم ارد ان اتعبك.. لذا لم يطاوعني قلبي على ايقاظك.. وكما أنك كنتِ كالملاك تماما وانت نائمة.

ابتسمت لين على كلامه الذي راق لها وهمست:

- حسنا اذا سأنهض لأجهز نفسي قبل ان تأتي السيدة التي ستحضر اليوم.. وسأتصل بشام لتأتي هي الأخرى.

- حسنا، ولين لا تنسي ان ترتدي الحجاب.

همست لين بتساؤل:

- ولكن لماذا؟ فهي امرأة وليست رجل!

- افعلي ما اخبرتك به يا لين.. ولا تسألي لماذا.. وهيا سأغلق الان لكي انهي اعمالي.. في امان اللّه.

- في امان اللّه.

بعد ما يقارب الساعة سمعت لين الباب يُدق فألقت نظرة اخيرة على نفسها ونزلت.. ثم فتحت الباب ليدخل رجل وسيدتين.. رجل وامرأة يبدوان كبيران نوعا ما.. وشابة تبدو في اواخر العشرينات..

رحبّت لين بهم في احترام لائق.. وفسحت لهم المجال ليتمكنوا من الدخول..

فقال الرجل بجدية وهو يشيح النظر عنها بأدب وخوف من تحذير ريس:

- عذرا سيدة لين.. اخبرني السيد ريس ان ترشديني الى الغرفة الكبيرة التي بجانب الصالة.

نظرت له لين بتوجس وتفكير ثم همست بجدية:

- تفضلوا معي.

تبعوها حتى ادخلتهم الى الغرفة التي قصدها الرجل في كلامه.. فنظر للغرفة بتمعن ثم سرعان ما خرج..

نظرت لين الى السيدتين وهمست بتساؤل:

- عذرا لكن ما به؟

- سيدة لين انا ادعو "البروفيسورة ليال" وهذه الشابة مساعدتي واسمها "غرام".. ونحن هنا بسبب طلب زوجك.. اما الرجل الذي خرج فهو سيحضر ما يلزمنا ويغادر.. هذا كل ما في الأمر.

همهمت لين وهمست:

- اجل فهمت، تشرفت بكما.. ماذا تفضلان القهوة ام الشاي؟

- لا، لا داعي نحن هنا لنؤدي مهمتنا فقط.. لا تتعبي نفسك.

ابتسمت لين وهمست:

- لن يحدث شيئا اذا تذوقتا شيئا بسيطا من يداي حتى ينتهي هذا الرجل وتأتي صديقتي شام.. اليس كذلك؟

ابتسمتا لها بحرج واومئتا لها برأسهما موافقتين..

اخيرا اتت شام وانتهى الرجل من عمله وذهب.. بينما نظرت لين وشام بإنبهار تام الى ارجاء الغرفة..

فكانت تبدو كغرف التدريب التي في الجامعات.. لا ينقصها شيئا.. من كتب، ادوات الطب، واقلام... كل ما يلزمها كان موجود بل اكثر حتى..

ابتسمت بحب وهي تفكر بريس الذي يسعى لجعلها سعيدة وراضية وهمست لهن:

- جميلة.. اليس كذلك؟!

هتفت شام بإندهاش:

- بل رائعة.. لين زوجك مذهل!! انظري الى الغرفة تبدو كغرفة لتعلم الطب تماما.. وبالإضافة الى انها جميلة جدا..

ياااه يا فتاة كم انتِ محظوظة.. عسى ان يكون نصيبي كنصيبك.

قهقهن عاليا بينما اردفت لين بضحك:

- الم يكن رأيك مختلفا البارحة؟!

- كنت غبية يا فتاة.. انسي كل ما قلته.

قهقهن جميعهن مرة اخرى ثم بدأن اول درسا لهن..

****

في المساء كان ريس ولين منهمكان في اشغالهما.. ريس في عمله.. ولين في دراستها.. حتى اصبحت الساعة العاشرة مساءا فأنهى ريس ما في يده سريعا.. ثم نظر الى لين الجالسة على المكتبة بغرفتهما، تدرس بإجتهاد.. فأبتسم واقترب منها هامسا بحنو:

- لين.. الم تنتهي بعد يا حبيبتي؟

خرجت لين من تركيزها على صوته الدافئ وهمست بإبتسامة حب:

- سأكمل غدا.. يكفي الى اليوم.

ثم نهضت وعانقته وتابعت بجدية:

- ريس انا اشكرك على كل ما تفعله لأجلي.. صحيح انك تحرمني من الكثير من الأشياء لكنك تعوضني بالأفضل.. لا اعلم كيف ارد لك كل ما تفعله لأجلي حقا.

ابتسم ريس ومرّر يده بحنو على شعرها العسلي وهمس بهيام:

- لين وجودك بحياتي لوحده يكفيني.. يكفيني ان تحبيني.. هذا هو الذي اريده.. فقط قلبك.

بينما وهما يتكلمان سمعا صوت جرس الباب.. فهمس ريس بجدية:

- لين ضعي حجابك.. لا تنزلي للأسفل دونه.

- حسنا، اذهب انت وتفقد من في الأسفل يدق.

نزل ريس سريعا وفتح الباب ليتفاجأ بعدن التي دخلت هي وجواد بعجرفة..

فإبتعد ريس عن الباب بحنق وقال:

- استغفر الله العظيم.. هل يدخل احد هكذا؟!

هتفت عدن بسخط:

- اين زوجتك الكاذبة؟ سأقتلها لا محالة!

قهقه جواد بشدة واردف:

- فور ما علمت ان لين تحجبت لم يهدأ كلامها ولا اصرارها على مقابلتها حاليا اطلاقا.. فأحضرتها الى هنا بأمر من جدي.

ابتسم ريس بتهكم .. وقال بسخط:

- مجنونة حمقاء.. ولن تتغير.

رمقته عدن بنظرة قاتلة وهتفت بضيق:

- يكفي انك عاقل ايها البغيض الكريه.

نزلت لين وهي تضحك على صوت عدن الغاضب.. فإلتفتت اليها عدن، وتصنمت بمكانها من شدة جمالها بالحجاب فهي تبدو كالملاك تماما.. والأمر لم يختلف كثيرا عند ريس ولا جواد..

نظر بعيدا جواد بعد ان تلقى نظرة غاضبة وقوية من ريس.. فطاعه مخافة ان يقتله ويدخله المشفى كما فعل مع عماد المسكين..

اقتربت عدن منها بسرعة وارتمت بحضنها وبدأت بالبكاء:

- يااه لين تبدين جميلة جدا.. لكنك شريرة حقا.. الم تخبريني اننا سنتحجب سويا؟! انت كاذبة مغفلة.

قهقهت لين بقوة وهمست لها بصوت منخفض:

- الملابس جاهزة في الأعلى.. كل ما ينقصها هو انتِ يا مجنونة.

نظرت لها عدن بعدم فهم وهمست وهي تزيل دموعها عن وجنتيها كالأطفال:

- لا افهم!

امسكت لين بيد عدن وسحبتها معها الى الأعلى تحت انظار ريس وجواد اللذان ينظران لهما بغباء..

بعد برهة من الزمن نزلت عدن برفقة لين.. فإنصدما مما رأاه..

كانت عدن هي الأخرى تضع الحجاب تماما كلين وترتدي الجلباب الذي اشترته لها لين برفقة ريس..

اقتربتا منهما و وغمغمت لين لعينان زوجها التي تنظر لها بحب وتقدير:

- كيف تبدو عدن؟!

الفصل العاشر

اتأمل عالم البشر المليء بالقسوة والظلم..

اتأمل عالمنا المغمور بالفواحش والتجاسر..

اليست كلمة انسانية مُشتقة من كلمة انسان؟!

لكن اين نحن من هذا المُسّمى؟!

اين نحن من أُناس لا ترحم؟!

اين نحن من زمان انقرض به التسامح والمحبة؟!

بات العنف والقتل محيانا وعنواننا، صار الإخاء والإخلاص كلمات مبهمة..

متى سنزيل تلك الأرواح المتمردة من جذور خلايا اجسادنا؟!

ان النيران تهمد.. والعواصف تصمت..

ان الظلام يزول ليحل النور مكانه..

والشمس تغرب لتفسح مجالا للقمر بتوسد مكانها..

فلنجعل الخير يقضي وينتصر على كل ذرة شر متواجدة

في هذه الحياة القصيرة؟!

بعد برهة من الزمن نزلت عدن برفقة لين.. فإنصدما مما رأاه..

كانت عدن هي الأخرى تضع الحجاب تماما كلين وترتدي الجلباب الذي اشترته لها لين برفقة ريس..

اقتربتا منهما و وغمغمت لين لعينان زوجها التي تنظر لها بحب وتقدير:

- كيف تبدو عدن؟!

اردف جواد بعدم تصديق:

- اتريدين القول ان هذه الملاك هي عدن القبيحة والمجنونة؟! لن اصدق ابدا ابدا!!

ضربته عدن على كتفه بغيظ، فقهقوا وهي تهتف بحنق:

- اتستطيع ان تخرس؟ انظر الى نفسك بالمرآة.. تبدو كمن خرج لتوه من القبر.

ابتسم ريس وهمس وهو يقترب من اخته الصغيرة.. وجذبها لأحضانه هامسا بفخر وحنو:

- تبدين جميلة جدا يا عدن.. مبارك لك حبيبتي.. لا تسمعي كلام هذا الأحمق فأنت دوما عدن التي لا يوجد ما يوازيها جمال.

ردت له عدن الإبتسامة وهي ترمق جواد الذي ينظر اليها بسخرية بنظرات حانقة وغمغمت:

- شكرا اخي حبيبي، ولا تقلق لن اعير كلام هذا الشبح الهزيل اي اهتمام.

بعد مغادرة جواد وعدن اقترب ريس من لين الشاردة بأمر ما لا يدركه ولا يعلمه.. وغمغم بخفوت:

- لين..

تطلعت لين اليه وهمهمت برأسها.. فأردف وهو يكوّب وجهها بين راحتي يداه:

- اهذا هو الذي لا يجب ان اعرفه؟! انك وعدن ستتحجبان مع بعضكم؟

ابتسمت لين برقة ووضعت يداها على يداه هامسة:

- اجل، اردت ان افاجئك، انها تبدو جميلة به.. اليس كذلك؟!

- جميلة جدا وانت كذلك.. لين انا افكر بأن ادعو العائلة والأصدقاء المقربين بعد غد.. ما رأيك حبيبتي؟!

غمغمت لين بسرور وهي تتوسم ملامح وجهه الآسِرة التي تُحدث بقلبها الويلات:

- بالتأكيد احب ذلك، فأنا مشتاقة لوالدَي كثيرا كثيرا.

جذبها بقوة الى صدره العريض كما لو انه يريد ادخالها بين طيات ضلوعه لتصبح الدماء التي تسير في انحاء جسده.. وهتف بعاطفة وحشية متملكة:

- لا تشتاقي لأحد غيري.. لا احد! انا فقط.

اراحت رأسها على عضلات صدره وهمهمت بانصياع خشية ان ينقلب عليها بسبب غيرته اللا محدودة.. ثم سرعان ما رفع رأسها اليه ولثم شفتيها بقبلة اطارت بعقلهما سويا ليغرقا ببحور من المشاعر الجياشة التي تستحوذ على كل منهما..

****

كان ادم يتربص مقعده مفكرا بما سيفعله بهذه الكارثة التي حلّت عليهما.. لا يوجد ما يفعله الى ان تظهر ترنيم ويواجهها وجها لوجه.. لن يستطيع الإيقاف بوجهها لوحده، يعلم ذلك جيدا.. على ريس وجواد ان يعاوناه اضافة الى جود..

تنهد وهو يقف لينظر الى السماء الغائمة التي تهيئ على سقوط الأمطار..

طرق باب مكتبه فأذن للطارق بالدخول.. فدخل جود حاملا في يده بعض الملفات..

- ابي.. هذه الملفات يستوجب عليك توقيعها.

- ضعها على المكتب واتصل بأبناء عمك ريس وجواد واطلب منهما ان يأتيا للشركة حالا.. اريد التكلم معهما بأمر ما.. ومعك كذلك.

تفرس جود ملامح وجه والده الذي يبدو عليه التفكير والشرود.. تساءل بعقله عما يريد ان يخبرهما ولما يريد ابناء عمه الان..

فهتف بتساؤل:

- لكن لماذا تريدهما الان؟ لا بد ان ريس في شركته و..

- اتصل به وبجواد وحينما يأتيا ستعلم.

بعد ان حضرا الى الشركة بسبب طلب ادم، جلسوا امامه جميعا بعد ان تأكد جود من اغلاق الباب جيدا..

نظر ريس الى عمه جاهلا سببه دعوته الحالية والذي على يقين انها ضرورية والا كان سيؤجل الأمر على الأقل حتى انهاء دوامه..

شعر بمشاعر غريبة قلقة وكأن ما سيخبره ادم به أمرا سيئا متعلق به وبأخوته، وخاصة انو دعاه هو وجواد..

غمغم ادم وهو يوزع انظاره بين الثلاثة شبان الذين ينظرون اليه بقلق وتوجس بسبب هذه الدعوة المريبة:

- ريس وجواد كلامي بشكل خاص موجه لكما.. الان ما سأخبركما به لا يجب ان يخرج نطاق هذه الغرفة.. لا لين ولا عدن عليهما المعرفة، حسنا؟!

تضاعف قلقهم مئات المرات من هذا الأمر المثير للشك والغامض الذي يقصده ادم.. فهتف ريس بجدية:

- هات ما عندك يا عمي.. ولا تقلق سيحدث ما تريد ان شاء اللّه.

حدق ادم بريس بنظرات اربكته وكأنه يوصل اليه ان ما سيسمعه لن يكون قادر على تحمله.. وهمس:

- ريس جواد امكما على قيد الحياة، لم تمت!

توسعت عيونهم بعدم فهم وهتف جواد الذي لم يتقبل بعد الصدمة وكأنه غير واع:

- مم.. ماذا تقول؟! امي.. امنا نحن لم تمت؟!

حاول ادم تدارك نفسه.. والتفكير بكيف سيوصل لهما هذا الأمر الشاق.. فهذا ليس سهلا مطلقا..

وهل هنالك اقصى من ان تعيش طوال حياتك على انك يتيم الوالدين، ثم فجأة تعرف ان امك لم تمت وانك لست يتيم ولكنك تيتمت دون سببا؟؟

ثم قال وهو يمعن النظر بوجه جواد المصدوم ووجه ريس الذي لم يبدو عليه اي ردة فعل.. فقط البرود والوجوم هو ما يطغي ملامحه ويكتسيه:

- يجب عليكما الان تحمل ما سأقوله على الرغم من انه سيكون قاس جدا!! لكن انا لم اطلب منكما المجيء الا لنتعاون.

ثم صمت قليلا ليشرد بذاكرته بعيدا:

- قبل ما يقارب الخمسة عشر عاما كان والدكما "يوسف" يحب امكما كثيرا، لأكون صادق كان يعشقها.. كنتم من اجمل العائلات التي رأتها عيني، حتى ظهر عدو العائلة اجمعها "مجد" والذي يكون ابن خالتنا

فأعجب بوالدتك واغراها حتى تمكن من نيل ما يريده وتدمير رباط عائلتكم الجليل.. انتما تفهمان الى ما اشير اليه وما اقصد به.

توسعت عيناهم بعدم تصديق مما يقوله.. اي حماقات واي جنون الذي يتفوه به عن والدته!

انتصب ريس واقفا بغضب مكتوم.. تعجز اذنيه عن سماع المزيد.. لا يريد!.. وهل بإمكان احد تلقي كل هذه الصدمات دفعة واحدة.. هل بإمكان احد ان يعلم ان والدته خانت والده وليس فقط! بل هي على قيد الحياة بعد ان ظن انها ماتت وترعرع وكبر على هذا الموال وعلى هذا الإعتقاد المزيف.. كم من المرات تمنى حضنها لينعم بدفئها وحنانها.. كم من المرات تمنى والده.. كم وكم!

وما ان اراد ان يقاطعه استمر ادم بكلامه غائبا عمّ يحدث في اسارير الشقيقان اللذان يتمنيا الموت الاف المرات قبل ادراك هذه الحقيقة المؤلمة:

- اجل هي خانت والدكما! وليس فقط.. بل عندما علم يوسف بهذا الأمر جنّ جنونه وضربها وطردها من المنزل دون ان تعلوا شيئا فأرادت ان تنتقم منه هي وهذا الكريه "مجد" الذي جلّ ما يهمه هو المال فقاما بقتل والدكما عن طريق حادث سيارة مُدبر من قبلهما.. وافتعلا امرا ذكيا للغاية بحيث احرقا السيارة التي كان بها حتى لا يتمكن من النجاة.. ووضعت ترنيم ثيابا من عندها تدل على انها ايضا توفت معه حتى لا نشك انها هي التي قتلته!

نزلت دموع جواد وخرج مسرعا وهو يصرخ بأنه لا يريد سماع المزيد فطلب ادم من جود ان يتبعه سريعا قبل ان يفعل امرا احمقا.. اما ريس كانت براكين من النار تشتعل في داخله.. الم، الم شديد يعصف بكيانه.. يحطمه الى بقايا بذور صغيرة.. يتمنى من كل ما يملكه من امل ورجاء من اللّه ان يكون كل ما قاله عمه كذبا..

نظر ريس اليه بجمود عكس كل ما يجول بداخله.. كل خلية في جسده تئن الما.. تئن رغبة في الإنتقام.. رغبة في القتل.. وسينتقم وليحدث ما يشاء.. ثم غمغم بخفوت:

- من اين علمت كل هذه الأمور؟! واين هي تلك التي تدعى ترنيم وهذا النذل مجد؟!

تفاجأ ادم من دعوته لأمه بأسمها ولكنه سرعان ما ادرك السبب جليا فنظر الى ملامحه الجادة التي توحي فقط بالبرود والثبات.. ولكنه حينما دقق النظر في عسليتيه وجد طفل صغير يبكي.. طفل ضائع.. طفل يرجو ان يكون لا يملك دليل كي لا يصدقه..

همس ادم وهو يخرج من دولاب مكتبه مُسجّل صوتي:

- اليك هذا، اسمعه.

اخذه ريس بأعصاب متوترة.. ثم اضاف ادم بجدية:

- اسمع يا ريس، والدتك و..

وقبل ان يتمكن من الاستمرار في كلامه صاح به ريس بقوة:

- لا تقول لي والدتك! انا ليس لي والدة!

جفل ادم من صراخه.. ونظر اليه بحزن على ما حل بهم.. وهمس بحنو:

- كما تريد يا بني.. ترنيم ومجد يراقبان جميع افراد العائلة اي ان هناك خطر على حياتكم.. الخوف ليس من ترنيم فقط وانما من مجد الذي قد يؤذيكم.. لذلك عليكم ان تنتبهوا جيدا فهم سيظهرون قريبا للغاية على ما اعتقد.. ترنيم ومجد يسعيان الى الحصول على الثروة الخاصة بالعائلة وسيحاولان جاهدا الوصول اليها وحتى لو بالقتل! لذا يا بني ارجوك انتبه على لين، انا اعلم انها في امان معك لكن هذا لا يمنعني من الشعور بالقلق وكذلك الأمر بالنسبة لأختك عدن.. هما صغيرتان وبحاجة الى حماية.. حاول ان تحميهما بأي طريقة ممكنة.. والان سأخبرك سبب زواجك من لين الذي هو..

- ترنيم اليس كذلك؟ انتم خائفين على ان تفعل للين شيئا بسبب وصية والدي.. اليس كذلك؟!

تنهد ادم بإرهاق بلغ منتهاه واومأ برأسه.. فأضاف ريس:

- لقد عرفت.. وفي كل الأحوال لا تقلق على زوجتي واختي سأتمكن من حمايتهما وحماية افراد عائلتي كلها.

****

تأخر الوقت ولم يعد ريس بعد مما اقلق لين واثار خوفها.. اتصلت به عدة مرات لكن هاتفه مغلق.. الى من تتوجه؟ لا تريد اخافة احد في مثل هذا الوقت وتقلقه دون سبب.. حاولت اقناع نفسها بجهد انه مشغول.. قضت فريضتها ودعت ربها ان يكون بخير.. دعت ان يحمي اللّه لها زوجها وحبيبها..

بعد قريب الساعتين كانت لين تحاول ان تتناسى قلقها على زوجها كي لا تخاف اكثر فبدأت بالدراسة بجهد.. ولكن كل ما يمر القليل من الدقائق تخرج من تركيزها وتنظر الى الساعة حتى ادمعت عيناها وبدأت بالبكاء خشية ان يكون قد اصابه مكروها.. لم يتأخر قط هكذا غير عندما تشاجرا بسبب ذهابها الى الجامعة..

ولكن هذه المرة تأخر اكثر بكثير .. ان الساعة الان تشاور الى الثالثة صباحا! لا تريد شيئا غير ان يكون بخير.. تريد ان تراه الان.. اتصلت به مرة اخرى ولكن دون جدوى..

عندما لم تجد اي وسيلة تُمكنها من الوصول اليه وان لا فائدة من الإنتظار، قررت ان تتصل بجود علّه يتمكن من مساعدتها..

اتاها صوته النائم وهو يرد.. فهمست ببكاء افزع جود وجعله ينهض ليجلس على السرير سريعا:

- جووود..

هتف جود بقلق من بكاء اخته الصغيرة والتي تتصل به في مثل هذه الساعة فأيقن ان امرا سيئا قد حدث:

- لين حبيبتي ما الأمر لماذا تبكين؟!

شهقت لين وهي تغمغم بصوتها الباكي:

- ريس.. ريس لم يعد بعد الى المنزل.. وانا اكاد اموت من القلق عليه.. وو.. ووانا اتصل به منذ ساعات طويلة ولكن هاتفه مغلق.. ماذا افعل؟؟

نهض جود وقال بعجلة:

- لين دقائق واكون عندك.. لا تقلقي حسنا.. اهدئي فقط حبيبتي.

اومأت له لين وهي تهمس بتقطع:

- لا.. لا تتأخر.

واخيرا وصل جود وطرق الباب لتفتح له لين الباب بعينين تبدو كلون الدماء باحمرارهما.. ثم ارتمت بحضنه وهمست ببكاء:

- جود انا خائفة.. ماذا لو حدث له امرا سيئا لا سمح اللّه!

ربت على ظهرها بحنو وقد استشعر خوفها وقلقها، فإنتقل اليه وكأنه عدوى.. ثم همس بخفوت:

- اهدئي يا لين، هو بخير.. ولا تقلقي فربما هو مشغول فقط..

هل تريدين ان اذهب الى شركته لأتفقده؟

اومأت له بموافقة ثم همست سريعا:

- انتظرني، سأصعد لتغيير ملابسي.

- حسنا لا تتأخري.

صعدت لين الى الأعلى راكضة لترتدي حجابها وجلبابها ثم نزلت الى الأسفل لتجد جود جالسا وشاردا بعيدا.. فغمغمت:

- جود.. هيا! لقد انتهيت.

خرج جود من تفكيره بما حدث اليوم ومحاولة ربط ما اخبرهم به والده مع تأخر ريس حتى هذه الساعة..

وما ان هما في التحرك وجدا ريس يدلف من الباب لينظر اليهما بتعجب من وجود ابن عمه جود في هذه الساعة..

فور ما رأته لين هرولت نحوه، ثم ما لبثت ان عانقته بقوة تستشعر وجوده، حنانه، امانه وعاودت دموعها بالتحشرج على وجنتيها على شكل خيوط بيضاء شفافة عديدة..

مرر انامله بحنو على ظهرها ليشعرها بالأمان وبأنه هنا.. ولم يذهب لأي مكان.. وانبّ نفسه في داخله مرارا وتكرارا على تسبب هذا الذعر والقلق في وجدان ملاكه التي من خوفها عليه اضطرت للجوء الى شخص غيره..

غمغمت لين ببكاء وهي تبعد رأسها قليلا عن صدره المتين:

- اين كنت؟! ولماذا تأخرت؟! الا تعلم كم قلقت عليك؟!

تنحنح جود في حرج وهمس وهو يقترب منهما:

- لين.. بما ان ريس قد اتى، فبإمكاني الذهاب اليس كذلك؟

هتف ريس وهو يبعد لين عنه قليلا:

- بإمكانك النوم هنا جود، الوقت قد تأخر..

واشكرك على مجيئك في هذه الساعة.. ولكن كل شيء بخير.. هي فقط قلقت دون سبب.

ابتسم جود وحدق بشقيقته التي نظرات العشق والحب والخوف والعديد من المشاعر بادية في لؤلؤتا عيناها الدامعة..

حمد اللّه بداخله عدة مرات على نجاح زواجها على الرغم من الصعوبات التي واجهتها في هذا الزواج الإجباري.. الان فقط يشعر براحة عارمة تنتشر في اوصاله.. وها هي اساريره تتهلل..

دعا بقلب صادق، بقلب اخ يحب اخته، بقلب اخ واب وصديق ان يوّفق وييّسر حالها، ويجعل حياتها مليئة بالبهجة والحب.. لأنها لا تستحق غير ذلك..

ثم قال بعد ان ازال نظراته المطمئنة عن جسمان اخته:

- لا داعي لشكري يا ريس فلين هي اختي وهذا واجبي..
وانا لا استطيع النوم هنا لأن والداي سيقلقان فانا لم اخبرهما انني قادم الى هنا.

تفهمه ريس وغمغم بجدية قبل ان ينظر للين الصامتة..
والتي لم تتفوه قط ببث كلمة بعد ان القت عليه اسئلتها المعاتبة:

- كما تريد يا جود، وعلى اي حال سلّم على الجميع.

- سيصل بأذن اللّه.

بعد ان انصرف جود تاركا المجال للزوجين بحرية الخصوصية والإنفراد.. ابتعدت لين عن ريس وصعدت سريعا الى غرفتهما مما اذهل ريس وجعله يتبعها بسرعة..

تمددت لين على السرير الكبير الذي يتسع لأكثر بكثير من شخصين ودفنت جسدها كله تحت الغطاء، حاجبة ريس عن رؤية حتى طفيف بسيط من جسدها بعد ان نزعت عنها حجابها وجلبابها بإهمال..

دلف ريس الى الغرفة وهو يحاول تمالك اعصابه من تصرفها الغير مقبول والغير مبرر ابدا بعد ان كانت في الأسفل ساكنة في احضانه وبعد لهفتها الهائلة عليه امام جود..

تقدم نحو الجهة النائمة عليها في السرير بخطوات ثابتة حانقة.. وقام بمحاولة شد الغطاء الذي ازعجه وزاد من غضبه من تصرفها الطفولي، الا انها تشبثت فيه بيديها الرقيقتين.. وعينيها تذرف دموع الغضب والقهر من تصرفه اللامبالي..

انه اناني في كل ما تملكه الكلمة من معنى.. تاركا اسيرة خلفه في سجنه، حتى دون ان يفكر في الإطمئنان والسؤال عنها.. ويعود في مثل هذه الساعة المتأخرة والغير صحيحة ابدا.. والان بالتأكيد لن يكون ريس اذ لم يتشاجرا..

هذا ما كان يجول بطيات عقلها قبل ان تنهض سريعا فور ما سحب الغطاء بقوة اجفلتها.. فهاله ما رأت عيناه من مظهرها وحالتها المزرية، والتي جعلت لبه يُقطر الما

وحزنا على عينيها الجمراوتين، وعلى السواد البارز تحت جفونها، اضافة الى شعرها الذهبي المنفوش على وجهها بعشوائية..

صاحت به ببكاء، ولم تستطع كتم قهرها وحنقها منه اكثر:

- ماذا تريد يا ريس؟! ماذا تريد الان؟! افكرت ولو لمرة واحدة بأنك متزوج وتاركا هزيلة وحدها في هذا الجحيم اللعين؟؟.. انها ليست اول مرة يا زوجي ويبدو انها لن تكون اخر مرة.. انت مهمل يا ريس.. مهمل بي انا!

انعقد حاجبيه بضيق من كلامها المرفوض والغير صحيح.. واحتدت عيناه بسواد حالك حتى انطفأت لمعة عيناه العسلية.. ثم هتف بغضب من صوت صراخها العالِ:

- لين.. لا ترفعي صوتك علي! لا تنسي انني زوجك ولن اسمح بهذا.

حدقت به بغضب مماثل، وهتفت ببكاء وقهر ينهش روحها حتى النخاع:

- زوجي.. زوجي الذي يتركني ويعود في اخر الليل دون ان يكلّف نفسه عناء الإطمئنان عني ولو بمكالمة او رسالة.. زوجي الذي كل ما يهمه هو نفسه.. زوجي الغير مبالي.. تقول لي زوجي صحيح.. زوجي فقط الذي كل ما يهمه هو نفسه!

اقترب منها بخفة فهد متربص، وبلمح البصر امسكها من مرفقها وثناه خلف ظهرها بقوة مما جعلها تصرخ من الألم.. حاولت دفعه بكل ما تملكه من قوة، ولكن هل الجدار يُدفع من قِبَل ريشة خفيفة!

ثم حدّب برأسه الى جانب اذنها، غير مكترث بكمية التألم والتأوه التي تعانيهما.. وهمس بفحيح افعى وهو يقرّبها اليه اكثر:

- ماذا قلت عن صوتك؟ الم اخبرك انني اكره الصوت العال يا لين؟ لما تستفزيني؟! اجيبيني اللعنة.

تشنجت بين قبضتيه من قوة ضغط قبضته الحديدية على يدها.. وغمغمت بحزن مؤلم:

- انت لا تسبب لي سوى الألم يا ريس!.. كل ما يهمك هو ان انفذ اوامرك.. انا لست عبدة عندك لأنفذ كل اوامرك.. انا انسانة ويحق لي اعطاء رأيي والإفصاح عن مشاعري، لذا كِف عن التحكم بي وكِف عن الحاق الأذى بي.

حرر مرفقها الأحمر من شدة ضغطه عليه.. ووضع يده على شعره بألم واولاها ظهره هامسا بإرهاق واسى استشعرتهما:

- انا لا اؤذيك يا لين.. انت فقط لا تعلمي ما حدث معي اليوم لذا لا تحكمي علي من فضلك.. يكفيني ما امر به هذه الفترة!

تلاشى غضبها منه وهمست بصوت مضطرب باك:

- ما الذي حدث يا ريس ويجعلك مستخف ومستهتر بي؟!

ما هي اسبابك حتى تجعلني اموت قلقا وخوفا عليك؟! ما الذي يجعلك تؤلمني ببرودك وغضبك؟! لم اعد افهمك ويبدو انني لن افهمك!

غمّضَ عيناه بتعب شديد.. ماذا يخبرها؟ انها محقة..
ولكن لو تعلم ما عرفه اليوم ستعذره.. كيف بإمكانه
تحمل كل هذه الصدمات في يوم واحد وتأتي هي لتزيد
من الامه.. يكفيه ما به.. يكفيه كمية الحقائق التي
تلقاها والتي تجعل قلبه يبكي حسرا وتأوها على والده..
يكفيه الغضب وروح الإنتقام التي تسري في عروقه..
لكن هي لن تتفهمه لأنه ببساطة لن يخبرها! وحتى لو
اراد لن يستطيع!

تقدمت ووقفت امامه وغمغمت بأسف وحزن بعد ان
تداركت نفسها، وبعد ان رأت هيئته المرهقة والمتألمة
فعلا لسبب لا تعلمه:

- ريس ما بك؟! هل انت بخير؟! انا.. انا اسفة على
صراخي لكن.. لكن هذا كله من خوفي عليك من ان
يكون قد اصابك مكروها ما.. لقد خشيت ان اخسرك
ولم اعرف ماذا افعل! لكن عندما رأيتك فقط شعرت
بالأمان والإطمئنان يعودان الي.. انا اعتذر على كل ما
قلته قبل قليل فأنا لم اكن اقصده.. انا.. انا فقط عندما

اغضب لا اعرف ما اتفوه به، وخاصة انني كنت اشعر بالضياع.

تنهد ريس وهو يفتح عيناه التي عادت لمعتهما البراقة.. وسحبها الى حضنه وهمس بعد ان هدأ بسبب مفعول سحرها ورقتها في الكلام:

- لا بأس.. لا بأس.. عودي الى النوم الان.

تشبثت بقميصه اكثر واردفت بتساؤل:

- وانت؟

- وانا.. هيا تعالي لتنامي.

- لننام.

همست بها بإبتسامة رقيقة قبل ان تنام في احضان زوجها وحبيبها وكل ما تملك في هذه الدنيا...

****

اشرقت الشمس الصفراء الساطعة لتستيقظ عدن بنشاط وحيوية، وتجهز نفسها للذهاب الى الجامعة..

نظرت بسرور الى الجلباب الذي اهدتها اياه لين وقررت ارتدائه..

بعد انتهائها نظرت الى نفسها نظرة اخيرة مفعمة بالإعجاب وهمست لصورتها المنعكسة في المرآة بغرور:

- ما اجملك يا فتاة! في كل حالاتك تبدين فائقة الجمال ولهذا احبك.

ثم اقتربت من المرآة اكثر وقبلّت انعكاسها ونزلت الى الأسفل والإبتسامة تزين وجهها المشرق..

توجهت نحو طاولة الإفطار الجالس عليها جدها واخاها جواد.. ثم قبلت جدها من رأسه فإبتسم تلقائيا وقال بسعادة:

- صباح الخير يا روح جدك.. انظروا الى هذه المجنونة الجميلة.. ياه يا فتاة لقد ازددت جمالا على جمالك بهذا الحجاب.

همهمت عدن عاليا ونظرت الى جواد الذي ينظر لها بسخرية فأرسلت اليه نظرة نارية حانقة.. ورفعت رأسها بشموخ وثقة ثم غمغمت بغرور:

- في كل حالاتي ابدو جميلة انا يا جدي وليس مثل بعض عالم، مهما فعلوا يبقون كصراصير الليل.

قهقه ايمن عاليا على كلام عدن وهتف:

- قصفت جبهتك يا جواد.. لذا لا تنظر اليها بإستخفاف مرة اخرى كي لا تضعك في اماكن لا تناسبك.

جلست عدن بجانب جدها واردفت بحب:

- كلامك صحيح يا حبيبي.. علّمه قليلا عله يستفيد.. انه يحب دائما ان يضع نفسه في مواقف غبية مثله.. والان الى اللقاء علي الذهاب الى الجامعة.

رمقها جواد بغيظ ثم تكلم بجدية بعد ان تذكر ما اخبره ريس حينما اتصل به في الأمس، طالبا منه ان ينتبه جيدا لعدن بسبب ترنيم والوغد مجد:

- انا سأقلك الى الجامعة، انتظريني.

- حسنا كما تشاء.

****

فتحت جفونها ببطء، وجالت بعينيها الناعسة نحو الجسد الضخم الذي ترقد عليه بسلام، فإبتسمت بهيام وهي تراه نائم كالملائكة.. ثم سرعان ما اتت لها فكرة شريرة عزمت على تنفيذها.. فنهضت عن السرير بخفة وتوجهت لتحضر مساحيق التجميل الخاصة بها.. وبدأت بالرسم والتفنن بها على وجه ريس الذي يتململ بضيق، بينما هي تحاول كتم ضحكاتها بقدر ما تتمكن..

استيقظ ريس فجأة مما افزعها وجعلها ترتد للخلف بخوف فتساءل بنعاس واستغراب:

- ما خطبك؟! لما تبدين خائفة هكذا؟!

وضعت ما بيدها ببطء خلف ظهرها وهمست بتلعثم:

- اه صباح الخير.. لا.. لا شيء فقط اردت ان اوقظك.. هيا انهض لنفطر.

- حسنا ابتعدي.

ابتعدت عنه خشية مما سيفعله لاحقا حينما يرى مظهره المروّع والمضحك.. ولكن بعد ان تأكدت انه دخل الى المرحاض المرفق بغرفتهما تنفست براحة، ثم دخلت في نوبه ضحك قوية.. وتمددت على السرير وابتسمت بخبث وانتصار:

- وهكذا نفذت انتقامي.. تستحق يا ريس.. لنرى ردة فعلك يا زوجي العزيز!

ما ان رأى نفسه في المرآة توسعت عيناه من مظهر وجهه الذي يبدو كلوحة فنية مشوهة بمساحيق التجميل اللعينة.. فصاح بغضب جعل لين تنهض سريعا وتجري الى الأسفل وهي تضحك من صميم قلبها..

- ليييين ايتها الصغيرة الملعونة!!!!

خرج من المرحاض بخطوات سريعة حانقة، عازما على تلقين هذه الطفلة درسا لا يُنسى ولكن لم يجد لها اي اثر في الغرفة.. فشتم بغضب وضيق ثم نزل للأسفل مسرعا وهو ينادي عليها بصراخ.. بينما هي كانت مختبئة داخل

الغرفة الخاصة بتعليمها.. تارة تضحك وتارة تتوتر وترتجف بخوف..

فتح ريس الباب بقوة مما جعلها تعدو في ارجاء الغرفة حتى لا يمسكها وهو يجري وراءها.. كانا يبدوان كالقط والفأر..

صرخت لين بذعر حينما وجدته قريبا منها:

- لاااا تقترب.. انا اردت الإنتقام منك على جعلي اقلق عليك.. اقسم ليس الا.

صاح بها بتهكم وحنق وهو يمسكها من تلابيب قميصها ويرفعه للأعلى:

- فتقومين وتشوهين لي معالم وجهي لتحققي انتقامك الغبي مثلك.. اليس كذلك؟

نظرت الى وجهه وسرعان ما لبثت ان عادت لنوبة الضحك.. بينما هو توسم النظر في جمال ضحكتها الأنثوية الناعمة.. وبلمح البصر اقبل على شفتيها بقبلة

شرسة.. قبلة ينفث بها كل حنقه وغضبه من تصرفها الطفولي..

تفاجأت هي مما فعله ولكن سرعان ما تجاوبت معه..
وحاولت ان تجاريه الا انها لم تتمكن.. فقد شعرت ان شفتيها تكاد تنتزع من مكانها من شدة قسوة قبلته..

وعندما شعرت بإنعدام دخول الأوكسجين الى رئتيها..
حاولت دفعه بقوة، ولكنه لم يبتعد بل اصرّ على تلقينها هذا العقاب كي لا تكرر ما فعلته مرة اخرى..

ابتعد عنها بعد ان شعر بطعم دماءها في فمه.. فوضعت هي اناملها على شفتيها المنتفختين بألم وهمست وهي على وشك البكاء ووجنتيها تبدوان كالكرز في احمرارهما:

- لقد المتنني يا ريس!

ابتسم وهو ينظر الى ملامحها الخجولة والمتألمة:

- تستحقين ذلك.. فهذا هو عقابك كي لا تتجرئين مرة اخرى على فعل شيئا كهذا، بل مجرد التفكير به.

نظرت له بغضب فصعد هو مرة اخرى الى الأعلى والإبتسامة الماكرة تزين وجهه الوسيم..

الفصل الحادي عشر

احبكِ في الوجع والوصب..

احبكِ في الجحيم والسعير..

واحبكِ في القريب والبعيد..

فإذا كان حبكِ نار، أنا قابل للأجيج والضرام..

واذا كان حبكِ ذنب، أنا راضي بالجرم والآثم..

فأنا أريدكِ كيفما انت.. لأنني احبكِ كيفما انت..

كانت لين منهمكة في العمل داخل المطبخ بسبب العزومة التي سيقيمانها اليوم.. ولم تشعر بوجود ريس الذي يتفرس حركاتها وخطواتها الخفيفة والرقيقة الى ان وضع يداه حول خصرها مستنشقا رائحة عبيرها الأخاذ.. فشهقت بذعر من فعلته المفاجئة، بينما هو

ابتسم وقرّب ظهرها الى صدره اكثر.. وغمغم بعاطفة اجشة:

- ماذا تفعلين بي يا صغيرة؟!

ابتسمت بخجل، وهمست بخفوت وضيق طفولي:

- لست صغيرة.. انا في التاسعة عشر من عمري، كما تعلم!

قهقه وهو يحني رأسه الى جانب عنقها ليولج رائحتها المفعمة بروائح خلابة الى رئتيه اكثر.. واردف:

- اجل لست صغيرة.. كل ما فعلتيه في الصباح يدل على انك بالغة ولست طفلة في الخامسة من عمرها.. اليس كذلك؟

وضعت اناملها على يداه المحكمة حول خصرها بقوة رجولية تليق به.. وصدرها يعلو ويهبط من تأثيره الشديد عليها.. ثم همست بتلعثم مما يفعله بها:

- اا.. انا اردت فقط الثأر والإنتقام لنفسي.. وريس ابتعد لأتمكن من الانتهاء حتى تأتيان عدن وشام.

هتف بتملك اسرها بطيات حبه وعشقه:

- لا اريد.. انت لي! وانا افعل ما اريد بك! لأنك ببساطة ملكي!

انقذها صوت طرق الباب فتنفست الصعداء حينما ابتعد ريس عنها بحنق..

ثم شتم عاليا الطارق مما جعلها تفغر فاهها وتضحك على مظهره اللطيف وهو يتوجه نحو الباب..

فتح الباب واذ بعدن تدلف وترتمي بحضنه هاتفة بصدق:

- ريس اشتقت لك.

ابتسم ريس بتهكم وهو يبادلها العناق ثم همس بغيظ بصوت منخفض:

- وانا ايضا.. لكن ليس الان.

ابتعدت عنه وتساءلت:

- اين لين؟

اشار بأصبعه نحو المطبخ.. فتوجهت سريعا الى لين تاركة خلفها رجل يلعن الساعة على افتعال هذه العزومة..

قهقهت لين وهي ترى عدن تقفز عليها كالأطفال.. وهتفت بضحك:

- يا مجنونة.. لقد حطمت لي عمودي الفقري.

- هذا من كثر شوقي لك يا فتاة.. حقا لا تستحقي!

ما ان اسدل الليل ستائره الغائمة كان اغلبية المدعوين متجمهرين في حديقة منزلهما عدا شخصين.. لين وريس بسبب اصراره على النزول برفقة زوجته.. لكن هذا لم يكن السبب ابدا، بل كي يلقي على مسامعها محاضرة طويلة على كيفية التصرف..

خرجت لين من المرحاض وهي ترتدي فستانها الأحمر الحريري، تاركة لشعرها عنان الحرية، ثم توجهت نحو المرآة لتضع حجابها الأبيض الناصع.. ومن ثم بدأت بوضع

بعض مساحيق التجميل لتبرز عيناها الرماديتين بالسواد المحيط بهما..

انتفضت فجأة وهي تضع احمر الشفاه على زئير ريس الغاضب:

- لا تضعي احمر الشفاه.

- لكن..

اوقفها بحركة سريعة من يده وهو يقترب منها وزمجر بغيرة واضحة احبتها لين:

- لا تضعيه امام غيري.. لا احبذ ذلك ابدا!

قهقهت وهمست بخنوع:

- كما تريد يا زوجي.

ابتسم قليلا، ثم اردف بضيق وتأفف:

- لماذا تبدين جميلة للغاية حتى بالحجاب؟! الم تجدين جلبابا فضفاضا اكثر؟! ولماذا ترتدين اللون الأحمر والأبيض؟! انهما متناسقان معا وهذا لا يعجبني ابدا

ويغضبني! واضافة الى هذا الذي تضعيه على عيناك.. ازيله ولا اريد اطلاقا.. و..

وضعت كفها الرقيق على شفتيه لتمنعه من الإستمرار بسخطه الذي لن ينتهي قط! وغمغمت محاولة ان تستعطفه:

- ريس حبيبي جلبابي واسع جدا.. انظر اليه انه لا يظهر اي شيء من جسدي ولا يفصّله.. ثم هل تريد ان ابدو قبيحة امام الجميع؟ انا احب ان ارتب نفسي واظهر بأبهى طلة.. لذا ارجوك يا ريس لا تعترض اليوم على ما ارتديه.

زجرها ريس بغيظ وتحذير وهو يتمعن بافتتان جمالها الجذاب:

- لين لا تحاولي معي بهذه الطريقة التي لن ارضخ لها ابدا.. وثم اجل، انا اريدك ان تبدي قبيحة امام الكون اجمعه عدا امامي انا.. انا اريدك جميلة لي وحدي! افهمتين؟!

غمغمت برجاء وهي تتوسله بعينيها اللامعة فانهارت كل حصونه ومقاومته امام رقتها وسحرها:

- ارجوك يا ريس فقط اليوم! اعدك لن ارتدي بعد الان الا ما يرضيك.. ولا تنسى انني لا اخرج من المنزل في الأساس لذا وافق يا زوجي وحبيبي وروحي.

تتهد عاليا وهو يأمرها بجدية:

- حسنا يا لين اخر مرة هذه.. والان كل ما اخبرك به ستنفذينه.. حسنا؟

اومأت له برأسها بإنصياع عاشق.. فأضاف بتنبيه وتحذير:

- اولا سلام على الرجال ممنوع ابدا.. جدي وابي تسلمين عليهما في اليد.. لا اريد معانقات ومن هذا القبيل.. و جود وعماد فقط سلام بالكلام..

ثانيا ضحكتك حاولي قدر الإمكان اخفاءها.. لا اريد ان ينظر احد الى ابتسامتك الجميلة..

ثالثا لا تتكلمي الا عند الضرورة، انا اقصد مع الرجال كل هذا! اما مع النساء فلك مطلق الحرية فقط عندما تكونون بمفردكن..

رابعا عيناك مع الرجال وخاصة اصدقائي لا ترتفع عن الأرض.. هل فهمتين يا لين؟ كل كلمة مما قلتها ستُنفذ والا سيحدث ما لن يعجبك بتاتا!

فغرت شفتيها بعدم تصديق من اوامره الغير منطقية والمستحيلة.. وحركت رأسها بنفي واستنكار وغمغمت:

- هذا مستحيل يا ريس! هل تدرك ما تقوله؟! انا منذ فترة طويلة لم اراهم وتريد مني ان اكتفي بالسلام باليد كالغريب.. وعلى من؟! على والدي وجدي واخوتي!

انعقد حاجبيه بضيق، واحتل السواد عيناه العسلية ثم زمجر بغضب وجدية لا مجال للنقاش او الجدال امامهما:

- لن يتجرأ اي غريب على محاولة النظر اليك حتى، وليس السلام عليك فقط.. لإنني دون شك سأجعل مأواه الوحيد القبر! وكلامي يا لين سينفذ برضائك او عدمه،

وصدقيني ليس لدي اي مشكلة بوصد الباب عليك حتى تقررين تنفيذ ما امرتك به يا زوجتي العزيزة!

ضربت قدميها بالأرض بسخط وحنق من تحكمه وتملكه وتصرفاته التي تعدت الخطوط الحمراء.. وردت عليه وهي تشيح بنظرها عنه:

- حسنا استاذ ريس، لنقل الملك ريس هذا يناسب اكثر؛ الذي يلقي فقط الأوامر.. سأنفذ كل ما قلته بالحرف الواحد.. والان لننزل.

ابتسم ريس من تصرفها الطفولي وغمغم بجانب اذنها بصوت اثار القشعريرة في انحاء جسدها:

- حبيبتي طفلتي ولن تكبر.. ولكنني احبها!

****

دلف عمر الى القصر الراقدة به ترنيم.. واحنى رأسه احتراما لها قبل ان يقول بجدية:

- مرحبا سيدة ترنيم.. لدي الكثير من المعلومات لإخبارك بها.

- تفضل بالجلوس يا عمر.. وهات ما عندك.

قالتها بجدية وهي تركز بما سيخبرها به.. فأردف:

- اولا ارسلت شاب من مجموعتنا الى الجامعة التي تتعلم بها الأنسة عدن.. واضافة الى ذلك سيحاول اكتساب ثقتها وودها بطرقه الخاصة فلا تقلقي..

وعرفت ان ريس وزوجته يقيمون الان حفلة للعائلة والأصدقاء لا اعلم ما سببها..

والأهم من ذلك يبدو ان ادم قد علم بأنك تراقبينه وتراقبي بقية افراد العائلة.

ارتفعت زاوية فمها بإبتسامة ساخرة:

- اجل.. انه ادم فلا يجب الإستهانة به.. فقط اريد تحطيم وتفكيك الرباط العائلي بينهما ثم استولي على الثروة بأريحية تامة.. هذا ما يهمني.

****

ارتسمت على شفتاي لين ابتسامة سرور وحب حينما رأت شقيقها عماد.. واطمئن قلبها حين دققت النظر فيه.. وقد بدى انه تحسن كثيرا عن ذي قبل..

اقترب منها عماد بحب اخوي، بحب اسري عميق.. وما ان اراد ان يسلم عليها اذ بريس يقف امامه حاجزا هاتفا بجدية حازمة:

- لا تقترب من لين يا عماد.

عقد حاجبيه بعد فهم، وجال بنظره الى لين الواقفة تبتلع ريقها خلف جسد ريس الطويل الضخم..

وردّ على ما هتف ريس به بجدية واستفهام:

- ولكنني اخاها وانت تعلم.. انا اخاها بالرضاعة.. اذا لما لا اقترب منها؟!

تنفس ريس بغضب ومن ثم التفت الى لين رافعا حاجبه للأعلى وكأنه يتحداها على عصيان ما امرها به في الأعلى.. فأشاحت عنه بضيق وانزعاج من تسلطه المثير للاستفزاز عليها..

ثم اعاد نظره الى عماد، الذي السذاجة بادية على ملامحه المستفهمة والمتسائلة.. واردف:

- لين لن تسلم على اي رجل ولو كان شقيقها! تستطيع السلام عليها فقط بالكلام، غير هذا لن اقبل ابدا.

توسعت عينان عماد بذهول.. ما هذه الغيرة والتحكم؟! كيف ترضى بذلك؟! اراد التكلم بشيء احمق قد يودي بحياته.. فإستدركت لين نفسها اخيرا وهمست بحنو:

- عماد حبيبي كيف انت؟ وكيف اصبح جسدك؟ هل تشعر بأنك على ما يرام؟

شعرت لين بقبضة فولاذية تعتصر يدها مسببة الما رهيب في مرفقها.. فصرخت بتأوه وهي تلتفت لريس الذي شرارات الغضب تنطلق من عيناه كالأسهم وتخترق عيناها اللامعة بألم واستفهام..

تساءلت بداخلها عما اخطأت به حتى يغضب الى هذه الدرجة.. وغمغمت بألم:

- ريس اترك يدي.. ما خطبك؟! انت تؤلمني!

هدر بعنف من بين شفتيه وزاد من قوة ضغطه:

- لا تقولي حبيبي لغيري! قبل ان اقطع لسانك!

اومأت له برأسها بخوف من هيئته المرعبة.. وحاولت الإبتعاد عنه الا انه احكم قبضته عليها وقربها اليه بتملك سافر.. وزجر بصوت صارم مشتعل لعماد الذي يبدو فعلا كالأبله:

- حاول قدر الإمكان ان تبقى بعيدا عنها والا لن اتردد في ادخالك مرة اخرى الى المشفى صدقني!

ابتلع عماد ريقه بخوف من كلامه الذي لا يحمل اي نوع من المزاح.. لا يريد ان يجرب مرة اخرى غضبه وعنفه.. فهو يحمد الله انه خرج سليما تلك المرة بعد ان تلقى اقوى ضربا قد يتلقاه في حياته.. وتمتم بنزق:

- كما تريد.

جذب لين معه نحو الجالسين واجلسها بجانبه دون ان يفسح لها المجال للإعتراض او أن تسلم على اي من الجالسين..

فشعرت بخجل وخزي شديد يكتسيها بسبب افعال ريس المتملكة والمتحكمة حتى امام والدها وجدها!

اردف ايمن بإبتسامة جميلة للين المطرقة رأسها بتوتر.. وتفرك اناملها بقوة:

- الن تسلّمين على جدك يا ابنتي؟

ازداد شعورها بالخجل والخزي.. ماذا تفعل؟ لا تريد ان تفشل جدها ولا تريد اغضاب زوجها والا سيصب جم غضبه عليها.. رفعت لؤلؤتي عيناها نحوه وكأنها تسأله ما يتوجب ان تفعل.. فغمّض عيناه بضيق جلي.. لا يحب ان يلمسها غيره.. لما لا يفهمون انها له وحده.. لا يحق لأحد حتى النظر اليها.. هو فقط من يحق له.. لعن بداخله الاف المرات على افتعال هذه العزومة الذي يشك انها ستنتهي بقتل احد ما..

ازداد اضطرابها وهي تنتظر ردا منه.. لما لا تقوم وتعصيه الان؟! ما الذي يمنعها؟! ما الذي يقف رادعا امام حريتها؟!

ربما انه الحب.. وربما هو خوفها من غضبه.. وربما لا تريد ان تعصيه حتى لا تغضب الله!

لكن هو تجاوز الحدود.. ان كل ما يأمرها به غير منطقي ابدا! هذه ليست غيرة الذي يقوم بها! انه تسلط وتملك!! وكأنها ماسة ثمينة يخاف ان تسرق وتنهب منه!

فتح عيناه العسلية وهز رأسه موافقا بأن تسلم على جدها.. فنظفت حنجرتها وانتصبت واقفة.. وما ان ارادت ان تتابع سيرها اوقفها بقبضته وهو ينهض ليتجه برفقتها نحو جدهما..

قبلّت لين يد جدها باحترام وحب.. فوضع ايمن يده على رأسها وهمس:

- مبارك لك الحجاب يا ابنتي.. يليق بك كثيرا.. عسى ان يزداد ويقوى ايمانك اكثر يا نبض جدك.

ارتسمت على شفتيها ابتسامة لطيفة تأسر من يراها بجمالها.. وردت متجاهلة النمر الذي يشتعل بجانبها:

- فليديمك الله يا جدي.

اتى صوت والدها الجالس بجانب جدها:

- وماذا عني؟! الن تسلم علي ابنتي؟!

اتسعت ابتسامتها ودون شعور ارتمت بحضنه.. ترتوي حنانه من حضنه الدافئ الذي تشتاق اليه بشدة.. فقهقه ادم عاليا ومرر يداه على ظهرها بحب.. بينما ايمن يحاول كتم ضحكته على منظر ريس الذي الغيرة واضحة بعينيه مثل الضوء.. ولكن لا ينكر شعوره ببعض القلق على لين من غيرته المفرطة.. ماذا لو اذاها يوما بسبب غيرته؟! ماذا لو تحولت هذه الغيرة الى شك؟! تملكه الشديد نحوها مثير للقلق والخوف.. فلين ببعض الأحيان طائشة وخاصة حينما تعزم على فعل امر ما او حينما تغضب.. وهذا ما يخشاه..

لم يستطع تمالك نفسه اكثر وهو يراها في احضان غيره.. فجذبها من حضن والدها بقوة، وعيناه تشتعل بوميض غريب لا يدركه احدا غير لين..

شعرت بالذعر يتسلل الى قلبها.. كيف نسيت؟! انها غبية حقا! لا بد ان حسابها سيكون عسيرا بعد انتهاء هذه العزومة اللعينة..

دمدمت بخوف وتلعثم بجانب اذنه:

- ريس انا اسفة! لقد.. لقد نسيت اقسم!

همس بوجهها بصوت همجي وحشي:

- لا تتكلمي.. ادعي ان تنتهي هذه المهزلة بسلام وبعدها سيكون لكل امرٍ فعل!

سلمت على والدتها وزوجة عمها بتشويش.. وذهبت بخطوات مرتجفة متعثرة لتجلس برفقة عدن وشام.. وحاولت ان تبقى قدر الإمكان بعيدة عن الرجال.. حتى جود مرت من جانبه ولم تلقي نظرة عليه مما جعله يفغر فمه كالأبله بإندهاش..

قهقهت الفتاتان وهما تنظران الى لين التي ترتجف بخوف.. فألقت عليهما نظرة حارقة لتكتما ضحكتهما بصعوبة..

دعت ان تمر هذه الليلة بسلام وان لا تفعل امرا غبيا اخرا..

هتفت عدن بعبث ومكر لتزيد من حدة الذعر التي تعيشها لين بينها وبين عقلها القلق:

- غيرة اخي قوية جدا.. اليس كذلك يا شام؟! لا بد من ان هذا اخر يوم في حياة لين.. بالفعل خائفة عليها.. ماذا لو..

قاطعتها لين بغيظ وسخط وهي تضربها بخفة على كتفها:

- اخرسي قبل ان اقتلك.. هذا الذي ينقصني الان! عدن وتفاهتها..

مطت عدن فمها بسخط وهتفت بنزق وغل:

- اتمنى ان تتلقي عقابا شديدا يا لين من ريس لأنك نعتينني بالتافهة.

قهقت شام عليهما.. ومن ثم نظرت نحو مدخل الحديقة وهتفت:

- انظرا.. من هذان الشابين اللذان يتقدمان نحونا؟!

لم تتجرأ لين على رفع نظرها خشية ان يراها ريس.. اما عدن رفعت رأسها سريعا وفغرت فمها بذهول وهي ترى اكثر وابغض انسان تعرفت عليه طوال حياتها.. الشخص الذي تكره وتحقد.. ومن غيره؟ ليس سوى المحاضر الذي يعلمها في الجامعة، "اوس"!

توسعت عيناها اكثر عندما رأت ريس يعانقه هو وذاك الأخر الذي برفقته.. ما علاقته بريس ولما هو هنا اساسا؟!

اما هو القى نظرة متغطرسة نحوها، وابتسم بتهكم على شكل وجهها المصدوم.. تبدو كالبلهاء حقا! ثم ضيق بعينيه مركزا بهيئتها الجديدة فنالت على اعجابه بلباسها المحتشم وحجابها الملتف حول وجهها، ساترا شعرها المخملي الذي احب رؤيته سابقا.. وراقت له نظراتها الشرسة التي تخترقه وكأنها تريد ان تنقض عليه كالقط المفترس..

جلس بجانب ريس الذي كان ينظر الى زوجته بفظاظة امام الجميع، غير عابئا بأحد سواها.. عيناه تلاحقها

كالصقر، تتفرس بتوحش كل حركة تصدرها مما سبب لها الشعور بعدم الراحة والضيق الشديد منه..

حدقت شام بالفتاتين الجالستان برفقتها.. واحدة مرتبكة واثار الخوف والإرتباك جالية بوضوح على وجهها بسبب مراقبة زوجها لها.. والأخرى عاقدة حاجبيها بضيق وترسل نظرات عنيفة ثائرة نحو الشاب الذي لتوه دخل..

فغمغمت بضيق:

- ما بكما انتما الإثنتان؟! اشعر انني اجلس مع فتاتين غير طبيعيات.. عودا الى رشدكما.. وانت يا لين اخرجي من دوامة ذعرك الغبية من زوجك.. لن يفعل لك شيئا فهو يحبك وهذا ظاهر في عيناه وافعاله.. وانت يا عدن كفي عن التحديق بذاك الشاب بهذه الطريقة الوحشية.. ما هذا؟!

ختمت كلامها وهي تتأفف بحنق مما ايقظهما واعادهما الى رشدهما بعض الشيء..

هدرت لين من بين شفتيها بنزق:

- سيدة شام اعيرينيا بسكوتك.. هذا افضل لك.. ثم اجل، لا تنظري مجددا الى زوجي قبل ان اقلع عيناك من مكانهما.. زوجي خط احمر!!!

قهقهت شام وعدن التي استدركت نفسها بصوت لين الحانق.. واردفت بتعجرف:

- اتمنى لو يراك ريس تقولين هذا عنه.. سيفرح كثيرا كثيرا.. سأخبره انا!

ارادت لين ان تصيح بها وتضربها على اثارة غضبها وحنقها.. وعلى استفزازها الدائم.. لكن الذي يمنعها فقط وجود ريس المراقب لها.. فعضت على شفتيها وهي تزمجر من بين شفتيها بسخط وبوعيد:

- حسابك لاحقا يا عدن!.. لسانك هذا سأعمل على ان يجد له ريس حلا صدقيني! ولو تجرأت وتفوهت بكلمة واحدة سترين ما الذي سأفعله.

قهقهت الفتاتان مرة اخرى بصوت عال مما جعل الأنظار تنجرف لتتركز صوبهن..

فأخفضت لين رأسها سريعا ولم ترفعه.. اما ريس بعد ان تأكد من هيئة لين، نظر الى عدن بغضب حارق بسبب صوت ضحكتها العال.. فأخفضت هي الأخرى عيناها بخوف من نظراته..

كان اوس ينظر لعدن بإستمتاع، واعجب برنين ضحكتها الناعم.. ولكنه كره ان الجميع سمعه فإحتدت عيناه ونظر الى ريس الذي اعطاها نظرة قوية جعلتها تخفض رأسها.. فإبتسم بداخله لأن يوجد ما تخافه هذه القطة الشرسة..

كانت لين تنظف بقايا الفوضى التي احدثتها هذه العزومة.. غافلة تماما عن توعد ريس لها.. وبدأت تدمدم بشفتيها الحان ناعمة وهادئة تليق بها..

بعد ان ودّع الجميع في موقف السيارات الخاص بمنزله..
عاد ادراجه الى الحديقة..

وقف بعيدا قليلا وهو يستمع الى صوتها الناعم الرقيق
الذي يلّحن بإحترافية اخترقت لبّه.. وبدون شعور اقترب
منها وهمس بهيام:

- صوتك عذب.. يعزف على اوتار قلبي الحان واناشيد
العشق.

ابتسمت بخجل من كلامه الذي اسرها.. والتفتت اليه
مغمغمة برقتها المعهودة:

- ليس لتلك الدرجة! انت مثل ابي دوما يخبرني ان صوتي
جميل ويسحره.

عاد الوجوم يكتسي ملامحه الرجولية.. وفورا تذكر
معانقتها لوالدها ومخالفتها لأوامره.. والان زادت بكلامها
هذا ذرات غضبه التي تتفاقم بداخله بسرعة رهيبة..

لعنت لسانها بداخلها على حماقتها.. وارادت ان تبتعد قليلا
لتحمي نفسها من وكر سخطه ونزقه.. الا انه فاجئها

بسرعته حينما اطبق على كتفيها براحتيه الحديديتين.. وهدر بعنف ارهبها:

- لماذا عصيت ما اخبرتك به؟ لماذا تُصرّين على اثارة غضبي؟!

تململت بين قبضتيه بألم وهمست بإرتجاف:

- اا.. انا اقسم لك لقد نسيت! فقط من توقي وشوقي لوالدي ع..

اطلقت صرخة قوية عندما غزر اظافره بلحم كتفيها مما جعل الدموع تتراكم في عينيها.. فنظرت له نظرة المته.. نظرة طفولية بريئة.. نظرة مفعمة بالأسى والألم..

فنفض قبضتيه عنها وصاح عاليا:

- لما لا تفهمي انني اغار عليك؟! لماذا؟!

هتفت ببكاء واسى على ما الت اليه حالها.. فحتى والدها لا تستطيع ان تشعر به كما يجب!

- لكن يا ريس غيرتك هذه تسبب لي الكثير من الحزن والوجع.. انت تحرمني من حضن والدي! والدي الذي رباني.. هل تظن ان هذا عدلا؟! انت لا تتعامل معي غير على انني شيئا ملكك، ولست انسانة يحق لها الحياة والحرية كمثل غيرها.

غامت عيناه بسواد قاتم وهتف بتملك:

- اجل انت ملكي! ولي وحدي!.. ولكنني احبك اضافة الى كل ما قلتيه.. صحيح انني اريدك لي وحدي، لكنني اعشقك يا لين! انا اتنفسك افهمي! سأكون والدك وشقيقك وزوجك وحبيبك وابنك وجدك.. وكل ما تريدين.. لكن انا فقط! فقط انا!

الفصل الثاني عشر

لا زلتُ اطمع في المزيد والمزيد..

لا اشبع مهما ارتويتُ من ينبوع حبكِ..

فماذا افعل اذ كان قلبي اناني!

وماذا افعل اذ كنت اذوب في هواكِ!

انت كَمَانتِي التي اعشق العزف عليها..

اعزف عليها بكل حب وكل رقة..

اعزف عليها الحاني العذبة والهائمة..

انت يا حبيبتي يا شمسي ويا قمري..

وانت يا كنزي يا ماستي ويا لؤلؤتي..

لا زلتُ وسأزال اطمع بحبكِ يا مليكتي..

غامت عيناه بسواد قاتم وهتف بتملك:

- اجل انت ملكي! ولي وحدي!.. ولكنني احبك اضافة الى كل ما قلتيه.. صحيح انني اريدك لي وحدي، لكنني اعشقك يا لين! انا اتنفسك افهمي! سأكون والدك وشقيقك وزوجك وحبيبك وابنك وجدك.. وكل ما تريدين.. لكن انا فقط! فقط انا!

ابتعدت بخطوات متعثرة.. حاولت استيعاب ما يهتف به.. حاولت استشعار ان كل ما يفعله حب وليس تملك.. لكن عقلها وكبريائها يرفضان الرضوخ.. يرفضان العيش بمثل هذا التحكم وهذا التسلط..

شمخت برأسها وارسلت له بعينيها اللتان تذرفان الدموع كمجرى النهر ان هذا ليس صحيح!.. كل ما يقوله غير منطقي، ولن يكون اطلاقا..

تقبّل نظراتها بإنصياع غريب عليه.. حدق بعيياها الفضية الباكيتين ليشعر بغصة مريرة تستحكم حلقه..

همست من بين شفتيها المنفرجتين بأسى:

- ريس انت لا تحبني! انت فقط تريد تملكي.. ما هو دليلك ان كل ما تقوم به عشق وليس تملك؟! لو كنت فعلا تحبني لن تحرمني من اسرتي التي تعبت لأجلي والتي ربتني لأصبح ما انا عليه الان.. قد اتقبل اي شيء تأمرني به الا ان تمنعني من دفئ عائلتي.. اتعلم ما هو الحب اساسا؟!.. الحب هو ان تسعى لسعادة شريكك وحبيبك وان تحاول ان تتقاسمها معه.. ان تشعر بالفرح لرؤية فرحه.. ولا ان يكون لك كل شيء.. لا ان تكون السعادة لك لوحدك على حساب تعاسته.. لكن..
لكنك لن تفهم، لأن مفهوم الحب عندك له تيار خاص بك لوحدك!

حرك رأسه بإستنكار رافضا بشكل قاطع كل ما تقوله.. الا ان رزانته استحوذت هذه المرة علي غيرته التي تسبب الكثير من الأحزان والأوجاع لمحبوبة قلبه..
وكيف لا وهو يرى الحزن ينضج بعينيها؟ وكيف لا وهو يرى دموعها تنساب كمطر غزير ينزل من السماء؟

شعر بتلك الغصة تخنقه اكثر حتى ضاق صدره.. هو لا يريد اذيتها.. انه يحبها ويعشقها! وكل ما تتهمه به ليس الا باطل نسبة لغريزته الرجولية..

اقترب منها بقلب خاشع لها.. بقلب يضج محبة وولع لعينيها التي تحدث بفؤاده الويلات.. وامسك بيدها برقة شديدة ووضعها على جانب صدره الأيسر.. الى حيث يدق بقوة وبصخب.. لها وحدها! وهمس بوله:

- استمعي الى دقات قلبي يا لين وستعرفين اذ كان تملك ام حب.. ربما انا اؤذيك دون ان ادرك ولكنني يا حبيبة قلبي احبك وسأبقى احبك حتى تخرج روحي من جسدي.

ثم صمت ونظر الى وجهها المنكمش المتصلب.. فأضاف بحزن:

- انا اسف يا لين.. اعتذر على غيرتي التي تؤذيك دون قصد.. انا سأحاول.. اعدك انني سأحاول تخفيف حدة غيرتي عليك.. سأحاول جعلها مقبولة نوعا ما.. لكن

امهليني الوقت ولا تحزني.. فحزنك يمس نخاعي..
دمعتك تحرق كل ذرة رجولة بجسدي.

رفعت له عينان غائمتين من الكلام العاصف الذي هوى بقلبها.. بينما احتلت ابتسامة راضية شفتيها.. كلامه تغلغل الى اعماقها، وجعلها تتغاضى عن ما يفعله بها دون قصد كما قال.. هي تريده ان يبقى يغار عليها! وكيف لا وهو يشعرها بأنها ماسة نادرة؟ كيف لا وهو يجعل انوثتها ترفرف في الرياح؟ لكن هي فقط تريده ان يخفف من حدة غيرته لكي لا يحدث مشاكل بينهما.. كي تتمكن من التنفس بحرية كما يجب..

ودون شعور ارتفعت ذراعيها لتقربه الى حضنها.. هامسة من بين شفتيها ببراءة انهكت روحه:

- لقد وعدتني انك ستخفف غيرتك.. وانا لدي الحل لذلك.

ارتفع حاجبه الأيمن بتهكم.. لديها حل ولغيرته! لن يكون هناك حلا ابدا.. هتف بحنق من براءتها التي

يعشقها والتي تجعله غير مدرك لما حوله، لتسيطر هي وحدها عليه دون اي مجهود:

- ما هو الحل يا زوجتي المصون؟!

همست بروح طفولية مليئة بالشقاوة والبراءة وهي تمسح دموعها بأناملها برقة تلين الحجارة:

- بما انك تغار حينما تراني اعانق ابي وكذلك اخوتي، اذا من الأفضل ان لا تكون معي حينما افعل.. او بإمكانك ان تستدير وتعطينا ظهرك.. او ان تلهي نفسك بأمر اخر حتى تتحكم بغيرتك القوية.. فأنا لا يوجد لدي اي رجل لأعانقه وانعم بدفئه سوى حضنهم.. حضن عائلتي.

ارتفعت زاوية فمه بتهكم وسخرية من افكارها الطفولية.. ودفن رأسه في عنقها مستنشقا رائحتها العذبة.. ودمدم بخشونة بعد ان استشعر دقات قلبها الصاخبة:

- افكارك غبية حبيبتي، لن تساعدني ابدا.. ومن ثم كيف لا يكون لديك حضن غيرهم، ماذا عني؟! الا ترينني الرجل الذي يقدر على منحك كل ما تحتاجينه؟! الا ترينني مصدر امانك وملاذك؟؟

ابتعدت عنه وجسدها ينتفض من حركاته ومن نبرة صوته التي تشعرها انها مع رجل حقيقي.. رجل بكل معنى الكلمة.. ثم غمغمت بتلعثم:

- لا يا حبيبي انا اراك افضل رجل بالعالم.. وانت لا تُقارن مع اي رجل لأنني احبك! ولكن بالرغم من وجودك بجانبي وكل ما تمنحني اياه، انا بحاجة الى حضن عائلي.. بحاجة الى والدي.. لا استطيع التخلي عن عائلتي ابدا.. تخيل يا ريس انني امنعك عن عائلتك، هل تقبل؟!

- طبعا لا!

هتف بقوة لتبتسم بعزم وانتصار لأنها وصلت لمبتغاها..

- اذا كيف تريد مني ان اقبل؟.. هم عائلتي.. ولا احد يستطيع التخلي عن عائلته.. فالتفهمني حبيبي.

تنهد عاليا وهو يدرك صحة واهمية كلامها.. عليه ان يحاول من اجلها.. لأنها تعاني وتتألم من غيرته.. انه يعذبها بأفعاله دون ارادته..

رفع رأسه للسماء الغائمة ونجومها الدافئة.. فشعر ان استمر بما يفعله ستصبح زوجته بعيدة عنه كبعد هذه النجوم عنه.. وهو لا يريد الا قربها.. يريد رضاءها.. يريدها بكامل ارادتها وحبها وعشقها وليس خوفا منه..

حدق بعينيها نظرة اربكتها وجعلتها تتنحنح.. فهمس بصوت جاد خالٍ من اي شيء اخر سوى العشق:

- لين انا سأتغير لأجلك ولأجل رباط الحب الذي يجمعنا.. ولكن لا تفكري انني لن اغار عليك بعد الان.. سأبقى اغار واغار حتى اخر نفس في عمري.. لكنني سأخففها فقط لأنني اريد ذلك وفقط لأجلك، ولأجل حزنك الذي لا اتمكن من رؤيته سأتحكم بنفسي مع عائلتك.. اما بشيء اخر لا يا حبيبتي.. لن يحدث.. اشكري اللّه

انني سأخففها معهم رغما عني.. ولكن لن يتغير شيء غيره.

لا تعرف هل تشعر بالغيظ والسخط من كلامه ام تشعر بالبهجة والسعادة.. قال انه سيحاول.. اذا ستقف معه وستساعده على ذلك.. هذا الغيور المتملك الذي تعشقه يغار وسيبقى يغار لكنه سيتحكم بغيرته القوية لأجلها.. الرضا اكتسى ملامح وجهها الأحمر القمحوي.. وعيناها الرمادية لمعت حتى باتت تشابه النجوم اللامعة في السماء المظلمة..

- حسنا يا زوجي الغالي اشكرك على تفهمك.. والان دعني اكمل توضيب هذه الفوضة العائمة.

ابتسم وهو يستشعر الحنق في نبرة صوتها.. فهتف بتلاعب وعبث:

- امم.. ما رأيك ان اساعدك؟

تمتمت بنزق احبَه ريس:

- لا.. اخشى ان تزيد هذه الفوضى بدلا من تخفيفها.. فقط انتظر قليلا.

- لا اريد.. لما لا تجربيني؟ صدقيني سأفعل كما يجب.

همس ببشاشة وشقاوة فتحشرجت انفاسها من تأثير تلاعبه في الكلام عليها.. واتسعت ابتسامتها رغما عنها وهي تتوسم في بشاشة وجهه.. وردت عليه بحب وتحدي:

- اذا لنرى موهبتك الجديدة.. واياك يا ريس ان تزيد من الطين بلة، عندها لن اتركك الا حيثما تنتهي من التنظيف لوحدك.

قهقه عاليا وهو يجذبها الى صدره رادفًا:

- ليس ريس الجايد من يُهدد يا حبيبتي!

رفعت نظراتها المتهكمة اليه وهمست:

- ولا تنسى من اكون انا.. فإذا انت ابن الجايد.. انا ابنة وزوجة الجايد!

ارتفع حاجبه الأيسر بإعجاب وتفاجؤ، وهتف بضحك:

- اعجبتيني صراحة.

ابتسمت بغرور وعلّقت بثقة:

- دوما افعل.. والان هيا لننتهي من هذا الهم، لأنني اريد النوم.

بدأا في التنظيف والتوضيب، بينما هي تكاد تمسك ضحكتها وهو يُجرِّد الأوساخ.. رأته وهو يتأفف بحنق وضيق فإقتربت منه وهمست بإبتسامة ناعمة:

- دعني اساعدك.

ترك ما في يده وقال بعبث ومكر:

- لنفعل ذلك معا.

ثم سرعان ما امسك بيدها ووضعها على عصا المكنسة لينظفا معا.. تمايلت مع خطواته.. كان يحركها حيثما يريد بيده المثبتة على يدها بإحكام..

شعرت بدقات قلبها وصلت لعنان السماء.. بينما هو يستنشق رائحتها المخدرة.. وينعم بدفئها وقربها..

اخيرا بعد نصف ساعة كانت الحديقة كما هي.. نظيفة ومرتبة.. فقفزت لين كالأطفال هاتفة بإنفعال مرتاح:

- اخيرا انتهينا.

قهقه ريس وهمس بغرور:

- لأنني ساعدتك فقط.

اقتربت منه بدلال كاد ان يودي بلبّه من فرط المشاعر التي هاجمته.. وامسكته من قميصه الأبيض بخفة، تتلاعب بأزراره.. وهمست بتغنج:

- يعطيك العافية يا روحي.. ستساعدني دائما اليس كذلك ريسي؟!

- ريسي!

همس بإستنكار واستغراب بينما انفاسه بالكاد تخرج من صدره من دلعها الغير معتاد عليه.. فالتمعت الشقاوة بعينيها وغمغمت بهيام:

- اجل ريسي.. اميري لوحدي!

ابتسم برضى وشعر بالغرور يسير في اوردته.. كلامها ارضى رجولته.. ارضى لوعة عشقه لها.. هكذا يحبها ان تكون.. ان يكون لها لوحدها وتكون له وحده دون شك.. وهمس بجوار اذنها بنبرة مفعمة بالمشاعر الجياشة لتشعر بخيوط من القشعريرة تنتشر في اوصال جسدها:

- احبك يا دنيتي.

****

الرياح ترتطم بالنوافذ من كل مكان، مصدرة اصواتا مزعجة مليئة بالصخب والضوضاء.. الطقس يشتد برودة وكأنه يجاهد لخمد النيران اللاهبة والمتهدجة في وجدان البعض..

تمدد على السرير وتدثر بالملاءة، وعقله مشغولا بشيء واحد.. بشخص واحد.. وبتصرفات شخص واحد..

يفكر بعينيها السماوية التي تبعث له نظرات شرسة وغاضبة وكأنها قطة تخرمش بأظافيرها الرقيقة.. وكم

يعشقها!.. وكم يعشق نظراتها المشحونة بالحنق والسخط..

تألقت عيناه السوداوتين بوميض بارق.. وبدأ بتذكر شعرها الأشقر الذي رأه قبل ان تخفيه بحجابها.. لا ينكر انها تبدو في غاية الجمال بالحجاب.. ولكنه يعيق رؤيته لشعرها الذي يفتنه.. الذي يرغب بكل قوة دفن رأسه به وملامسة نعومته بأصابعه..

الا انه اصر ان هذا افضل بكثير. فهي سترضي اللّه وستخفي جمالها واغراءاتها لشخص واحد.. ولن يكون غيره! ابدا! فقبلا عيون الرجال غيره كانت ترى مفاتنها.. كانت ترى جمالها الذي يسحره.. وهو يكره ذلك.. يكرهه كثيرا!

نام وكل خلية في جسده تفكر بها.. تفكر بعدنه.. جنته في الحياة الدنيا..

****

جلست ترنيم امامه على الطاولة.. وهمست بنعومة:

- حبيبي الن تأتي لتنام؟

رفع نظره اليها، يمعن النظر في جمالها الذي مهما كبرت يبقى مثلما هو.. جمالها غريب وكأنها تبقى شابة طوال حياتها.. بشرتها البيضاء، قدها الرشيق، شعرها الأشقر وعيناها العسلية..

اجاب بثقل:

- سآتي يا حبيبة وزوجة مجد.. هيا انهضي.

سارت برفقته وهي تتأبط بذراعه فناداها بهمس خفيض، لتجيل ببصرها نحوه.. فغمغم بعد ان طرد تفكيره المنصوب بها وحدها:

- علينا ان نسرع قبل ان يصبح كل ما نسعى اليه مكشوفا.. اريد الإستحواذ على الثروة بأقل وقت ممكن! هل تدركين اهمية الأمر ترنيم؟!

- انا اعمل بجهد يا مجد.. فقط علينا الإنتظار لتفكيك الرباط الاسري القوي بين هذه العائلة الخرقاء.. وعندها لكل امر وقته اللازم.

سأل بتوجس، خاشيا ان تتغير ريثما يتعلق الأمر بأولادها:

- حتى ستدمرين سعادة اولادك؟!

شعرت بالجفاف يغمر حلقها.. اولادها! منذ مدة طويلة لم تسمع احد يخبرها بأن لديها

اطفال.. هل هؤلاء هم الذين تركتهم ايتام دون ان تنعم عليهم بحضن الأمومة؟! هل هؤلاء اولاد زوجها الذي خانته مع قريبه والذي هو الان زوجها؟!

نفضت هذه الأفكار بعيدا.. لا ولن يهمها احد سوى سعادتها هي.. ستحصل على الثروة وعلى المكانة المرموقة التي تناسبها.. وبالإضافة الى ذلك برفقتها حبيبها وشريكها بكل شيء.. وهذا يكفي لا تريد اي طفل ولا غيره من الروابط العائلية السخيفة..

همست ببرود وكأن من يتحدث عنهم لا يمت لها بصلة:

- ليس لدي اولاد، لا تنسى ذلك يا مجد! اولاد ذاك ليسوا اولادي!

التوى فمه بزاوية جانبية مليئة بالسخرية والتكبر،واردف بتلاعب بعد ان اطمئن قليلا من هذه الناحية:

- هذه هي ترنيمتي، حبيبتي، زوجتي، لي وحدي.. دون اطفال ودون غيره!!

****

كانت تسير برفقة صديقتها ديم في ممرات الجامعة عندما رأت طيفه.. فتصاعد الحنق بداخلها من نظراته الواثبة المُثبّتة عليها بغرور اغاظها..

عبرت من امامه وكأنها لا تراه.. بينما هو شعر برائحتها الممزوجة بالعسل والخوخ تلفح انفه.. فحاول استنشاق اكبر قدر ممكن من رائحتها التي لا يوجد لها مثيل..

دخلت الى القاعة وجلست على اخر مقعد هي وصديقتها، بما ان هذا البغيض هو الذي سيلقي المحاضرة المملة الان..

همست ديم بحيرة:

- لماذا كنتِ تنظرين الى البروفيسور اوس بهذه الطريقة؟

- لأنني اكرهه! ولا تأتي بسيرته امامي، هذا المتعجرف المغرور.

هتفت بوحشية افزعت ديم وجعلتها تبتلع ريقها بصعوبة من نظراتها الشيطانية..

- حسنا حسنا اهدأي.. ما بك؟! انظري ها هو يدخل.

اشاحت بعينيها بحقد ولم تلقي نظرة واحدة عليه مما اشعره بالغيظ الشديد من تصرفاتها الهمجية نحوه.. فقرر معاقبتها بالطريقة التي تكرهها.. ثم هتف عاليا بصوت جاد، عكس المرح والإستمتاع الذي بداخله:

- عدن.. انهضي واجلسي على اول مقعد.. هنا امامي... انهى كلامه وهو يشير نحو طاولة قريبة جدا عليه.. مما جعلها ترمي اليه نظرات عديدة مليئة بالغضب والسخط.. وكادت ان ترفض لولا العيون المتعجبة التي تناظرهما بفضول.. فنهضت وهي عازمة على تلقينه درسا لا ينسى.. ونعتته وشتمته بداخلها بأقبح الكلمات الطفولية..

ابتسم بإنتصار وهو يرى نظراتها المتعجرفة المليئة بالسخط والحنق.. ولو كانت النظرات تقتل لقتلته نظراتها الشرسة.. تبدو كقطة برية ستهجم عليه بتوحش فائق..

فأضاف بجدية تامة، بينما بداخله يشعر بالإنتعاش والفكاهة الواسعتين:

- منذ الان بجميع محاضراتي لن تجلسي غير بهذا المكان.. حسنا؟!

اتسعت عيناها من امره الغبي، وقررت تجاهله قبل ان تنهض وتزيل نظرات الغرور والثقة الزائدة من عيناه المظلمة باقتلاعها لهما..

****

كانت لين وشام مركزتين بكل جهد بكلام البروفيسورة ليال، التي ارهقتهما بالمعلومات والوظائف والفروض التي اعطتهما اياها.. بينما مساعدتها غرام كانت تنظر لهما بإبتسامة واسعة من تأففهما وارهاقهما

الواضح.. وكأن عقلهما لم يعد بإمكانه استيعاب المزيد من هول الدروس..

همست لين بتوجس وكأنها طالبة في المدرسة الإعدادية:

- بروفيسورة ليال هل يمكننا ان نأكل؟ انا جائعة جدا.. ارجوكِ امنحينا استراحة صغيرة.

ايّدتها شام بلهفة، هاتفة بإنفعال:

- وانا ايضا جائعة اكثر واحدة.. ارجوك منذ الصباح ونحن نتعلم، لم يعد بإمكاني التركيز اكثر اذ لم اكل.. انتِ لا تعرفين من هي شام حين تشعر بالجوع.. وايضا انظري الى وجهك.. انا ارى الإرهاق واضح بعينيكِ.. وكذلك غرام المسكينة اشعر بأن معدتها تزقزق من كثرة الجوع.. اليس كذلك لين؟

- اجل اجل، طبعا.. انظري الى عيناهما.. وانا لا استطيع، ولن اقبل ان يكون احد في منزلي جائع ولا اطعمه.. هذا

ليس من عوائدي ابدا! ولا اقبله، كما زوجي ريس لن يقبله.. وبالإضافة الى ذلك نحن لسنا في مجاعة.

هتفت البروفيسورة بصرامة وهي تكتم ضحكتها على كلامهما:

- هذا يكفي يا فتيات لا تحاولا اللعب والعبث معي، لن اقبل بمثل هذا الامر، والا سأضيف الواجبات التي اعطيتكما اياها.

شهقت شام بذعر وصاحت سريعا:

- لا لا.. هل تريدينني ان اموت؟ ارحمينا.

بينما لين نهضت من مكانها، وسارت نحوها بحذر ومن ثم وضعت يدها على كتفها هامسة بوجه طفولي حزين ممزوج بالشقاوة:

- انا سأترك لك حرية الإختيار بروفيسورتي الغالية.. وسأرى جانبك الإنساني الحنون اذ كنت تقبلين ان نبقى جائعات.. انا اراك بمكانة امي وانتِ هكذا تعذبينني دون شفقة.. دون ان تأبهي ان معدتي تكاد تنفجر من

زقزقتها المؤلمة.. هل تقبلين ان تموت ابنتك من الجوع؟!
اذا كنت تقبلين هذا الشيء، سأنهي كلامي ولن انبث ببث شفة بعد الان!

فغرت فاهِها من مكرهما، وهزّت رأسها بإنبهار من هاتان الطفلتين الشقيتين واردفت:

- لقد جعلتماني اسوأ ما في الكون.. هيا.. هيا انهضا لتأكلا قبل ان يعلم السيد ريس بأنني اعذبكما ويقيلني من عملي.

قفزت لين وشام صارخات وارتمتا في حضنها مقهقهتين مما جعلهما هما الأخيرتين يضحكان بكل قوة على مرحهما اللذيذ..

وعندما كانوا يأكلن جميعا بنهم، وكأنهن لم يروا الطعام منذ فترة طويلة طُرق الباب.. فتأففت لين بضجر من الطارق ووضعت طرحتها لتغطي شعرها هامسة بسخط:

- سأرى من هذا الوقح الذي يقاطعني وانا اكل.. استمروا في اكلكن حتى اتي.

قهقهن عليها وهي تسير بسرعة لتوقف صوت الجرس المزعج..

فتحت الباب وتفاجأت بجود يقف امامها.. فإرتمت سريعا بحضنه هاتفة ببهجة لرؤيته:

- جود.. ادخل اخي.

ابتسم ومرر يده على ظهرها برفق.. وغمغم بحنو:

- لا حبيبتي.. لا اريد مقاطعتكن، انا اسمع صوت الضجيج من هنا.. ولا بد انك تتعلمين الان.. وانا جئت لأوصل لك طعامك المفضل حسب رغبة امي..

هل تصدقين لم تنفك ان تتوقف عن البكاء وهي تطهيها وتقول هذه طبخة لين المفضلة، واذ لم تأكلها لن ارتاح حتى جعلتني اوصله لك.

قهقهت لين وهمست بحب:

- هذه هي امي حياتي.. اعطيني اعطيني الطعام، اكاد اموت جوعا.ناولها ما في يده والإبتسامة الحانية لم تفارق وجهه قط..

- ادخل واجلس قليلا، ليس من اللائق ان تبقى في الخارج...قبّلها من جبينها بحب اخوي.. وهمس:

- مرة اخرى حبيبتي.. ليس الان.

كان في طريقه الى المنزل يقود سيارته السوداء الداكنة بنفسه، وتتبعه سيارتين من حراسه الشخصيين..

التفكير والتخطيط يقتلانه.. عليه ان يجد حلاً للمصائب التي تتراكم فوق رأسه.. عليه ان يحمي الجميع.. ان يحمي شركته.. ان يحمي زوجته وشقيقته.. يكاد يشعر ان راسه سينفجر.. عرف مكانها.. عرف اين ترقد هي وذاك الوسخ الذي معها.. انهما في البلدة..

التي تدعى والدته مجرد بالأسم لا يفصله عنها سوى القليل من الأمتار والمسافات..مشاعر متناقضة تجوس وتحوم في داخله.. ابية ان ترحمه! من ناحية يرغب في رؤيتها.. يرغب في رؤية امه التي كان يحلم برؤيتها طوال السنوات الماضية.. ولكن من ناحية اخرى يرغب في ان يقسو عليها، وينتقم منها على ما فعلته بوالده وبهم..

لا يزال يذكر بكاء عدن الصغيرة وهي بحاجة الى حضن وملاذ يضمها.. تبكي احتياجها الى ام.. والى اب.. تحمّل مسؤولية اكبر بكثير من عمره وهو ينعمها هي واخوه جواد بحنانه ليشعرهما بالأمان.. بينما هو يموت الاف المرات ويبكي ليال طويلة لوحده.. الأرق والخوف كانا يستحوذانه من رأسه الى اخمص قدميه وهو يفتقد والديه..

أغمّض عيناه بألم.. ماذا يفعل؟! من سيخفف عنه؟! من سيخفف عنه كهل السنوات الطويلة التي عانها لوحده؟؟ لولا وجود جده في حياته كان سيضيع.. كان سيتشرد هو واخوته.. لا يعرف ماذا يفعل وكيف يتعامل ويتصرف معهما!لذلك هو يعتبر جده والده.. يحترمه ويقدره ويحبه لأقصى حد..

ركن سيارته حينما وصل، ثم خرج من سيارته بثقل وتوجه نحو رجاله هاتفًا بجدية:

- منذ الان اثنين منكم لن يغادرا هذا المكان.. ستبقيان تحرسانه الى ان اخبركما بالإنصراف.

انحنى له رجاله بإحترام.. ثم قال رجلين بإنصياع:

- سنفعل نحن سيدي.

اومأ لهما ثم وتوجه الى حيث ترقد ملاكه.. الى حيث راحته.. امانه وروحه..

كانت هي واقفة بجانب النافذة ريثما سمعت صوت سيارات تقبل من بعيد..

فنزلت بخطوات عاجلة ورأته يفتح الباب.. فسارعت نحوه تعانقه بإشتياق وحب هامسة:

- اشتقت لك ريسي.. كثيرا كثيرا.

ابتسم وشعر بهمومه تُسحَق من قِبَل لمسة وكلمة منها.. وغمغم وهو يقربها اليه اكثر:

- انا اكثر يا نبض ريسك.

ابتعدت عنه والإبتسامة تزيّن وجهها الأحمر.. واردفت بقلق عندما امعنت النظر في وجهه المرهق:

- ريس انت متعب.. هل حدث شيئا سيئا اليوم؟!

شعر بالسعادة لأنها قيّمت حاله ونفسيته دون ان يتفوه بشيء.. وهمس مُطَمْئِنًا حبيبته:

- لا يا قلبي.. لا تقلقي، انه فقط ارهاق العمل.. ربما عندما انام سأرتاح.

- اذا انهض واستحم واقضي فريضتك.. وبعدها سأدلك لك رأسك لعلّ تشعر بالراحة.

صعد برفقتها الى الغرفة.. وتوجه الى الحمام ليتروّش ويزيل تعبه المؤلم.. اما هي، نزلت الى الأسفل وسارت نحو المطبخ لتقوم بتسخين القليل من الزيت الزيتون الى ان ينتهي مما يفعل..

بعد القليل من الوقت، صعدت تحمل برفقتها وعاءا صغيرا من الزيت ورأت انه ما زال يقضي فريضته.. فإبتسمت وهي تراه ساجدا بخشوع.. وكم تحبه!! رجلها الوحيد الذي تعشقه..

بقيت تتأمل به الى ان انهى فريضته.. فلمحها وهي تنظر اليه بحب مما جعله يبتسم تلقائيا هامسا بغرور:

- الى هذا الحد ابدو وسيما؟

قهقهت وغمغمت رافعة حاجبها للأعلى:

- مغرور! وهيا تسطّح على السرير.

قام بما قالت ثم جلست بجانبه.. ورفعت رأسه قليلا ووضعته على حجرها.. ثم بدأت بتدليك رأسه بالزيت.. ليشعر بإرتياح عارم يحتل المه، وكل ارهاقه يُقصى..توسمت البصر في ملامحه الهادئة.. وهمست بعد ان رأت وجهه يتسرح بإرتياح:

- اين ايضا يؤلمك؟

فتح جفونه لتأتيه عيناها التي يعشقها.. ورموشها السوداء الكثيفة التي تناظره ببراءة.. فغمغم بصوت اجش:

- كل جسدي.. كله!

نزلت بأناملها لتدلك صدره فشعرت بعضلاته القوية تتشنج تحت راحتيها.. ثم بلمح البصر شعرت به يجذب رأسها مقابل رأسه.. كاتما شهقتها ومتذوقًا رحيق شفتيها بكل هيام..

فتناست ما كانت تفعل وانجرفت معه بعاطفته الاجشة

التي يغمرها بها.



الفصل الثالث عشر

عندما تنجرفين في تيار عشقي..

ستعلمين انكِ استثنائية روحي..

وستحلقين كطير شذِيْ في جنتي..

وسأخبرك بمقدار هائل حبي..

وسترين ان هوسي بك هو حياتي..

وستدركين ان عيناكِ هي بصري..

لذا طَمْئِني تَكهُنِك وتأكدي يا محبوبتي،

انكِ كل خلية نابضة في جسدي..

ها هو نسيم الربيع يقبل صارفا رياح الشتاء القارصة..

وصوت زقزقة العصافير يتعالى في الأجواء الهادئة.. وها هي الشمس الدافئة قد تهللت على اوراق الأشجار المزدهرة والنامية ليطغي عليها سحر الربيع البراق..

ويا لروعته حينما يجلب معه طيات من الامل والبهجة.. صفاء السماء الزرقاء اللامعة يضيف جوا من الأحلام الزاهية.. وما هو الربيع الا عيون تحلم بمستقبل مشرق، ومفعم بالزهور والورود.. هدوء ارتطام امواج البحر الواسع يحمل نقاء في نفوس الأرواح.. ويا لبهاء الربيع ريثما يرافقه يوم عيد الأم..

ابرزت الشمس سطوعها الفتّان لتعج الزعزعة والضوضاء في قصر الجايد.. الجميع مشغول في قيام وتحضير هذه المفاجأة الضخمة لنساء الجايد - الأمهات..

بينما هناك قلوب دامية تبكي فقدان وحرمان هذه اللحظة طوال سنوات مرت.. مرت بعذاب وشقاء روحي.. ومن سيكون غير قلوب اولاءك الثلاثة اليتماء!

التفتت عدن نحو مصدر صخب صوت لين الذي يناديها، لتتجه اليها بقلب متألم دامي.. بإستمرار سنوات عمرها في

مثل هذا اليوم والذي لا يسبّب لفؤادها سوى الأسى والحطام، تبكي تيتّمها.. تبكي فقدانها.. تبكي طفولة ناقصة..تريد الشعور بمعنى حضن الأمومة كما لم تفعل يوما، ولكن كيف؟!تشكر اللّه دوما على وهبها نعمة كأخيها ريس، الذي لا يبخل عليها قط ببثها دفئه وحنانه..

ارتجف لبّها عندما وجدته يسرع نحوها قبل ان تتمكن من الوصول الى لين الواقفة بمدخل

الحديقة، بجانب الأشجار الخضراء المزروعة بإحترافية على شكل قوس ينطلق منها سهم الأزهار الملونة بألوان الربيع البديع، تناظرهما بحزن يزيّن ملامح وجهها البريئة.. وسرعان ما كانت بحضنه تتشبث في قميصه الأسود، تضغط عليه بقبضتها الصغيرة.. وبدون سابق انذار انهمرت دموعها وتعالت شهقاتها التي لم تكن سوى اعصارا في دماء ريس، الذي يزداد كرها ورغبة في الإنتقام من والدته..

رؤية صغيرته تبكي لم يكن الا بمثابة تضخم من البراكين الفاجرة التي توحي بإعصاف قادم..

مرّر اناملة الغليظة بنعومة على ظهر فستانها المُدَّبّج من الحرير النيلي.. ومن ثم رفع بيده الأخرى وجهها الذابل من الحزن ليُقبّلها اعلى رأسها، حيث تضع حجابها الأبيض الرقيق الساتر شلال شعرها الشمسي..

ابتعدت عنه قليلا هامسة بإبتسامة مصطنعة:

- انا بخير.. لا تقلق اخي، وجودك بجانبي انت وجواد وجدي هو الأهم بالنسبة لي.. انتم معقلي وملجأي.. ريس انت لست فقط اخ لي وانت تعلم ذلك، انا اراك بكل ما احتاجه.. سواء اب، ام، اخ، صديق... والكثير بعد.

ابتسم بحزن واردف بعد ان انتبه لحبيبة قلبه وعقله التي تتقدم اليهما، ترافقها دموعها المنزلقة على وجنتيها الحمراوتين بتأثر وابتأس:

- سأبقى دوما بجانبك يا صغيرتي، وسأحميك من العالم اجمعه ومن مصائبه وفواحشه حتى لو اضطررت لأفعل امور لا احمد عقباها.. آمِني بذلك يا صغيرتي.

انهى كلامه مفكرا بترنيم.. لن يبالي انها امه لو تجرأت واذت من يحب.. آه لو تعرف عدنه بأنها على قيد الحياة.. ولو تعرف ان دموعها التي تتساقط كسقوط الأمطار ليست الا هباء لإمرأة لا تعرف معنى الأمومة ولا معنى الإنسانية!!

يعاتب نفسه بسبب بؤسه على اعوام مضت يشتاق بها لأمه.. يعاتب نفسه لأنه الان وفي هذه اللحظة يرغب بالشعور في وجودها والتدثر في ملمس حنانها.. لكن، وهل ينفع العتاب واللوم والتحسر على من لا يستحق؟!

نظر الى عدن المتوسدة حضن زوجته ببكاء.. والى لين التي لم تكف من الربت عليها بكل رقة ونعومة بينما لؤلؤتيها الرمادية الدامعة منصوبة عليه وحده..

تنهد بضيق مكبوت واقترب منهما لتبتعد عدن عن احضان لين.. ومن ثم ترفع بصرها اليه وتهمس:

- انا سأذهب لأرى جواد ، سأعود بعد قليلا.

غادرت سريعا تركض، فإقتربت لين منه، وضمته اليها بحب فاق الحدود.. وغمغمت بشجى

واسف:

- ستكون بخير صدقني.. عدن فتاة حيوية مرحة والحزن لن يلازمها طويلا.. فقط دعها تخرج ما في جوفها لتصبح افضل.

اشتدت يداه حول خصرها، وكأنه يريد ادخال جسدها بين عظامه، فشعرت بالألم بعض الشيء من قوة ضغطه عليها، الا انها كتمته وبادلته العناق بدفء..

دفن رأسه في عنقها مستنشقا عبيرها وكأنه يرتويه.. وهتف بصوت مرهق:

- انا مرهق يا لين.. في كل يوم، في هذا التاريخ على مرور السنوات، المًا قاسيًا يحلُّ عليّ وعلى اخوتي.. انا لا يهمني

نفسي لكن رؤية عدن باكية تقتلني.. اشعر وكأن نصل حاد يغرز في فؤادي.

انهمرت دموعها مع كل كلمة تخرج من ثغره.. كيف يمكنها تحمل رؤية حبيب روحها يتألم؟! ريس القوي الذي عهدته منذ ان عرفته يتألم بشدة.. ماذا تفعل لتعوّضه عن كل ما فات؟

همست وهي تدفن رأسها في عضلات صدره الصلب:

- ريسي لا تقل ذلك! انت ريس القوي الشجاع، الذي لم اقابل مثله قط.. انت المميز الفريد من بين الكون اجمعه.. انت تحاول بكل جهدك تعويضهما عن والدك ووالدتك.. لذا لا تقل مثل هذا الكلام مرة اخرى.. عليك البقاء قويا وخاصة في مثل هذا اليوم.. عليك ان تثبت لنفسك قبل اي شخص اخر انك قوي وقادر على تحمل اي كهل مهما كان ثقيلا..

ريس انا احبك جدا جدا.. ورؤيتك تتألم تذبح روحي بلا رحمة.. لذلك رجاءا ابقى بخير لأجلي يا من اعشقه.

ابتسم بخفة وهو يستشعر صدق كلامها الذي مسّ قلبه بنعومة دغدغت حواسه.. ثم ابعد رأسه عنها لتتقابل مقلتيهما معا..

الهيام والوله هو ما كان يحيطهما.. لا يران سوى بعضهما وكأن هناك هالة ما تمنعهما من رؤية شيئا اخرا سوى بعضهما..

امعن النظر في فضيتها اللامعة كشمعة مشعة.. وببطء اقترب من ثغرها بشفتيه.. متذوقا سلسبيل شفتيها الملساء بهدوء وبنعومة تناسبها..

ابتعد عنها بعد قليل من الثواني، ووضع جبينه على جبينها هامسا بشغف:

- انتِ نعيمي.. احبك حبا ليس له منتهى ولن يكون! وجودك بحياتي هو راحتي وسكينتي.. فقط ابقي بجانبي لأحبك اكثر وكيفما اريد يا ملاكي.

ابتسمت بهيام وهي تلتقط انفاسها بصعوبة، بينما صدرها يعلو ويهبط بحاجة عارمة الى الهواء.. واردفت بصميم ووعد:

- لن يفرقني عنك شيئا ابدا، لأنني ارى روحي متعلقة بك.

اعادها الى صدره.. الى حيث موطنها الوحيد والأوحد.. وغمغم بعزم:

- ابدا.. ابدا لن ابتعد عنك.

- ربما اتيت بلحظة خاطئة؟

التفتا ريس ولين الى جود الواقف على بُعد خطوات قليلة عنهما، يناظرهما بتنحنح.. فتخضبت وجنتيها بحمرة الخجل وابتعدت عن ريس بإرتباك ملحوظ.. فقهقه ريس بداخله على ملاكه الذي سيبقى طوال حياته خجول.. ثم رمى نظرة ساخطة بوجه جود المحرج وهتف:

- ما خطب هذه العائلة؟! دوما جميع افرادها يأتون بلحظات مهمة ولا تناسب وجودهم ابدا!

قهقه جود بشدة وهو يقترب بقامته الطويلة نحو الزوجان الواقفان بمنتصف الحديقة لوحدهما.. ثم سحب لين الى حضنه امام نظرات ريس الثاقبة.. فإبتلعت ريقها بصعوبة من فعلته هذه امام زوجها.. ولكن فورا ما تذكرت كلامه حيث وعدها انه سيتغير من هذه الناحية لأجلها..

ثم غمغم جود بخبث وبإستفزاز بعد ان لمح تشنج وجه ريس بغضب:

- تغار يا حبيبي عليها حتى مني! انظر كيف اعانقها، آه يا لين كم اشتقت الى نومك بجانبي ودثرك بذراعي عندما كنت تخافين النوم لوحدك بسبب الكوابيس القبيحة والسيئة!

توسعت عيناها بذهول من كلام اخيها المجنون.. وما ان ارادت الإبتعاد صدمتها قبضة ريس التي نزلت على وجه جود بقوة وغل.. مما جعله يتركها ويترنح بعيدا..

شهقت بتفاجؤ وما ان لبثت بالإقتراب منه، كان ريس يسبقها بحيث اقترب من جود وامسكه من تلابيب قميصه هادرا بإنفعال:

- اياك يا جود واستفزازي مرة اخرى بلين.. رحمتك فقط لأنني وعدتها والا لم اكن لأدعك تتنفس لو لثانية.

قهقه جود عاليا مرة اخرى، وهتف بعد ان ابعد قبضة ريس عن قميصه، مُرّتِبًا تجاعيده بكفه:

- اهدأ عزيزي.. فقط اردت التأكد اذ كنت فعلا تغار عليها هذه الغيرة المجنونة كما قال والدي وجدي.. وبالفعل انت تغار عليها مني ومن اي رجل.. يااه يا لين حقا مسكينة، ارغب الان في خطفك بعيدا لأرى غيرته القصوى.

قبل ان يضربه ريس مرة اخرى انصدم بلين تصفعه على مرفقه متذمرة بحنق:

- اخرس، قبل ان اقتلك انا بدلا من زوجي! اتعلم انت فعلا تستحق القتل.

قهقه هو وريس عاليا مما ادى الى جعلها تشعر بالخجل والضيق معا، ثم القت نظرة مغتاظة عليهما الإثنان هاتفة:

- اصمتا.. وانت يا ريس لا تتكلم معي، قبل قليل كنت تود تعنيفه، والان تضحك بجانبه علي.. لا يوجد شخص بهذه العائلة سليم غير عدن! حبيبة قلبي وشبيهتي.. سأتبعها لأتخلص منكما.

منعها ريس بحيث وقف امامها حاجزا، فرفعت حاجبها ومطّت شفتيها بغضب طفولي.. وبلمح البصر وجدت نفسها بين ذراعيه غير مباليا لجود المبتسم بخبث.. ثم همس لها بخفوت:

- هل تريدينني ان اعاقبه على اغضابك؟

هزت رأسها بنفي.. ثم ابتعدت عنه بخفة وهمست:

- قبل قليل كنت تضحك بجانبه.. والان تقول لي هل اعاقبه! ما هذا حقا؟!

رد عليها مبتسما:

- لأن كلامك اعجبني يا زوجتي الحبيبة.

هتفت لين بإستنكار:

- حقا!

- اجل.

- ولأن كلامي اعجبك تقف بجانبه تضحكان علي!

تأفف ريس واردف بعد ان جذب جود ليقف بجواره:

- ها هو اخاك المجنون.. انظري ما الذي سأفعله به!

وقفت امامه سريعا هاتفة بحنق:

- استغفر اللّه العظيم.. ما خطبكما انتما الإثنان اليوم؟!
هيا لنتابع التحضيرات لهذا اليوم قبل ان تأتي والدتي.

ضحكا ببشاشة وايداها بهزة بسيطة من رأسهما كمثل طفلان مطيعان لقرار امهما.. فإبتسمت بإستمتاع على مظهرهما..

غمغم جود بعد ان مال الى جانب اذنها امام عينان ريس عمدًا حتى يثير ضيقه:

- لا تقلقي يا قلبي.. امي مع والدي وانت تعرفين والدي لا بد انه يدللها الان.. انه حقا يتصرف كما لو انه طفلا ووالدتي امه.. ممم والان انتِ اخبريني هل تدللين ريس هكذا ام لا؟!

قبل ان تجاوبه لين التي انجلى وجهها بحمرة الخجل حتى باتت تشبه النار المضطرمة جذبه ريس من اذنه ليتذمر جود بسخط عاليا من اذنه التي على وشك الإقتلاع صادحا:

- اذني يا مجنون.. لين ابعدي زوجك عني قبل ان افعل المثل بإذنيه الإثنتين.

قهقهت لين عاليا على مظهرهما، ليتغلغل رنين ضحكتها لروحه وينعشها بترنيمته الرغيدة.. فنظر لها نظرة جعلتها تلجم ضحكتها بأناة.. وتمتم بغضب:

- جود لا تتجاوز حدودك بالهزل والعبث مع لين لأن للصبر هناك حدود.. ولن اكتفي صدقني بنزع اذنيك الإثنتين عن رأسك.

ثم اضاف بعد ان شدّ اذن جود اكثر والذي يحاول تخليص نفسه من براثن الذئب القابض عليه:

- ولا تقلق زوجتي تدللني للغاية لدرجة انني اشعر معها بشتى انواع المشاعر.. والان اغرب عن وجهي يا ارعن.

انهى كلامه نافضًا اذنه بعيدا لينظر له الأخر بحنق، دامئا اذنه بألم وهو يهتف:

- اللعنة عليك، منذ الان يا لين انا لست اخاكِ.. الحق عليّ انني قبلت بهذا الزواج.. فعلا كان يجب ان اعترض والوقوف بصفك لكنني غبي تماما.

تبسما الزوجان، ثم رفع ريس حاجبه للأعلى وقوّس شفتيه بتهكم وجَهَر:

- لا يا حبيبي بموافقتك وبدونها زواجي من شقيقتك كان سيتم لذا لا تتعب نفسك يا روحي.

- مغرور جدا جدا.

شزر بمقلتيه للين المكتّفة يداها حول صدرها بغيظ، فألجم ضحكته بصعوبة وغمغم بتغطرس:

- اعلم ذلك مسبقا عزيزتي.. ولكنك تعلمين ماذا انا ايضا.

غمز لها بعينه قبل ان ينهي كلامه فإبتسمت لأنها عرفت الى ما يشير، وردع استمرار كلامهما ونظراتهما الغير مفهومة صوت جود الذي صدح:

- ريس كِف عن التكلم مع شقيقتي حالا ، وانت سيدة لين الم تودي اللحاق بعدن.. اذا هيا اتبعيها ودعيني اخذ زوجك الغير طبيعي لشراء بعض الأشياء.

- اصمت.. لا تتكلم بهذه اللهجة المستفزة مع لين قبل ان...

- حسنا حسنا.. فقط هيا تعال معي، وكف عن الثرثرة قليلا. دمدم بسخط ثم امسك بمرفق ريس، جاذبا اياه خلفه.. لتبتسم لين بسرور على اغلى اشخاص

لروحها.. وتدعي بكل رجاء من الله ان يديمهما ويحميهما..

دخلت لين الى غرفة عدن اللافتة للنظر بلونها الأزرق السماوي والأبيض الغائم.. وجالت ببصرها نحو السرير المتوسدة عليه مطوّقة قدميها الى صدرها، ودافنة رأسها في حجرها..

فتنهدت بأسى وتقدمت لتجلس بجانبها على السرير، فرفعت رأسها الأخرى وعيناها الحمرواتين، ثم ارتمت بحضنها تعانقها ببكاء ونشيج متأوهة:

- لين اريد والدتي.. يا ليتها على قيد الحياة.. يا ليتني استطيع رؤيتها ولو لمرة واحدة.. على الأقل في الحلم.. اريد ان ارى عيناها، ضحكتها، حنانها... لكن لكن.. انا لا يمكنني.. يا اللّه صبرني.

انتحبت الأخرى ببكاء:

- لا يا روحي ارجوك كفي عن هذا الكلام.. اللّه لا يأخذ شيئا منا الا ليعوضنا بالأحسن.. ثقي بذلك ودعي ايمانك بربك هو قوتك وصبرك.. ثم امي هي امك يا عدن وكذلك الأمر عمتي الين، انتِ تعلمين كم الجميع

يحبك ويعتبرك بمكانة ابنته.. وبالإضافة انك سوف تتزوجين مستقبلا وستكون والدة زوجك كأمك تماما.

- اعلم ذلك يا لين.. اعلم.. الحمد للّه على كل شيء..
هيا انهضي لنكمل التجهيزات.

- حسنا هيا تعالي معي اولا لنرى جدي.

اومأت لها عدن برأسها وتوجهت للمرحاض الخاص بغرفتها، وقامت بغسل وجهها..

****

وقفت ترنيم امام النافذة المُطلة على المدينة اوسعها، ممعنة النظر في البحر الأزرق الهادئ والبيوت البعيدة.. ثم خطر على بالها اطفالها، تفكر ماذا لو انها الان معهم..
ماذا سيحضرون لها؟ هل سيحتفلون بوجود أُم مثلها ام لا؟!.. تنهدت بضيق غريب عليها.. لا تعلم لماذا خلال هذا اليوم في كل سنة تتذكر اطفالها وتفكر بهم.. يا ترى ماذا يفعلون الان؟! هل يتألمون لعدم وجودها معهم ام ان الأمر اصبح اعتيادي بالنسبة لهم؟!

اغلقت النافذة بإضطراب، وتقدمت نحو الدولاب الفخم الخاص بها لتخرج صندوقا بنيا مغلقا بقفله بإحكام، وقامت بفتحه لتلتقط بأناملها البيضاء الشاحبة صورة لأطفالها الثلاثة يوم ولادة عدن الصغيرة، وببطء شديد تحسستها بثقل لتشعر بغصة مريرة تقبض على لبّها دون رحمة..

اخفت الصورة سريعا فور دخول مجد الغرفة.. ونهضت من مكانها، ليقترب منها الاخر بإستغراب هاتفا:

- ما خطبك؟!

همست بثبات بعد ان صار امامها، لا يفصلها عنه سوى انشات بسيطة:

- لا شيء حبيبي.. فقط اشعر بالضيق والملل.. دعنا نذهب لنرّفه عن انفسنا قليلا في مكان ما.

ابتسم لها وقرّبها من صدره بنظراته القاتمة.. صحيح انه وسيم للغاية، لكن لمعة الخبث التي في عيناه تثير الإرتياب والإشمئزاز.. ثم تساءل:

- الى اين تريد ترنيمة الذهاب؟

رفعت له عيناها وهمست بإبتسامة، متناسية كليا ما كانت تفكر به قبل دخول هذا الحذق:

- اي مكان برفقتك.

- تم.

****

وقفت لين برفقة عدن على المنصة الرمادية، المزينة بالأزهار والأضواء الخاطفة للأبصار امام جحد الضيوف الجالسين حول الطاولات الأنيقة..

ثم بحثت لين بعينيها عن طفيف زوجها.. فإذ بها تراه يقبل نحوها وبجواره جود وجواد وعماد.. فإبتسمت تلقائيا بهيام من عبوس ريس الذي ينظر الى الكم الهائل من الناس المُسلّطين عيناهم نحوها هي وعدن..

فور اقترابه منها وقفت قبالته وهمست مبتسمة بعد ان توسمت النظر في بدلته الجذابة السمراء وقميصه الأبيض:

- حبيبي جميل جدا يا عالم.. يا الهي كم احب اللون الأبيض عليك.

غمز لها بعبث:

- القميص وصاحب القميص لك وحدك يا قمري.

نظرت لهما عدن بحنق وهمست:

- هلا تكفان عن التغزل ببعضكما.. الا تملان؟!

شعرت لين بالخجل يغزو وجهها لأنها لتوها انتبهت لوجود البقية، الذين يناظرونها هي وزوجها بمكر واستمتاع.. فقهقه ريس عاليا عندما تقدمت لين واختبأت وراء ظهره لتخفي خجلها واحراجها.. ثم اجاب اخته بتعجرف:

- لا ، لا نمّل حبيبتي والان ارتاحي.

اشاحت عنه بسخط، بينما اردف عماد:

- يا لحظك الجميل يا ريس.. لين قريبة منك طوال الوقت وانا حتى على عناق لم احصل بعد!

ابتسمت لين وارادت ان تتكلم لو ان ريس لم يوقفها قابضا على يدها مزمجرا بوجوم وجدية:

- لا تفكر بذلك يا عماد.. انا بالكاد تمالكت نفسي كي لا اقتل الأحمق جود والان انت تريد ان تعانقها، وامام كل هذا الحشد.. ابدا!

هتف جواد بجدية:

- ريس هذا الكلام ليس وقته الان، لا تنسوا ان الجميع ينظر لنا.. ولكن اين هن امهاتنا العظيمات؟

بصعوبة افلتت لين يدها من قبضة ريس، وفركتها بألم، فلاحظ تألمها وأنبّ نفسه عندما رأى احمرار يدها.. ثم قال متجاهلا نظراتهم الفضولية:

- ها هم.

توسعت عيناهم بتفاجؤ ريثما رأوا عمتهم والتي لم يروها منذ زمنا طويلا حاضرة، وخلال ثواني قليلة ركضت عدن نحوها لحاجتها الماسّة لها، وخاصة في مثل هذا اليوم، ودثرت نفسها في حضنها.. شاهقة ببكاء:

- عمتي، امي.. كم تمنيت وجودك اليوم.. اشتقت لك كثيرا.

انزلقت دموع العمة "الين" وغمغمت بشجن وهي تمرر يدها على ظهر ابنة اخيها، وابنتها الحبيبة:

- انا هنا حبيبتي.. انا هنا.. واشتقت لك اكثر بكثير عدني.

شدّت عدن بيداها حول جسد عمتها الرشيق، تستشعر حنانها ودفئها، والتي لم تبخل بإعطائها اياه يوما، وكأنها امها وليست عمتها..

وبعد بعض دقائق، وبعد ان اخرجت عدن ما بصدرها ابتعدت عن عمتها، ناظرة الى وجهها الملائكي بعينيها الزرقاوتين وبشرتها البيضاء وحجابها الرقيق.. ولم يخطئ احد عندما يقول انها تشبه عمتها.. فهي وارثة لون عيناها وتقاسيم وجهها من عمتها الغالية..

ابتسمت لها الين ومسحت بأناملها دموعها هامسة:

- لا تبكي يا صغيرتي.. لا تبكي.

ابتسمت عدن بحب وجذبت يد عمتها الى فمها وقبلتها بإحترام.. وهمست بصوت مبحوح:

- اذا بقيت بجانبي يا امي.. لن ابكي!

- سأبقى حبيبتي.. لن اعود لفرنسا، سأستقر هنا في بلدي.. بقربك.

ابتسمت عدن بفرح وهتفت ببهجة:

- حقا!

اومأت الين برأسها ثم ابعدت لؤلؤتيها الدامعة بتأثر عن عدن، لتسلطها نحو ابناء اخوتها الأخرين.. فإبتسمت لهم بشوق ليقتربوا منها واحدا تلو الأخر.. فعانقت جود وجواد وعماد بحب كبير.. ثم نظرت الى ريس الواقف بجانب زوجته لين منتظرا دورهما بالسلام.. فإقتربت منهما وضمتهما الإثنان معا هامسة:

- الف الف مبروك لكما.. اسفة لأنني لم اتمكن من حضور حفل زفافكما.

همست لين بدموع وهي تنظر الى وجه زوجها الحبيب:

- تسلمي عمتي.. اشتقنا لك كثيرا.

- وانا ايضا حبيبتي.. وانت يا ريس الم تشتاق لي؟

رد ريس بعطف:

- جدا جدا.

ثم تساءل بعد ان لاحظ عدم وجود زوجها واولادها:

- لكن عمتي هل اتيت لوحدك؟

همهمت الين بخفوت وهمست:

- سيأتون بعد غد.. لديهم بعض الأعمال.

هز رأسه بتفهم ثم طلب منها ان تجلس على اول طاولة والمُعدّة خصيصا للعائلة بلونها الأحمر وشموعها المشعة..

وبعد الإنتهاء من السلام على بقية افراد العائلات وتهنئة الأمهات.. ذهبت لين وعدن ليتوقفا على المنصة مرة اخرى ممسكات بالميكرفون ليبدأا بإلقاء التحيات على جميع الحضور، متمنيات لجميع الأمهات اياما سعيدة وطويلة مليئة بالأفراح..

ثم بدأت لين بإلقاء كلمتها لكل ام في الوجود:

- في مثل هذا اليوم العظيم والذي يصادف يوم الأم.. ننحني اجلالا وتكريما لكل أمًا وجدت على هذه الأرض الخصبة.. ونقدرها على تعبها وانجابها وسهرها الليالي.. ونقول:

يا من تضحي وتسعى لإنشاء جيلا صالحا وحسنا..

ويا من حملت وانجبت لتسهر وتربي..

ويا من خدمت دون مقابل ووهبت دون حصول..

ويا من ملكتِ العالم بنعمك وعطاءك..

هنيئا كريما لك على ما قدمتيه يا حنونة الأمة ولا تزالي تقدمينه ايتها النعمة والهبة العظيمة من عند الرب..

ختمت لين كلامها، لتتلقى تصفيقا حارا من الحاضرين.. ومن ثم اقتربت من امها، مقبلة يدها بحب وتقدير، مغمغمة:

- دمتِ لي سالمة يا امي.

وكذلك فعلت مع عمتها ومع زوجة عمها لؤي.. لتفعل المثل عدن دامعة العينان..

كل ذلك تم تحت انظار ريس الواثبة الفاخرة بزوجته واخته.. شعر بشتى انواع المشاعر من الفخر والتقدير والإحترام لهما الإثنتين..

بعد انتهاء الأحتفال جلسوا جميعا في صالة القصر.. يتحدثون بالكثير من الأمور.. ليعلن الجد فجأة بإصرار:

- الجميع سينام هنا.. لن يغادر اي شخص منكم القصر.

تمتموا جميعا موافقين، عدا ريس الذي لم تعجبه الفكرة لأنه اراد قضاء بعض الوقت برفقة زوجته الجالسة بجانبه.. فمال نحو اذنها هامسا بخفوت:

- هل تريدين النوم هنا، ام تفضلين النوم بمنزلنا؟!

اجابته لين بحماس وانفعال:

- طبعا هنا.. وسأنام بغرفة عدن انا وعمتي.

قطب حاجبيه برفض وهتف بإستنكار:

- ومن الذي سيسمح لك بذلك حبيبتي؟

اردفت لين بثقة وتحدي:

- لا داعي لأن يسمح لي احدا.. انا في قصر جدي واستطيع النوم اينما اريد ومتى اريد.

شخر بأنفه ولوى شفتيه الى الجانب، هامسا بصرامة لا مجال للجدال امامها:

- لا تنسي انك زوجتي يا لين وانا صاحب القرار.. انت لن تنامي سوى بنفس الغرفة التي انام بها.. هل فهمت؟!

كشّرت بحاجبيها ونظرت الى البقية المنشغلين في الكلام، غير منتبهين لجدالها هي وريس.. وهمست برفض:

- لا اريد، اريد النوم مع عدن اليوم يا ريس.. فلتنام مع البقية ليس من الضروري ان تنام في نفس الغرفة التي اكون انا بها.. لا تكن متطفل.

قهقه بإستهزاء، وهتف بذهول:

- متطفل!

اومأت لين بهزة خفيفة من رأسها:

- اجل، ارجوك ريسي لا تعترض.

قبل ان يجيبها قاطعه صوت عمته الين المتسائلة بحيرة:

- ما خطبكما انتما الإثنان؟! بما تتناقشان؟!

هتفت لين بصوت عاليا دون تفكير سريعا:

- ريس يريد ان انام بنفس الغرفة معه، وانا اريد ان انام مع عدن ومعك ب..

الجمت بقية جملتها شاهقة بعد ان انتبهت لما تفوهت به امام الجميع، وتورد وجهها بخجل واحراج شديدين..
لتتمنى ان تختفي حالا.. فقهقهوا جميعا عاليا بينما ريس التوى فمه بإبتسامة عابثة وعيون لامعة بخبث.. ليردف ايمن:

- اذا نامي بنفس غرفة زوجك يا ابنتي، ولا تدعي العاشق المغوار لوحده قبل ان يقتل الجميع.

تنحنحت بإحراج ونظرت الى عدن بمعنى ان تساعدها، لتقف الأخرى بإندفاع قائلة:

- لا، لين ستنام بغرفتي وهذا قرار نهائي.. تكلمي يا عمتي!

- اجل عدن محقة.

ضاق صدره وهتف بجدية حادة:

- لين لن تنام الا بغرفتي.. انتهى الجدال! لا احبذ ان تكون زوجتي موضع جدال او نقاش.. وتعالي يا لين معي قليلا.

بعد ان انهى كلامه، امِرا اياها بالصعود برفقته، ابتلعت لين ريقها بصعوبة ما ان رأت نظراته القاتمة وقبضته المحكمة بقوة.. وذهبت برفقته بتوجس، ليصعدا للأعلى تحت انظار الجميع

المسرورة..

ادخلها الى غرفته القديمة؛ واغلق الباب مزمجرا بحدة وغضب:

- ما يُسّمى الذي حدث في الأسفل؟

اجلّت حنجرتها وهمست بخوف من نبرة صوته:

- ما بك؟ لماذا انت غاضب لهذه الدرجة؟

الفصل الرابع عشر

يا بحر ثور ولا تصمت..

اغرق العالم بغضبك ولومك..

يا شمس احرقي الأخضر واليابس..

تناقضي مع هيجان البحر وامواجه الفائضة..

كوني النار ولا تكوني الثلج..

كوني الجحيم ولا تكوني النعيم..

اقتلي، احرقي، اضرمي واشعلي نيرانك اللاهبة..

فهم ليسوا الا ثلوج قارصة بحاجة لمن يصهرها وينحلها..

ادخلها الى غرفته القديمة؛ واغلق الباب مزمجرا بحدة وغضب:

- ما يُسّمى الذي حدث في الأسفل؟!

اجلّت حنجرتها وهمست بخوف من نبرة صوته:

- ما بك؟! لماذا انت غاضب لهذه الدرجة؟!

التوى فمه بإبتسامة ساخرة، واظلمت عيناه بسواد قادحا شرارات الغضب.. فرجعت الى الوراء بتوتر حتى اصطدمت في الباب الرخم.. ولم تشعر سوى بقبضته التي سحبتها من مرفقها بعنف اجفلها لتطلق صرخة شاهقة مصدومة ريثما ارتطمت بعضلات صدره الصلبة.. واذ به يهتف بشراسة:

- ماذا بي؟ هذا هو سؤالك اليس كذلك؟

تململت بألم عندما اشتد ضغط قبضته لتشعر بأن يدها على وشك البتر.. فتأوهت بصمت الا انه لم يرأف بها قط، بل قربها لصدره اكثر وهمس بفحيح:

- اياكِ يا لين والتصرف كما تصرفت في الأسفل.. انت لستِ صغيرة لتتكلمي بشؤون حياتنا الزوجية امام الجميع.. وانا لن اسمح ابدا ابدا لأي شخص بالتدخل بما يخصني، وخاصة اذ كنت انتِ.. والأدهى من ذلك

تشاركك عدن.. سيكون لي كلاما خاصا معها يُعدّل اسلوبها هذا الإندفاعي.

ردت عليه مدافعة عن عدن رافعة الرأس:

- عدن ليس لها دخل.. لا داعي لأن تقحمها بمشاكلنا.. والان اتركني!

لم يحرر معصمها ولو لثانية.. بل كان يقبض عليه كالثور المتربص.. ونظر لها نظرة مفعمة بالإستهزاء وهتف بسخرية:

- اوه تدافعين عنها.. لماذا لا تدافعي عن نفسك اولا وعن تصرفاتك الغبية وبعدها تدافعي عن البقية؟

تملصت من قبضته وهمست بعد ان استجمعت البعض من شجاعتها:

- بالتأكيد ادافع عنها.. فهي صديقتي واختي.. و.. وانا لم اخطأ.

زجر بعنف وغضب، رافضا كليا تصرفاتها وامسك بيدها مرة اخرى بقسوة:

- اجل لم تخطئي.. اسمعيني جيدا يا لين كلمتي ستُنفذ، ودون اي نقاش او جدال.. تعلّمي ان تطيعيني لأن يستوجب عليك ذلك.. هل فهمت؟

قررت هذه المرة الأنثى المتمردة بداخلها ان تشتعل وتستيقظ.. فشمخت برأسها وثبتت عيناها بعيونه المظلمة.. وهمست بعناد وفظاظة:

- لا.. انا لست جارية عندك لأنفذ كل اوامرك.

تشنج فكه من شدة الغضب حتى برزت عروقه، واكفهر وجهه بسواد قاتل.. ثم قذف يدها بقسوة لتتهاوى على السرير الناعم المُدغم بلون الابيض والأسود، جاهرا بصوت عال:

- لييين..

انتفضت بذعر ريثما اقبل عليها لتتراجع تلقائيا وتصطدم بجدار السرير الخشبي، وانّت بألم حينما امسك وجهها بيده بقوة فإبتلعت ريقها بتوجس، وهي تشعر بأن كل قواها وشجاعتها قد خارت مقابل نظرة ثاقبة واحدة منه..

فهمست بصوت مرتجف وهي تحاول ابعاد يده الخشنة عن ذقنها:

- ريس.. ريس اتركني.. انت تؤلمني.

قرب وجهه الى وجهها حتى تعانقت انفاسها اللاهثة خوفا مع انفاسه اللاهثة غضبا..فأغمضت عيناها حتى تتحاشى تأثير نظرته القاتمة عليها.. الا انه همس بإصرار:

- افتحي عيناكِ.

هزت رأسها بلا.. فكرّر بصوت حاد مرة اخرى:

- قلت افتحي عيناكِ.

فتحت عيناها ببطء، مطئطئة بأهدابها للأسفل، هامسة بصوت متحشرج:

- انا خائفة منك!

سكين نصل ذاك الذي جرح حنجرته ريثما همست بخوفها منه.. لا لا كيف تخاف منه!! لا يريدها ان تخاف منه.. يريدها ان تشعر بالأمان بجانبه وليس

بالخوف..ترك ذقنها برقة ومن ثم قربها الى صدره مغمغما بندم:

- لا تخافي مني ابدا ابدا.. هل فهمت يا لين؟ لا تخافي مني!

اشتدت يداها حول ظهر قميصه الأبيض حتى جعدته بأناملها وهمهمت بموافقة رفرفت قلب ريس.. فقام بمد يده الى حجابها البيجي وسحبه برقة لينزلق شعرها الحريري العسلي على ظهرها بسلاسة.. ثم امسك بخصل شعرها بأنامله برفق مستنشقا عبيره الاخاذ وهتف بخشونة عاطفية:

- رائحتك تقتلني.. اااه كم اعشق شعرك!

اضطرب فؤادها من سحر كلماته التي تجعلها تشعر بأنها ملكة زمانها وملكة الاناث اجمعهن بل يكفيها انها ملكة قلبه.. وابتسمت بإنشراح عند سماعها خفقات قلبها الواثبة والتي تعادل خفقات قلبها الواصلة لعنان السماء..

وغمغمت بنزق بعد ان تلقت تأثيره القوي عليها لينسيها ما ارادت:

- اذا هل ستدعني انام في غرفة عدن؟

- قطعًا لا.

شهقت من نبرته الشرسة وبرمت شفتيها بضيق.. وهمست بعد ان ابتعدت عنه بحنق:

- استغفر اللّه العظيم قبل قليل كنت هادئا.. لديك انفصام بالشخصية بكل تأكيد.. مرة تهدأ ومرة تغضب!

انهت كلامها نافخة وجنتيها ومكورة فمها بسخط طفولي جعله يقهقه عاليا هاتفا:

- لا تغضبي حبيبتي.. انا لا احبذ ان تنام زوجتي بمكان لا اكون انا به.

- لكنك هنا.. وانا فقط الليلة اريد النوم مع عدن وعمتي الين..

همست ببراءة جعلته يتنهد بمحاولة استمداد الصبر.. ثم كور وجهها براحتيه مغمغما بهدوء:

- لين اسمعيني انا لا استطيع النوم اذ لم تكوني بجانبي.. لن اسمح لك ابدا ابدا بالنوم على سرير لا اكون انا عليه.

عقدت حاجبيها ونهضت عن السرير وامسكت حجابها لترتديه مرة اخرى، بعد ان فكرت بخطة ما عزمت على تنفيذها.. ثم همست بتأفف:

- حسنا ايها المالك ريس فلننزل الان.

رفع حاجبه بذهول من رضوخها بهذه السهولة.. ثم تبعها هو الاخر للأسفل متعجبا..

جلست لين بجانب عدن وامها بمحاولة لغيظ زوجها وبالفعل نجحت بذلك، فكشر بعينيه بضجر لتبتسم هي برضى مرسلة اليه نظراتها العابثة بغرور.. ليشخر بشفتيه ويجلس بجانب جده الذي مال الى اذنه متسائلا:

- هل تشاجرتما؟

التفت ريس بعينيه الى جده المبتسم بعبث فإبتسم الاخر وهمس:

- لست قليلا يا ابو يوسف!

قهقه الجد عاليا مما اثار انتباه الجميع ليلتفتوا اليه تلقائيا.. فهمس بصوت منخفض لا يسمعه غير ريس:

- الم اخبرك انكما ستعشقان بعضكما للأزل.. اعتني بها جيدا فمن الواضح لي ان هذه الملاك الشقية تغضبك دون قصد، ولكنني اتفهمها لأنني كنت كذلك مع جدتك رحمها اللّه.

ابتسم ريس بحنو وربت على يد جده المهترئة من الشيخوخة وغمغم:

- هل تشتاق لها؟! اقصد جدتي.

دمعت عينا ايمن.. ثم ابتسم بألم لذكرى زوجته المرحومة.. وهمس:

- كثيرا يا ريس.. انت ولين تذكرانني بعلاقتي انا وجدتك.. اه كم كنت اغار عليها وكم عانت بسبب غيرتي الشديدة عليها.. جدتك كانت اجمل نساء الأرض.. لا يوجد من يوازيها جمالا.

همهم ريس بإبتسامة خافتة وهو يلمح نظرات الوله والعشق بعينا جده:

- اذا انا وارث كل طباعي منك يا جدي.. حتى بالزوجات.

وافقه ايمن بهزة بسيطة من رأسه ترافقه ابتسامته المتعبة.. ثم هتف:

- اجل صحيح لين بتصرفاتها تشبه جدتك.. وكما قلت حتى بالجمال.

- ما الذي تتهامسان به؟!

كان ذاك صوت ادم الذي صدر مستفهما، فإلتفتا اليه.. ورد ايمن هامسا:

- اتكلم عن والدتك يا ادم.

- بماذا؟

اردف متسائلا بشوق لوالدته التي توفت قبل ما يقارب العشرون سنة.. ليرد عليه ريس بجدية بعد ان لاحظ توتر الأجواء الحزينة بين ادم وايمن:

- لا شيء عمي.. فقط كنا نتكلم عن لين ثم تطرقنا الى ذكرى جدتي.

سألت عدن لين الجالسة بجوارها بهمس:

- عن ماذا يتكلمان جدي وريس؟! كل وهلة ينظران الينا.

مطت لين شفتيها بتبرم، هامسة بتفكير:

- ما ادراني.. دعك منهما الان واسمعيني ريس لا يريدني انا انام بغرفتك لذا خطرت ببالي خطة ما.

استدارت عدن بكامل جسدها لتقابل جسد لين، متسائلة بإنفعال:

- ما هي؟! اطربيني!

شمخت لين برأسها بمكر، هامسة بإبتسامة لامعة بالشقاوة والتحدي:

- ريثما ينام ريس سأخرج من الغرفة واتي الى غرفتك انت وعمتي، لذلك اياك والنوم.. سأحاول جعله ينام باكرا لكي انفذ ما خططت له.. والا لن يدعني اخرج وسيغضب مني.

ابتسمت عدن الأخرى بشيطانية.. هامسة بمكر:

- تعجبينني يا فتاة فعلا! اين كنت دافنة هذا الدهاء.. يا الهي حان وقت الإستمتاع.. لكن اتعلمين؟ انا خائفة عليك لأن ريس عندما يغضب يصبح كالشيطان.. ومنذ الان انا اقول لك اذا كشفك ريس لا تقحميني بخطتك والا انه سيعاقبني بما لا احبه.. انا اعرفه لا يصدق ان يجد شيئا ليعاقبني عليه.. ذاك الشرير حقا.

قهقهت لين واضعة كفها على فمها لتمنع خروج رنين ضحكتها بصوت عال هاتفة:

- لا تقلقي لن اقحمك بشيء ايتها الحمقاء.

بعد ان اصبحت الساعة تشاور الى الثانية عشر ليلا، توجه كل شخص الى الغرفة التي سيرقد بها..

دخلت لين برفقة زوجها الى غرفته الواسعة، ثم جالت بعينيها حول الغرفة وكأنها لتوها تراها..

اعجبها ذوقه الرفيع.. ولفت اهتمامها الكتب المرتبة بإحترافية على المكتبة البيضاء.. فسألت بإستفسار:

- ريس ما هذه الكتب؟

امسك بيدها بدفء وهمس بنعومة دغدغت اوصالها:

- تعالي لتري.. وسأريك الجناح بأكمله.

سارت برفقته وانبهرت بكل ما تراه.. الكتب، الموسوعات العالمية والروايات.. ثم الغرفة الرياضية التي بغرفته، الشرفة المطلة على المسبح الكبير، والحمام الضخم..

فهمست بإندهاش:

- انها جميلة جدا!

ابتسم ريس بغرور محبب.. وهمس وهو يعانق قدها الرشيق من الخلف:

- بالتأكيد ستكون جميلة جدا بما انها غرفتي.

رمقته بنظرة مغتاظة وغمغمت بإبتسامة:

- مغرور ومتعجرف ولن تتغير.. على اي حال يبدو انها اجمل غرفة في القصر فأنا رأيت غرفة عدن ليست بهذا الكبر وهذا الثراء.

مال برأسه نحو اذنها حتى احتكت شفيه بأذنها هامسا بتلاعب لتشعر بقشعريرة كهربائية تجري في اوردتها وشرايينها من رأسها حتى اخمص قدميها:

- كل شيء يخصني مميز وبما فيهم انت يا زوجتي!

ابتعدت عنه بتوتر رادفة بعجلة من امرها:

- انا.. انا سأدخل لأستحم.. نام انت.

- لا حبيبتي سأنتظرك.. اخبرتك انني لا استطيع النوم دونك.

همس بإبتسامة جانبية جعلتها تزدرد لعابها بصعوبة..
كيف ستخرج الان؟! عليها ان تستحم سريعا لتخرج والا
لن ترتاح من هذا الليث الحذق المنحرف.. فتمتمت بسخط:

- لا داعي ان تنتظرني.

وقبل ان يتمكن من الرد عليها كانت تختفي خلف الباب
الملحق بالحمام.. فقهقه بصوت عال اثار غيظها بشدة..

بعد ما يقارب النصف ساعة خرجت لين من الحمام علها
تراه نائما واذا بها تشهق بذعر ريثما سمعته يهمس:

- حمام هانئ حبيبتي.

خابت امالها عندما وجدته مستيقظا لتتذمر بسخط
بداخلها، ومن ثم توجهت بخطوات منزعجة نحو السرير
لتنام بالجانب الأيسر.. وقبل ان تتمكن من الجلوس كان
ريس بلمح البصر يقبض على يدها لتتهاوى على جسده
الرخم.. فشهقت من المفاجأة ووضعت كفها على صدره
العارِ محاولة ان تنهض الا انه جذبها مرة اخرى ليرتطم
صدرها بصدره فهتفت بحنق وخجل:

- ريس اتركني.

قربها اليه اكثر هامسا بخشونة جعلت جسدها كله يتورد بإحمرار يعشقه:

- لا اريد.. زوجتي وانا حر بما افعله بها.

تململت بين ذراعيه المحكمة حولها بشدة، هامسة بنزق:

- واذا كنت زوجتك! هناك حق اسمه الحق في الحرية فقط للمعلومات.. لذا من حقي ان اعارض او اوافق يا حضرة الإمبراطور ريس.

قهقه بقوة ليتغلغل رنين ضحكته الرجولية بأذنيها ويرفرف قلبها بسعادة على ضحكته التي جعلتها تسلط انظارها عليه بهيام لاحظه ريس لتنتعش روحه من جم العشق.. ودون سابق انذار لثم رحيق ثغرها بقبلة اودت بعقولهما معا نحو بحار العشق والوله..

****

انتصبت عدن واقفة بملل قائلة لعمتها الجالسة على السرير:

- امي الين اظن ان لين لن تأتي.. انظري الساعة اصبحت الثانية ليلا.. على ما يبدو انها لم تستطع الخروج بسبب ريس.

ردت عليها الين عليها بشرود هامسة:

- دعينا ننتظر ربما تأتي وتتمكن..

فزعتا الأثنتان ريثما وجدتا باب الغرفة يفتح بقوة.. واذ بها لين تندفع للداخل لاهثة.. فإقتربتا منها متسائلتين بإندفاع:

- ما خطبك؟ لماذا تلهثين؟!

جلست على السرير ودقات قلبها تكاد تصارع عقارب الساعة من شدة خفقانها.. وغمغمت بخوف:

- بالكاد خرجت من الغرفة.. خفت الخروج الا بعدما تأكدت انه غاط في نوم عميق.. اشكر اللّه ان نومه ثقيل.

- اوه الحمد للّه كنا نود ان ننام بعد دقائق.. من الجيد انك تمكنت من التسلل دون ان يراكِ.

همست بها عدن متنهدة براحة لتقهقه الين عليهما رادفة:

- حبيبي يا ريس.. كل هذا يفعله بكما دون القيام بأي مجهود.. الهذه الدرجة تخشانه؟!

مطتا شفتيهما بضيق من استهزاء عمتهما عليهما.. وهمست عدن بعد ان جلست بجوار لين:

- لأنه لم يصب لو لمرة جم غضبه عليك.. ياه مجرد رؤيته غاضبا تذعرني او مجرد رؤيته عابسا.. لا تذكرينني ارجوك.

هتفت لين بحنق هي الأخرى:

- لم يعاني من غضبه وتسلطه سوى انا.. لذلك يا عدن انت لا شيء مقابل ما اعانيه انا يوميا.. فأخاك ما شاء اللّه لا يدعني اتنفس لو لثانية حتى..

اسمعي انا اريد العودة الى الغرفة قبل ان يستيقظ والعن حظي الغبي.. لا اريد النوم بغرفتك القبيحة! تبا لك وللجلوس معك اذ كنت سأبقى خائفة.. الى اللقاء عمتي اراك صباحا..

هرولت لين من الغرفة سريعا لتفتح عدن فمها بذهول..

واما الين فضحكت من اسارير قلبها.. لتلتفت اليها الأخرى بضيق هامسة بتبرم:

- ما بها هذه الغبية؟! سأنام انا ايضا افضل حل.. يا ليتني لم انتظر تلك الجبانة.

****

كان اوس يسير عبر ممرات الجامعة المكتظة بالطلاب حتى يدخل الغرفة التابعة له.. واذ بطالبة ما توقفه قائلة برقة:

- استاذ اوس.. هل استطيع التكلم معك بموضوع ما؟

اجاب اوس بإقتضاب وهو يومئ برأسه موافقا:

- تفضلي انسة ديم.

تنحنحت ديم بإرتباك وهمست خشية ان يرفض:

- اريد ان افعل وظيفة الثلاثون بالمئة مع عدن.. ارجوك هي صديقتي، وانا لا احبذ العمل مع غرباء واظن لو انها

ليست غائبة لكانت بالتأكيد سترفض ان تكون مع احد غيري.

تساءل بداخله لما هي غائبة الان.. هل السبب هو الحفلة التي اقاموها البارحة؟ تبرطم بحنق

من هذه الشقية.. لا يوجد اي سبب مقنع حتى لا تأتي.. يكره ان يمر يوما دون ان يراها.. تألم قلبه فور تذكره ان البارحة لم يكن الا يوما مليء بالآلام لعدنه.. فتنهد باضطراب.. لا يريد ان يراها حزينة.. لذا سيعفو عنها اليوم وسيدعها تكون مع من تريد وتفعل ما يرضيها.. ولكن قريبا كل شيء سيتغير.. كل شيء..

همس بموافقته قبل ان ينصرف متابعا مساره:

- حسنا سأغير تقسيم الطلاب بشأن الوظائف وسأدعكما تكونا معا.

- شكرا جزيلا لك استاذ.

****

خرج ريس من الحمام وقطرات الماء تتساقط من شعره الكثيف المنزلق بإهمال على جبينه الذي يضخ رجولة وجاذبية.. واذ به يرى لين توضب اغراضهما وترتب الغرفة، واضعة سماعات حول اذنيها وتتحرك بخفة الفراشات وهي تدمدم ببعض كلمات الأغنية التي تسمعها.. فإبتسم وهو يراها منسجمة بكل حواسها بما تفعله حتى انها لم تلاحظ خروجه.. فإقترب منها بهدوء حتى لا يفزعها ووقف قبالتها بطوله الفارع امام قامتها المتوسطة.. ثم امتدت يداه بهدوء نازعا السماعات عن اذنيها.. وهمس بإبتسامة مشرقة:

- صباح الخير.

ابتسمت بحب وردت عليه التحية، متوسمة النظر في جاذبيته المفرطة:

- صباح النور ريسي.

ثم تابعت بعد ان لاحظت شعره المبتل الذي تتساقط قطرات الماء منه على الأرض الرخامية ببطء يثير الإستفزاز:

- لماذا لم تجفف شعرك؟ رباه يا ريس هكذا ستمرض.. اجلس لأجففه لك.

انصاع لأمرها بإبتسامة عابثة تحتل وجهه الساحر.. لتشعر بكيانها يتزلزل وتنسلب تحشرجات لبها منها بعشق..

امسكت المنشفة البيضاء الملتفة حول عنقه وبدأت بتجفيف شعره بها بأصابع مرتجفة من فرط المشاعر التي تداهمها.. ما الذي يفعله بها هذا المغوار؟! يسلب قواها منها دون المحاولة ببذل المجهود.. اصبحت متيمة بكل ما يخصه.. بكل ما يبذر منه.. واه ثم اه من شدة الشغف الذي تشعره تجاهه..

انتهت بصعوبة من تنشيف شعره.. وهمست بإبتسامة محبة:

- انتهيت.

استدار ريس بجسده اليها ثم اشار لها بيده ان تجلس على حجره فهزت رأسها بإعتراض ودون شعور منها اكتسى وجهها الإحمرار.. ولمعت عيناها الرمادية كلمعان النجوم وسط السماء الحالكة.. فسحبها متجاهلا رفضها لتقبع على رجليه كطفلة صغيرة رابضة في احضان والدها.. ثم همس بغلاظة:

- لا ترفضي لي طلبا يا لين.. كل ما اطلبه منك نفذيه دون اي جدال.

ارتدت الى الوراء من حدقتيه المظلمتان وهمست بتلعثم:

- اه.. حسنا لكن دعني الان.. لا بد ان الجميع ينتظرنا على الإفطار.

- فلينتظروا لا يهمني.

اجابها بفظاظة اثارت ريبتها.. فدمدمت بتفكير:

- ما به ينقلب كل دقيقة ودقيقة؟! قبل قليلا كان يبتسم والان واجم الوجه.. بالتأكيد كما قلت لديه

انفصام بالشخصية.. معقول هذا بسبب عمله بصناعة الأدوية اصبح لا يميز ماذا يفعل!

كانت تتمتم بصوت خافت غير مدركة بذاك الذي يسمعها بإستمتاع.. ثم هتف بعد ان صمتت:

- للعلم فقط سمعتك.

هزت كتفيها بلا مبالاة وغمغمت بعيون فائضة بالتحدي:

- واذا؟ لا يهمني.. ماذا سيحدث يعني؟!

شخر بفمه بإعجاب ساخر ووضع جبينه على جبينها.. رادفا بخشونة:

- هل انت متأكدة عزيزتي؟

همست بصعوبة وهي تلتقط انفاسها من قربه الشديد منها:

- ليست ابنة الجايد من تتفوه بشيء ليست متأكدة منه.. والان دعني حبيبي لأن يجب عليك الذهاب الى العمل.

ابعد يده عن خصرها لتهب واقفة.. وهتف بعد ان نهض هو الأخر:

- سنرى حبيبتي في منزلنا اذ كنتِ فعلا متأكدة ام لا.

رفعت رأسها باعثة له ذرات وايونات التحدي من مقلتيها المتأججة ببريق الشقاوة.. وعلقت على كلامه الذي اثار توجسها:

- كما تريد ايها الأمير الخاص بي.

ابتسم على كلامها الذي استحوذ على اعجابه واراد الرد عليها.. فسابقته هي باترة ما كان سيتفوه به:

- واجل دعني ابقى هنا بما انك ذاهب للعمل.. فعدن لن تذهب الى الجامعة اليوم، وانا ليس لدي تعليم.. عندما تعود من العمل تعال لتأخذني.. لا اريد البقاء بالمنزل لوحدي.. سأشعر بالملل والضجر.

فكر لوهلة بما طلبت ثم اجاب موافقا:

- حسنا كما تريدين، ابقي مع لين وعمتي لكن لا تخرجن لأي مكان دون اذني.

ردت سريعا بسعادة؛ قبل ان تركض نحو الباب:

- حسنا حسنا سأنزل لأخبر عدن وعمتي.

وقبل ان تتمكن من الوصول الى الباب كانت قبضة ريس التي امسكت بمعصمها تمنعها من الإستمرار فإلتفتت اليه بعبوس متسائلة:

- ما الأمر؟ لما تمسكني هكذا ريس؟

زجر بها بصوته الحاد:

- ارتدي حجابك.. هل انت مجنونة لتنزلي مكشوفة الشعر!

وضعت يدها حول شعرها بذهول ثم شهقت وهمست بإرتباك من شرارات الغضب التي تنطلق من عينيه:

- يا الهي لقد نسيت.. سأضعه حالا.

وضعت حجابها الأسود سريعا لتستر شعرها العسلي.. ثم اقتربت من ريس الواقف بوجوم.. فتأففت بصوت مسموع وهمست:

- لننزل.. انا انتهيت.

نظر لها بتفرس ثم امسك بيدها ليحثها على السير بجواره..

****

ضرب ريس بكفه على طاولة مكتبه بعنف وغضب شديدين ثم صاح بصوت عال على السكرتير الخاص به ليأتيه الأخر سريعا بخوف هامسا:

- اجل سيدي.

رمى الملفات على الأرض زائرا بشراسة:

- ما هذا اللعنة؟ كيف يحدث خطأ مثل هذا؟ الأن وحالا اجمع العمال المسؤولين عن انتاج دواء علاج الحموضة ومشاكل المعدة "Antodine Tablets".

انصاع لأمره تلقائيا وخرج مُلَبِّيًا طلب ريس الثائر..

سمع ريس هاتفه يرن فلعن بصوت عال وامسك الهاتف ليجد ان لين المتصلة..

- الوو..

رد عليها بشراسة وجفاف.. فأجلت حنجرتها قبل ان تهمس:

- اجل ريس.. هل انت غاضب من شيء ما؟! فصوتك على ما يبدو ليس طبيعي!

صاح بنفاذ الصبر وهو يشعر بأن عروقه على وشك الخروج من مكانها من شدة عصبيته:

- ما الأمر يا لين؟! قولي ما لديك.. انا مشغول ولست فارغ لتفاهاتك.

ابتلعت غصة مريرة من كلامه القاس.. وهمست بثبات قبل ان تنهض وتتجه نحو النافذة كي لا تشعر عدن الجالسة بغرفتها بمحادثتها هي وريس:

- اريد الخروج مع عدن الى السوق، ولن نتأخر.. هل انت موافق؟

- لا ، لن تخرجي لأي مكان يا لين.. اياكِ والخروج من المنزل.. صدقيني سيحدث ما لن يعجبك.

- ما بك تتكلم معي بهذه الطريقة القاسية.. ماذا فعلت؟!

سألت بألم والدموع تتجمع في مقلتيها دون ارادة منها لیندفع قائلا بشراسة وخشونة:

- هكذا انا يا لين.. انا حر اتكلم معك كما اريد.. حسنا؟! لن اتأخر في العمل واذا عدت وعلمت انك خرجت سترين يا لين ما الذي سأفعله.

انهى كلامه مغلقا الخط في وجهها دون ان يتيح لها الفرصة بالرد عليه.. لتنهمر دموعها على وجنتيها بأسى.. فإقتربت عدن منها متسائلة بحيرة:

- لين حبيبتي ما بك؟

جففت دموعها سريعا ثم استدارت لها هامسة:

- لا شيء، فقط لم يوافق ان اخرج.. اذهبي انت وعمتي.

قطبت عدن حاجبيها برفض وهمست بإصرار:

- لا اريد.. اذ لن تأتي انت فأنا ايضا لن اذهب.. دعيني اتكلم معه.

حركت لين رأسها سريعا بإعتراض، مغمغمة:

- لا ، لا داعي.. انه مشغول.. هيا لننزل.

****

زمجر ريس بغضب على العمال المطئطئون برؤوسهم للأسفل:

- كيف تخطئون في صناعة الدواء؟ ماذا لو تم تصديره قبل ان الاحظ انا الخطأ؟! كيف؟

انتم جميعكم لا يوجد راتب لمدة ثلاثة اشهر.. وخطأ اخر سأبدأ بالفصل والطرد من الشركة.. هذا اول واخر تحذير لكم.. اخرجوا حالا.

خرجوا واحدا تلو اخر.. ليبقى يتنفس بصعوبة من شدة غضبه.. ثم التقط سترته وتوجه الى مكتبه.. لينهي بعض الأعمال واذ به هاتفه يعلن عن اتصال مرة اخرى، ليتذمر بفظاظة قبل ان يرد بوجوم على اوس المتصل:

- اجل اوس.. ما الأمر؟

- الوو ريس.. ما خطبك؟ ولماذا انت غاضب؟

تساءل اوس بقلق ليأتيه صوت ريس الهاتفُ بحدة:

- لا شيء.. فقط مشاكل لعينة بالشركة.. ما الأمر؟

- انتظرني انا قادم اليك ومعي وقاص.

تمتم بموافقته قبل ان يغلق الخط ويتابع خطواته، مفكرا كيف تم حدوث مثل هذا الخطأ الكبير في شركته ولأول مرة.. لو ان لأحد ما يد في الموضوع سيقتله دون رحمة.. لن يكون ريس الجايد اذ لم يسلخ جلده عن عظمه..

****

جلست لين هي وعدن على الأرجوحة الذهبية في الحديقة.. لتشرد قليلا في جدالها هي وزوجها.. راجعت نفسها عدة مرات ووجدت انها لم تخطئ.. انها حزينة جدا منه.. كلامه القاس جرحها.. وكأنها عبدة عنده اذا لم تنفذ ما يأمرها به ستعاقب..

تنهدت بحرقة قلب.. وطأطأت في رأسها ممعنة النظر في قدميها التي تتأرجح في الهواء..

خرجت من تفكيرها عندما سمعت صوته المتسائل بحدة لها ولعدن:

- لماذا انتما جالسات هنا؟!

نهضت عن الأرجوحة وارادت تجاهله لولا وجود عدن الموجودة بجانبها.. ولم تتفوه ببنت شفة لتجيب الأخرى بعد ان لاحظت صمت لين:

- لا شيء فقط جالسات.

اشاح بنظرته المثبتة عن تلك التي لم تحيد بنظرها لو بثانية عن الأرض.. واردف بجدية:

- جيد.. لدي ما اتكلم به معك.

- معي؟!

- اجل.

تنهد قبل ان يكمل كلامه بجدية تامة:

- لا اعرف من اين سأبدأ.. وانا سأعطيك مجالا لتفكري حتى الغد بما سأقوله.

همست عدن بتوتر:

- قل ما عندك.. انت توترني.

انتبه للين التي نظرت اليهما بفضول وقلق.. وهمس:

- صديقي اوس طلب يدك.. اقصد معلمك في الجامعة.. وانا اعرفه حق المعرفة.. شاب جيد لا ينقصه شيئا.. ومن ناحيتي انا موافق ولا امانع عليه..

قطبت حاجبيها برفض، وقاطعته بحدة:

- لن اتزوجه يا ريس.. انا اكرهه وافعل ما تشاء.. لا يهمني اذا وافقت ام لا.. انا لن اقبل به ابدا.. واوصل له ردي النهائي.

زجرها ريس بصوت عال اجفلهما:

- عدن.. اياك والتكلم معي بهذه النبرة.. لسانك سأقطعه.


حكاوي
كتب

الفصل الخامس عشر

إغضبْ يا حبيبي متى شئت.. وإجرحْ متى شئت..

صرّخْ.. حطِمْ.. وأُضربْ الى ان يرتاح بالك..

ثم عُد اليّ لأُغلغلكَ في احضاني، وانعمكَ بحناني..

إبقى اجرحني يا اثيري.. وضرّني مرارًا وتكرارًا..

وسأبقى اسامحك حبًا وولعًا..

وسأبقى أوْهبكَ روحًا وجسدًا..

إفعلْ ما شئت.. وكل ما ترغبْ..

ثم إندمْ وتأسفْ.. لأغفرُ لكَ بكامل إرادتي..

فليسَ باليد حيلة..

إذْ كان خافقي يعلنُ العصيان على كبريائي..

زجرها ريس بصوت عال اجفلهن:

- عدن.. اياكِ والتكلم معي بهذه النبرة.. لسانك سأقطعه.

قررت لين التدخل، رافضة كليا اسلوبه الهمجي.. فإقتربت ووقفت بجوار عدن هامسة:

- هل يمكنك ان تعدّل اسلوبك قليلا في الكلام؟ اذا كنت غاضبا من امر ما لا داعي ان تفرّغه وتلقيه كله علينا.. راعي مشاعر الغير، وخاصة عندما يكون الأمر متعلقا برباط الزواج.

كبحت عدن ما كانت ستقوله حينما تدخلت لين.. وكم تشعر بها ملاذًا واماناً بأصعب اوقاتها.. ربما هذه هي الاخت التي تمنتها طويلا!

لمعت عيناها بدموع حبيبة ريثما امسكت لين بيدها برقة لتعطيها الامان والحنان التي تحتاجه..

برطم شفتيه بسخرية لاذعة هاتفا:

- هل قررتما العصيان انتما الاثنتان؟ صدقاني لن يكون لدي اي مانع في ان ابدأ باستخدام اسلوبي الأخر والذي لن يعجبكم بكل تأكيد.

ثم صمت لوهلة قبل ان يتابع مشيرا بيده للأعلى:

- وانتِ لين بدلا من القاء محاضرتك هذه، اصعدي لتجهزي نفسك لأننا سنعود للمنزل.. اما بالنسبة لك يا عدن سأعتبر نفسي بأنني لم افتح الموضوع معك بعد.. لذلك سأتي غدا لأتكلم معك، وسأتغاضى عن صوتك العال لأنني مقدّر ظروفك البارحة.

لم تتحرك لين من مكانها قيد انملة.. وبقيت واقفة بثبات مكتّفة يداها حول صدرها.. فتهجم وجهه من تجاهلها له عمدا لما يقوله فهدر بحدة:

- لماذا لم تتحركين؟! قلت لك اصعدي لتجهزي نفسك.

راقبت عدن الأجواء بتوتر.. وخافت على لين من افعال ريس الغاضبة.. فسحبتها من يدها للأعلى تحت انظاره المشتعلة..

امتطت لين سيارة ريس بعد ان ودعت الجميع، وبعد نقاشها وكلامها مع عدن..

صعد هو الأخر بجوارها على مقعد السائق.. ورمقها بنظرة متفحصة قبل ان يهتف بصرامة:

- ضعي حزام الامن.

لبّت ما امرها به.. ثم تناءت بوجهها نحو النافذة المطلة على الطريق المليء بالأشجار..

بقي يوزع بصره بين الطريق الذي امامه وبين ظهرها الملتف له.. فقد كان رأسها قابعا على زجاج السيارة من ناحيتها..

فتساءل بفظاظة جعلتها تطلب الصبر من الله على نوبات غضبه وانقلاباته المبالغ بها:

- ما بك صامتة؟

تأففت بصوت عال حتى يسمعه والتفتت اليه رافعة حاجبها للأعلى، وكامشة عيناها بنفاذ الصبر.. ثم همست بضيق:

- حرة لا اريد الكلام.. هل لديك مشكلة؟!

كشر عن أنيابه بابتسامة ساخرة واردف:

- سنرى اذ كان لدي مشكلة.. انتظري فقط.

لم تعير اي اهتمام لكلامه مما ادى الى جعله ينفجر غيظا وغضبا..

****

كانا جالسان في النادي الرياضي المعتادان على الجلوس به.. لم يكن عقله معه.. لم يبالي في الضجة المخيمة حوله.. جلّ ما يستولي على اهتمامه الان هو نتيجة ما طلب.. وكم يخشى الرفض! لا يعرف كيف اتته الجرأة ليطلب من ريس هذا الطلب دون تفكير مسبق.. انه يحبها وهذا ما يهمه الان.. ستكون له وحده وهذا يكفيه.. لا

يريدها بعيدة عنه بل يريدها ان تسير مع دمائه.. يريدها العظام المستور تحت جلده الغليظ.. فبعدها ينحره ويذبحه..

عاد بذاكرته لما حدث وكيف طلب من ريس الزواج بأخته..

" ترجل هو ووقاص من السيارة ليدخلا شركة ريس ومن ثم توجها الى مكتبه..

دخلا اليه بعد ان سمح لهما سكرتيره بالدخول.. واذ بهما يجدانه ثائر كالبراكين المضطرمة.. فاقتربا سريعا منه هاتفين بقلق:

- ما الأمر؟! ما الذي حدث؟!

استند براحتيه على المكتب رادفا بغضب:

- اشك ان احد ما يتلاعب بالشركة.. ولأول مرة يحدث خطأ فادح في انتاج نوع من الأدوية.

جلسا اوس ووقاص على المقاعد المقابلة لمكتبه.. وغمغم اوس بجدية:

- هل تشك بشخص معين؟

زفر انفاسه اللاهثة وقال بعد ان جلس هو الأخر على مقعده:

- لا اعلم.. لدي الكثير من المتنافسين والأعداء ولكن حاليا لا يوجد اي شخص ببالي سوى تلك التي تدعى ترنيم ومجد.

نظرا اوس ووقاص لبعضهما بعيون واسعة، غير مصدقين ما يقوله.. فهمس وقاص بعدم فهم:

- كيف؟! أليس من المفترض ان تكون والدتك متوفية؟ ومن هو هذا مجد؟!

قصّ عليهما ريس ما اخبره به عمه.. لتتوسع عيناهما بصدمة.. ولم يطرأ ببال اوس سوى ان عدنه معرّضة في اي وقت للخطر لذا عليه حمايتها.. ولا يهمه كيف!! فهتف دون تفكير بعد ان انهى ريس كلامه عازما على تنفيذ ما خرج من فمه:

- ريس ربما الوقت ليس ملائما لما سأطلبه.. لكنني اريد ان اطلب يد اختك.. اريدها في الحلال. انت صديقي وتعرفني حق المعرفة.. واللّه يشهد انني لم افكر بها بنيّة سيئة قط سوى انني اريدها على سنة اللّه ورسوله.. انا اعلّمها في الجامعة لذا من هناك انا اعرفها.. فما رأيك يا ابو ليث؟

تفاجأ ريس بشدة من طلب اوس بهذا الإصرار، ولكنه بالفعل محق.. اوس شاب لا يُعوّض.. وهو جلّ من يعرفه.. لا عيب فيه والشكر للّه.. فأجاب ريس قائلا وهو يوزع انظاره بين وقاص المصدوم والمتفاجئ مثله وبين اوس الذي صدره يعلو ويهبط دلالة على ان ما قاله استنزف الكثير من مجهوده:

- ان شاء اللّه يا اوس.. سيحصل بما فيه الخير بإذن اللّه.. انا لا استطيع ان اقرر عن عدن.. سأعطيها حرية القرار وارد عليك.."

استيقظ من شروده على صوت وقاص المتسائل بجدية:

- هل تحبها؟

تنهد قبل ان يجيبه بعيون لامعة:

- لا اعلم اذ كان ذلك حبا.. لكنني احب رؤيتها.. احب مرحها وشقاوتها.. اشعر بوخز غريب اذا مرّ يوما دون ان اراها به.. افرح لفرحها واحزن لحزنها.. هل هذا هو الحب يا صديقي الذي تسألني عنه؟

اعتلت شفتي وقاص ابتسامة مسرورة مغمغما:

- لا.. انت لا تحبها يا اوس.. انت تعشقها! عل كل حال اسأل اللّه ان يُيّسر لك حالك ويحقق لك مطالبك وامانيك.

رد له اوس الإبتسامة رابتا على كتفه بشكر.. واردف:

- عقبالك شريكي.. ام انك وجدت بالفعل؟

قهقه وقاص وهو يجيب:

- تفهمني جيدا..

ثم تنهد وهو يضيف:

- لنرى.. عسى اللّه ان يتمم الأفراح.

****

فور وصولهما ترجلت لين من السيارة دون ان تهمس بحرف واحد.. ومن ثم توجهت نحو غرفتهما مما اثار حنق وغضب ريس بأضعاف.. فدفع باب السيارة بعنف بقدميه ثم تبعها صادحا بصوت جهوريا اذعرها:

- ليييين...

التفتت نحو باب غرفتهما الذي اصطدم بالحائط المجاور بصوت عال جعلها ترتد للوراء قبل ان تكمل نزع الحجاب الساتر شلال شعرها الذهبي..

واقبل عليها كصقر شرس يحلق نحو فريسته.. ولم تشعر سوى بأكتافها التي على وشك الكسر من شدة ضغطه عليهما.. فصاحت بصوت متألم والدموع تتكور بمقلتيها الشجيتين:

- اتركني.. اتركني يا ريس.

قرب وجهه من وجهها هاتفا بشراسة وعنفوان:

- اخبرتك مرارا وتكرارا ان لا تتجاهليني.. على ما يبدو انك لا تفهمين ما اقوله.. وبحاجة لمن يُفهمك بطريقة جيدة.

تململت بين ذراعيه كقطة فاض الكيل بها.. وهمست هي الأخرى بشجاعة وغلاظة:

- لا داعي عزيزي لمن يعلمني وخاصة اذ كنت انت! صدقني انا افهم جيدا، لكن هناك اشياء اتعمد عدم فهمها لأسبابي الخاصة.. والان ابتعد عني واتركني.

شخر بشفتيه غير مكترثا لكمية الألم التي تشعر به وهو يزيد من ضغط يديه على كتفيها الرقيقان.. وهتف بصلابة يرافقها كمية هائلة من الإستهزاء:

- اووه هل قررت الوقاحة والتمرد يا زوجتي؟! صدقيني ليس لدي اي مشكلة لأريك جانبي الأخر.. انصحك يا لين عدم استفزازي لأن هذا لن يكون بصالحك ابدا ابدا.

حررت نفسها من براثنه بصعوبة.. ومسدت مكان امساكه لها بوجع، هامسة:

- ابتعد عني.. لا اريد البقاء بجانبك.. انت انسان متقلب المزاج ولا تبالي الا بنفسك.. لا تهتم كيف تأذي الغير بكلامك الجارح دون اي سبب منطقي.. انت تريد ان يرضخ لك الجميع حتى بالباطل.. ولكنني لن افعل اطلاقا يا زوجي اذ كنت انا صاحبة الحق.. واظن انك ايضا تعرفني حق المعرفة ريثما اكون صاحبة الحق كيف اتصرف.

اكفهر وجهه حتى بات يضاهي نشوب ثوران البحر الهائج بعنفوان حاد.. وهتف بسخرية لذعت فؤادها غمًا:

- وما المطلوب مني؟! هل اخاف ام ماذا؟! وفقط لتكرير هذه المعلومة ووشمها في عقلك الفارغ.. ابتعد عنك؟ لن ابتعد ابدا! انا ظلك.. انا حياتك.. انا روحك.. انت دمائي ولا يوجد من يتخلى عن دمائه الا بإرادته.. وانا لا اتخلى عن شيء يخصني.

صرخت بألم من نبرة صوته اللاذعة ومن كونه يريدها فقط ملكا ولا شيئا اخرا:

- انا لست شيئا لتتملكني يا ريس.. انا انسانة ويحق لي الحرية لذا كف عن تحكمك وتسلطك هذا.. لن اسمح لأي من يكون بتملكي.. انا لست صفقة ولا عقدا ولا حتى غرضا.. افهمت يا ريس؟!

- اخرسي.. لا ترفعي صوتك.. على ما يبدو انك اتفقت مع عدن على اثارة غضبي وسخطي ورفع راية الصفاقة..

لأذكرك فقط لست انا من يسمح بذلك بتاتا! و لا تنسي انك زوجتي وملزمة بطاعتي امام اللّه.

صاح بصوت جهوري اجفلها لتتسارع دقات قلبها خوفا.. فحاولت التغلب على خوفها وبالفعل نجحت ريثما خرج صوتها ثابت ماكن:

- انا ملزمة بطاعتك فقط على حق وليس على ما هو خطأ.. انا لي دورا كذلك يجب علي تنفيذه غير تلبية اوامرك.. من حقي ان اعارض على ما يزعجني وعلى ما لا

يعجبني ويرضيني.. انا لست مجرد هامش في هذه العلاقة.. ولن اكون زوجة صالحة اذا لم اخبرك ما هو الخطأ وما هو الصح واعتذر على صوتي الذي خرج رغما عني عاليا ولكن لولا كلامك وتصرفاتك ما كان ليعلو على ما اظن.

صمتت لوهلة وهي تتنفس بصعوبة فائقة من شدة التوتر والإنفعال ثم اضافت بهدوء ورزانة:

- وبالنسبة لعدن يا ريس اظن بما انني فتاة وتزوجت كذلك بطريقة خاطئة مؤكدا وانت تدرك ذلك جيدا.. فأنا لن اسمح بحدوث ذلك مع عدن.. لن اسمح بتكرار ما عانيته انا مع عدن.. خاصة بمثل هذا الموضوع الحساس للغاية عليك التكلم معها بتفاهم وحنية وليس بأسلوب همجي كما تصرفت انت! وكذلك لأن عدن تعتبرك والدها فسيكون ذلك قاسيا عليها اذ خذلتها يوما.. فلا تجبرها يا ريس على ما يؤلمها وتجعلها تفقد مصدر حنانها وامانها.. ابقى لها كل ما تحتاجه.. ولا تخذلها كما خذلت انا.. مع انني لا انكر بأنني احبك

الان واستطعت تجاوز الصعوبات والعقبات بفضل اللّه عز وجل.. فراجع نفسك جيدا يا ريس.. واذ كنت مذنبة فلا يوجد المزيد لأقوله.

- انا لن ارغم عدن على شيء ابدا وبالذات بموضوع الزواج.. انا فقط يزعجني اسلوبها الإندفاعي مؤخرا.

هتف بخشونة لتزفر قبل ان تجيبه:

- لماذا لا تسال نفسك بالأول لماذا؟ الم ترى نفسك كيف تكلمت معها؟! انت ترى فقط يا ريس ما تريد.. ابعد الغشاء المحيط بعينيك وراجع نفسك جيدا.

انهت كلامها منسحبة من الغرفة لتنزل الى غرفة دراستها.. وتجلس وحدها شاردة بحزن بما مر معها في هذا اليوم الشاق.. بينما هو وقف امام النافذة، شارد الذهن بجداله هو ولين.. كل ما بدر منه اليوم رغما عنه.. اعصابه مشتتة.. المشاكل تتراكم فوق رأسه.. اصبح لا يستطيع التحكم بغضبه.. يمر بأوقات متعبة حقا..

هو لا يريد اذية الغير وخاصة من يحب لكنه غير قادر على تمالك اعصابه.. السخط والغضب متأججان بأوصاله.. ما يمر به مرهقا حتى النخاع.. لا يذكر حتى ما ابثقه حينما تكلم معها على الهاتف.. لا يذكر شيئا من محادثته الجارحة من كثر الغضب المتأجج في عروقه.. هي اتصلت به بأكثر وقت كان فيه غاضبا.. يعلم بأن كل كلمة نطقتها كانت محقة بها.. يعلم ذلك ولكن غروره يمنعه من الإعتراف..

تأفف بضيق عارم وهو يجول بالغرفة ذهابا ايابا.. لم يكن عليه التصرف كما فعل.. سينتظرها حتى تصعد للغرفة ليتفاهم معها.. يريد ان يتركها الان براحتها حتى تهدأ وكذلك يريد لنفسه الراحة قليلا حتى يخرج ما بصدره..

تمدد على السرير بثقل منتظرا اياها بالصعود الا انها لم تصعد قط بل لم تخرج من الغرفة الساجنة نفسها بها حتى! كانت مقلتيها تذرف دموع القهر والحزن التي تشعرهما بسببه.. تعلم انه سيندم بعد قليل.. لكنها

اصبحت لا تفهمه.. صار عصبي بشكل مؤذي.. ولم يعد يبالي بما يقوله.. انه يحبها وهي تعرف حق المعرفة..

دعت بصمت ان يُسهل اللّه حياتهما الزوجية ويوفقها..

دعت ان يفك اللّه كربها ويهدي لها حبيبها وزوجها..

اوقف دعاءها صوت هاتفها الذي يعلن عن اتصال..

فأمسكته بأنامل مرتجفة وردت بعد ان وجدت عدن المتصلة، هامسة بصوت باك:

- الوو..

انتفضت الأخرى بهلع وقلق عند سماعها شهقات لين..

فأردفت بخوف عليها:

- لين حبيبتي ما بك؟ لما تبكين؟

اغمضت لين عيناها وهي تجيب بتقطع بسبب شهقاتها ودموعها المتحشرجة على وجنتيها:

- انا متعبة يا عدن.. متعبة للغاية!

هتفت عدن بنفاذ الصبر، والقلق والأسى ينهشاها نهشا على بكاء لين الذي مزق نياط قلبها:

- اللعنة يا لين.. لا تخيفيني عليك.. ماذا حدث؟! هل اذاكِ ريس؟! هل تجرأ وضربك؟!

حركت لين برأسها بنفي، هامسة بنشيج:

- لا، ريس لم يضربني.. انا فقط متعبة من كل شيء.. كل ما مررت به اليوم ذبحني.. ارهقني.. اشعر بأنني اختنق من الضيق يا عدن.. اخاكِ لا اعلم ما به يعاملني بمثل هذه الطريقة.. ربما يعاني من مشاكل بالعمل ولا شيء اخر.. لكنني لست معتادة على اسلوبه القاسِ الى هذا الحد.. عدن اشعر بأنني مكتومة.. هناك حمل ثقيل موضوع على قلبي يؤلمني.

بدأت الأخرى بالبكاء فور انتهاء لين من كلامها الذي احزنها والمها بقوة.. وهمست ببكاء:

- لا تبكي يا لين ارجوك.. ريس طيب القلب صدقيني.. انا متأكدة ان حدث معه امرا اغضبه وربما انا ما كان يجب ان ارفع صوتي عليه واتحداه بهذه الطريقة بما انه اخي واعرف ما يكره وما يحب بي.. لكنني غبية..

كنت اشعر بالحنق منه لأنه لم يسمح لك بالذهاب للتسوق.

ردت عليها لين هامسة بإبتسامة خفيفة وهي تجفف دموعها العالقة في جفونها بخفة:

- يا مجنونة لا تبكي.. انت حقا غبية ولم نختلف بهذا الموضوع.. انسي فقط.. انا أعرف كيف سأتصرف معه، ولكن بالنسبة لرفضك للزواج يا عدن انا بحاجة للتحدث معك بشكل مباشر بما انني خضت بهذه التجربة وبطريقة اصعب بكثير منك!

اومأت لها عدن بإبتسامة خفيفة ومن ثم قالت:

- حسنا هيا اذهبي للنوم.. بالكاد افتح جفوني ونصيحة مني علميه درسا لا ينسى على ما فعله معك.. لذا انا اقترح عليك وانت نفذي يا قلبي لأنني اهتم بمصلحتك.. تعرفين ما اقصد! فلذلك لا تنامي معه بنفس الغرفة.. دعيه يشعر بغيابك وبما فعله معك هذا المتعجرف.

قهقهت لين وقد تناست البعض من المها الوجداني رادفة:

- مجنونة.. لكنني بالتأكيد سأفعل ذلك.. تصبحين على خير.

اغلقت لين الهاتف لتتحول ابتسامتها المرحة الى ابتسامة حزينة.. ثم نهضت بتثاقل لتجلب لها وسادة وبطانية كي تنام..

لم تستطع عينه ان تغفو ولو لثانية واحدة وهو ينتظر ان تهم بالصعود.. لكن كل انتظاراته باءت بالفشل لأنها لم تخرج قط..

نظر الى ساعة هاتفه الموضوعة على المنضدة بجانبه ليجد انها اصبحت الواحدة ليلا، فزفر انفاسه بضيق قبل ان يهم بالنزول ليراها لما لم تأتي بعد..

اول ما خطر بباله هو ان تكون جالسة بغرفة دراستها.. لذا اسرع نحوها بخطواته الواسعة.. وما ان حاول فتح الباب وجدها مغلقة من الداخل.. فلعن بغضب من تصرفاتها

المقصودة.. ثم طرق على الباب بخفة هاتفا بهدوء لا يماثل الاضطرام والإشتعال الذي بداخله:

- لين.. افتحي الباب.

بقي يردد اسمها وهو يطرق على الباب الا انه لم يأتيه اي رد منها حتى لو بضئيل.. ليشتم عاليا قبل ان ينطلق نحو مكتبه ويحضر نسخة اخرى من المفتاح المطابق لباب غرفة دراستها ليتمكن من الدخول..

دخل الى حيث ترقد ملاكه بعد ان تمكن من فتح الباب بخشونة.. وجال بعينيه لتستقر على حبيبته النائمة على الأريكة كالأطفال.. متقوقعة على نفسها وكأنها تحمي جسدها من اي خطر يكاد ان يداهمها..

سار نحوها بخطوات خفيضة، كخفة الفهد تماما.. ومن ثم جلس على الأرض بجانبها ممعنا النظر في جفونها المنغلقة قبل ان يطبّع قبلة مفعمة بالحنية على جبينها برقة..

تحركت هي بإنزعاج وبرطمت شفتيها بضيق ليبتسم تلقائيا على مظهرها الطفولي.. ومدّ يده ليتلاعب بخصلات شعرها المتناثر على الأريكة بحرية فغمض عينيه من عبيرها الذي باغته ليتنشق اكبر قدر ممكن منه..

تنفس بصعوبة وهو يقرب وجهه اكثر نحو وجهها هامسا بحب واسف:

- اسف ليني.. ما كان يجب ان اؤذيك بكلامي.. لكن كل ما واجهته اليوم كان صعبا جدا علي.. ولم استطع تمالك نفسي او معرفة ما اقوله.. حتى انني لا زلت لا اذكر ما هتفت به عندما اتصلت بي غير انني جرحتك بكلامي.

كانت هي غاطة بنوم عميق من كثر ارهاقها لدرجة انها لم تشعر بأي مما يقوله او ما يفعله.. فلاحظ هو انها لم تتحرك كغير عادتها الخفيفة في النوم ليتنهد بأسى قبل ان تمتد ذراعيه لحملها كطفلة رضيعة ويصعد بها الى غرفتهما..

وحال ما كان يصعد للأعلى تململت بإنزعاج جلي ثم فتحت جفونها ليقابلها وجهه المحدق بها.. فشهقت بذعر كرد فعل لوجودها بذراعيه بعد ان احكمت غلق الباب بالمفتاح.. وصاحت بخوف وتوتر وهي تضرب رجليها في الهواء كي ينزلها:

- ماذا تفعل؟! انزلني.. انزلني.. دعني يا ريس.

وضعها على السرير برقة، غير مبالي بكلامها.. وبعدها توجه نحو باب جناحهما ليغلقه بالمفتاح .. ساحبا اياه ليضعه في جيبه حتى لا تتمكن من الخروج.. بينما هي كانت مصدومة مما يفعل لدرجة انها لم تظهر عليها اي ردة فعل الا عندما اقترب منها، جالسا على السرير بجانبها لتتراجع الى الخلف بضيق شديد منه هامسة:

- لماذا تتصرف هكذا؟ دعني اخرج، انا لا اريد النوم بجانبك.

اجابها مُسلطا عيناه الحادة بعينيها الواهنة:

- سبق واخبرتك يا لين ولن اكرر.. لست انا من يسمح لزوجته ان تنام بعيدا عنه.. حتى لو كنا ليس فقط متجادلين كمثل هذا الجدال التافه بل اقصى لن اتركك بتاتا.

قاطعته بغضب وهي تشعر بكل عرق بجسدها ينفر من كلامه المستهتر بجدالهما.. تافه!!! كل ما فعله مجرد تافه بسيط بالنسبة له.. مما هو مصنوع؟! كيف له ان يكون بهذا الثبات وهذا البرود الذي لا يطاق؟

هتفت بغضب:

- تافه يا ريس؟! شجارنا تافه بالنسبة لك؟! صحيح.. بالتأكيد سيكون تافه! فلستَ انت من جرحت ولست انت من تأذيت بل كنت انت الفاعل.. انت الملاك البريء وانا الجانية.. اللوم كله علي.. انت الذي اتصلت بي وصرخت انا عليك دون اي مبرر او سبب مقنع.. انا التي جرحتك بكلامي.. انا التي جافيتك والتي تصرفت بقسوة معك.. يكفي رجاءا يا ريس.. انا متعبة بما فيه الكفاية لتحمل المزيد من شجاراتك التي لا تنتهي.. اتركني وشأني!

ختمت كلامها لتوليه ظهرها ، متمددة على الفراش كي تحجب عيناه عن رؤية دموعها التي

انزلقت كشلال ماء لا يمكنه التوقف.. اما هو رعشة قاسية تلك التي سارت في دمائه.. هل هو بالفعل اذاها لتلك الدرجة؟! هل جرحها للغاية كما تقول؟! لم يشعر ببشاعة تصرفاته الا ريثما انتقدته.. كيف لهذه الصغيرة ان تكون جميع انتقاداتها وانفعالاتها صحيحة جدا؟! بكل مرة توجه له ملاحظات تكون على حق بعد ان يراجع نفسه ويتأكد من صحة كلامها.. هو لا يريد اذيتها ومتيقن من انها مدركة لهذا الشيء.. لكن تبا لعصبيته المفرطة..

نهض من جانبها ليعطيها الراحة لتخرج كل ما يجول في جوفها.. وتركها كما طلبت ليخرج هو من الغرفة، بل من المنزل بأكمله.. في هذا الوقت المتأخر.. لا يعرف اين سبيله.. لكنه فقط كان يقود سيارته بضيق شديد..

لم يكن هناك اي اثر لأي كائن في الشوارع غير صوت سيمفونية الحشرات والحيوانات التي ترقد على جوانب الطريق..

توقف اخيرا قبالة بحيرة صغيرة رأها وهو يقود.. ليترجل من السيارة ويتكئ عليها بثقله من الامام.. مفكرا بما يحصل معه وما يجب عليه فعله ليحل هذه المعضلة الكامنة بينه وبين زوجته، وبينه وبين اخته..

اما بالنسبة للين التي قد ذبلت عيناها من كثرة الدموع التي بذرتها.. فقد كانت قلقة جدا عليه لأنها سمعت صوت محرك سيارته عندما اشتغل وغادر هو بها..
وتفاجأت منه بشدة حيث لم يرد عليها ببنت كلمة رغم ما اخرجته من صدرها.. "ماذا لو افتعل حادثا ما؟!" فكرت بقلق وخوف لتنهض عن السرير وتدور حول الغرفة ذهابا وايابا..

"هل تتصل به؟!" فكرت مجددا.. بعد تناقضات طويلة دامت بين قلبها وعقلها قررت الإتصال به لتطمئن عليه..

شعر بهاتفه يهتز في جيبه معلنا عن اتصال.. فأدرك من المتصل دون ان يلقي نظرة حتى على الشاشة المضيئة..

ورد:

- اجل لين!

عقد لسانها حال سماعها صوته المرهق.. ولم تعرف ماذا يتوجب عليها ان تقول.. لتأخذ نفسا طويلا قبل ان تهمس بصوت مبحوح:

- الن تعود؟!

رجفة صوتها فقط جعلت كيانه يتبعثر.. كل ما حاول جمعه خلال هذه الساعات القصيرة ذهب فداءً.. فتنهد وهو يهمس:

- لا، اريد البقاء لوحدي قليلا.. نامي انتِ سأتي في الصباح.

هل هو مجنون؟! يريد تركها لوحدها في المنزل ويبقى هو في الخارج.. ماذا لو اذاه شخصا ما!

ستجن بكل تأكيد.. لا لا.. لا يجب ان تسمح له في النوم خارجا.. يجب ان تضع مشاكلهما جانبا طالما يتعلق الأمر في خوفها وقلقها عليه.. هو حياتها لو اصابه شيئا بسيطا ستموت من الرعب عليه..

همست بتردد حال ما ادركت بأن صمتها طال:

- لا تتركني لوحدي.. عد الى المنزل يا ريس! ابقى لوحدك في المنزل، بقربي! ولكن ليس بعيدا عني بأميال.

ادهشته نبرة صوتها المخنوقة.. اتخاف عليه بعد كل ما فعل؟! رباه هل هناك اطيب منها؟! ما هذا الملاك الذي وهبه له الله؟!رباه كيف له ان يرفض او يعترض على طلبها.. ودون شعور منه غمغم:

- سأتي حالا يا لين.. لا تقلقي ونامي.. مسافة طريق وسأكون بجوارك.

همهمت بموافقتها قبل ان تلبي ما امرها به.. لتشعر بالأمان يعاود ادراجه الى فؤادها الخافق بأسم واحد ووحيد!!

****

حضرت عدن الى الجامعة متأخرا حتى تتفادى لقاء ذاك الذي كرهته اكثر البارحة بعد طلبه من ريس الزواج بها.. ولكن الحظ لم يحالفها فها قد تم تبديل تقسيم الحصص، ليكون درسه الان.. فإشتعلت اوداجها غضبا وضيقا ريثما اخبرتها ديم بذلك لتهتف بشراسة:

- تبا لك يا ديم.. على الاقل كنت اخبريني مسبقا.. عندها كنت سأحضر مسبقا ولا اسرف بدرس المحاضرة "هالة".

قهقهت الاخرى وهي تجيب:

- لماذا تكرهين الاستاذ اوس لهذه الدرجة؟ انه حقا وسيم وجذاب ولطيف.. والأدهى من ذلك البارحة عندما طلبت منه تغيير تقسيم الوظائف لنكون انا وانت معا وافق دون اعتراض.

- اصمتي رجاءا ولندخل قبل ان يأتي ويوجه انتقاداته التي لا تنتهي.

غمغمت بحنق وسخط لتقهقه الأخرى مرة اخرى عاليا..
ويدلفا معا الى القاعة..

جلست على اول مقعد كما امرها وجلست ديم بجانبها..
وكادت ان تنهض لتجلس اخر القاعة لتتعمد اغاظته الا
انه قد سبقها ودلف الى الصف بجديته المعهودة.. فرمقته
بتذمر ليبتسم هو بإستمتاع.. وقد ادرك ان ريس اوصل لها
طلبه.. ويعرف جيدا انها سترفض.. لكن ليس اوس من
يفشل بشيء.. سيصل لمبتغاه.. سيصل لقلبها.. وسيحصل
عليها بإرادتها ايضا..

بدأ بإلقاء محاضرته بينما هي كانت ترسم بقلمها على
دفترها الموضوع امامها، غير مكترثة بما
يقول.. كل ما يهمها الان ان تستفزه.. ولكن عبثا فهو قد
تجاهلها كليا ليتضاعف حنقها وغضبها اضعافا..

****

استيقظت لين على اشعة الشمس المنبعثة من النافذة..
وتململت بضيق عندما شعرت بجسدها مقيدا بجسد ما..

لتفتح عيناها وترى نفسها نائمة بأحضان ريس النائم كالملائكة واثار التعب جالية بوضوح على ملامحه.. فإبتعدت عنه بخفة حتى لا تزعجه ونزلت للأسفل لتحضّر له الإفطار قبل ان يذهب الى العمل..

عند انتهائها صعدت له ووجدته لا يزال على وضعيته.. فشعرت بالتردد هل توقظه ام تدعه نائما؟! ولكنها حسمت امرها اخيرا لتسير نحوه، هامسة بخفوت:

- ريس.. ريس استيقظ.. تأخرتَ عن العمل.

فتح جفونه ليقابله وجهها الحبيب فإبتسم هامسا:

- صباح الخير.

ردت له الإبتسامة رادفة:

- صباح النور.. هيا انهض واستحم.. ملابسك جاهزة والإفطار كذلك.

اومأ بموافقته ونهض عن السرير مقتربا منها هامسا ،و ممعنا النظر في عيناها المرتبكة من قربه:

- اسف حبيبتي.. سامحيني على جرحي لك البارحة وتأكدي ان ما بزغ مني لم يكن بوعي او بإرادة مني.

تنهدت وهي تصرف نظراتها عنه.. وهمست:

- انهي ما عليك ثم سنتكلم.

****

لم تصدق بأن محاضرته اللعينة قد انتهت.. ارادت الخروج سريعا الا ان استوقفها صوته الذي سمعته يهتف:

- عدن.

استدارت اليه برفقة صديقتها ديم.. فهتف بجدية موجها حديثه لديم المتعجبة من تصرفاتهما:

- بإمكانك الخروج انسة ديم، فأنا اريد التكلم معها على انفراد.

لبّت الأخرى رغبته بإحراج، فهدرت عدن بضيق:

- قل ما عندك.. ليس لدي وقتا فارغا لك.

ابتسم ليستفزها فقطبت حاجبيها بإمتعاض.. ثم اردف بخبث، مستمتعا لأقصى حد بإنزعاجها:

- لما العجلة؟! اتعلمين.. معك حق لما العجلة وانا سأتكلم معك يوميا وفي منزلي، وانت ستكونين بجواري دائما يا زوجتي المستقبلية.

لمعت عيناها بشراسة، هاتفة بعنفوان يعشقه:

- بأحلامك ايها المتعجرف.. بأحلامك!!

قهقه عاليا لدرجة انها شعرت برنين ضحكته يُحفر في طيات اذنيها وعقلها، مغمغما بتحدي لذيذ:

- سنرى يا حبيبتي.

- لست حبيبتك.

صاحت بغيظ شديد.. ليقترب منها اكثر فتراجعت الى الوراء بتوتر من قربه، وقبل ان يتمكن من الأمساك بها، كان باب القاعة يُفتح ليدخل الطالب الذي يدعى "قيس" رادفا بتلعثم:



- اه.. اسف لم اكن ادري انكما هنا.



الفصل السادس عشر

ارفع عليكِ راية عشقي..

حبي سيهزم جأش كبرياءكِ..

وسيجعلكِ قانتة لتجاسري..

فليس لك خيار اخر اسيرتي..

فعشقي حكم عليكِ ان تكوني

كل ما يرفضه منطق الميثاق..

واجبرك على الإذعان امام جبروتي..

لذا لا تحاولي الإبتعاد يا اميرتي..

فليس هناك مفر من براثن حبي..

انهى ريس ما عليه ثم توجه الى الأسفل ليراها واقفة امام النافذة تنظر بشرود الى السماء الزرقاء الناعمة.. فإقترب

منها بخطوات بطيئة ووضع يده على كتفها بخفوت، مناديا اسمها بهمس:

- لين..

استدارت اليه بعد ان التقطت نفسا عميقا لعلها تتوسع افاق صدرها المنكمشة بضيق مؤلم.. وتمتمت بهدوء:

- نعيما.

ابتسم وهو يجيب، متوسما البصر في جمالها الطبيعي الذي يزداد يوما بعد يوما:

- تسلمين حبيبتي.. الا تريدين ان تطعميني؟! فأنا جائع كالجحيم.

ابتسمت هي الأخرى ابتسامة حزينة وغمغمت بصوت شجن لاحظه وجعل فؤاده يئن الما:

- بلى.. تعال لنأكل، فالإفطار جاهز.

وضع يده عل خصرها ليقربها اليه.. فرفعت حدقتيها الى عيناه بتفاجؤ، الا انه تجاهل كل ذلك.. وسار محكما انامله على خصرها ليحثها على السير بجانبه..

ما ان ارادت ان تبعد يده الصِلدة، كان يسبقها حيث ازاح لها كرسي مائدة السُفرة لتجلس عليه.. فجلست عليه بتنهيدة مكتومة.. ورأته يتحرك ليجلس على المقعد قبالتها، مُرّسِّخا ذهبتيه بفضيتها.. فأشاحت بلؤلؤتيها بإرتباك بادٍ لتسلطهما على الطعام المرتب على الطاولة بشكل يثير الشهية.. وهمست بتحشرج:

- ها هو الإفطار جاهز.. لما لا تأكل؟

- ليس وانتِ حزينة.. ليس وانتِ متألمة بسببي.. كيف تريدين مني ان اتذوق لقمة واحدة وانا ضميري يؤنبني؟! انا اسف يا لين.

ردّ عليها بنبرة هامسة صادقة جعلت صدرها ينكمش برعشة مؤلمة.. وتفاقم هيجان لبها بسعادة عارمة.. فلمعت جفونها بدموع حبيسة ودون ارادة منها انسكبوا على وجنتيها.. لينهض من مكانه سريعا ويقترب منها،

شاعرا بقبضة مؤلمة تمنعه عن التنفس.. وهمس وهو يمسح دموعها بشفتيه:

- اسف.. اسف.. لا تبكي ارجوكِ.. اغضبي وافعلي ما تريدين لكن لا تبكي! فدموعك تنزل مثل النار على قلبي وتكويه لتحوله الى رماد.

ابتسمت لين بتأثر شديد بينما قلبها يدوي صارخا كالطبول حتى باتت تسمع اذنيها تقرع مثله.. وابتعدت قليلا بوجه محمر من فرط الخجل..

انتقلت ابتسامتها اليه كالعدوى.. الان فقط يشعر أنه يستطيع التنفس... بعد ان رأى عيناها تلمع بحب وبهجة وليس الما وحزنا..

وفي هذه اللحظة بالذات ارتمت لين على صدره.. تريد ان تتغلغل في اوردته.. قابضة بيدها الصغيرة الناعمة على قميصه الكحلي الذي كاد ان يتمزق بسبب اظافيرها الطويلة المغروزة به.. واجهشت ببكاء كطفلة صغيرة

تخاف غضب والدها وعقابه.. ويعود الأمان الى كيانها عندما يصالحها.. هامسة بشهيق:

- لا تفعل ذلك مجددا.. ابدا ابدا.. انا احبك واحب ريس الذي يحبني.. الذي يحزن لحزني ويفرح لفرحي.. وليس الذي يؤلمني.. ريس لا تؤلمني بقسوتك.. انت كل ما يوجد لقلبي الخافق بأسمك.. اعتدت على حنانك ورقتك معي فلا ترفعني مرة واحدة للسماء ثم تدعني اسقط كالطير المقتول.

اعتصرت يداه جسدها الهزيل فتأوهت بألم من عنف عناقه الا انها لما تبالي قط.. كل ما يهمها الان انها في ذراع زوجها..

اغمضت عيناها تستشعر دقات قلبه الصاخبة والمعادلة لدقات قلبها التي تضرب بعنف شديد.. ثم سمعته يهمس:

- لا تبكي صغيرتي.. لا تبكي.. انا فقط كنت غاضبا وحينما اغضب لا اعرف ماذا اقول او كيف اتصرف لذا اعذريني حبيبتي.. انت عندما اتصلت بي كنت عصبيا لأبعد حد فقد كان لدي مشاكل عديدة بالشركة

والتي ادت الى جعلي اثور عليك رغم معرفتي ان ليس لك اي ذنب.. فقط اعرفي أنني لا ارى ولا افكر في غضبي وبغيرتي كذلك.

ارادت الإبتعاد عنه قليلا لترى عيناه التي تأسرها في نعيم الأحلام الا انه لم يسمح لها حيث ضغط على جسدها بجسده.. متمنيا ان تكون عظامه كي يسترها جلده عن العالم بأسره..

فإستسلمت لذراعه بخنوع عاشقة، متيمة بسلطانها الوحيد والأوحد ، وغمغمت بقلق بعض الشيء:

- وهل الان تحسن الوضع في الشركة؟

تنهد مجيبها ، واضعا رأسه على شعرها العسلي المتموج بجاذبية سالبة كل حواسه:

- لا لكن قريبا بإذن اللّه كل شيء سيُحل.

- ما الذي حدث بالضبط؟!

تساءلت بفضول التقطه سريعا فإبتسم قليلا وهو يبتعد عنها فتذمرت بإنزعاج لتتعالى قهقهته مرة اخرى عاليا وهو يضرب طرف انفها بخفة بأصبعه هاتفا:

- لا تتدخلي بعملي ايتها الشقية.

برمت شفتيها بنزق واشاحت بوجهها، مكتفة يداها كالأطفال وهي تغمغم بسخط:

- الان عملك صار اهم مني!

لم تفارق الإبتسامة وجهه وشعور بالراحة الفائقة يتوسد كل خلية بجسده عندما عادت الى لين الطبيعية المعتاد عليها.. لين المرحة والشقية.. الخجولة والرقيقة.. حبيبته الوحيدة.. وكم يعشق براءتها التي تستولي على لُباب روحه دون اي ادراك منها..

همس بإستمتاع ومكر:

- انت شيء وعملي شيء.. و

قاطعته رافعة اصبعها بوجهه، محذرة اياه بجدية:

- لا تقارنني بشيء اخر.. انا كل شيء.. انا فقط! افهمت ام تحب ان افهمك؟

لم يتمالك نفسه الا وهو ينخرط بنوبة ضحك شديدة دوى صداها في اذنيها.. متعجبا، مذهولا وغير مصدقا فعلتها الجريئة..

انزل اصبعها بطرف يده هاتفا بضحك:

- هل ترفعين اصبعك بوجهي؟! لا وبل تهددينى! من انت عزيزتي؟! لكن حبيبتي بكل صراحة

اخبرك، مُقدرّا جرأتك، ليس ريس الجايد من يُهدد وخاصة من طفلة.

انكمشت عيناها بضيق، متأففة بصوت عال:

- كف عن غرورك هذا لو سمحت.. ولا تنعتني بالطفلة.. واجل انا اهددك يا ريس اياك ثم اياك ان تقارنني بشيء اخر.

صمتت لوهلة قبل ان تضيف بتغنج وتعجرف:

- وليست لين الجايد من يتجرؤون ليقارنوا بها اي شيء.

ثم اقتربت منه، ممسكة بتلابيب قميصه بخفة ومقربة وجهه الى وجهها.. وهمست بغرور:

- وخاصة اذا كان من يقارن هو ملكي.. افهمت حبيبي؟!
انتَ ملكي تماما كما انا ملكك.. لن اسمح حتى لأتفه الأشياء ان تشاركني بك.

تفاجأ بإندهاش مما تفوهت به شفتيها الكرزيتين،
ورعشة لذيذة تلك التي سارت في انحاء جسده
بعنجهية.. كلامها تحكم بكل عرق نابض في جسده..
دوى قلبه صارخا بالسعادة.. باتت كثيرا ترضي غروره..
ترضي روحه وفؤاده الهائم بها وحدها..

همس بصوت خشن، مُثَقل بالمشاعر الجياشة:

- هل تغارين يا محبوبتي؟!

- اغار وبشدة.. كما تغار وربما اكثر!

غمغمت بصدق وثبات ليجلي ريقه قليلا قبل ان يقول:

- ليذهب الطعام والعمل الى الجحيم.

وسرعان ما كانت شفتيها اسيرة شفتيه بقبلة مفعمة بالمشاعر والأحاسيس.. وروحهما تزهو بوله في الرياح الناعمة تحت شعاع القمر لوحدهما دون اخر.. في غيمتهما الخاصة التي بنوها بالعشق والحب وربما الغيرة!

****

شهقت عدن وهي ترى قيس بعد ان اردف بإعتذاره يغادر.. فأرادت الخروج هي الأخرى الا ان قبضة اوس التي امسكت معصمها ردعتها فألقت عليه نظرة حارقة وهي تهتف بنبرة حادة:

- ابعد يدك عني.. لست انا من تسمح لرجل غريب بلمسها.. ابتعد قبل ان احرقك وانت حي حضرة السيد اوس.

لم يحرك يده عن معصمها لو لثانية بل ضغط عليها اكثر، هامسا بخبث امام عيناها السماوية..

ولم يستطع بداخله اخفاء وانكار شعوره بالإعجاب من تصرفاتها التي توحي على التزامها بدينها وشرفها..
وكذلك متعته اللا محدودة في اثارة غضبها والإستماع الى لسانها السليط:

- انا احترق وانت بعيدة عني.. اهناك حرقا اقوى من حرق بعدك يا عدني؟!

احمرت وجنتيها بقوة من خجلها وغيظها وهمست بتلعثم وهي تجاهد نزع يدها:

- اا.. ابتعد عني قد يأتي احدا اخرا ويفهم شيئا خاطئا.

ابتسم حتى لمعت عيناه وهو يرى وجهها الذي يشع بالإحمرار من الخجل.. انها البداية فقط.. سيجعلها تعشقه كما هو هائم ومهووس بها.. لا بل اكثر! سيجعلها سجينة حبه كما جعلت قلبه لا يناجي الا بأسمها، راجيا قربها..

قرّب وجهه مُثبتًا عيناه الفائضة هياما امام عيناها الزائغة بإرتباك وهتف بعدم اكترات:

- ليفهموا ما يشاءون.. في الاصل قريبا ستكونين زوجتي امام اللّه وامام الكون اجمعه.. سأنزع عيون كل من يلفظ اسمك ببنت شفة.. سأجعلك لي بكل معنى الكلمة.. هل فهمت حبيبتي؟ اقصد خطيبتي حاليا.

كلامه هذا بعثر كل ذرات عقلها، لتصبح تائهة وضائعة بأشياء جديدة تدركها وتتعامل معها للتو.. حاربت لتبقى على ثباتها.. واستطاعت وهي تهتف بشراستها المعهودة التي يعشقها:

- يبدو انك لا تفهم! سبق واخبرتك مستحيل ان اكون لك! في احلامك ايها البغيض فقط.. في احلامك.. انت ابقى احلم ليوقظك الواقع وترى ان كل ما تتكلم عنه مجرد خرافات لعينة.. والان اتركني قبل ان اجعل وجهك يُقطّر دما بدلا من ان يُقطّر غرورك هذا.

قهقه عاليا وهي تتململ بين قبضته كالقطة التي لا تستسلم ولا تيأس ابدا.. واردف بسخرية:

- افعلي ما بوسعك عزيزتي.. سأكون متشوق لذلك لأقصى حد.. وستعجبني محاولاتك التي لا بد من انها ستفشل.

احتدت عيناها بغضب من بروده المستفز والذي لم يكن الا اشعال لشرارات جنونها.. فجرحت له قبضته الممسكة بمعصمها بأظافير يدها الأخرى ليبتسم لها بسخرية.. هاتفا بإستمتاع مليئا بالتوعد:

- لن يروّضك شخصا غيري فرستي.. انتظري فقط.

- فلتذهب الى الجحيم!

صاحت بقوة بعد ان حررها من براثنه.. وقبل ان تغادر القاعة صافعة الباب خلفها بعنف سمعته يهتف:

- بالتأكيد سنذهب معا وسنحترق بها انا وانتِ حبيبتي.

خرجت تتنفس بغضب شديد.. هذا الأحمق ستقتله بكل تأكيد ذات يوم.. من يظن نفسه؟! يعطي نفسه اكثر من حجمه.. لو ظن لو لثانية واحدة انها قد تقبل به سيكون مخطئا بكل تأكيد.. ضربت قدميها بالأرض بضيق عارم

من بروده وثقته الشاسعة بنفسه وكأن ما يقوله سيُنفذ.. لن تكون له ولو قطعوا لها رأسها.. تقسم لم تبغض شخصا بحياتها مثلما تبغض ذاك المغرور البارد..

كانت في داخل دوامة من التفكير به.. ولم يوقظها سوى صوت ديم التي اقتربت منها هامسة بتساؤل:

- ماذا اراد منك المحاضر اوس؟ ولما وجهك احمر لتلك الدرجة؟!

القت عدن عليها نظرة حانقة وهدرت بغضب:

- لا تتكلمي عنه بعد الان امامي.. سأقتله ذاك الحقير.

ضحكت ديم وهي تغمز لها، مغمغمة بخبث:

- يقولون ان الشخص الذي تكرهه اكثر شيئا ستعشقه ذات يوم بجنون.. وانا انتظر ذلك بفارغ الصبر عزيزتي.

رمقتها عدن بنظرة قاتلة وهي تفكر انه لو كان اخر رجل في الدنيا لن تحبه ابدا ابدا.. ثم هتفت بتحذير:

- اصمتي ديم قبل ان اقتلك.. واوقفي تفاهاتك هذه.. لن احب اطلاقا ذاك الوغد.

قهقهت ديم عاليا وهي تردف:

- سنرى لاحقا.

****

كانت لين تدرس بكل جهد بعد ان ذهب ريس الى شركته متأخرا للغاية بسبب تفضيله لقضاء الوقت معها، غير عابئا بالشركة ولا بالغير..

ابتسمت بشرود وهي تضع القلم الذي بيدها على المكتبة واحداث ما حصل في الصباح تتكرر في ثنايا عقلها بإستمرار.. حتى هي تفاجأت من نفسها.. لا تعلم كيف اتتها الجرأة لتعترف بغيرتها بكل شجاعة امامه.. دون خجل.. ودون حواجز..

ارادت ان تثبت له انه ملكها كما هي ملكه.. عليهما ان يتعاملا بالتساوي في كل شيء.. هو يغار عليها من جلدها فهي تغار عليه من عظامه.. الان باتت تدرك معنى الغيرة

وتدرك ما يشعر به.. ربما غيرته هو مبالغ بها لكنها لن تكون لين اذ لم تجعله يدرك معنى غيرة حواء الحقيقية.. فهو على ما يبدو انه لا يعلم ان كيدهن عظيم.. وهي ستجعله يحترق بنارها كما احرقها بناره..

انتصبت واقفة مزيلة الأفكار التي تستحوذ عقلها.. لا بد انها ستصير مثله في كل شيء.. في طباعه، غيرته، تصرفاته وحتى بجرأته.. حقا صدق المثل الذي يقول "من عاشر قوما اربعين يوما صار منهم"..

امسكت هاتفها لتتصل بريس.. وبعد قليل من الوقت اتاها صوته الرجولي لتبتسم تلقائيا وهي تشعر به مشغولا للغاية بسبب تأخره ورغم ذلك فضّل ان يرد عليها.. فهمست:

- مشغول حبيبي؟

- قليلا.. هل هناك خطبا لين؟

اجاب مبتسما لترد عليه هي الأخرى بإبتسامة:

- اجل، ريس انا اريد زيارة والدتي.. هل بإمكاني؟!

كانت لين متأكدة من انه سيوافق لأن مزاجه جيدا اليوم.. لكنه خيّب امالها وظنونها ريثما هتف بجدية:

- طبعا لا حبيبتي.. لن تزوري احدا وانا لست معك.

تنهدت بضيق مغمغمة بعدم رضا:

- لماذا لا؟! انا لن اتأخر ثم انني سأزور والدتي وليس احدا غريبا حتى ترفض.. لقد مللت الجلوس بالمنزل لوحدي وانت طوال الوقت بالعمل.

زفر ريس محاولا ان يستمد الصبر حتى لا يثور.. الغبية كيف تظن انه قد يسمح لها بالخروج وهو ليس معها؟ والأدهى ان من الممكن بأي لحظة تتعرض للخطر هي وبقية افراد العائلة بسبب ترنيم.. فهتف بتلاعب ليدعها تنسى فكرة زيارتها الى منزل عمه:

- لم اغيب عنك سوى بعض ساعات حبيبتي.. هل تريدين ان اعود لنبقى معا لوحدنا واترك العمل؟ انا لن امانع ذلك اطلاقا فبقائي بجانبك وغرسك في ذراعي وتذوق رحيق شفتيك هو ما ابغاه واتمناه طوال الوقت.

اكتست حمرة الخجل ملامح وجهها الذي صار عبارة عن مولع تدفئة.. وهمست بخجل وارتباك:

- لا، لا تعود.. ابقى في الشركة طوال الوقت ان اردت.. وانت وقح وجريء جدا على فكرة.

قهقه عاليا بعد ان نجح في ايقاعها في فخه بمنتهى السهولة.. واردف بمكر:

- لم يكن كلامك هكذا في الصباح.. هل تذكرين؟

وحال ما ختم كلامه وجدها تغلق الخط في وجهه..
فضحك بكل قوته وهو يتخيل مظهر

وجهها الجمري من فرط الخجل والإرتباك..

اما لين التي كانت غافلة تماما عما ارادت الإتصال لأجله، لم تكن تفكر الا كيف ستقابل وجهه بعد احراجه لها بتلك الطريقة..

- تبا لك يا ريس.. وتبا لي ايضا.

صاحت بها بحنق وهي تدور حول نفسها كالمجنونة..

****

توجه جواد الى شركة جود بسيارته البيضاء لوحده..
الغضب كان بارزا في عروق عنقه وهو يقود بتهور.. عابرا اشارات المرور الحمراء..

الام حادة كانت تعصف بروحه.. لا يستطيع التكلم مع ريس الان.. ليس لديه الجرأة للوقوف امامه ليخبره عن فعلته الشنيعة التي كادت ان تودي بحياة فتاة بريئة..
ضرب المقود بيده بعنف، صارخا بأعلى صوته.. يزأر بضيق.. ويتنفس بقوة..

وصل اخيرا وركن سيارته امام شركته، راميا مفتاحها للحارس ليضعها بموقف السيارات.. ثم صعد بخطوات لاهبة الى مكتب جود، طالبا من سكرتيره بحدة ان يخبره بوجوده.. ففعل السكرتير بخوف من ابناء الجايد..

دخل جواد ليجلس امام جود المذهول، واضعا يده على رأسه بألم فتساءل الاخر بقلق:

- ما الأمر جواد؟! لماذا انت هائج لتلك الدرجة؟!

خبط جواد على طاولة المكتب وهو يصيح بألم:

- اللعنة يا جود.. اللعنة علي.. كدت اقتل فتاة البارحة.. انها بين الحياة والموت الان بسببي.. اخبرني ماذا افعل لأتخلص من تأنيب الضمير الذي ينهش روحي؟

وقف جود ، ناهضا من مكانه، وماشيا ليجلس امام المقعد الرخامي الذي يجلس عليه جواد.. ثم هتف بخوف وتشوش:

- ماذا تعني يا جواد؟ فهمني جيدا.. اهدأ وتنفس قليلا ثم تكلم بأريحية.

فعل جواد ما قاله لكن تفكيره لم يكن معه اطلاقا.. فغمغم بشرود وهو يتذكر ما حصل معه:

- البارحة كنت مع اصدقائي في حفلة.. ولم اشعر الا وصديقي..

عض على شفتيه مطرقا رأسه بخجل وخزي شديد مما سيقوله فدمدم الأخر بنفاذ الصبر وهو يشعر بأنه قد فعل مصيبة لا تُغتفر:

- تكلم يا جواد لقد نفذ صبري وقد أجن الأن.

تنهد جواد ولم يرفع عيناه، هامسا:

- لقد شربت.. لأول مرة في حياتي اتذوق ما حرمه اللّه.. لا اعرف كيف جعلني صديقي اتذوق الخمر.. لكن كل ما كنت اشعره انني فاقد المقدرة لأسيطر على نفسي..
كنت مسلوبا العقل.. رشدي لم يكن معي ابدا.. ثم خرجت سائقا بالسيارة بسرعة جنونية ورأيت عجوزا وفتاة شابة تقطع الشارع و..واصطدمت بالعجوز بخفة بالسيارة لكنها لم تتأذى كثيرا سوى جروح بسيطة..

- والفتاة؟

قاطعه سؤال جود الذي خرج قلقا فشعر بروحه تنتزع منه وهو يضيف:

- جواد مذا فعلت بها؟ ماذا حدث؟!

- عندما خرجت من السيارة كانت جيدة ولكنها اغضبتني وبدأت بالصراخ علي، لأنني اصطدمت بجدتها فثار غضبي رغم عني وهي تنعتني بأقبح الصفات، باكية

على جدتها الفاقدة للوعي من الرعبة وانا بتلك الحالة الثملة.. فسحبتها من يدها صارخ بها "انني سأقتلها اذ ام تصمت" ولكنها لم تأبه بتحذيري وتهديدي فأردت اخافتها حتى تصمت.. ومثّلت انني سأغتصبها فبدأت بالصراخ عاليا ولم اشعر بنفسي الا وانا ابرحها ضربا لألقيها ممددة على الشارع الخالي من الناس في تلك الساعة المتأخرة من الليل، غارقة في دمائها كجثة هامدة.

ختم كلامه ودمعة هاربة تتساقط على وجنته فصاح جود وهو يمسكه من قميصه ليجبره على النهوض:

- ايها المجنون!! هل انت انسان لكي تفعل بها هذا؟! اين هي؟ اين هي تلك المسكينة؟

- في المشفى.

رد بأسى وتأنيب ضميره يذبحه، ليدور الأخر في الغرفة كالمجنون هاتفا وهو يحاول التفكير بحل لهذه اللعنة التي وقعت على رؤوسهم:

- اللعنة يا جواد.. اللعنة اللعنة اللعنة.. علي ان اخبر ريس.. هو الذي سيكون قادر على حل هذه المصيبة.. فأنا لا استطيع اخبار جدي او ابي بالتأكيد.. رباه! انت لم تخبره بالتأكيد لذا اتيت الي.

انزل جواد رأسه بخزي وندم رادفا برجاء:

- لا تخبره ارجوك.. لا اريد ان اسقط من عينه.. لا اريده ان يشعر بالخذلان مني.

دفعه جود بقبضته ليجلس مرة اخرى على المقعد.. مزمجرا بغضب:

- اخرس ولا تتكلم.. لا استطيع حل تلك المصيبة لوحدي.. انا بحاجة له.. تحمل نتيجة اعمالك الغبية.. من هم اصدقاءك الحقيرون بحق السماء ليفعلوا ذلك بك؟! انسى.. انسى فقط واجلس الان حتى اتصل بريس ليأتي الى هنا.

بعد ما يقارب النصف ساعة وصل ريس بحسب طلب جود ، مُدركا تماما ان مصيبة جديدة قد حلت عليهم..

فور دخوله نهض جواد بإرتباك مما جعل عينان ريس تحتد.. بينما جود كان يحاول تهدئة نفسه لأنه يعرف ما سيحصل ريثما يخبر ريس.. فتنهد وهو يسمع صوت ريس يتعالى بحدة وصرامة:

- ما الأمر يا جود؟ وانت يا جواد لما لم تعد البارحة للمنزل؟

ابتلع جواد ريقه بتوتر وهو ينظر الى جود متوسلا ان لا يخبره.. لا ليس خوفا منه.. بل لأنه يحترمه ويعتبره مثل والده.. هو اخاه الذي يسنده في كل اوقاته ويعلّمه الصح من الخطأ.. هو الذي قضى طوال حياته برفقته ليعطيه كل ما يحتاجه.. ويعلمه الأصول وكيف يتصرف الرجال الحقيقيون.. ولكن ما فعله الان سيجعله يبدو كالحشرة في عينان اخاه اللتان دائما تنظران له بفخر..

قصّ جود على ريس ما اخبره به جواد لتتوسع عيناه بعدم تصديق.. اخاه يفعل ذلك بفتاة مُحرّمة عليه! بفتاة

بريئة.. ويشرب الخمر.. محال ان يصدق! كيف له ان يصدق ان هذه هي نتيجة تربيته؟! هذا هو اخاه الذي يفخر بصفاته وبحسن اعماله.. الذي كان يسعى للتضحية من اجله ومن اجل عدن؟!

كانت شهقة جود هي التي عمّت في الأرجاء عندما صفع ريس جواد بكل قوته ليلتف وجهه الى الجانب، مغمضًا عيناه بإحتقار لنفسه.. يعلم انه يستحق القتل وليس الضرب فقط..

لم يتجرأ ليرفع عيناه بعد فعلته هذه امام ريس لذا انتظره ان يكمل عليه لكن ما قاله ريس الان كان اقسى بكثير من اي ضرب قد يتلقاه منه:

- انت لست الا مجرد خسيس نذل.. خسارة تربيتي لك.. خسارة الفخر الذي كانت تشع به عيناي وانا امدحك امام الجميع متباهيا بك وبأدبك وبأعمالك.. انت تعلم جيدا ان لا احد في عائلتنا يمس الخمر لتأتي انت وتفعله.. تفعل ما حرمه اللّه علينا! اشعر بالخزي لأنك اخي الان.. اغرب عن وجهي.. بعد حل مشكلتك اللعينة

لا تريني وجهك.. لا تظن انك ستنفذ من العقاب.. بل ستعاقب يا جواد على فعلتك الشنيعة بتلك البريئة.

انهى كلامه خارجا، صافعا الباب بكل قوته ليتهالك الأخر على الأرض، واضعا يداه على وجهه ليمنع غصبًا انزلاق دموعه الحارقة..

قاد ريس الى منزل جده.. لا يرى بعينيه غير الهاوية.. لا شيء اخر..

ركن سيارته بإهمال.. ودخل الى القصر بخطوات سريعة ليرى عدن جالسة في الحديقة شاردة فإقترب منها بغضب..

شعرت هي بوجود شخصا ما يقبل نحوها، فرفعت عيناها لترى ريس والشرار يتطاير من عيناه فإرتجفت خوفا، معتقدة انه جاء ليتكلم عن امر زواجها كما اخبرها البارحة.. وخشيت ان يكون اوس اخبره عما فعلته اليوم.. فتفاجأت وهو يسألها بحدة:

- اين جدي؟

همست بخوف وهي ترى نظراته الثاقبة التي تخترقها:

- في الأعلى.

- اصعدي الى غرفتك.. بعد الان جلوس خارج القصر لا اريد.. لا تجلسي في الحديقة.. حسنا اميرة عدن؟

هتف بصرامة مليئة بالحزم فإرتعدت اوصالها وهي تومئ برأسها بطاعة.. ثم اضاف:

- جيد.. لأرى اذا فكرتي بعد الان معارضة ما اؤمرك به.. هيا الى الأعلى.. لا اريد رؤية طفيف جسمانك.

ركضت سريعا للأعلى عندما لاحظت عروقه البارزة وعيناه الحمراوتين كاللهب..

بعد انصرافها سار نحو غرفة جده وقبل ان يتابع مساره اوقفه صوت جده الجالس في الصالة ليستدير اليه بملامح جامدة، فإقترب اليه ثم انحنى ليقبل يده هاتفا:

- لدي ما اتكلم به معك جدي.

رد الجد بثبات مدركا ان حفيده غاضبا جدا.. لا بل اقصى بكثير.. يعلم ان ريس ريثما يكون بتلك الحالة

قد يفعل اي شيء غبي لذا يأتي اليه سريعا ليتعامل هو معه كما اعتاد طوال حياته:

- تكلم بني انا اسمعك.

قصّ ريس عليه ما حدث بقلب يحترق، بروح منفطرة من شدة الخذلان.. فإنصدم الأخر مثله تماما من فعلة حفيده، غير مصدقا.. فتساءل بعجلة قلقة:

- الفتاة؟! الفتاة كيف هي يا ريس؟

تنهد ريس وهو يجيب:

- لا اعلم جدي.. لا اعلم.. الان الوقت متأخر.. في الصباح سأذهب لأرى واجد حلا لهذه

المعضلة.. اتمنى فقط ان تسير الامور على خير.. وذاك الخسيس اياكم ان تتكلموا معه.. لا اريد لأحد ان يتكلم معه واخبر عدن بذلك قبل ان افقد السيطرة على اعصابي واؤذيها هي الأخرى.. فيكفيني فعلا ما امر به من مصاعب.

اومأ ايمن برأسه، متفهما كليا ما يعانيه حفيده.. وهمس:

- كما تريد يا بني.. لا تقلق لكل مشكلة يوجد حلا.

نهض ريس من مكانه مغمغما بإرهاق:

- ان شاء اللّه جدي.. سأغادر الان.. لين لوحدها في المنزل.

****

دخل ريس الى منزله ورأسه يكاد ان ينفجر من التفكير.. ثم نادى بصوت عال على لين عندما لاحظ عدم وجودها كغير عادتها التي تنتظره حتى يعود من العمل.. لكن لم يأتيه اي رد منها فزفر بضيق، ماشيا نحو غرفة دراستها.. وبدون شعور منه ابتسم وهو يراها واضعة السماعات حول اذنيها، جالسة على الأرض، وواضعة رأسها على الطاولة المليئة بالكتب، وذاهبة في سبات عميق .. فإقترب منها مزيلا السماعات عن اذنيها ومن ثم انحنى ليحملها..
فإستيقظت هي في هذه اللحظة شاهقة قبل ان تكمل ذراعيه رفعها.. وعند تأكدها انه ريس لفت ذراعيها حول عنقه بلهفة متسائلة:

- متى اتيت حبيبي؟

غمغم متابعا مساره للأعلى، مستمتعا بعناقها الذي يحتاجه الان الى حد الجنون:

- لتوي وصلت.. عودي الى النوم.

فتحت عيناها وهي تفركهما بنعاس، هامسة:

- لا، لا اريد لم اعد اشعر بالنعاس.. انتظرتك طويلا لذا نمت قليلا فقط من ملل الإنتظار.

ابتسم غاصبا نفسه:

- لم يكن عليك ذلك.

ثم تنهد وهو يضعها على السرير برقة هامسا:

- سأستحم وأُصلي.. لذا لا داعي ان تنتظريني.. واخلدي الى النوم.

همست لين بعناد، غير مدركة انه يحاول تمالك اعصابه جهدا حتى لا يؤذيها بكلامه او افعاله:

- لا، لا اريد سأنتظرك.. ثم انت بالتأكيد لم تأكل لذا سأحضر لك شيئا لتأكله.

هتف بصوت صارم حاد وهو يعيدها الى الفراش بخشونة بيده عندما انهت كلامها محاولة النهوض:

- قلت لك نامي.. لا تجادليني الان.. اعصابي مشتتة بما فيه الكفاية.. لذا دعيني كي اتمكن من السيطرة على نفسي.. هل فهمت يا لين؟ لا جدال.. فقط انصياع لكل ما اقوله.

اومأت برأسها وهي فعلا ترى انه يجاهد ليسيطر على نفسه من خلال ثاقبتيه المشتعلة وفكه الذي يرتجف غضبا.. فهمس:

- جيد اذا.

ثم اختفى خلف الحمام تاركا خلفه لين تفكر بقلق بما الذي حدث معه.. حاولت بكل جهدها ان تنام لكن عبثا فالنوم يرفض ان يداهم جفونها.. ارادت النهوض عن السرير لكنها خشيت ان يراها.. غمّضت عيناها محاولة ان

تنام الا انها سمعت صوت هاتفها في الأسفل يعلن عن اتصال.. فنهضت مسرعة النزول الى الأسفل.. ووجدت ان اخاها جود هو المتصل فردّت:

- الو جود.

- اهلا لين.. كيف انتِ حبيبتي؟

شعرت لين ان نبرة جود غريبة عن العادة.. فهمست:

- انا بخير اخي.. ما الامر؟

اجاب جود مُطمئنا اخته:

- لا شيء حبيبتي.. فقط اريد سؤالك.. هل ريس عاد الى المنزل؟

- اجل انه يستحم.

تنهد جود بإرتياح مغمغما:

- حسنا اذا سأغلق حبيبتي.

وقبل ان تتمكن من سؤاله عن سبب اتصاله وسؤاله عن ريس، كان يغلق الخط فزفرت بضيق.. عليها ان تعرف ما حصل..

جفلت بذعر ريثما سمعت صوتا حادا يزمجر بغليان:

- الم اخبرك ان تنامي؟ ومن كنت تكلمين في هذا الوقت يا زوجتي؟

الفصل السابع عشر

احبيني..

احبيني بكل ما تملكين من مشاعر واحاسيس..

احبيني كحب لَيْلى لِمجنونها.. كحب الأطفال للحلوياتِ

والألوان.. وكحب النجوم للقمر والسماءِ..

اعطيني كل ما لديكِ وكل ما بوسعكِ..

اعطيني ولا تبخلي عليَّ ابداً..

ادثريني بحنانكِ.. وافعميني بدفئكِ..

دعيني اقسو واعذبكِ كيفما اريد..

تحمليني حين أُجافيكِ وأُشاجيكِ..

وتذكري انني اعشقكِ فقط يا خليلتي..

جفلت بذعر ريثما سمعت صوتا حاد يزمجر بغليان:

- الم اخبرك ان تنامي؟ ومن كنت تكلمين في هذا الوقت يا زوجتي؟

ابتلعت ريقها بتوتر وهو يُشرف عليها بجسده العتِّي الشاهق، واضعًا منشفة بيضاء على رقبته، عار الصدر وكاشفًا عن عضلات صدره المتينة.. فهمست بإضطراب من شحنات الغضب المنطلقة من عينيه كسيوف قاصِلة تخترق جسمها بقوة:

- حاولت ان انام ولكنني سمعت صوت هاتفي يرن لذا نزلت لأرى من المتصل و..

وقبل ان تستمر في تبريرها له كان يجذب هاتفها بيده ليلقيه بإنفعال وهيجان على البساط البنفسجي المندثر على الأرض.. فشهقت بخوف وهو يصيح بها بعنفوان:

- لا يهمني.. فليحترق هاتفك اللعين وليموت من يتصل.. لا يعنيني شيئا غير ان كل ما اقوله يُنفذ.. اياكِ يا لين مرة اخرى ان تعصيني.. والان الى الأعلى دون حرف واحد.

زفرت راجية الصبر واقتربت منه اكثر ثم سحبت المنشفة عن عنقه واردفت بخفوت، متجاهلة كل ما يهتف به بشكل تام:

- دعني انشف لك شعرك فلا يزال مبلولًا.

امسك يدها، ضاغطًا عليها بقوة المتها وهو يهدر بشراسة:

- لا اريد.. للأعلى يا لين.. رأسي يؤلمني بما فيه الكفاية ولا تزيدين لي الصداع بكلامك الكثير.

تحاملت على نفسها وهي تشعر ان يدها تعتصر تحت وطأة ضغط قبضته السميكة.. ووضعت يدها الأخرى حول ظهره حتى تعانقه.. فإنصدم بشدة من تصرفاتها الغير معقولة ودون ادراك منه كان يترك يدها رويدًا رويدًا وينجرف معها في عناقها الدافئ..

ابتسمت لين براحة ريثما رأته يهدأ.. وبدأت بتمرير يداها على ظهره العاري بحنان حبيبة، حنان صديقة، والأهم حنان أم يفتقد حضن دفئها.. فتصلب ظهره من فعلتها وقشعريرة حادة تسير في عموده الفقري.. ثم همس

بتنهيدة حارة وهو يدفن رأسه في جوف عنقها لتحرق قلبها وروحها ، مُستنشقًا رائحتها الطفولية:

- انا مرهق يا لين.. متعب حد الموت من المشاكل الملقية على عاتقي.

قاطعته بلهفة وهي تشدّ على جسده بذراعيها فتراخى جسده تحت وطأة جسدها الذي يتداخم مع صدره الصلد الراسخ وهي تنشج بروح هائمة ملسوعة:

- لا سمح اللّه حبيبي.. لكل مصيبة يوجد حلًا تأكد من ذلك.. ولا تنسى ان اللّه يحب الصابرين فالجأ اليه، عسى ان يفرج لك كربك ويشرح لك صدرك.. واضافة الى ذلك تذكر ان بعد كل عُسر يُسر فهوِّن على نفسك ريسي وفكر بعقلانية وحكمة..

انا لا اريد ان اضغط عليك لتقول لي ما حدث ولا اريد حتى ان اعرف رغم فضولي الشديد ، لكن كل ما استطيع قوله الان لك يا ريس انك قادر على حل اكبر مصيبة قد تواجهها.. فإنت هو رجلي الكامل في نظري..

الذي لا ينقصه شيئًا ليتمكن من تجاوز اي عاقبة قد تواجهه وخاصةً اذ كان من يُعينك هو اللّه.

سكينة.. طمأنينة.. راحة.. هذا ما شعر به ريس وزوجته تختم حديثها الذي مس نخاعه الوجداني وتطفئ شحناته المتهالكة بالغضب والتفكير.. رباه لا بد انها نعمة من اللّه.. لا بد ان هذه الملاك هي هبة من عند اللّه.. وكم يشعر بأنه ضعيفا صغيرا امامها.. امام رقتها ووقارة عقلها الرزين..

كيف لا تسقط اعتى الذئاب تحت قدميها؟! كيف لا تنحني لها الزهور والورود؟! كيف لها ان لا يرقدا تحت قدميها القمر والشمس؟! كيف للسواد ان لا يضمحل امام نقائها وعفتها؟!

غمغم بلسانٍ عاجز عن النطق وهو يرى امامه كل ما يتمناه المرء في حياته، متنهدا كنغمة ضنكة تغلغلت في اذنيها لترجف اوصالها:

- احبك! يا ترى هل تكفي هذه الحروف لوصف ما اكنه لك؟ لا بد ان اللّه يحبني ليرزقني ويجمعني بك.. لتكوني مثل البلسم على ملح جراحي.

شعور البهجة والوله كانا يزحفان الى فؤادها ببطء نحر دماءها ..في عروقها.. وابتسامة متأججة تستولي على شفتيها المكتنزتين.. فدمدمت بهمس، ملحفة نفسها بومده الحاني:

- ان اللّه تعال قال: "الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات" وانت يا اميري هو شريك روحي وخفقات قلبي.. اشكر اللّه في كل سجود وركوع انني زوجتك لأتعرف معك على سبيل العشق بأنواعه المختلفة.

برقت عيناه بوميض لا يستنبطه سواها.. واراد ان يخرج طور الرومانسية الذي بينهما، ويسحقها ليؤجلها لوقتها الموعود فجلجل بتفكير حال تلاشي كل بقايا المشاعر المختلفة من بين ثناياه:

- من كنتِ تكلمين؟ نسيت ان اسألك.

زفرت بسخط وهي تبتعد عنه، ملقية عليه نظرة حانقة ليكتم ابتسامته بصعوبة على مظهرها الطفولي وخدودها الحمراوتين المنتفختين بعبوس وهي تتمتم بضيق:

- الا تستطيع ان تتابع رومانسيتك لفترة اطول؟ بالطبع لا.. لن تكون ريس اذا لم تفعل.. عمومًا جود الذي كان يتصل.. لا اعلم ما الأمر حتى يسألني اذ كنتَ قد عدتَ الى المنزل.. هل قابلته اليوم وحدث شيئا ما؟

تبدلت ملامحه بشكل تام حال تذكره لمصيبة اخيه.. ليدخل في دوامة تفكير انتشلته عن الواقع الذي تناسى بها فعلة اخاه.. خائف وغاضب عليه.. يعرف ان الندم يتآكله ويذبحه.. لكنه مخذول منه.. عليه غدا ان يعرف تفاصيل كل ما حدث تماما.. عليه ان يعرف كيف حدث ولما حدث..

ولم يسلبه من معاناته العقلية بين المنطق وبين العاطفة سوى مناداة لين عليه بإستمرار.. فرمش بعينيه قبل ان يسمعها تتمتم بتساؤل:

- ريس.. بماذا انت شارد؟

اعادها الى صدره، ممررا يداه بين خصلات شعرها الناعمة المنسدلة بسائبية خلابة على طول ظهرها.. وهمس بهدوء:

- لا شيء حبيبتي.. انهضي للأعلى ونامي.. سأصلي اولا واتبعك.

رفعت رأسها اليه وسلطت عيناها بذقنه الرجولي وحنجرته البارزة لترفع يدها قليلا تتحسس حنجرتها وتقارن بروزها مع بروز حنجرته.. ثم غمغمت ببراءة وهي تنزل يدها مرة اخرى تحت انظاره المتعجبة:

- لما تريد ان تصلي هنا؟! صلي في غرفتنا.. احب ان اراك ساجد في خشوع.

رأت تفاحة ادم في عنقه تتحرك وهو يزدرد لعابه بصعوبة.. رادفا بثقل من براءتها التي تقتله وهو حيًا هيامًا:

- لا تسألي يا لين كثيرا.

فهمت انه يريد البقاء لوحده قليلا.. فلبّت رغبته دون نقاش او جدال.. هامسة بإنصياع محبب:

- كما تبغى اميري.. لكن لعلمك سأنتظرك حتى تصعد.

قهقه وهو يراها تسير ناظرة اليه ورافعة يدها بتأكيد عما ستفعله..

****

تمددت ترنيم بجانب مجد على السرير الداكن.. ففتح لها ذراعه لتبتسم بإغراء وهي تتوسد ذراعه.. ثم سمعته يهمس بأذنها بخفوت:

- كيف هي زوجتي الجذابة؟

قهقهت بصوت عال دوى رنينه في اذان مجد وهي تجيب:

- دائما جيدة عزيزي.

ابتسم بخبث مغمغما امام عيناها الذهبية:

- يسرّني ذلك بالتأكيد.. اشعر ان هناك ما يفرحك حتى لا تتقلص ابتسامة شفتيكِ.. فما هو يا ترى؟!

لفت ذراعيها حول خصره لتقرب نفسها اليه اكثر.. ودمدمت بإغواء:

- تعرفني جيدا مجد.. فقط انا منتعشة بإنتصار لأن ما اخطط اليه يسير بدقة وكما اريد.

- اوه هكذا اذا.. اذا دعيني اوافيكِ واجعل سعادتك اضعافا.

تمتم بهمس ومقلتيه تتأجج بلمعان مظلم.. وهو يغمرها بمتعة يعشقها الإثنان..

****

حرريني..

ارجوكِ لأرتاح من الم معاناتك..

حرريني..

إنَّ روحي تُناجي غفرانك..

حرريني..

من الذنب يا غريبة قابلتك..

تململ جواد في فراشه.. واوجاعه تتضاعف كلما يمر طفيف ما حصل معه في عقله.. النوم يرجوه ان يأتيه.. لكن جفونه كلما تنغلق توقظه بقسوة وتُذّكره..
وكأنه قد وقع في كابوس يمنعه من الإستيقاظ ويمنعه من النوم..

الا يكفي الندم؟! استغفر ربه مرارا وتكرارا ولكن صدره لم يتوسع ولم ينشرح.. هناك سمًا قاتلا يعذبه ببطء حتى انهك روحه.. عيناه الحمراوتين تتوسلان النوم لكن دموعه الحبيسة الحارة تردعه بخشونة..

- يا رب.. يا رب ارحمني.

صاح بيأس وتعب.. ودمعة جمّرت خده تسيل ببطء خائن..
نهض عن سريره بثقل.. لم يعرف النوم منذ يومين.. منذ فعلته القبيحة.. رباه عما يعانيه..

توقف امام النافذة الشفافة يتأمل السماء القاتمة ونجومها البارقة..

بعد تفكير طويل قرر ان يصلي ويرجو اللّه ان يزيل كربه ويغفر له ذنوبه.. وها هو اخيرا قد تسلل النوم الى جفونه عند اشراق الشمس سطوعها الفاتن..

****

ولج ريس الى قصر جده ومعالم الوجوم والغضب تكتسي ملامحه.. رأى جده واخته جالسان حول المائدة يتناولان الإفطار فألقى التحية بإقتضاب ثم جلس بجانب عدن التي تمتمت بخوف بداخلها "الم يجد مكانا اخرا ليجلس عليه الا بجانبي، وخاصة وهو بهذه الهيئة المرعبة.. رباه اتساءل ما الذي تعانيه لين معه يوميا.."

انتفضت من حديثها العقلي ريثما سمعت صوته يزمجر بحدة:

- لماذا لا تأكلين؟

اجلّت حلقها وهي تنظر الى جدها ان ينقذها من غضبه..
فإستجاب لها وهتف لريس المنتظر اجابتها:

- ريس بني.. لما لم تحضر لين معك؟

لم يُحرِّك عيناه قط عنها، منتظرا جوابها.. واجاب على
جده بجدية:

- لأنها تتعلم مع معلمتها الان.. انا انتظر جواب يا عدن..
غريب عدن صامتة.. هل اكل القط لسانك ام ماذا؟ ارى
لسانك الوقح قد تلبد.

- لأنني شبعت سأنهض وأُحضّر نفسي للذهاب الى الجامعة.

همست بتلعثم وهي تفرك اناملها بتوتر وخوف.. ليرد
عليها بسخرية:

- اللّه معك.

نهضت عن الكرسي سريعا وهي تهرول مبتعدة بعجلة
ليوقفها صوته وهو يقول:

- لا تغادري لوحدك للجامعة انا سأوصلك فلدي ما اتكلم به معك.

اومأت بموافقتها مدركة تماما عما يريد الحديث به.. وما ان ارادت ان تستدير لتواصل وجهتها اوقفها مرة اخرى متسائلا:

- اين هو جواد؟

- انه نائم.

غمغم الجد بجدية ليهدر ريس بشراسة، دافعا المقعد بجانبه بعنف:

- ماذا!! هل هو نائم حتى الان؟ لما لم توقظاه؟

- لأنك طلبت ان لا يتكلم معه اي منا.

همست بها عدن بذعر من مظهره المخيف.. ليزمجر بها بغضب اجفلها:

- صحيح من الجيد انك سمعتي الكلام.. اغربي الان واجلبي لي قارورة ماء من الثلاجة.

- لا بد انك ستأخذ حتفك اليوم يا جواد.. ربي يكن في عونك.

دمدمت عدن بهمس وهي تتجه نحو المطبخ لتلبي طلب اخاها الهائج..

- ريس اهدأ.. عدن ليس لها ذنب حتى تتصرف معها بهذه الطريقة.

هتف ايمن بجدية تامة ليلتفت اليه ريس رادفا بضيق:

- اعلم.. ولكنها تستحق هي وجواد فقط ذلك.. منذ الان كل تعاملي معهما سيتغير.. فأنا قد اكتفيت من تصرفاتهما الملتوية.

ما ان توقف لسانه عن النطق كانت عدن تقف قبالته، تناوله زجاجة الماء.. فحدجها بنظرة جعلتها تخفض بصرها ارضا وهي تجري الى غرفتها..

قهقه ايمن بشدة على عدن المذعورة والصامتة كأنها بكماء على غير عادتها..

بادل ريس جده الإبتسامة رافعا حاجبه للأعلى وهو يهز رأسه ببطء بمعنى "ما زلتَ لم ترى شيئا بعد"

دفع باب غرفة جواد بعنف واقبل عليه كوحش جائش.. ثم تقدم بخطوات خشنة يتضارب صداها مع انين الأرض الترامية.. وحدق لوهلة بجسده النائم عكس السرير.. ثم فتح الزجاجة الباردة التي في يده وافرغها كلها على وجهه لينهض شاهقا بفزع يتلفت حوله كالمجنون.. وبعد ان استدرك وعيه تمعن بريس الشارف عليه بطوله الفارع، يرمقه بنظرات غاضبة ومشتعلة.. فإبتلع ريقه وهو يمسح قطرات الماء عن وجهه وجسده الذي يرتجف بردا..

- انهض.

هتف ريس بحدة والشرارات الحارقة تنبعث من عيناه لتصيب قلب وروح جواد بعذاب اكثر واكبر..

انه متعب حد الجحيم فهو لم ينام سوى ساعتين فقط!
تنهد وهو ينهض بتثاقل متوجها الى حمام غرفته دون ان

ينطق بحرف واحد.. يعرف ان القادم اسوأ ويعرف انه يستحق! وكيف لا؟!

شعر ريس بوخز بلبه على عينا شقيقه الذابلتين بشدة.. كانت بادية ملامح الإرهاق، الحزن، الندم والألم على وجهه كوضوح الشمس.. الا انه سريعا ما اخفى نظرات العطف والشفقة لتحتل مكانها الصلابة والقوة.. وهتف بصيغة امر صارمة:

- عشرة دقائق واجدك في الأسفل.. سترافقني الى المشفى وستخبرني ما حدث بالضبط منذ البداية حتى النهاية.. هل فهمت؟

اومأ جواد برأسه ولم يدير رأسه ليواجهه.. بل تابع مساره ليختفي خلف جدار الحمام، متكئا على الباب بتنهيدة متألمة وحزينة..

توجه ريس الى غرفة عدن، طارقا الباب بهدوء.. ففتحت له الباب والخوف يقتلها وهي تتمتم بداخلها "ها قد حان

دوري الان.. رباه اين انتِ يا لين حتى تنقذيني من زوجك الان"

- الن تفسحي لي مجال كي ادخل؟

اخترق حبل افكارها هدير ريس فإبتعدت عن الباب،
وازالت الشال الاسود التي كانت تضعه على شعرها ببطء..
فهمس ريس وهو يراها تعيد الشال جانبا:

- اكملي وضعه سأنتظرك.

اومأت بموافقتها ووضعته سريعا بإرتباك تحت نظراته التي تتابعها بتمعن.. وما ان انتهت جلست بجانبه وغمغمت بهمس:

- انا اصغي اليك اخي.. لكن قبل ان تتحدث اسمعني..
انا اعلم انك غاضب مني ومن جواد لسبب اجهله لذا انا اعتذر لأنني اخطأت في حقك وتواقحت عليك..
وارجوك تكلم معي بهدوء ولا تعاملني بهذا الأسلوب وتفهّمني.

تنهد وهو يجذبها الى صدره، موسدا انامله على حجابها الناعم الرقيق.. وهمس:

- اسمعيني يا عدن.. لا اريد ان اعيد واكرر هذا الشيء كثيرا.. انتِ ابنتي قبل ان تكوني اختي.. لذلك تأكدي ان الأب لا يريد سوى سعادة ابنته ويريد بسمتها التي تُبهج فؤاده.. لذا انصتي الي وَدِعي كلامي يتغلغل في عقلك وفكرِّي..

اوس صديقي المقرب وانا اعزه جدا.. ولكن هذا لا يعني انني افضله عليك او انه يهمني اكثر منك.. بالتأكيد لا.. انتِ بالنسبة لي اهم من كل انسان في هذه الدنيا.. انتِ غاليتي وصغيرتي.. اذا تألمت اتألم واذا فرحت افرح.. فأنتِ قطعة من روحي يا عدن.. اوس طلب مني الزواج بنية حسنة ولا شيئا اخرا.. الشاب يحبك ويخاف عليك.

توردت وجنتي عدن بخجل شديد من كلام اخيها.. وخاصة لأنه هو من يتكلم معها.. لو ان من يتكلم معها شخصا اخرا كان سيكون اسهل عليها بكثير.. فهمست بإرتباك وهي تشيح بعينيها بعيدا:

- اذا ماذا تريد مني؟ انا لا اكن له اي من المشاعر.. ولكن مما يخاف علي فأنت بجانبي وكذلك جواد وجدي؟

توسعت ابتسامة ريس لخجل اخته.. آه كم تذكره بمحبوبة قلبه وخجلها وجنونها..

همس وهو يرفع رأسها اليه، لتأتيه عيناها الزرقاء اللامعة كالبحار:

- اريد منك ان تفكري بالموضوع.. ولا تقرري سريعا واذ رفضت لن اتكلم معك بهذا الأمر بعد الان ابدا وانا اعدك.. سأنتظر جوابك متى ما تريدين ان تخبريني.. اما مما يخاف عليكِ فهذا طبيعي جدا لأن كل من يحب يخاف على حبيبه من نسمة الهواء ان تضره.. فما بالك وانت في الجامعة مع كل هذا الكم الهائل من الطلاب والمعلمين؟

- الهذا منعت لين من الجامعة؟ لأنك تخاف عليها ام لأنك تغار؟

تساءلت ببراءة وفضول جعلاه يقهقه عاليا، وهو يقبلها على جبينها، مجيبا:

- الإثنين معا.. اهناك المزيد من الأسئلة؟

تطلعت اليه بإبتسامة جميلة وهمست بخجل:

- سؤال اخير.. كيف عرفت انه يحبني؟ هو مغرور ومتعجرف فكيف سيحب؟

- فقط عرفت من نظراته ومن طلبه.. لا مزيد من الأسئلة.. هيا جهزي نفسك لأوصلك بطريقي انا وجواد.

ختم كلامه خارجا من الغرفة، وابتسامة مرتاحة تحتل وجهه الجذاب الخلاب..

عكف جود سيارته وهو ينزل برفقة عماد ووالدته من سيارته الفاخرة بجانب منزل ريس ولين..

ثم ترجلوا واقتربوا ليطرقوا الباب بهدوء..

نظرت لين الى البروفيسورة ليال هامسة:

- سأرى من.

هزت برأسها موافقة وهي تراقب لين تنهض، متجهة نحو الباب لتقوم بفتحه.. واذ بها تتفاجأ بأكثر اشخاص مشتاقة اليهم واقفين امامها.. وبلمح البصر كانت ترتمي بحضن امها بشوق وبكاء هامسة:

- امي.. يا الهي كم انت مشتاقة لك.

ابتسمت امها حتى ادمعت مقلتيها ثم دثرت ابنتها بحنانها ودفئها، مغمغمة بحب وهي تسير برفقتها الى الداخل:

- انا اكثر يا روح امك.

ثم اضافت بعتاب:

- لما لم تزورينني يا لين؟ اهكذا تنسين اهلك بعد الزواج ولا تسألين عنهم؟!

اطرقت لين رأسها بخجل وهي تهمس بأسف:

- معاذ الله ان يحدث ذلك امي.. سامحي ابنتك.

- الن تسلمي علينا؟ ام نحن لسنا من العائلة؟

التفتت نحو اخوتها الواقفين بجانب بعض وسرعان ما كانت تعانقهم معا، غير مكترثة بقواعد ريس الحازمة.. ولم تعلم ما سينتظرها عندما يعرف..

- ياه كم اشتقت لكما صغاري.

- صغاري!

هتفا بإستنكار لتقهقه هي وليان على مظهرهما.. ثم غمغمت وهي تبتعد عنهما مشيرة بيدها ليدخلوا الى الصالة:

- اجل صغاري.. ادخلوا الى الصالة وسأذهب لأخبر البروفيسورة ليال والأنسة غرام انني سألغي الدرس اليوم.

اومأوا بموافقتهم بينما امها ردفت:

- يا الهي لو عرفت انك تدرسين لما اتينا.

ابتسمت وهي تضع يداها الإثنتان على اكتاف امها هامسة:

- زيارتك لي اهم من مليون درس امي.. استطيع تعويض الدرس فلا تقلقي.

ثم دلفت الى غرفة دراستها وهتفت بجدية وهي توضب كتبها:

- انا اسفة.. لا يمكننا ان نتابع اليوم لأن اهلي قد حضروا ولا استطيع تركهم لوحدهم.. حقا اسفة.

- لا بأس عزيزتي.. اقضي وقتا ممتعا برفقتهم وسنعوض الدرس فيما بعد.

قالت ذلك البروفيسورة ليال بإبتسامة لطيفة... وبعدها اضافت شام بجدية:

- وانا ايضا سأغادر.. لا استطيع البقاء.

هزت لين رأسها بتفهم وهي تخرج من الغرفة وهن يتبعونها.. ثم توقفت امام الصالة وعرفتهن بأهلها.. بينما شام اقتربت ببطء لتسلم على والدة لين بإحترام قبل ان يغادرن سريعا..

****

هتف ريس بجدية لجواد الجالس بجانبه بالسيارة.. وهو يقود بعد ان اوصل عدن الى جامعتها:

- اخبرني ما حدث بالضبط وما الذي دفعك للشرب؟

غمضّ عيناه بندم وهو يجيب:

- لا اعلم كيف.. لكنني كل ما اذكره انني كنت بحفلة مع اصدقائي وقد جعلني سيف أشرب.

ضرب ريس المقود بعنف وهو يهدر بغضب:

- ما الذي كنت تفعله مع هذا الحقير؟ الم اخبرك ان تبتعد عنه؟

زفر جواد مثبتا عيناه على الطريق الذي لا يفصل سوى شارعا واحدا عن المشفى.. وهمس:

- رأيته بالحفلة صدفة.. لا اذكر ما حدث تماما.. انا سأقبل اي عقاب تفرضه علي انت او الفتاة كذلك.

- ليس لك حلا اخرا في الأساس.. هيا اخرج.

هتف بها بسخرية وهو يخرج من السيارة يتبعه اخاه.. ثم تسللا الى مبنى المشفى والى غرفة الفتاة بشكل خاص، بما ان جواد يعرف رقم الغرفة التي وُضعت بها..

توقف خلف الباب يلتقط انفاسه بصعوبة.. خائف من المواجهة.. هناك وجعا ينخر عظامه..

"ربي اعني على الصبر وكن معي" همس بداخله قبل ان يلقي نظرة خاطفة على ريس الواقف

بثبات يدق الباب بهدوء، غير مكترثا به ولكن ما لا يدركه انه يتألم لحاله وربما اكثر منه..

سمعا صوتا من الداخل يعلن اذنه للطارق بالدخول.. فوَلَجَ يُقدم رجل ويُؤخر الأخرى.. وثم تصنم مكانه حال ما رأى الفتاة التي اذاها.. وجهها مليء بالكدمات والالام جالية بوضوح بعينيها وتأوهاتها.. ولم يقدر على فعل شيء سوى الإقتراب منها لتتراجع بذعر وجدتها المهترئة من الشيخوخة تقترب منها لتحميها..

شعر بنفسه انسان رخيص، حقير لا يسوى.. اراد طلب المغفرة.. اراد التوسل بالسماح ولكنه لم يفعل حينما كانت قبضة ريس تنزل على وجهه بقوة اسقطته ارضا وهو يهدر بشراسة ارعبت الفتاة وجدتها:

- سأقتلك ايها الحقير.. كيف تفعل ذلك؟ اقسم يا جواد انك ستتلقى شر فعلتك.

وما ان انهى كلامه كان يجره ليضعه تحت قدمي الفتاة التي لا زالا لا يعرفان اسمها، هاتفا بجدية تامة:

- ما هو العقاب الذي تريدين ان يناله؟ السجن ام الضرب كما فعل بك ام شيء اخر واكبر؟

انصدمت من فعلته ومما يقوله.. ونظرت الى جدتها لتساعدها الا انها لم تنطق ببنت شفة.. فتنهدت هامسة بخفوت:

- لا اريد شيئا غير ان يكون نادما.. وان لا اراه مجددا.

اوقفها صوت جواد الواثب برأسه نحو الأرض وهو يهتف بصوت مبحوحا:

- لكنني لن اقبل بهذا.. اعلني بعقابك فضميري يقتلني.. دعيني اعاني ما واجهتيه مني.

- اذهب ارجوك ولا تعد.. ستأتي الشرطة بعد قليل وسأخبرها ان سارق ما اعتدى علي وعلى جدتي.. غادر وعاني لوحدك بعيدا عني.

همست ببكاء وهي تدفن رأسها بحضن جدتها ليهمس بأسف

شديد وتأنيب ضميره يسلخ عظمه:

- اسف.. سامحيني.. سامحيني ارجوكِ.

وعندما لم يجد اي رد منها، كان ريس يجذبه من قميصه ليرفعه كي يتوقف على قدميه بصعوبة وهو يصيح به:

- انهض.. لا تظن انها اذا رفضت ستتخلص من العقاب يا جواد.. سأفعل بك ما فعلته بها ضعفين صدقني.. وبعدها ستأتي وتركع لها طالبا المغفرة.

ارادت ان ترفع رأسها لتخبرهما انها لا تريده ان يتعاقب.. يكفيها انها استشعرت ندمه ووجعه

النفسي والروحاني.. لكنها لم تقدر خوفا من ريس الذي جعلها تنكمش على نفسها اكثر..

وفجأة شعرت بإختفائهما من الغرفة لترفع رأسها وتشهق ببكاء حاد وجدتها تربت على شعرها برفق وحنان..

رمى ريس جواد على الأرضية الوسخة في مخزن قديم له، وبعض من رجاله واقفين بجانبه بإحترام من هيبته المطلة.. واذ به يصرخ عاليا بأمر:

- قيدوه.

وما ان فعلوا كان جواد يتلقى ضربا مبرحا من ريس تحت انظار رجاله المتعجبين من قوة ضربه المتوحش والعنيف بأخيه.. وخاصة انهم يعرفون حبه وخوفه على اخوته..

لم يكن جواد مباليا بضربات ريس القاسية والعنيفة التي قد تقتله.. بل كان بعالم بعيد كليا.. عقله لم يكن معه.. كل ما يفكر به في هذه اللحظة بتلك الفتاة الطيبة التي سامحته بسهولة..

رحب بضربات ريس بوسع الصدر.. وكأن هكذا يُكَفِّر عن ذنوبه.. ورويدا رويدا كان يزحف الظلام الى جفونه المتعبة ليغرق في سواد حالك.. والدماء والكدمات تغطي جسده كله..

ابتعد ريس عن اخيه يلهث انفاسه بثقل.. ومن ثم هتف بجدية لأحد رجاله قبل ان يغادر المكان بلا مبالاة قائلة:

- ارموه امام باب المشفى.. وغادروا.

****

لم يذهب ريس الى شركته.. لم يقدر وملابسه مغطاه بدماء اخيه.. فقاد الى منزله بسرعة فائقة حتى يبدل ثيابه ويغط في نوم عميق ليهرب من افكاره التي تعذبه.. وبعد برهة من الوقت كان يركن سيارته امام منزله..

ورأى احد رجاله الملزمين بحراسة المنزل يقترب منه.. فتوقف قبالته بجمود وحارسه المسكين يلقي عليه التحية.. فرد بوجوم قائلا بجدية:

- ما الأمر عدنان؟

- عذرا سيدي كل ما في الأمر انني رأيت رجلين وامرأة يدخلون الى منزلك وانا لم اراهم مسبقا.. ورأيت زوجتك تعانقهم.. هل هما اخوتها؟

امسكه ريس من تلابيب قميصه ليذعر عدنان من عينان ريس اللاهبة، هاتفا بنبرة جعلت معدته تتقلص من الخوف والإرتباك:

- هل كانت بحجابها؟

هز رأسه بخوف وهو يجيب متحاشيا النظر اليه.. ولعن نفسه مئات المرات لأنه سأله:

- اجل اقسم لك.. ارجوك دعني.. انا لم اخطأ.

دفعه ريس بغضب وهو يتساءل بشراسة:

- هل هم بالداخل؟

- لا لقد ذهبوا منذ قرابة الساعة.

همس بها وهو ينهض عن الأرض بصعوبة ليشعر ريس بأنه على وشك ارتكاب جريمة حالا ، وفي هذه اللحظة..

وبلمح البصر كان وسط المنزل يصيح بصوت اجفل لين التي كانت بغرفة دراستها:

- ليييييين..

انتصبت واقفة بفزع ثم خرجت بسرعة من الغرفة لتشهق بعنف وهي ترى بقع الدماء الموجودة على قميص ريس..
فهرولت نحوه متسائلة بقلق ولهفة:

- رباه.. ما الذي حدث لك؟ هل انت بخير؟

لم يهتم بأسئلتها وكل ما يدور بعينيه فقط سواد جهنم..
فتساءل بهدوء لا يتناسب مع عيناه ولا بركانه المشتعل في اوصاله مطلقا:

- من كان هنا؟

اندهشت لمعرفته بأن كان اليوم اشخاصا في المنزل، فهي لم تكن تعرف ان هناك حراس يراقبون منزلهما..
فتساءلت بتعجب:

- كيف عرفت؟

ابتسم بشر وهو يسحبها خلفه الى مكتبه.. ثم فتح الحاسوب مباشرة على الكاميرات واعاد الأحداث ليوقفها على مقطع جعله يتنفس بغضب قاتل لا محالة..

بينما لين قلبها قد هوى ارضا من النيران المتأججة التي تخرج مع انفاسه.. رباه!! ماذا ستفعل مع البركان الهائج الذي ما زال لم يتكلم حتى الان؟ هذا اكثر ما تخشاه.. اللعنة لقد نسيت انه لا يريدها ان تعانق اخوتها وخاصة بعدم وجوده.. ما كان عليها ان تفعل وحالته هذه تقتلها من شدة الذعر.. وما ان همست بأسمه كانت يده تكبش على ذقنها بعنف مؤلم حتى شعرت ان فكها سيُكسر من الم ضغطه.. وهو يصيح بصوت عال:

- اصمتي.. ولا نفس.. لا تتكلمي.. حسكِ لا اريد ان اسمعه.

اومأت برأسها برعب ودموعها تنهمر على وجنتيها.. ماذا تفعل الان؟ تشعر انها تكاد تموت وقلبها يقرع كالطبول

بعنف وجسدها كله يتعرق.. ولا بد ان افراز هرمون الادرينالين في دمائها قد تجاوز الحد..

قرّب وجهه الى وجهها لتغمض عيناها وترتجف شفتيها رغما عنها، فإبتسم بشيطانية وهو يهمس بصوت اقشعر له بدنها:

- عقابك هذه المرة لن يكون كالسابق.. سترين الجحيم بعينه الان يا لين.

الفصل الثامن عشر

كتبتُ حروف أبجديةٍ أسمكَ على قلبي..

وجعلته شِعاري في دُنيتي وآخِرَتي..

قدّستُ كل ما يخُصكَ في أشعاري..

وكتبتُ عنكَ إلى أن فرغت حبر اقلامي..

تكلمتُ الى أن ملّ الناس من حِواري وسِماعي..

ولكنني لم اكتفي بكلامي بل توسعتُ بخيالي..

وجعلتُكَ جنتي في أحلامي وَمَنامي..

أيَا ترَى تستحقَ إهتمامي وثمانةَ أوقاتي؟!

قرّب وجهه الى وجهها لتغمض عيناها وترتجف شفتيها رغما عنها، فإبتسم بشيطانية وهو يهمس بصوت اقشعر له بدنها:

- عقابك هذه المرة لن يكون كالسابق.. سترين الجحيم بعينه الان يا لين.

تجمدت الدماء في عروقها من تهديده الذي ارعد ثناياها.. وها هي تشعر بأنها قد تعدت مشاعر الخوف بكثير ووصلت الى حد الذعر واكثر ربما.. ولا تعرف كيف حرّر فكها لتدفعه بكل قوتها وتلذو بالفرار خارج المكتب بأقصى سرعتها...

صارت كالغبية تضحك وتبكي على نفسها.. احاسيس متعددة مختلطة تداهمها في الوقت الحالي.. تخيّلها لمظهرها وهي تهرب منه راكضة اضحكها، بينما زئيره العالي المشابه لهيجان الأسود كي يمسكها وهو يلاحقها من الخلف ابكاها واذعرها.. واخيرا وجدت نفسها تدخل غرفتهما ومن ثم الحمام وبكل صعوبة..

جرت الدولاب المتوسط الحجم لتضعه امام الباب بعد ان اوصدته جيدا بالمفتاح.. وجلست على الدولاب تفرك بأصابعها تارة وتقضم اظافيرها تارة اخرى..

شهقت بقوة وهي تستشعر ضرباته العنيفة على باب الحمام الذي كاد ان يتحطم بسببه.. ثم سمعته يهدر بغضب:

- افتحي الباب يا لين.. حالا افتحي الباب.

وقفت هي الأخرى بغضب مماثل، هاتفة بهدوء:

- بشرط!

صاح وهو يضاعف قوة ضرباته على الباب لتتراجع الى الوراء كرد فعل وقائي:

- افتحي.. هذا الناقص ان تشترط عليّ امرأة!

- اذا لن افتح.

همست ببرود وكل خلية في عروقها ترتجف.. ليزمجر بعصبية:

- اللعنة يا لين.. ما هو شرطك؟ تكلمي.

قفزت عن الدولاب مغمغمة بفرح وتفكير:

- حقا! حسنا عدني اولا.. ثم سأنفذ ما تريده.

- وعد.

صرخ بها بصوت جعلها تيقن انه على وشك ارتكاب جريمة خيالية لم ترى مثيلها حتى في افلام الرعب.. فهمست وهي تقترب نحو الباب:

- شرطي ان نتفاهم بهدوء وان لا تؤذيني.. اقسم يا ريس اذا نكثتَ الوعد سأهرب من المنزل بأكمله ولن اعود.. انت عصبيتك مبالغ بها وانقلاباتك كثيرة.. وانا بسببك قد يصيبني نوبة قلبية.

زفر انفاسه بسخط.. وقد احسّ ان كل عصب في جسده قد تلف من شدة عصبيته المفرطة.. وهتف بجدية:

- اعدك.. هيا افتحي.

ابتلعت ريقها وهي تحاول ابعاد الدولاب عن الباب الا انها لم تستطع.. حاولت عدة مرات دون فائدة فصرخت بذعر وهي تدفع الدولاب بكل قوتها.. لكن عبثا:

- ريس.. لقد علقت.. لا استطيع ابعاد الدولاب.. كله منك انا عالقة في الحمام الان.

- ادفعي اكثر يا غبية.

صاح بنفاذ الصبر بينما وجهه الأحمر بات ينافس بقع الدماء المتوسدة ثيابه..

فعلت ما قاله دون فائدة؛ فهتفت بيأس وببكاء:

- لا يفتح.. لا اريد البقاء في الحمام.. حاول ان تفتحه انت.

في هذه اللحظة تغلّب على غضبه واقترب من الباب رادفا بهدوء:

- لين حبيبتي انا لا استطيع فتح الباب والدولاب عليه.. اسمعيني ادفعي بكل قوتك.. بكل ما امكانك.. هيا لا تخافي انا بجانبك.

- لن اقدر اقسم حاولت عدة مرات.. ريس افعل شيئا.

نطقت بصعوبة وقد بدأت فكرة بقائها بالحمام تثير ذعرها.. تخاف البقاء طويلا في الحمام.. بدأت بذكر المعوذات بعقلها قبل ان تسمع صوته يغمغم بجدية:

- ابقي هنا، سآتي لك.

اومأت بموافقتها بهزة بسيطة من رأسها دون نطق حرف واحد.. اما ريس فقد هرول الى الأسفل، خارجا من المنزل ومن ثم اشار بيده لإحدى رجاله الملزمين بحراسة منزله ان يأتي اليه.. فأقبل اليه الشاب واحنى رأسه له كتعبير عن الاحترام وهو يسمعه يقول بأمر:

- احضر لي مطرقة والسُلّم الطويل من المخزن.

بعد دقائق معدودة، كان الشاب يقف امامه يناوله ما اراد.. ثم سار برفقته ليستقرا تحت نافذة الحمام التابعة لغرفة ريس ولين.. فهتف ريس بجدية:

- امسك السلم جيدا.

بدأ ريس بالصعود على السلم حتى وصل الى النافذة التابعة لغرفتهما وصاح بصوت عال للين التي في الداخل، وهو يضرب على النافذة بيده:

- لين..

تلفتت حولها.. ومن ثم ثبتت انظارها على النافذة..

واقتربت منها وهي تسمع ريس يهتف بصوت عال كي تسمعه:

- سأكسر النافذة.. ابتعدي الى اقصى الحمام حتى لا تتأذي.

همست بموافقتها قبل ان تبتعد وتركن نفسها بزاوية بعيدة.. وصرخت بفزع وهي ترى زجاج الحمام يتداثر على الأرض برنين دوى بأذنيها لتتنكمش على نفسها بخوف وقلق.. فصاحت بخوف على ريس:

- انتبه حتى لا تتأذى ارجوك.

واخيرا تمكن من كسر النافذة بشكل نهائي.. وابعد الزجاج المتبقي بيده.. وبصعوبة قفز الى داخل الحمام واقترب بعض الخطوات من لين.. فركضت نحوه وسرعان ما لبثت ان ارتمت في حضنه..

ربت على ظهرها محاولا ان يهدئ نفسه قبل ان يهدئها..
وشتى انواع المشاعر تخترقه بسببها.. الغضب، الخوف
عليها، والطمأنينة...

بعد ان سكنت انفاسها على صدره، ابتعد عنها ببطء
وكذلك ابعد الدولاب الذي اراد تحطيمه هو الاخر.. ثم
فتح الباب هاتفا بخشونة:

- اخرجي.

ازدردت لعابها بصعوبة.. واندفعت خارج الغرفة قبل ان
تلقي نظرة متمهلة عليه.. وما ان فعلت كان يقف امامها
وعيناه العسلية تحاكي الكثير.. ولم تشعر سوى
بذراعيها التي المتها بشدة بسبب اعصاره لهما بعنف، وهو
يتساءل بحدة:

- تهربي مني، اليس كذلك؟

اضطربت انفاسها وحاولت ان تفك اسر ذراعيها من براثن
اشتعاله وانفعاله.. لكن هيهات!! مجرد فكرة ان تهرب
وتبتعد عنه ايقظت وحش كاسر خائف بداخله.. خائف

من ان تفعلها حقا.. عندها سيتحول الى شيطان لا يعرفه احد ويدمر الأخضر واليابس.. وريثما لم يسمعها تجاوب عليه هزها بعنف مبالغ به وهو يضيف بشراسة:

- جاوبي.

- انا.. انا لم اقصد ذلك بالمعنى الحرفي.

كانت ترتجف وهي تجيب حتى ان وجهها شحب وبهت لونه.. يكفي ذلك! ستجن من الرعب المسيطر عليها.. حاولت بكل جهدها ان تردف بثبات خذلها.. فها هي ترتجف وتتلعثم اكثر من السابق:

- انت وعدتني اننا سنتفاهم بهدوء.. ارجوك دعني انت تؤلمني.

نفض ذراعيها بإنفعال.. ومن ثم اقتربت شفتيه من اذنها حتى انها احتكت بها ليقشعر جسدها بألم جعل معدتها تنقبض بجفاء.. وهمس بصوت لا يخلو من الجدية ابدا:

- اتعلمين متى ستبتعدين عني؟ فقط عندما تموتين! فكرة الإبتعاد عني لا تحلمي بها لأن الحلم حتى لن

تناليه بتاتا.. انتِ ملكي.. كل ما يخصك ويتبع لك ملكي.. اذ فكرتي مجددا بأمر كالهروب لن اتردد في التعامل معك كسجينة واسيرة لدي.. وتعاملي لن يعجبك صدقيني.. واذ حاولت ايضا الهروب لن اتردد في قتلك.. هل فهمت؟ لن اتردد ابدا!!

تراجعت للخلف بخطوات مرتبكة متعثرة.. وتعانقت عيناها ببريق من الدموع السيالة، ودمدمت بشجن وجدية:

- لما تتصرف معي بهذه الطريقة؟ انا لم اؤذيك في حياتي بتاتا.. حتى الأشياء التي تغضب من اجلها سخيفة للغاية وغير منطقية.. واذا عانقت اخوتي ماذا سيحدث؟ لا شيء.. هم اخوتي وحسب الدين والحلال والحرام بإمكاني ذلك.. اخبرتك كثيرا يا ريس انا لست شيئا تمتلكه ولن اكون..

انت ايضا تعانق عدن وانا لا اتصرف مثلك بل افرح لك ولها فلماذا انا ممنوع لي هذا الشيء؟ من تظن نفسك حتى تتحكم بكل ما حولك؟ من؟ هيا اجبني.

انهت كلامها ليكون الصمت سيد الزمن في هذه اللحظة.. انتظرت دقيقة.. دقيقتين ان يتكلم.. لكن فقط صمت.. صمت.. صمت.. لماذا هو صامت؟ لماذا لم يرد عليها؟

وكأن صمته قد حثها على المتابعة فإستمرت بعد هذا الصمت بكلامها غير منتبهة لتشنجات عضلة فكه، ولا قبضة يده البارزة شرايينها بصورة مخيفة:

- ستقتلني يا ريس ان هربت؟ لا يهمني! اتعلم لماذا؟ لأنني حين اقرر تنفيذ هذه الخطوة الصعبة عليّ قبل ان تكون صعبة عليك سأكون قد سئمت من نفسي الصبورة قبل منك انت شخصيا.

صمتت لوهلة تسترد انفاسها وتُراجع ما بدر منها بتعقل.. وعرفت انها بالغت بكلامها.. بالغت كثيرا!! استغفرت اللّه بداخلها وتعوذت من الشيطان.. ومن ثم اقتربت منه بحذر ووضعت يدها الرقيقة مكان قلبه الخافق بجنون لا تعلم سببه.. وتنهدت وهي تضيف:

- ريس لا تدع قلبك يقسو علي.. لا تسمح لغضبك بالتحكم بك.. بل انت تحكم به.. انا اعرف انك تعاني من ضغوطات ومشاكل كثيرة ولذلك احاول قدر الإمكان التحلي بالصبر والإنصياع لك.. لكن يا ريس انت في اليوم الواحد تعاملني الف معاملة.. تارة حب وسكينة وتارة اخرى غضب وعصبية.. اعرف انك تغار علي وانا اغار عليك جدا جدا.. ولكن تصرفك المتملك نحوي يدمرني.. انا في بعض الأحيان ارتجف خوفا منك وانا لا اريد ذلك.. لا اريد ابدا!! إغضب يا ريس.. صرّخ وحطّم.. وافعل ما تريد.. لكن حافظ على نفسك وعلى قلبك.. والأهم حافظ على حبنا.

ختمت كلامها، تلتقط انفاسها بصعوبة دلالة على المجهود الذي استنزفها في الكلام.. ثم بعد صمت قصير همست:

- سأنظف الحمام حتى تستحم واثناء ذلك فكر بكلامي.. وانا اسفة.

انسحبت من امامه بهدوء تام.. حاول هو ان يوقفها.. اراد ان يتكلم لكن لسانه عجز عن التحرك.. كيف اخمد كلامها نيرانه؟ كيف؟! عندما تكلمت في البداية منع نفسه بصعوبة عن قطع لسانها الذي قال اشياء ما يجب قولها ابدا له.. ولكن بعدها استشعر ندمها وتفكيرها على ما نطقت به ولذلك تحكم بنفسه حتى يسمع ما تريد التكلم به.. وها قد سمع ونالت اذنيه ما فيه الكفاية من خطابها.. ربما هي محقة لكنها لا تعلم شيئا! ما زالت لا تعرف الكثير.. ليس هناك من يشعر به.. حتى هي لم تفعل..

رباه غضبه وعصبيته الى اي مدى سيوصلانه؟ الى اي مدى؟!!

تريده ان يفكر بكلامها صحيح.. سيفعل وكيف لا؟ ولكنها لا تحلم بفكرة الإبتعاد عنه.. هو

حينما قال انو سيقتلها اذا هربت وابتعدت عنه كان جدّيا بكل معنى الكلمة.. سيقتلها!! وسيقتل روحه وقلبه.. لن

يسمح لها بالإبتعاد عنه وهي النفس الذي يتنفسه! ابدا ابدا..

جلس على مقعد قريبا منه بإرهاق.. وامسك هاتفه ليجري اتصالا..

وبعد ان اتاه صوت احد رجاله، تساءل ببرود:

- ما الذي حدث؟ واين جواد الأن؟

- وضعناه امام المشفى كما امرت.

- اي مشفى؟

وبعد ان عرف عنوان المشفى قرر ان يغتسل ويذهب ليرى اخاه الذي لا يعلم حاله الى الان.. وما ان همّ بالنهوض لينزل للأسفل كانت لين تخرج من الحمام.. فتوقف مكانه بحاجبيه المنعقدين بضيق وشفتيه الساخطتين وعيناه العسلية العاصفة تتخللها وتخترقاها بقوة..

اراد تجاهلها لسبب لا يدركه.. اراد ان يجعلها تختبر بروده وصمته.. هي لم تخطأ وهو يعرف ذلك حق المعرفة.. ولكنه بحاجة لأن ينفث عن غضبه من نفسه قبل شخص

اخر.. وها قد فعل واختفى خلف باب الحمام وتجاهلها بطريقة جعلت فؤادها ينكوي حرقا على حياتهما..

دخل الى الحمام ووجده نظيفا كما يكون دائما.. نظر الى بقايا النافذة العالقة قبل ان يقوم بإجراء اتصالا مرة اخرى، طالبا بإرسال عامل ما ليصلح النافذة التي تحطمت بسببه..

****

بعد انتهاء جميع محاضراتها وقفت بجانب بوابة الجامعة.. واقفة تحت ظل شجرة النخيل لتبعد اشعة الشمس المشوشة لها رؤيتها، شاردة بكلام ريس، منتظرة اياه حتى يأتي ويعيدها الى القصر.. لم ترى ذاك المغرور اليوم وهذا لحسن حظها..

"لن تقبل به ابدا" فكرت بصميم وهي تتذكر عرض ريس عليها..

انتفضت بتفاجؤ حينما وجدت قيس يقف امامها وابتسامة جميلة تزين وجهه.. فإنتظرت ان يقول ما يود وينصرف الا

انه نظر لها بصورة جعلتها تنفجر سخطا وغضبا.. فهتفت بصوت حاد:

- اذا لديك شيئا قله الان.. لا تقف وتنظر الي بهذه الطريقة.

تنحنح من هجومها الكلامي.. ووقف بجانبها ، هامسا:

- ليس لدي ما اقوله.. انا انتظر شخصا ما.

- انتظره بعيدا عني لو سمحت.

اردفت بصيغة امرة محتقنة وهي تبتعد بعض الخطوات عنه.. فإقترب منها مجددا متسائلا بنبرة جدية:

- هل يوجد شيئا بينك وبين المحاضر اوس؟

تفاقم شعورها بالضيق.. هذا الذي ينقصها ان يحقق معها هذا الغريب ويتدخل فيما لا يعنيه.. كانت تعرف انها ستبدأ الاقاويل منه بما انه رأها مع اوس في القاعة..

لعنت تحت انفاسها اوس بشتى انواع الشتائم قبل ان تجاوبه ببرود لاذع:

- اذ كان بيننا شيئا ما هذا لا يعنيك.. لا تتدخل فيما لا يخصك وابتعد عن طريقي.

قهقه وهو يقترب منها اكثر وسلّط عيناه الخضراوتين بعينيها المنكمشتين.. ثم تمتم ببساطة:

- لا اريد.. وعلى اي حال سأعرف اذ كان بينكما شيئا.. والان لما لا نصبح اصدقاء؟ ستسعدين برفقتي ما رأيك يا.. اجل عدن؟!

مطت شفتيها بسخرية، وبرقت عيناها بإشتعال قد يحرقه لو اقترب منها.. ثم جلجلت بنزق:

- لا تحلم! إبقى بعيدا عني ولا تقترب مني مجددا قبل ان يحدث ما لا يعجبك.

اتسعت ابتسامته اكثر على عنفوانها ونيرانها المتأججة في عيناها الزرقاوتين.. وما ان تحركت شفتيه للرد عليه سمع صوت بوق سيارة ما.. فإستدارا اليها الإثنين ليجدا ان اوس واقفا بسيارته الفيراري البيضاء، يتطلع اليهما بغضب اسود من خلال نافذة السيارة المفتوحة..

زمجر اوس لعدن الراسخة في مكانها، تجيل بحدقتيها بضيق شديد بينهما الإثنين:

- اصعدي.

اشاحت بعينيها نحو الشارع تستجدي ان يأتي ريس الان..
"لن تصعد معه ولو عادت الى القصر بقدميها.. الا يكفيها واحدا ليأتي واحدا اخرا؟! ما هذا اليوم اللعين؟!"

دمدمت بداخلها بضيق، وتجاهلته بطريقة تثير الإستفزاز فإشتعلت براكينه اكثر مما هي مشتعلة ونهض من سيارته، ضاربا الباب بغضب اخافها.. ثم تقدم نحوها ليسحبها من يدها، هادرا:

- تعالي معي.

حاولت ان تتملص من بين قبضته القابضة على ذراعها بخشونة محكمة.. وصاحت بتحذير:

- ابتعد عني.. ليس لك حق ان تلمسني او ان تدعني اعود معك.

وعى قيس الذي كان شاردا بما يدور بين هذان الإثنين على صوت صراخها.. فإقترب وامسك يد

اوس حتى يبعده عنها.. فألقى عليه الأخر نظرة حارقة، مزمجرا بغضب:

- ابعد يدك قبل ان اكسرها.

ضحك قيس بتهكم؛ ودمدم بفظاظة:

- ليس قبل ان تترك يدها.. انت لا تمت لها بصلة لذا ابتعد عنها.

كشر بعينيه الحمراوتين، ضاغطا بقوة اشد على ذراعها لتتأوه بوجع.. ودفع يد قيس عن يده بقسوة بيده الأخرى، هاتفا بصوت عال:

- لا تتدخل فيما لا يعنيك كي لا اؤذيك.. عدن خطيبتي اي يحق لي كل شيء وليس مثلك.. افهمت ايها الصغير؟

ارادت مقاطعته والصراخ بوجهه بأنه ليس خطيبها وانه كاذب.. ولكنه بتر ذلك كله حين فتح باب السيارة

بعنف والقاها بداخلها بقسوة معتمدة لتصيح متألمة..
ترغب ان تنفجر بالبكاء الان.. اين ريس؟ لماذا لم يأتي ليأخذها؟ لا تريد البقاء مع اوس..

وما ان سارعت للخروج من السيارة كان يوصدها من الخارج، مقتربا من قيس المندهش من امر خطوبتها بأوس.. واستقر بقامته الطويلة امامه، وقال بتهديد حاسم:

- اياك والإقتراب من عدن مجددا.. لن ارحمك عندها.

التوى فمه بإبتسامة مستنكرة.. وهمس بتحدي، مقتربا بوجهه اكثر من وجه اوس:

- سنرى.

- بالطبع سنرى.

صاح بها بصوته الثخين، معاودًا ادراجه الى سيارته بتمهل قبل ان يندفع بها بسرعة حادة..

ارتجف قلبها ذعرا من انطلاقه بهذه السرعة.. تمنت لو انها تضع كبريائها جانبا وتخبره ان يهدئ من السرعة..

ولكنها لم تستطع.. كبريائها وكرامتها لم يسمحا لها.. فتساءلت بأنفاس مضطربة:

- الى اين انت ذاهب؟ اريد العودة الى المنزل.

لم يبالي بسؤالها ولا بطلبها.. وهتف بصوت عال، مسلطا انظاره على الطريق الذي امامه بتركيز:

- لماذا كنتِ واقفة برفقته؟

- هذا ليس من شأنك.

اجابت ببرود لتتوسع فتحتي انفه من حنقه وغضبه الذي بلغ منتهاه من عجرفتها ووقاحتها..

وبلمح البصر كان يركن السيارة بجانب الطريق الرئيسي قبل ان يلتفت لها ليواجهها وجها لوجه، صادحا:

- بل من شأني.. كل ما يخصك هو من شأني.. عدن تكلمي بأسلوب عدل معي فأنا لن اسكت لك اكثر من ذلك.. كل ما اسألك عنه ستجاوبينني عليه بطواعية.. حسنا عزيزتي؟

- انا لست ملزمة بذلك حضرة المحاضر اوس.. ولو سمحت الزم حدودك.. انا لا زلت لم اقبل بعد بطلبك للزواج بي ولن اقبل.

واجهته بشراسة، وهي تضخ كلماتها القاتلة والسامة بالنسبة اليه..

تمنى في هذه اللحظة ان تكون رجلا حتى يعلمها جيدا كيف تتكلم معه.. وقاحتها لا تطاق.. زفر انفاسه المضطرمة، مغمّضا عيناه.. وقبضته تتكور بقسوة حتى احمرت بشدة.. بينما عروق فكه برزت بوضوح لعيناها..

راقبت كل انفعالاته البادية بحركات جسده ووجهه.. وللحظة ذعرت ريثما فتح عيناه السوداوتين المظلمتين..

ارادت الإبتعاد عنه لتنجو بنفسها.. ولكنه ها قد حلّ حزام مقعده واقترب بجسده منها، هامسا بإصرار:

- ستقبلين الزواج بي، وبرضائك.. وسترين ذلك الشيء قريبا عاجلا.. اما بالنسبة لقيس لن تقتربي منه مجددا ولن تسمحي له ان يقترب منك كذلك.. وبما انني ليس

لي حق عليك كما تقولين، لن يكون هناك اي مشكلة اذ اخبرت ريس عن تصرفاتك واجعله هو شخصيا يتعامل معك بأسلوبه.. وانا ادرك يا عدن من هو ريس بالنسبة لك وما يعنيه لذلك فلتأخذي كلامي على محمل جدي.. حسنا؟

"اللعين يعرف كيف يستهدفها.. كبش عليها من نقطتها الحساسة.. يا له من حقير ملعون.. تريد تكسير رأسه المغرور وحرق لسانه المتعجرف.. اه كم تتمنى ذلك! يهددها بريس!!"

فكرت بسخط.. وهي تنظر اليه، مُقوّسة حاجبيها الناعمين بتعقيدة جعلته يكبت ضحكته بصعوبة.. وها قد تمكن اخيرا من جعلها ترضخ له بمجرد ذكر اسم اخيها.. هو يعلم كم تحترم وتحب ريس.. وكم تكره اغضابه او احزانه.. لذلك قد استغل هذه النقطة لصالحه..

"لك فائدة كبيرة جدا ريس.. اشكر اللّه انك صديقي.."

تمتم بعقله ولم تغفل عنه حركات وجهها الرافضة لما قاله.. واخيرا وجدها تحرك شفتيها المكتنزتين وتهمس:

- انت لن تفعل، فأنا لم اخطأ.. وهو سيصدق انني لم اقف مع قيس بل هو الذي اتى ووقف بجانبي، منتظرا شخصا ما يأتي ليصطحبه.

ابتسم بمكر لأنها بررت له هو وليس لريس دون ان تدرك.. وها قد اوقعها في وكره، ونال ما يريده.. ثم غمغم بخبث:

- احبك وانت تبررين لي بخوف.

شهقت مستدركة وقوعها بفخه بمنتهى السهولة.. واحتقنت وجنتيها الناعمة بحمرة قانية بضيق وخجل.. وهمست بصوت بالكاد كان مسموعا:

- اعدني الى المنزل لو سمحت.

اعاد تشغيل محرك السيارة وقاد بهدوء وارتياح عكس ما فعل قبل قليلا.. وهو يبتسم على خجلها وصمتها بعد الذي قاله..

تقلصت ابتسامته رويدا رويدا عندما سمعها تتساءل بحيرة:

- لما لم يأتي ريس ويصطحبني هو؟ هل هو من اخبرك ان تعيدني الى القصر؟

همهم بموافقة على جوابها، مواصلا طريقه ليوصلها الى المنزل كما طلب منه ريس لطرق ظرف طارئ لا يعرفه..

****

دلف ريس الى المشفى الراقد به اخاه.. ثم توجه الى مكتب الإستعلامات متسائلا عن غرفة جواد.. وما ان عرف رقم الغرفة انطلق نحوها مسرعا..

فتح الباب بأعصاب مرتجفة.. وخطى بعض الخطوات الى الداخل.. وهاله وتصنم مكانه ما رأى من منظر اخيه المثير للشفقة والوجع..

كان وجه جواد مليء بكدمات مخيفة.. وبعض الأماكن ملفوفة بورق شاس طبي.. ولم يستطع رؤية بقية جسده بسبب الغطاء الموضوع عليه.. فإقترب اكثر منه وما ان رفع الغطاء قليلا وجد باب الغرفة يفتح ليدخل طبيبا من خلاله.. فإبتعد عن السرير ووقف امامه بثبات يُحسد عليه..

- هل انت قريب له؟

تساءل الطبيب بجدية، موزعا انظاره بين ريس وجواد النائم على السرير كالأموات.. فأجاب ريس بجدية:

- انا اخاه.. كيف هو الان؟

- في الواقع ذراعه الأيمن مكسور وقد عالجناه.. وكان هناك نزيف حاد بمعدته اوقفناه بعملية خرج منها قبل قليل.. اما بالنسبة لفكه هو مخلوع قليلا.. وان شاء الله خلال اسبوع بالمشفى سنعالج له جميع الرضوض المتبقية في جسده وسيتحسن بصورة سليمة..

نحن لم نتصل بالشرطة بعد لأننا وجدناه ملقى امام بوابة المشفى.. هل تود بتقديم بلاغ؟

تنهد بألم وغضب من نفسه.. وردّ على الطبيب بجدية:

- لا.. يعطيك العافية دكتور.. فقط اعتني به جيدا.

اومأ الطبيب بموافقته التامة قبل ان ينصرف، تاركا ريس يتخبط بأفكاره التي تقتله وتنحره.. ماذا يفعل الان؟! لماذا يشعر انه بحاجة ماسة الى لين في هذه اللحظة؟! يريد حضنها الدافئ وكلامها المشجع.. يريدها حالا وستأتي اليه بما انه يريدها..

سحب هاتفه وقام بالإتصال بجود، طالبا منه ان يأتي الى المشفى برفقة لين بسرعة ودون سؤال.. فنفذ الاخر طلبه خارجا من المنزل، ومتوجها ليحضر لين بناءا على رغبة ريس..

عكف سيارته بعد وصوله ثم نزل منها وطرق الباب بخفة.. وسرعان ما فتح الباب له ليجد لين تناظره بإستغراب لسبب حضوره الأن..

دقق النظر في عيناها الحمراوتين.. وعرف انها كانت تبكي.. فتساءل سريعا بقلق، مكورًا وجهها الصغير بين يداه الكبيرتين:

- لين حبيبتي ما الأمر؟ لماذا كنتِ تبكين؟

حاولت رسم ابتسامة فاشلة على شفتيها كي تطمئنه.. وهمست بصوت مبحوح مرهق:

- لا شيء جود.. لا تقلق انا بخير.. ادخل.

- لا استطيع.. ريس طلب مني ان اتي واصطحبك معي لإيصالك له الى المشفى.

سقط قلبها من مكانه عند ذكره اسم مشفى.. هل حدث له شيئا؟ هل هو بخير؟ ماذا اصابه؟! فكرت بخوف وقلق شديد عليه..

نظرت الى اخيها بخوف وهمست، ودموع قلقها على زوجها تتساقط على وجنتيها:

- لماذا؟ ما الذي حدث له؟ هل هو بخير؟ اجبني جود.

قرّب اخته الى صدره معانقا جسدها الضئيل.. واردف مُطَمْئِنْا قلقها ومهدئا من فزعها:

- لا تقلقي هو بخير.. فأنا تحدثت معه.. هو فقط يريدك.. هيا اصعدي وبدلي ثيابك لأخذك له سريعا.

ابتعدت عنه ببطء مدمدمة بموافقتها.. وركضت الى غرفتها حتى تغير ملابسها وتحلق الى حبيبها ومعذبها..

وصلا اخيرا الى المشفى لتندفع سريعا مع جود الى الغرفة الموجود بها.. وما ان رأت طفيف جثمانه، هرولت نحوه معانقة اياه بكل قوتها، تشكر ربها انه سليما.. لهثت انفاسها بصعوبة وهي تهمس بثقل:

- الحمد للّه انت بخير.. الحمد للّه كدت اجن.

ابتسم على خوفها عليه الجالِ بوضوح امامه وامام جود.. وقست قوة ذراعيه الملتفة حول جسدها، مغلغلا دفئها ونعومتها بخشونته وبروده..

استنشق سلسبيل عبيرها الذي يطير بعقله وغمغم بهمس:

- تعالي معي.

وقبل ان تفعل انتبهت لجسد جواد المتناهك على السرير فشهقت بذعر ليغمض ريس عيناه بقوة..

ارادت سؤاله عما اصاب جواد.. ولكنها لم تستطع حيث قام بكتم سؤالها، جاذبا اياها من ذراعها خارج الغرفة تحت انظار جود المصدومة بمنظر جواد والغير منتبه لما يدور بينهما..

سحبها خلفه بخطوات سريعة خارج المشفى وادخلها الى سيارته؛ وفعل هو المثل.. فأرادت سؤاله مرة اخرى لكنه صرخ بها بعنف هادرا:

- اصمتي.. لا تتكلمي.. ليس الان.

الفصل التاسع عشر

اسعى للهروب من حطام الحب،

دون فائدة..

اينما اذهب يتبعني،

ويتطنب بلا رحمة في نسماتي..

كيف للمتيم بالعشق الهروب؟!

كيف ودونه يموت، فاقدا للروح؟!

وكيف يبقى يرافقه، وقربه يؤلمه؟!

محتارٌ انا بين نارين..

احدهما اشقى واقسى من الأخر..

وفي كلتا الحالتين سأحترق..

لكنني سأحترق بنار العشق،

اذ كان هذا يكفيكِ..

سحبها خلفه بخطوات سريعة خارج المشفى وادخلها الى سيارته؛ وفعل هو المثل.. فأرادت سؤاله مرة اخرى لكنه صرخ بها بعنف هادرا:

- اصمتي.. لا تتكلمي.. ليس الان.

انتفضت بخوف من صراخه العنيف.. وكانت ستتكلم لو انها لم تجده يخفض رأسه ويضعه على مقود السيارة؟ هامسا بألم:

- سأخبرك ما به.. سأخبرك يا لين.

رفع رأسه قليلا بعد ان اخذ نفسا طويلا تحت انظارها المذهولة والقلقة في نفس الوقت.. تركته يتكلم براحته.. تركته يراجع نفسه قبل ان يقول ما يوّد.. لم ترد ان تضغط عليه ولم تفعل.. ثم سمعته يعلن عن قباحة وفظاعة ما فعل بهمس موجع:

- انا من اوصل اخي لهذه المرحلة.. انظري.. يداي الإثنتين هي من فعلت.

شهقت بصدمة لم تستطع اخفاءها وهي تضع كفها الصغير على فمها بجزع.. وتراجعت على

مقعدها مستنكرة اعترافه القبيح.. لا تصدق انه من فعل هذا بأخيه.. كيف؟! كيف وهي تراه دائما يضحي لأجل سعادتهم وسلامتهم؟!

اوجعه اكثر اذبهالها وصدمتها.. يدرك انه مخطئ.. يدرك انه قام بشيء لم يكن عليه فعله.. تأنيب ضميره يكاد ينتزع روحه من جسده.. نيران حارة تكوي دمائه دون رحمة.. قلبه يلتوى بؤسا على ما تصل اليه اوضاعه مع الجميع.. لم يعد يستطيع التصرف كما يجب.. يشعر بالضياع.. ضياع قاس.. وكأنه طفل صغير ولد توّه على هذه الدنيا..

حين سمع سؤالها الذي لم يكن الا بمثابة مضاعفة لإدراك فداحة ما قام به تحشرج قلبه ولعا وكربا.. رباه على ما يعينه! فليكن بعونه اللّه فقط!

- لماذا؟! لماذا يا ريس؟!

- ستعرفين لوحدك.. اخرجي.

اجابها بجمود لا يعكس ولا يعبر عما كان عليه قبل قليل امامها.. ولا حتى على الحمم البركانية المتقدة بثناياه..

تبعته وهو يخرج من السيارة بثبات.. كان يقودها داخل ممرات المشفى ولكن ذلك لم يكن له اي صلة بالسبيل الذي يقود الى غرفة جواد.. فجأة توقف امام باب غرفة غريبة عليها، ادت الى تصاعد الكثير من الأسئلة في داخلها واوشكت على البوح بها لو انه لم يلتفت لها هامسا بخشونة:

- ستدركين سبب ايذائي لأخي وايصاله الى ما حالَ وصار عليه حاله حين تدخلين الى هذه الغرفة وترين الأسباب وحقيقة خطأه بعينيكِ لين.

حيرة عارمة تتفاقم في عقلها عما يقصد به من لغزه الكلامي الذي لم تفهمه بعد.. وفجأة سمعت صوت انثوي يعلن سماحه للطارق بالدخول.. فإزدردت لعابها بتوجس وخشية وتمسكت بقميص ريس الزيتي ليلتفت لها قبل ان

يمسك يدها بخفة حتى يهدئ من روعها، ويبث الطمأنينة في اوصالها.. بينما بيده الاخرى الحُرة فتح الباب ليتقدما معا..

جفلت لين من مظهر الفتاة التي امامها، المتربصة على سرير المشفى، تنظر لها ولزوجها بتعجب وكأنها لم تكن تتوقع زيارته مرة اخرى..

نظرت لين لريس بإستفهام، تحاول ربط علاقة تعنيفه لجواد بحال هذه الفتاة.. وبعد صمت دام طويل من كلا الجوانب همست بتساؤل:

- هل جواد من فعل بها هذا؟!

همهم بنعم خافتة ممعنا النظر بتوسع عيناها بإرتباك، حيرة وضياع.. لا تعرف هل تشفق على هذه الفتاة وتلوم جواد على جريمته الشنيعة ام تشفق عليه على حالته الهزيلة؟؟

اقتربت وجلست بجانب الفتاة تحت انظار زوجها التي تتعقبها بترقب.. وغمغمت بتعاطف:

- كيف حالك؟

- بخير.. من انت؟

همست الفتاة بتساؤل لتبتسم لين برقة وهي تجيب:

- انا اكون زوجة ريس، اخ جواد.

اومأت الفتاة برأسها بتفهم، وهي تفكر لماذا هي اتت ولم يأتي جواد.. هل يعقل ان ريس حقق لها وعده حين قال انه سيفعل به اضعاف ما فعل بها؟

كادت ان تتساءل مرة اخرى عن سبب تواجدهما لتسبقها لين هامسة:

- فلتقولي لي ما هو اسمك، وسأخبرك لما نحن هنا.

- انا اسمي ريما.

- كم عمرك يا ريما؟

- سبعة عشر عاما.

تفاجأت لين من عمرها.. فهي صغيرة للغاية وما زالت في المدرسة.. التفتت الى ريس لتجده مستندا بجسده على

الحائط، بحيث ثقل ذراعه الأيسر مُصبا على الجدار بينما يداه موضوعة في جيوب بنطاله الأسود، ورجليه الطويلتين متشابكتين ببعض بإفتتان..

"رباه كم هو وسيم ورجولي"

دوى اعتراف عاشق حد النخاع بعقلها.. جاهدت كي تخرج من دوامة سحره الملقية عليها بلا قوة وبلا سلطة..

رأى لمعان عيناها ريثما استدارت بوجهها اليه وهي تتعمق النظر به بهيام التقطه وجعله يبتسم بغرور وعشق..

وعت على نفسها فقط عندما رأت ابتسامته المتعجرفة ليحمر وجهها بشدة وهي تشيح عنه، بينما ريما تنظر لهما بتعجب وكأنهما مجانين!

اقترب ببطء منهما وغمغم بإبتسامة بعد ان جلس على مقعد مجاور، بجانب سرير ريما:

- اتمنى انك افضل الان ريما.

لم تعرف لِما شعرت بضيق وحنق قاتل وهو يلفظ حروف اسم فتاة غيرها.. وشعرت بنار كاوية تلسعها بقوة وهي تدرك انه كان هنا قبلا.. دونها!

سمعتها وهي تجيب على زوجها بخجل بأنها بخير وافضل مما كانت عليه قبلا.. فتنهدت علّها تستمد بعض الصبر بزفيرها العال، وتجاهلته كليا حين عاودت النظر الى ريما، هامسة بإبتسامة:

- هل انت لوحدك؟ اين عائلتك؟

- جدتي غادرت وستعود لاحقا.. وانا ليس لي الا اخت صغيرة.

- ووالديكِ؟

خرج هذا السؤال من ريس لتتجه الأنظار اليه وترد عليه بحزن:

- توفيا قبل سنة.

عانقتها لين بحنان.. تشعر ببؤس شديد حيال هذه الصغيرة بينما ريس همس لها بجدية:

- انا اخذت لك حقك، لقد نال اخي عقابه.. وفعلت به كما فعل بك واكثر.. فلتسامحيه الان.

انتفضت في حضن لين، تفكر بجملته.. هذا يعني انه عانى اضعاف ما عانت وحقق لها وعده.. وجهلت سبب شعرورها بالألم لأجله.. ربما لأنها استشعرت ندمه الحقيقي! حالة الألم والندم والحسرة التي رأته بهم كانت صادقة.. وهذا كان يكفيها..

دمدمت بتساؤل بسيط خرج من فمها دون ان تنتبه:

- كيف هو الان؟

زفر ريس انفاسه، وهو يتطلع الى لين الضائعة بتفكيرها وسطهما.. ربما هي تفكر ببروده او بجرأته على الإفصاح بما باءت عليه صحة جواد بسببه..

حاول ان يتجاهل خيوط الدموع التي تحشرجت على وجنتيها دون ان تلاحظ او تدرك.. حاول بكل جهده وقد تمكن بحيث نقل بصره الى ريما مجاوبا:

- حالته سيئة، بإمكانك ان تريه غدا بعد ان يستيقظ وتخبريه انك سامحته.

اومأت بموافقتها لا تعرف لماذا! كان بإمكانها الإكتفاء بكلام ريس.. لكن احساس عارم في داخلها يخبرها انها يجب ان تراه..

****

توقفت سيارته امام بوابة القصر، ولم تصدق انها اخيرا وصلت.. ارادت فورا الخروج من السيارة لكن سبقها هو حين اوصد قفل الأبواب من جهته ليمنعها من الخروج.. فإستدارت اليه بإنفعال، هاتفة بحدة:

- اوس افتح الباب.

"ويا لروعة حروف اسمي حين تخرج من بين شفتيك الشقيتين.."

كانت هذه اول مرة تنطق اسمه بهذه الطريقة التي تثير بداخله الكثير..

تألقت عيناه بسواد اثار ذعرها وتوجسها لتتكمش على نفسها وتكرر بتوتر:

- افتح الباب لي.. اريد ان اخرج.

اقترب منها ودنى برأسه نحو وجهها المتورد من قربه وهمس بخشونة:

- جميل اسمي من بينك شفتيكِ.

برز خجلها وتوترها لعينيه بوضوح.. فإبتسم مدركا تأثير كلامه عليها..

اما هي فقد اشتد سخطها منه فدفعته عنها بقبضتيها الصغيرتين ليعود مستريحا على مقعده ضاحكا بصخب.. وفاض الكيل بها وهي تصيح به بتهديد:

- افتح الباب قبل ان اجعلك تبكي، لا ان تضحك.

لم يتمالك نفسه من نبرتها الحانقة فإنفجر ضاحكا بعدم تصديق.. وهمس بصعوبة مستنكرا:

- انتِ تبكيني؟ وتهدديني ايضا؟

- مثلما سمعت.. افتح اوس والا سأنفذ تهديدي صدقني.

هتفت بإنفعال.. لماذا لا يفهم انها لا تطيقه؟! لو يعلم فقط كم تود تكسير اسنانه، كي يضحك مجددا كما يريد دون اسنان.. لا بد انها ستحطم له وجهه كله يوما ما وليس فقط اسنانه الخرقاء..

- لن افتح، انا متشوق لأراكِ تنفذين تهديدك عزيزتي.

همس بعبث لتلقي عليه نظرة حارقة قبل ان تبدأ هجومها عليه بحقيبتها بكل قوتها ليقهقه عاليا وهو يتفادى ضرباتها بصعوبة..

لهثت انفاسها بتعب وحين هدأت نظر اليها شزرا مدمدما:

- هل متأكدة انك فتاة؟!

- لم ترى شيئا بعد.

همست بغل قبل ان تقفز على المقاعد الخلفية بخفة تحت انظاره المذهولة وتقع على المقعد خلفه تماما.. ومن ثم سريعا امسكته من شعره، تشده له بكل ما اوتيت بها من قوة ليطلق صرخة متألمة بينما هي تبتسم بشر:

- ستفتح ام لا؟

- اتركيني يا مجنونة.. من اين تعلمت كل هذا الجنون؟!

- افتح الباب قبل ان ادعك تعود الى منزلك دون حتى شعرة واحدة.

همست بجدية وتهديد راقا له.. وبخفة فهد التقط اناملها الرقيقة الممسكة بشعره القصير وجذبهم الى الأمام لتضرب بظهر مقعده شاهقة بألم.. وهتف بخبث:

- اعتذري على ما فعلتيه ايتها الشقية قبل ان ادعك تعودين الى المنزل باكية، ودون يدين ايضا.

- على جثتي ايها المتعجرف.

هتفت بعنف شديد فشد يداها الى الأمام اكثر لتتأوه بصوت مسموع..

كان مستمعا بقربها لأقصى حدٍ.. ارادها ان ترفض ليبقى ممسكا كفيها الناعمين لوقت اكثر.. وغمغم والإبتسامة لا تفارق وجهه الوسيم:

- احب شراستك.. هل تعرفين؟

- وانا اكرهك بكل حالاتك اتعرف؟

صاحت بحقد.. ورأى نظراتها تتألق بوجع عبر المرآة الأمامية فترك يدها وعاود النظر اليها هامسا بجدية خشنة:

- ستحبين كل ما بي لاحقا، فلتؤمني بهذا الشيء.. اخرجي.

فور ما رفع قفل الباب خرجت من الباب بسرعة حتى كادت ان تتعثر مرتين.. كتم ضحكته بصعوبة على مظهرها الطفولي ولم يستطع كبتها اكثر حين صفعت الباب بعنف مبالغ به..

تفاجأ بها تتقدم نحوه وتطرق على زجاج بابه.. ففتحه لها برفعة حاجب مستنكرة، ليسمعها تهمس بشراستها المحبوبة:

- انت مغرور جدا على فكرة.. وانا لن اعيد واكرر اكثر.. افهم جملتي وضِعها حلقة في اذنك، في احلامك فقط ايها البغيض.

رفع الشباك في وجهها ببرود، غير مكترثا بكلامها مما جعلها تفغر فاها بحنق وهي تدخل الى من منزلها والغضب والشرر يتطايرا من بين جفونها..

توقفت مكانها قبل ان تتمكن من صعود الدرجات الواسعة المُغطاة بسجاد رمادي لامع بنعومة لافتة للنظر .. ثم التفتت نحو الخادمة التي قالت لها بتهذيب:

- انسة عدن، السيد ايمن اخبرني ان ادعك تصعدين لغرفته عندما تصلي.

- حسنا انا صاعدة له.

اجابت الفتاة بجدية.. ثم توجهت نحو غرفة جدها وطرقت الباب بهدوء ليأذن لها بالدخول.. ففتحت الباب بضجيج وركضت نحو جدها رامية جسدها على السرير بجانبه، ويداها تلتف حوله بطنه المنتفخ قليلا..

- ها قد عادت حبيبة جدها الشقية.

همس بها الجد مقهقها لتبتسم وهي ترفع وجهها لتقابل وجهه الملائكي الحنون وتغمغم:

- اشتقت لي صحيح؟! اساسا اعرف.

ضحك ايمن على شقاوتها وربت على حجابها بحنو، رادفا بحب:

- كثيرا ايتها المتواضعة.. عدن حبيبتي ارتاحي قليلا وسنذهب الى المشفى.

- لماذا؟

تساءلت بقلق وهي تبتعد عن جدها ليُهدئ من خوفها هامسا:

- لا تقلقي حبيبتي، جواد متعب وسنزوره.. هيا انزلي وكلي لنذهب.

سريعا فعلت ما قاله كي تتمكن من الذهاب والاطمئنان على اخاها.. والان عرفت لماذا لم يأتي ريس ليأخذها من المدرسة واتى مكانه الكريه اوس..

****

جلست لين على احد المقاعد في ممرات المشفى بجانب غرفة جواد.. وطأطأت برأسها للأسفل غارقة في التفكير.. انتفضت فجأة عندما وضع ريس يده على كتفها بعد ان انهى حديثه مع الطبيب في الداخل هو وجود..

جلس بجانبها لتبتعد عنه بضيق لاحظه وجعل وجهه يتهجم بغضب.. وهتف بحدة:

- ما الأمر الأن؟!

ارادت ان تنهض من مكانها الا انه سبقها حيث شدها من يدها بخشونة مؤلمة لتسقط قاعدة من جديد على مقعدها.. وهتف بعصبية:

- عندما اسألك تجيبين.. اياكِ ان تتجاهليني.

- لا شيء اتركني، اريد دخول الحمام.

غمغمت بألم.. لا تطيق النظر اليه الان.. غاضبة منه من عدة امور.. تصرفاته لا تعجبها ابدا.. يتصرف وكأنه يملك الكون والجميع يجب ان ينحني تحت طوعه..

انّت بوجع حيثما نفض يدها بقسوة اعتدتها منه في الاوان الأخيرة.. وتراجعت للخلف بظهرها الى ان اصطدم بالحائط وهو يقترب بوجهه منها، مُثبتا عيناه الغاضبة بعينيها البائسة.. واذ به يكرر بعزم وصرامة:

- هل سمعت لين! تجاوبيني بالأول وبعدها ستذهبين الى اللعنة، المرحاض.

- وانا اجبتك لا يوجد شيء.. وابتعد عني.. هناك ناس تنظر لنا اذا لم تدرك بعد.

هتفت بجدية وهي تجيل بعينيها بين المارين..

تشدق فمه بسخرية وابتعد عنها قليلا، وهتف بنبرة حادة:

- بعد ان نعود للمنزل لين سيكون لنا كلاما طويلا.. طويلا جدا.

شخرت هي الأخرى بسخرية وتهكم متماثلين.. وهمست وعينيها البريئة تشع قوة وتحدي:

- انتظر ذلك بفارغ الصبر ريسي.

نهضت تاركة خلفها رجلا متعجبا من لفظها لأسمه بهذه الطريقة التملكية حتى وهما متشاجرين..

رأى جده وعدن يتجها نحوه فنهض مسرعا واقترب نحوهما هامسا:

- جدي لم يكن يجب عليك ان تأتي في هذا الوقت.

رمقه بنظرة حانقة وهتف بجدية:

- حفيدي بالمشفى وتقول لي انني لا يجب ان اتي! ابتعد عن طريقي لأراه.

ابتلع ريقه بصعوبة ريثما اختفى جده وعدن خلف باب غرفة جواد.. رباه الان من الذي سيُخلصه من تأنيب وعتاب جده.. تأفف بضيق وانتظر لين حتى تأتي كي يدخلا معا..

انتظر بعض الدقائق ولم تأتي فزفر انفاسه بضيق وسار نحو المراحيض النسائية ليرى ما خطبها..

نادى أسمها بصوت عال من الخارج.. ولم يأتيه اي رد منها فلعن تحت انفاسه.. وقام بالإتصال بها ثم سمع صوت هاتفها يرن بينما لم يأتيه اي رد منها.. فشعر بالقلق عليها ونادى عدة مرات وهو يهتف:

- لين هل تسمعيني؟ سأدخل اذا لم تخرجي.

لم يأتيه اي رد منها.. فنظر حوله قبل ان يقتحم المراحيض النسائية بحثا عنها، وهنا رأها ممددة على الأرض فاقدة الوعي ليهرول نحوها ويرفع رأسها ويضعه على حجره، هاتفا:

- لين حبيبتي.. ما بك؟

تضاعف خوفه اضعافا عندما تحسّس نبضها الضعيف.. فحملها بإحتراس وخرج من الحمام صادحا على احدى الممرضات لتأتي وتساعده..

قامت ممرضتان بالتعاون معه وارشدتاه على غرفة فارغة.. ثم طلبتا منه ان يخرج الا انه رفض رفضا قاطعا..

- اخرج لو سمحت استاذ.. يجب ان نرى عملنا قبل ان يأتي الطبيب.

هتفت الممرضة التي بقيت في الغرفة بعد ان خرجت الاخرى بنفاذ الصبر ليحتقن وجهه باكفهرار وهو يهتف بفظاظة:

- زوجتي وانا حر.. لن اتركها.. واطلبي ان تحضُر طبيبة لا طبيب.. لن اسمح لرجل ان يعالجها.. هيا غادري ونفذي ما امرتك به.

غادرت الممرضة كاتمة غيظها من تصرفه الوقح ليبقى مع زوجته ممسكا بيدها بحنية، هامسا:

- ستكونين بخير حبيبتي.. لا تقلقي انا بجانبك.

بعد بعض دقائق دخلت الطبيبة مع الممرضة المغتاظة منه الى حد كبير فتجاهلها ونظر الى الطبيبة التي تبدو في اواخر الأربعينات من عمرها.. وتتبع كل حركاتها

وهي تجري بعض التحاليل لزوجته.. بينما في الغرفة الأخرى وخاصة بغرفة جواد كانت عدن تبكي بخوف من مظهر اخيها المريب.. مظهره جعلها تخشى فقدانه.. تخاف ان تخسر فردا اخرا من عائلتها.. يكفيها وفاة والديها..

رقود جواد على الفراش دون حركة ولا كلمة ايقظ خوف كبير في وجدانها.. هي معتادة ان تراه يشاكسها ويعبث معها ويثير غيظها لا ان يكون طريح الفراش هكذا!

" يا الهي "

تمتمت بها بألم وهي تجلس على الارض بجوار سريره الأبيض الحريري.. نظرت نحو اليد الموضوعة على كتفها وغمغمت لعيون جدها الحزينة:

- سيتحسن اليس كذلك جدي؟! لن يتركنا كما فعل ابي وامي، اليس كذلك؟

رفعها عن الأرض بهدوء لتتوقف على قدميها الخائرتين، وجذبها الى صدره بدفء هامسا:

- لا حبيبتي هو بخير، غدا سيستيقظ.. ادعي له ان يتعافى وسيعود كما كان ليجننك.

- اتمنى ذلك جدي.

اباحت بشجن نحر لبّه بلهيب كوى اجمد اطرافه.. فمرر يداه الضعيفتين على ظهرها بحنان فائض..

سمعا قبضة الباب تتحرك فإبتعدت عن جدها، ماسحة دموعها بيديها وعدّلت حجابها قليلا عندما وجدت جود يتجه نحوهما..

انثنى مقبلا يد جده بحب ومّودة، ثم القى عليها سلاما دافئا، ملتزما بحدوده الدينية..

- اين ريس ولين؟

تساءل بحيرة ليجيبه ايمن:

- لا اعرف، ربما ينتظر لين.

هز رأسه بتفهم وجلس على الكنبة المخملية، المتوسدة نصف الغرفة..

****

فور انتهاء الطبيبة من القيام بعملها بصعوبة بسبب وجود ريس وتساءله عما تفعل كل دقيقتين.. وكل ما تقترب من لين او تضع محلولا ما يقفز متسائلا بحدة لما تضعه وكأنها ستقتلها لا ان تعالجها!

زفرت انفاسها بضيق، لاعنة الساعة على معالجة زوجته وهو متواجد بحشرية..

- كيف هي الان؟ ما خطبها؟

تساءل بلهفة قلقة لتلتفت له بغضب، مغمغمة من بين اسنانها المصطكين ببعض:

- انها بخير.. اطمئن فقط يبدو انها تعاني من ضغوطات نفسية وترهق نفسها وكذلك هي لا تأكل جيدا.. ينقصها الاكثير من الفيتامينات، وواضح لي السبب.

فهم الى ما تشير اليه هذه الخرقاء، فهتف بتعجرف:

- اذا انهيت ما عليك بإمكانك الخروج، وقبل ان تخرجي اكتبي لي الدواء الذي يلزمها لأحضره لها، واحضر لك دواءا من نوع اخر.

كتبت له انواع الدواء التي تلزمها وخرجت والحنق يكاد يقتلها من غروره، بينما هو لوى فمه بسخرية تامة، واقترب من لين رادفا بخشونة للممرضة المتيبسة بمكانها بذهول:

- سأخذ زوجتي، ازيلي عنها المحاليل اذا فرغت.

بعد ان نزعت عنها المحاليل حملها بخفة، ومن ثم نزل بها الى موقف السيارات ووضعها بالسيارة، واوصد الباب من الخارج وصعد للأعلى، ليخبرهم انه سيغادر..

دلف الى غرفة جواد بجمود، هاتفا بثبات:

- جدي وعدن تعالا لتناما عندي في المنزل.

- لا ريس انا سأنام في منزلي، وعدن ستبقى معي.

اجابه الجد بحنق يعلم سببه جيدا، فتنهد وهو يقترب من اخته، ويسحبها الى صدره هامسا ببعض الكلمات المطمئنة في اذنيها لتسري راحة كبيرة في اوصالها..

تشعر بأمان عجيب في حضن ريس.. تعامله الحنون معها رغم صرامته في بعض الأحيان يرسل طمأنينة عارمة لفؤادها الملسوع ضياعا وخوفا..

تشبثت بقميصه كطفلة تخشى الضياع ليعصر قبضته الفولاذية بقوة.. ثم هتف بحسم مقربا اخته اكثر الى صدره:

- ستنام عندي يا جدي، فمنزلي هو منزلك.. واضافة الى ذلك لين مريضة وانا بحاجة لعدن ان تكون قربها، ولن اقبل ان تبقى انت وعدن لوحدكما في القصر الفارغ.

- ما بها لين؟

تساءل جود بقلق والذي كان يتابع الموقف بهدوء.. يعرف حق المعرفة من اوصل جواد لهذه الحالة.. ومن يجرؤ غير ريس! لم يود ان يتدخل في محادثتهم الشخصية لكن

عندما سمع ان اخته الصغيرة ليست بخير، لم يستطع كتم هدوءه ولم يفعل..

فرّد عليه ريس:

- فقدت الوعي قبل قليل، ولكنها بخير.. هيا عدن وجدي سنغادر.. وجود انت عد الى منزلك، لا داعي لأن تبقى هنا.. غدا جميعنا سنأتي حينما يستيقظ.

تمتموا بموافقتهم ثم تبعوا ريس الى موقف السيارات.. ليسرعا عدن وجود نحو سيارته ويطلبا منه ان يفتح السيارة ليطمئنا على لين..

- رباه لين حبيبتي.. هل انت بخير؟

همست بها عدن وهي تضرب بخفة ناعمة وجنتاي لين النائمة على المقعد الأمامي ليهتف ريس بجدية:

- عدن اتركيها.. هي متعبة وبحاجة للراحة.. لا توقظيها.

ابتعدت عدن قليلا واقترب جود مكانها وقبّل جبين اخته بحنية تحت انظار ريس، الذي اتقدت اوردته غضبا وسخطا مما قام به، فجذب جود من مؤخرة قميصه هاتفا:

- هيا غادر انت الأخر، فنحن سنغادر.

تناءى جود الى الوراء مبتسما على غيرة ريس الذي يدركها على اخته.. ودنا منه مغمغما بخبث بجواره تماما:

- خفّف غيرة على اختي ريس، كي لا اغار انا الأخر.

دفعه ريس بغل الى سيارته وهتف بسخط:

- انقشع من هنا ابن عمي واخ زوجتي، قبل ان اتركك تبقى في المشفى لعدة ايام عزيزي.

قهقه عاليا وهو يبتعد عنهم، مشوّحا بيده للأعلى وقال:

- الى اللقاء جميعا نلتقي غدا.

فور وصولهم قام ريس بحمل لين ووضعها بغرفتهما، وعاد للأسفل بعد ان قبّل رأسها بحب شديد ولثم شفتيها بعشق وهيام..

وجد جده وعدن جالسين في الصالة فتقدم نحوهما وقال:

- انا سأذهب الى شركتي لأحضر الدواء الذي يلزم لين.. وعدن اصعدي للين حتى أتي، وجدي اذ كنت متعبا اصعد الى احدى الغرف وارتاح بها، وسأجلب لك دواءك ايضا بما انه ليس معك.

لم ينبث ايمن ببنت شفة، فزفر ريس بضيق واطلق العنان لوجهته..

- جدي لماذا تعامل ريس بهذه الطريقة؟!

تساءلت عدن بحيرة ليهمس لها بحنية:

- لا شيء حبيبتي.. انا فقط غاضب منه لأنه فعل شيئا ما كان عليه فعله.. هيا اصعدي للين كما طلب اخاكِ.

- وانت؟

- انا سأصعد الى غرفتي، فأنا مرهق.

****

في صباح يوم جديد.. تتسلل اشعة الشمس ببطء منعش لتستقر على جفونها المنغلقة، فتجبدت بجسدها المرهق وبدأت حواسها بعملها لتدرك ان ذراعا ما تلتف حول وسطها..

فتحت لؤلؤتيها الرمادية وثبتت انظارها على وجه زوجها النائم بأريحية وهدوء..

الم تكن في المشفى؟! ما الذي حدث؟! لا تذكر شيء عن البارحة غير انها دخلت الحمام، تاركة ريس ينتظرها..

ارادت النهوض عن السرير ولكن قبضة ريس التي سحبتها لتقع على عضلات صدره العاري فاجأتها، فرفعت رأسها له لتواجه عيناه العسلية الشبه مفتوحة من النعاس..

- منذ متى وانت مستيقظ؟

همست بإرتباك من الوميض اللامع بعينيه والذي باتت تعرفه حق المعرفة ليبتسم على وجهها المُحمر خجلا.. ويرفع وجهها اليه اكثر قبل ان ينقض عليها بقبلة اجشة سلبت كل حواسها وكل ما تبقى في ثنايا عقلها من تفكير ووعي.. ولم يبتعد عنها الا بعد ان انقطعت انفاسهما بحاجة عارمة لبعض الهواء، لاصقا جبينه بجبينها.. وغمغم بثقل:

- استيقظت قبلك.. كيف انت الأن؟

التقطت انفاسها بصعوبة وهي تستنشق الهواء المعبق برائحة انفاسه الخاطفة لكل ما تبقى بداخلها من رُشد.. وهمست بصعوبة:

- انا بخير.. ما الذي حدث؟! الم نكن في المشفى؟!

- فقدت وعيك البارحة في الحمام، واحضرتك الى المنزل.. جدي وعدن ايضا هنا.

همس بخشونة لتبتعد عنه قليلا وتردف:

- اذا سأنزل لأراهما فأنا مشتاقة جدا لهما.

نهض عن السرير هاتفا بلهجة امرة:

- لن تخرجي من الغرفة لين.. انت ما زلت متعبة وبحاجة للراحة.. عدن ستصعد لك وتبقى معك لأنني سأذهب مع جدي الى المشفى.. ولا تنسي ان تأخذي الدواء الموضوع على المنضدة، احضرته لك البارحة.

- لا اريد سآتي معك.

غمغمت بعناد لتشتد ملامح وجهه انكماشا، وحاجبيه ينعقدا برفض ثم اقترب منها وثنى وجهه امام وجهها واسنانه تصطك ببعضها.. وهتف ببطء شديد حتى تتغلغل الحروف التي خرجت من فمه بعقلها:

- لا تعانديني يا لين.. كلمتي هي بالأخر التي ستُنفذ حسنا!

- انا بحالة جيدة.. اذا لماذا ابقى في المنزل؟

همست بضيق شديد من تحكمه وتسطله عليها ليجيب بعجرفة:

- لأنني اريد ذلك.. لا جدال لين. ...

تأففت بصوت مسموع عندما تركها واختفى خلف حمام غرفتهما..

ستعانده وليفعل ما يريد.. فكرت بغيظ قبل تبدل ثيابها بعجلة وتنزل الى جدها وعدن الجالسين في الصالة..

- صباح الخير جدي.

همست بها وهي تقبل يد جدها بحب كبير ثم تعانقه بشوق.. فإبتسم وهو يرد عليها:

- صباح العسل يا قلب جدك.. كيف انت الان؟ هل تشعرين بتحسن؟!

ابتسمت هي الأخرى هامسة بحيوية:

- انا بأفضل حال جدي، لا تقلق.. حتى انني اصابني صداع من كثر النوم الذي نمته.

- تستحقين بما انك تجاهلتيني.

هتفت بها عدن المغتاظة من تجاهل لين لها.. لتلتفت لين لها ضاحكة هي وايمن قائلة قبل ان تعانقها بإشتياق:

- ليسامحك الله.. اشتقت لك ايتها الشقية.

ضمتها عدن مبتسمة وسألتها عن صحتها مرة اخرى لترد عليها لين بنفس الجواب بملل.. ثم همست لجدها:

- جدي انا وعدن سنُحضِّر الإفطار.. دقائق معدودة وسيكون جاهز.

- حسنا ابنتي.. لا ترهقي نفسك.

غمغم الجد بحنو لتومئ بإبتسامة ثم تتجه هي وعدن نحو المطبخ ليجهزا الإفطار..

****

فتح جواد عيناه بصعوبة، والام قاسية تداهم جسده بلا رحمة وتحرقه.. نظر حوله بإرهاق شديد ليجد نفسه في غرفة بيضاء كغرف المشافي ليدرك انه في المشفى..

اراد النهوض الا انه لم يستطع.. فضغط على زر استدعاء احد الممرضين لتأتي له احدى الممرضات هامسة بتساؤل:

- لقد استيقظت.. كيف تشعر الان؟

- ساعديني بالنهوض.. انا متعب... همس جواد بإرهاق لتساعده الممرضة حتى يعتدل بالنهوض وتدعو الطبيب المسؤول عنه ليتفقده..

- منذ متى وانا هنا؟

سأل الطبيب الذي يتفحصه فأجابه الطبيب بجدية:

- منذ يومين تقريبا.

اومأ برأسه ثم همس بتساؤل مرة اخرى:

- متى استطيع الخروج دكتور؟

- ليس قبل اسبوع بالتأكيد.. لا بد ان عائلتك ستأتي بعد قليل فإرتاح قليلا حتى يحضرون.

انهى الطبيب كلامه خارجا من الغرفة، تاركا جواد يتخبط بأفكاره..

بالرغم من المه ولومه وخيبته من ريس وخاصة لأنه هو اخيه من اوصله لهذه المرحلة يشعر بالإمتنان له.. الان فقط يشعر انه يستطيع التنفس.. يشعر انه كفّر عن

ذنوبه، وتلقى عقابه الذي يستحقه.. الغصة المريرة التي كانت تقبض على روحه قد تحررت واختفت..

" عليه ان يقابلها مرة اخرى"

دوى هذا القول في عقله.. يرغب ان يراها مرة اخرى.. لا يعرف لماذا!

واذ به ينصدم بدخولها.. هي نفسها.. بكامل جسدها عبر الباب المفتوح لغرفته..

رأها تتقدم بتردد.. خائفة ومحتارة.. رأى الكثير والكثير في ملامح وجهها وطريقة سيرها.. وفجأة توقفت امامه تبتلع ريقها بوضوح لعيناه المذهولة حتى خرج صوتها الخفيض المتلعثم:

- مرحبا.

صمتت بتوتر قبل ان تضيف:

- اخيك كان عندي البارحة و.. واخبرني ما فعل.. ا.. انا في الواقع لم اكن اريده ان يعاقبك بهذه الطريقة، فيكفيني انني رأيتك نادما.

خرج بأعجوبة من ذهوله وهمس بنبرة صوته المرهقة:

- حسنا حسنا تفضلي واجلسي.

- لا لا داعي.. انا فقط اتيت لأطمئن عليك لأنني اشعر بتأنيب ضمير.. و.. وعموما اتمنى لك السلامة.. وانا سامحتك فلا تحمل نفسك ذنبا اكثر مما يجب.. واعذرني علي الذهاب.

همست بإرتباك شديد ليبتسم رغما عنه ويغمغم:

- اشكرك.. لكن مما انت مرتبكة لهذه الدرجة؟ لحظة اولا ما هو اسمك؟

- انا لست مرتبكة واسمي ريما.. سأغادر فقد تأتي جدتي في اي وقت.. اسفة على الإزعاج.

همست سريعا قبل ان تخرج بتعثر جعله يبتسم بغرابة.. اما هي خرجت تزدرد انفاسها بصعوبة لاعنة نفسها لأنها اتت وزارته..

****

جلست لين بجانب ريس على مائدة الطعام مصطنعة الشجاعة بينما يرمي عليها نظراته الغاضبة، لأنها لم تنفذ ما امرها به ولم تهتم بصحتها، بل واجهدت نفسها بالرغم من انها فقدت الوعي البارحة..

مال نحو اذنها هامسا بخشونة:

- لقد نزلت.. واجهدت نفسك.. ولم تسمعي كلمتي ايضا!

امسكت الشوكة الموضوعة على الطاولة بتوتر..
وهمست بإرتباك من تهديده المُبطن:

- انا بخير.. ولا استطيع ترك جدي وعدن لوحدهما دون ان يفطرا.. ولا انت حتى.

- كان بإمكاني توصية طعام من الخارج.. او ان اطلب حضور احدى الخادمات من القصر لتقوم بالعمل بدلا عنك.

هتف بجدية لتنشغل بالطعام كما لو انها لم تسمعه مما ادى الى تضاعُف حنقه وسخطه من تصرفاتها الغبية..
وفجأة سمع صوت عدن تتساءل:

- بماذا تتكلمان؟

- لا شيء مهم.

اجابت لين سريعا ليحتقن وجهه باكفهرار من جوابها على عدن وتجاهله..

- اوه حسنا شؤون شخصية.

اردفت عدن بعبث ليضحك الجد وتعبس لين بغيظ..

- ريس متى سنغادر؟

خرج هذا السؤال من الجد ليجيب ريس بجدية:

- بعد الإفطار سنغادر انا وانت.

- ونحن؟

هتفت عدن بإستنكار ليدير وجهه ويثبته نحوها..

ويغمغم ببرود:

- انت ولين ستبقيان في المنزل.

تدخلت لين برفض بهذا النقاش الذي يدور بينهما وهمست:

- انا وعدن نريد ان نأتي معكما.. لا داعي لكي نبقى بالمنزل.

ايّدتها عدن بإنفعال هاتفة:

- صحيح، لين صحتها جيدة.. وانا اريد ان اطمئن على جواد فهو اخي كذلك.

- وهو ابن عمي.

اضافت لين بتحدي، ليضيق صدره من عصيانها له وعنادها السافر منذ الصباح ويصيح بهما:

- لن تأتي اي واحدة منكما.. انتهى النقاش.

هتفت لين بجدية وتحدي، غير عابئة بعصبية ريس:

- سأذهب معك ريس.. ولم ينتهي النقاش.

- ليييين..

صاح بها بنفاذ الصبر قبل ان ينهض عن مقعده بغضب اعمى، ويجرها بيده التي قبضت على معصمها بقوة الى المطبخ..



الفصل العشرون

عشقتك من بين الجميع..

غلغلتك في ثنايا روحي وقلبي..

عيناي لم تعد ترى سواك..

وقلبي لم يعد يخفق الا بوجودك..

احببتك بجنون الى ان اصبحت مهووسة بك..

احببتك بغضبك، بجنونك، بجفائك..

وتحملت كل ذلك لأجلك..

وفي النهاية اقول انا عشقتك!

- ليييين..

صاح بها بنفاذ الصبر قبل ان ينهض عن مقعده بغضب اعمى، ويجرها بيده التي قبضت على معصمها بقوة الى المطبخ..

- ما خطبك لين؟ لماذا تعانديني بهذه الطريقة؟

هتف بغضب وهو يترك يدها بعنف لتتراجع الى الخلف بعض الخطوات، ثم ترمش بعينيها ببراءة وتهمس بعدم مبالاة، راغبة في اثارة حنقه واستفزازه:

- لأنني ارغب واحب ان اعاندك.

تشدق فمه بتهكم، مقاوما براءة عيناها التي يعشقها ووميضها الخلاب.. وزمجر بسخرية:

- اوه حقا؟

هزت رأسها دلالة على موافقتها فإقترب منها بعض خطوات لتتراجع هي الى ان التصقت بالجدار الرخامي البارد.. ثم قرّب وجهه الى وجهها حتى احتك جانب ذقنه الحليقة بوجنتها الملساء لتسري قشعريرة قارصة عبر عمودها الفقري ويشتد خفقان فؤادها بصخب مؤلم..

همس بتلاعب وهو يرى تأثيره الفعال عليها:

- قولي مرة اخرى انك ترغبين وتحبين ان تعانديني.

كررت بتوتر وقبل ان تنهي جملتها كان يبتر جملتها بقبلة عنيفة جمدت الدماء في عروقها وقضت على كل ما تبقى من مقاومة في تيار تحديها..

ابتعد عنها يلهث انفاسه، وغمغم بخشونة ناعمة دغدغت حواسها:

- لا تعانديني ليني، هذا ليس من مصلحتك.

اومأت وهي بالكاد تفهم ما يتفوه به.. ثم رفعت وجهها المقتد بنار حمراء اليه وهمست بضيق:

- ما بك اليوم منذ بدايته وانت تتصرف بوقاحة ورومانسية تارة وبتسلط وتعجرف تارة اخرى؟!

ابتسم وهو يتلمس وجنتيها الناعمة كحرير صافٍ لامع بأنامله الخشنة الرجولية وهمس:

- زوجتي.. ولي كامل الحرية لأقرر كيف اتصرف معها.

اناءت بوجهها عنه بغيظ وهتفت بحقد:

- مغرور مستبد.

قهقه وهو يقربها الى صدره ليتغلغل عبير عطرها الفتان الى انفه ويتنشقه بعبق اطار عقله.. ملمسها الناعم ريثما يحتك به يشعره بأنه يملك الجنة.. ولو تعلم فقط كم يحبها ويخاف عليها!

تمتم بعبث محاولا الخروج من دوامة سحرها وبراءتها التي لا تدرك تأثيرها الصلد عليه:

- سمعتك عزيزتي.

ثم اضاف بجدية وهو يديرها اليه ليتقابل الذهب مع الفضة وينصهر كل ما تبقى من الماس ولؤلؤ عند اتحاد شعاعهما البراق:

- لين حبيبتي انا خائف عليك.. كل ما افعله هو لمصلحتك، انت البارحة فقدت الوعي وجسمك ضعيف جدا، وهذا واضح جدا لي.. فكيف تريدين مني ان اسمح لك بالخروج؟ والى اين؟!.. الى المشفى، المليء

بالفيروسات والأمراض! بالتأكيد لن اسمح لك، لذلك نفذي كل ما قلته دون جدال حبيبتي.

فكرت بتبريره المنطقي قليلا.. هو غاضب وصرخ عليها لأجل سلامتها..

نظرت له مطولا قبل ان تهمس بهدوء:

- حسنا اقتنعت.. اساسا انت الخاسر، فأنا فقط كنت اود البقاء بجانبك لأخفف عنك التوتر.

رمقها بغيظ هاتفا بمكر:

- هكذا اذا.. اذا لما لا تخففي عني التوتر الان؟

وقبل ان تفهم ما يرمي اليه كان يسحق شفتيها مرة اخرى تحت ضغط شفتيه بنعومة تلين الثلج وما يتبقى منه..
كانت قبلة مختلفة عما سبق.. كان يبث خوفه وحبه لها بهذه القبلة التي افقدتهما صوابهما معا لينجرفا الى كوكب بعيد ويحلقا لوحدهما به كالفراشات العاشقة لكل ما هو نظيف وبريء..

لم يبتعد عنها الا عندما سمع صوت اثار اقدام تقبل نحوهما فإبتعد ببطء شديد.. ودمدم بهمس مثير لتقشعر كل خلية في جسدها ويرتجف فؤادها بغرابة لذيذة:

- اعشقك لين كما لم احب او اعشق مسبقا.. احبك بقدر لن تتخيليه يا ملاكي.

لم تعرف اتتهاوى ارضا من فرط المشاعر الأجشة التي داعبت قدميها لتفقد قدرتها على الوقوف والثبات ام ترفرف في الهواء صادحة بكل قوتها انها ليست فقط تعشقه بل هي هائمة به الى درجة لا يتصورها العقل!! رباه مجنونها المتقلب سيقتلها ذات يوم.. لن يتبقى بها ذرة عقل بقربه.. وكم تعشق الجنون وهي معه! تعشق رجولته الطاغية بجاذبية تبخر روحها.. تعشق رومانسيته الي يغمرها بها وكأنها ماسة ثمينة لا يوجد من تتجرأ وتوازيها في اي شيء يخصها..

ارادت ان تتكلم.. ارادت ان تفصح بمشاعرها المبعثرة على ستار الحب والشوق هي الأخرى، ولكن صوت عدن

القلق، التي بالتأكيد ظنت انهما افتعلا شجارا كبيرا منعها..

- ريس لين هل انتما بخير؟

كان يرى عيناها التي برقت كنجمة حالمة وسط سماء زرقاء داكنة.. شعر بدقات قلبها التي اخترقت اذنيه لتتنافس سرعة خفقات قلوبهما اكثر واكثر.. احب وجنتيها التي تحمر له خجلا والتي تجعله مهووسا بها اكثر.. احس بها تريد ان تتكلم من تحرك شفتيها المثير والذي لعب على اوتار اعصابه ببطء نخر طاقته وكل ما تبقى به من صبر.. صبر لأن تتكلم وما ان خرجت احدى حروفها، والتي بصعوبة تسللت الى اذنيه اتى صوت اخته عدن ليلتفت لها بهدوء قائلا:

- نحن بخير، ابقي مع لين.. سأغادر انا وجدي الان.

فور خروجه من المطبخ الواسع والفاخر بألوانه الغريبة والعجيبة المتناسقة مع بعضها بإحترافية صناعية فنية.. كان مطبخ ممزوجا باللون البني الغامق مع اللون

الرمادي الفاتح وبعض الزوايا مدهونة باللون العسلي..

كان يبدو جميلا..

اقتربت عدن من لين متسائلة بقلق لتلك الشاردة الضائعة بعيدا كليا عن ما يدور حولها:

- لين هل تشاجرتما؟

وعت اخيرا على نفسها لتهمس بإبتسامة جعلت عدن تعبس بحيرة:

- لا حبيبتي نحن بأفضل حال.. تعالي لنوضب مائدة الإفطار ثم تخبرينني عن الأشياء الجديدة التي حدثت بينك وبين المدعو اوس.

****

توقفا ريس وجده بجانب بوابة المشفى منتظرين ادم ولؤي واولادهما.. رأى سياراتهما تقبل من بعيد ليتقدم خطوتين الى الأمام قائلا لجده بأنهم "ها قد اتوا".. وحينها فقط خرج صوت جده الصامت طوال الطريق وكأنه هكذا يعاقبه على ما فعل.. جده يعرف كيف يعاقبه حتى دون

الكلام.. فقط مجرد عدم مبادرة الكلام معه كالعادة هذا اكبر انواع عقاب له!

هتف ايمن بجدية ناظرا لريس:

- ريس كلمة واحدة ولن اضيف اكثر.. اسمعني قبل ان يقتربوا اكثر اعمامك واولادهما، اذا جواد لم يسامحك فإعلم انني لن اسامحك.. تهورك الغبي الذي كاد ان يودي بحياة اخاك لا يجب السكوت عليه.. لن اتكلم بالأمر الان امام اعمامك لأنني افهمك جيدا وافهم ما تفكر به والسبب الذي دفعك لذلك.. افهمت؟!

تنهد ريس قبل ان يعترف بخطئه الذي اقحمه في متاهة عاجزا عن الخروج من دوامتها.. واقترب من جده الى ان وقف بجسده الطويل امام جده الذي يماثله طولا.. ثم هتف بجدية:

- انا ادرك خطئي جيدا جدي وانا نادم عليه.. ربما الضغوطات التي عانيت منها والصدمات التي تلقيتها خلال هذه الفترة هي ما جعلتني اتصرف بعدم وعي وعدم تفكير.. انا لن اطلب السماح منك لأن ليس انت هو من

اخطأت بحقه.. ولكنك جدي ووالدي وقدوتي في هذه الحياة الدنيا لذلك...

اوقف كلامه، مقتربا اكثر من جده.. واحنى راسه قليلا ليقبل رأس جده الشائب بقبلة تعبر عن اسفه له، وعن كل ما بدر منه من اخطاء.. ثم ابتعد وهو يضيف:

- هذا ما استطيع فعله جدي.

- ما الذي يحدث هنا؟ ريس يقبّل جدي، ما السبب يا ترى؟

كان هذا صوت عماد الذي خرج عاليا بمزاح ليبتعد ريس عن جده ويهتف وهو يقترب منه، واضعا يده على كتفه بخشونة:

- ليس من شأنك ابن عمي.

قهقه عماد وهو يضيف بخبث:

- واخ زوجتك بالرضاعة، وصديقها الوحيد والأوحد.

- عماد لا تستفز ريس كي لا تعود مرة اخرى اسيرا للمشفى كما كنت سابقا.

هتف جود ساخرا على نقاشهما.. الاثنان يحبان لين حد الجنون.. ولكن احدهما حب اخوي جنوني، والأخر لا! لا يحبها، بل يعشق هواها وكل ما يخصها!

قهقه ايمن واولاده الاثنين امام نظرات ريس المشتعلة بضيق..

واقترب لؤي من ابنه عماد وغمغم بمرح:

- كله الا ابني يا ريس.. لن اصمت هذه المرة وسأعاقبك انت ولين ببعدكما عن بعض، وابي وادم سيعاونانني، اليس كذلك ابي؟

- بالتأكيد.. ريس لن يأذي اي احد بعد من العائلة، اليس كذلك ريس؟

هتف الجد بنبرة ذات مغزى ليبتلعها ريس مرغما وهو يجيب:

- صحيح جدي.. هيا نصعد الى جواد، لا بد انه استيقظ الان.

ولجوا واحدا تلو اخرا الى غرفة جواد وسلموا عليه جميعا عدا ريس الذي انتظر للأخر.. لا يعلم كيف يجب ان يتصرف.. ولكن هذا اخيه! من دمه ولحمه!

اقترب ريس الى ان توقف امام سريره.. ورأى حينها نظرات اخيه المتوترة.. رأه مثله تماما، لا يعرف ماذا يقول او ما يفعل.. رأه مرتبك وكأنه لا يقابل اخيه الكبير بل شخصا غريبا.. والمته نظرته بحق..

كانت عيون الجميع تراقب الأجواء بين الأخوين بترقب ليعرفوا ما سيحدث بينهما، الا شخص واحد كانت تشع نظراته بفائض من الحنية.. اراد ان يتصافيا حفيديه المحبوبين.. فهما الاثنان كبرا امام عيناه.. مشاجراتهما الصغيرة كالأطفال البريئة التي لا تعرف كلمة شر ولا غيرها تغيرت.. صار هناك تردد! صار هناك عتاب، خذلان وغيره الكثير!!.. ولكن الرابط الدموي والعاطفي بينهما قويا جدا حتى يتدنس وليس بهذه السهولة بكل تأكيد..

واخيرا تخلى جواد عن توتره وتذكر من هو الواقف قبالته.. تذكر من هذا السند والملاذ الذي يقف بهيبته ورجولته التي يفتخر بها ويقلدها..

نهض عن السرير بصعوبة تحت انظارهم القلقة والمتوجسة ثم انتصب امام ريس للحظات قليلة ليسحبه الأخر بعناق قوي، هامسا بأذنه بصوت لا يسمعه غيره:

- سامحني اخي.

ابتسم جواد بحزن وهمس:

- لا تعيدها ريس.. لا تعتذر لي ولا لأحد اخر.. انت اخي واكثر من ذلك.. انا اخطأت وتلقيت العقاب ولولا انك لم تفعل بي ذلك لما كنت مرتاح الان.. انا من يجب عليه ان يعتذر لأنني جعلتك تضطر ان تفعل ما تكرهه وجعلت نفسي لفترة اسقط من عيناك التي دوما تلمع بفخر وحب بي.. اعتذر اخي.

ادمعت عينان الجد التي كانت تسمع همسات جواد الخفيضة.. رباه كم هو حنون جواد! تصرفاته

كتصرفات ابيه رحمه اللّه.. كل ما يفعله جواد يُذكر ايمن بأبنه الغالي الذي فقده.. لم يستطع تمالك نفسه وهو يقترب منهما ليدخل بعناقهما الدافئ الملي بالحب والإحترام، هامسا بالقرب من اذن ريس:

- بما ان حفيدي الطيب قد سامحك فأنا سامحتك.

- اشكرك جدي.

غمغم ريس بهدوء قبل ان ينسحب ويجلس على مقعد قريب بجانب السرير..

ها هي اخيرا قد تصافت القلوب والنفوس، وانطفأت شرارة الأرواح الحاقدة والباغضة لتحل مكانها ارواحا طيبة ومتسامحة..

****

بعد ثلاثة اسابيع مليئة بالهدوء والسكينة الناعمة..

اتى هذا المساء التي قامت من اجله بالكثير..

وقفت امام المرآة تنظر الى نفسها بالفستان الأبيض القصير الذي يبرز مفاتنها الجذابة ومنحنياتها الناعمة..

كانت ترتدي الفستان الذي اشترته برفقة ريس حينما قررت ان تتحجب..

تأملت عيناها الرمادية المرسومة بكحل اسود ورموشها الطويلة الغامقة التي تزيدها جمالا.. بينما شعرها كان منسدل على طول ظهرها كستار عسلي لامع بخالبية مفرطة.. وكعبها الأسود الطويل الذي زادها طولا لتبدو كعارضة ازياء ابدع الخالق بالتفنن برسمها..

نزلت الى الصالة التي رتبتها بعناية واهتمام شديدين لتتأكد من ان كل شيء موجود كما يجب.. نظرت الى الساعة البيضاء، المنقوشة بخيطان ذهبية التي في يدها لتجد ان موعد عودته قد اقترب..

سارت قليلا نحو النافذة تنتظر قدومه.. ولم تنتظر طويلا فها هي سيارة محبوبها تضيء اضواءها الخافتة من بعيد.. إبتعدت سريعا عن النافذة وتوترت اوصالها واشتدت خفقات قلبها حتى قبل ان تراه..

ازدردت لعابها بإرتباك حينما طُرق الباب.. فتقدمت بتعثر لتفتحه قبل ان تختبئ خلف الباب ليلتصق جسدها بالجدار البارد..

دخل متعجبا من الظلام المسيطر على المنزل بأكمله وعلى اختفاء لين التي لم يتبين اذ كانت هي من فتحت الباب ام لا! وعندما اغلق الباب تصنم مكانه من الملاك التي تقف امامه وحمرة الخجل تزين وجنتيها.. شعر بأنه مأخوذ العقل ومسلوب الإرادة.. دون وعي ودون رشد.. اصبح في هذه اللحظة رجل مفتون بملاك الإغراء التي تحدق به بخجل وتوجس..

خطى نحوها خطوات متمهلة سلبت فؤادها من مكانه وتناقضت بجنون مع الخلايا التي تنبض بجسدها افعمه..

وبعد ان صار وجهه بالقرب من وجهها همس بنعومة زحلقتها في بحور من العشق والوله:

- ماذا تفعلين ملاكي؟! أكنتِ تخططين ان تفاجئيني لهذا قمت بتجاهلي صباحا؟!

هزت رأسها بخجل وهي تتذكر اعتمادها على عدم الإستيقاظ قبله وتحضير الإفطار من اجله ولم تكلف نفسها عناء الإهتمام وبقيت ممثلة دور النائمة.. وعندما اتى ليوقظها تجاهلته واخبرته ان يذهب حتى دون ان تقول له كل عام وانت بخير..

كانت تعرف انه خرج متضايقا منها صباحا بسبب ما فعلته وبسبب تجاهلها له في يوم عيد ميلاده الذي يتشاركانه لأول مرة..

امسكت بيده بإبتسامة دافئة وسحبته معها الى غرفة الصالة، وعندها تركت يده لتعطيه مجالا بالتمعن بما حضرته لأجله.. كانت الصالة مليئة بالشموع الحمراء والورود البيضاء والزرقاء المندثرة على الأرض، وحول الطاولة المتوسدة منتصف الصالة..

اقترب من الطاولة ليراها عن قرب.. وابتسم بهيام ريثما رأى الكعكة التي تزينها صورهما وكلمة "اعشقك ريسي" المكتوبة بالشوكولاتة التي يحبها بجانب

الصور.. اما بقية الطاولة فكان موضوعا عليها اغلبية انواع الطعام الذي يحبه..

استدار اليها عاجزا عن النطق.. ملاكه الصغير قامت بكل ذلك من اجله.. سارت نحوه وابتسامة عاشقة مرسومة على شفتيها، وعيناها تلمع بدموع عاطفية شديدة..

غلغل اصابعه بأصابعها الرقيقة لتتوسع ابتسامتها وتهمس:

- كل عام وانت حبيبي واغلى ما لدي ريسي.

انهت كلامها واقفة على اطراف قدميها حتى تصل الى وجهه.. وحينها قامت بما لم تقم به مسبقا.. تخلت عن خجلها الذي يلازمها دائما وقبلته بكل ما تكنه له من حب وعشق..

ابتعدت عنه تلهث انفاسها بخجل لم تستطع كبته اكثر ورفعت عيناها اللامعتين بصفاء لتقابل عيناه الذهبية.. رأته يبتسم وانتقلت ابتسامته اليها كالعدوى.. ولم تشعر سوى بجسدها الذي صار بين ذراعيه..

غمغم متنشقا رائحتها العبقة:

- ليني يا روحي.. ملاكي.. انا لا اعرف حقا ماذا اقول لك يا نبضي غير انني اموت فيكي.. اعشقك

واعشق روحك البيضاء وقلبك الذي لم ارى مثله قط.

انهمرت دموع تأثرها دون ارادة منها ثم ابتعدت عنه هامسة:

- وانا اكثر اميري.. تعال لنأكل اولا وبعدها ستُلبي لي طلبي الذي سأطلبه منك.

- انا جاهز لأي ما تطلبه حبيبتي.

اجاب بإبتسامة قبلا ان يجلسا ويتناولان الطعام الشهي برومانسية تخصهما لوحدهما فقط..

- كيف اتت ببالك هذه الفكرة لين؟

همس بتساؤل وهو يأكل بهدوء لترد عليه متوسمة النظر بملامحه التي تأسرها:

- لا اعرف.. فقط رغبت ان اجعل يوم ميلادك مميز.. في الصباح منعت نفسي بصعوبة من ان اعايد عليك.. اردت النهوض واساعدك بكل ما تفعله عادة صباحا.. بل اردت اكثر.. ولكنني قررت تجاهلك كي تكون معايدتي عليك استثنائية.

- وهي استثنائية بالفعل.. لم اتوقع قيامك بهذا الشيء وخاصة بعد الصباح.. لا تصدقين كيف خرجت من المنزل متجهم الوجه.. حتى الاتصالات التي اتتني لتعايد علي لم ابالي بها ولم اهتم لها.. كان اكثر ما يهمني هو انت.. كنت اريدك ان تكوني اول من اتصبح بها وتقول لي كل عام وانت بخير.. لكن بعد كل ما فعلتيه لا استطيع لومك بل حتى يعجز لساني عن الرد لما قمت به كي نحتفل معا بيوم ميلادي.. وجودك بحياتي لين هو كمثل وجود روحي بجسدي.

- ريس ارجوك كف عن الرومانسية هذه.. قلبي سيخرج من مكانه اقسم.. انا لا افعل شيئا لك مقابل ما انت تفعله لأجلي.. انا يكفيني وجودك بجانبي.. ان تكون

بخير هذا ما يهمني.. سعادتك هي سعادتي وحزنك هو بؤسي وموتي.

اردفت بنعومة ليبتسم بعشق.. ثم امسك بيدها ولثمها بشفتيه طويلا قبل ان يهتف بتساؤل:

- لكن لحظة كيف فعلت كل هذا لوحدك؟! فأنتِ لم تخرجي من المنزل.

قهقهت لين رادفة بتباهي:

- ذكائي الخارق.

- حقا!! هيا اجيبي.

تمتم باستنكار لتغمغم بامتنان:

- الشكر لجود وعماد وعدن.. انا وعدن تشاركنا في الأفكار وطلبنا من جود وعماد ان يشتريا ما يلزمنا.. هكذا فقط.

- الكريهان اخاويك.. رأيتهما عدة مرات ولم يبينا لي اي شيء بل كانا يستمتعان بإثارة غيرتي امام جدي.

هتف بسخط لتقهقه عاليا وتدمدم:

- تستحق ذلك.. اجل صحيح نسيت ان اخبرك.

- ماذا؟

هتف بتساؤل لتجيب بابتسامة:

- احزر من قرر الزواج؟

- من؟

- رباه ريس.. فكر قليلا.

هتفت بنفاذ الصبر ليقهقه وهو يقول بعدم تصديق:

- لا تقولين جود!

ابتسمت لين رادفة بحب:

- بل هو بحد ذاته.. طلب مني اليوم ان اخبر الفتاة التي يود الزواج بها.. ولو تعلم من هي!

- لا ادري لين.. هيا قولي لقد نفذ صبري.

- انها شام صديقتي المقربة.. لم اصدق ذلك عندما اخبرني! هذا اسعد خبر تلقيته اليوم.. منذ زمن طويل وانا اتمناهما لبعض.. لكن تبقى علي فقط الكلام معها غدا لأعرف جوابها.. اتمنى ان توافق.

ابتسم على انفعالها اللطيف وهي تتكلم وهمس:

- وانا اتمنى ذلك حبيبتي.. وبما انك انت التي ستتكلم معها فبالتأكيد ستوافق.. والان ما هو طلبك؟

- انتظر لحظة.

غمغمت وهي تقوم عن المقعد لتضع اغنية رومانسية هادئة جعلته يبتسم بخفه.. فنهض هو الأخر وامسك يدها ليقربها اليه ويتمايلا بنعومة على هذه الأغنية..

- اتعلم؟ منذ فترة وانا ارغب بهذه الرقصة معك.. انا احب هذه الأغنية كثيرا.. كنت اريد ان اضعها في حفل زفافي مع الشخص الذي احبه واريد الزواج منه.. ولكنني..

صمتت ولم تستطع ان تتابع ليتكلم هو بدلا عنها:

- ولكنك كنتي تبغضيني وتكرهيني؟! اعلم ذلك لين.. حتى انا لم اكن ارغب بالزواج.. ولكنني منذ اول مرة رأيتك بها رغبت بالزواج فعلا.. انجذبت اليك بسرعة عجيبة.. شعرت بمشاعر لم تداهمني يوما تجاهك من اول ما رأيتك.. لين انا لا يهمني كيف كنت تشعرين تجاهي سابقا.. كل ما يهمني هو الان.. نحن نحب بعضنا وهذا يكفيني.. حسنا!

ابتسمت موافقة ثم وضعت رأسها على صدره، مكان قلبه الخافق بأسمها فقط.. وتمايلت هي بأحضانه على ترانيم الموسيقى الهادئة.. ولتعلن هذه الليلة المميزة عن كل ما يمّت بالعشق للكون اجمعه عن هؤلاء الزوجين الحبيبين..

****

كانت تسير لوحدها في ساحة الجامعة، شاردة بالكثير من الأمور.. اوس وقيس اللذان لا يكفان عن اللحاق بها.. لم يكفيها واحدا في القائمة ليضاف واحدا اخرا.. لا

تعلم ما تعيشه وما هو مصيرها!! لا تعلم شيئا غير انها ماشية في هذه الدنيا مع هذا الزمن..

جلست على العشب الأخضر واتى ببالها لين وريس.. يا ترى هل تستطيع ان تعيش علاقة حب مثلهما؟! هل تستطيع ان تجد من يعوضها عن اليتم التي عاشته في صغرها ويملئ حياتها العاطفية الفارغة؟! بالرغم من ان دائما الجميع يسعى لسعادتها وعدم احساسها باليتم او بمعنى الحرمان من وجود والديها واهميتهما، الا انها تشعر.. ما زالت تفتقد وجود والديها في حياتها.. تريد شخصا يهتم بها طوال الوقت كمثل والديها لو كانا على قيد الحياة.. يا ترى من سيكون هذا الشخص؟! من الذي سيتمكن من سد هذا الألم الذي ينزف بداخلها؟!

تنهدت بعمق وطأطأت برأسها نحو اصابعها المشتبكة ببعضهما..

انتفضت بتفاجؤ عندما شعرت بشخص يجلس بجانبها.. فإلتفتت سريعا له لتجد ان هذا الشخص ليس سوى اوس..

فهمست بتفاجؤ:

- اوس!! ما الذي تفعله هنا؟! قد يراك احد جالسا بجانبي ويسيء الفهم.. انهض!

تأمل عيناها الحزينة بعمق اثار ارتباكها وغمغم بهدوء:

- لا يهمني عدن.. ما بك تبدين حزينة ومهمومة؟

ابتلعت ريقها لأنه لاحظ الحزن المدفون بعينيها.. كيف عرف انها حزينة من مجرد نظرة واحدة؟!

نظرت له بإبتسامة لم تعطيه اياها يوما.. وتساءلت بهمس:

- هل هذا واضح جدا على ملامحي؟!

امعن النظر بها اكثر واجاب:

- لا اعلم ولكنني استطيع قراءتك بوضوح.. اشعر انك تخفين حزنك وهمومك تحت قناع مرحك وشقاوتك.. لا اعرف عدن.. في داخلك كتاب مغلق بعناية شديدة.. اليس كذلك؟!

تنهدت مرة اخرى رافعة رأسها الى السماء البديعة..

وهمست بجدية:

- اوس لماذا تريد الزواج بي؟ لماذا مصر لهذه الدرجة على الزواج بي مع انك تعلم انني اكرهك ولا اريدك؟!

اخذ نفسا طويلا وقلّدها رافعا رأسه الى السماء.. وغمغم بشرود:

- لا اعرف عدن.. انا منجذب اليك بصورة عجيبة.. ربما انا احبك عدن!! اريدك لي بالحلال.. اريدك زوجتي.. انت اخت صديقي المقرب وانا اعرف جيدا من تكون اخت ريس.

اخفضت رأسها.. وكل كلمة قالها تتغلغل الى اعماقها.. يحبها؟! اتسخر ام تفرح؟! هي لا تطيقه ومع ذلك يحبها! رفضته العديد من المرات ونعتته بأنها تكرهه ومع ذلك لا يزال يريدها!

نظرت له بهدوء ونهضت.. حتى الخجل لم يتضح على ملامحها كما عادة يحدث.. وابتعدت بعض الخطوات هامسة:

- اوس ابقى بعيدا عني هذه الفترة لو سمحت.. اتركاني انت وقيس بشأني.. انا نفسيتي مرهقة.. روحي تحترق.. رجاءا دعاني لوحدي حتى ارجع كما انا عادة.. انا متعبة من كل شيء ومنكما للغاية.. انت محاضر في الجامعة وانا طالبة هنا.. لن يكون هذا جيد لي ولك اذ بدأت الأقاويل.. دعني هذه الفترة ولا تقترب مني حسنا.

لم تنتظر جوابه وسرعان ما كانت تختفي عن انظاره.. تاركة وراءها شخصا يتألم لحالتها بقدرها وبأضعاف.. لا تعلم هي شيئا.. لا تعرف عنه اي شيء.. لكن لاحقا ستعرف وهو سيعرف عنها الكثير..

****

ركن سيارته بجانب مدرستها ينتظر خروجها.. منذ ان اتت اخر مرة عنده في المشفى الى غرفته لتخبره انها سامحته لم يراها.. يشعر بالشوق لرؤيتها.. عليه ان يراها.. عليه ان

يرى هذه الفتاة الطيبة التي نالت على تفكيره طوال هذه الأسابيع.. كل يوم وكل ليلة ينام على تذكارها.. على تفكيره بها لوحدها..الفتاة الحنونة الطيبة!

خرج من السيارة فور ما رأها تخرج من المدرسة برفقة فتاة ما واقترب منها لتنصدم هي من رؤيته وتقول:

- انت! ماذا تفعل هنا؟!

ابتسم موزعا انظاره بينها وبين الفتاة التي تنظر له بفضول وغمغم:

- اجل انا.. جواد! كيف حالك ريما؟

تلعثمت وهي تنظر الى صديقتها وهمست لها:

- قمر اسبقيني سأتبعك.

اومأت الاخرى قبل ان تذهب وفضولها يحرقها لتعرف من هذا الشخص.. ثم التفتت له بإرتباك:

- عذرا ايها السيد.. انا بخير كما ترى.. لماذا اتيت؟

- لا اعرف رغبت بذلك.. صحتك تحسنت هذا واضح لي.

همس بصراحة لتهمس هي:

- اجل معك حق.. الشكر للّه.. وانت تبدو قد تحسنت للغاية عما كنت عليه عندما رأيتك.

- اوافقك الرأي.. كيف هي جدتك؟ اما زالت تلعنني حتى الان؟!

ابتسمت برقة لينبهر بجمال ابتسامتها البريئة واردفت:

- لا ، لا تقلق.. هي سامحتك وانا كذلك.. وكما انني اخبرتها كل شيء.

- اوه يسعدني ذلك.. عموما هل انت وصديقتك بحاجة الى من يوصلكما؟

هتف بتساؤل للتورد وجنتيها وتغمغم:

- لا ، منازلنا قريبة جدا ولا تبعد عن المدرسة سوى شارعا واحدا.. حسنا علي الذهاب كي لا اتأخر.. اتمنى لك يوما موفقا.. دمت سالما.

- وانت ايضا.

همس بها مبتسما وهو يراها تغادر برفقة صديقتها.. لا بد انه اصيب بالجنون ليأتي الى مدرستها ليراها.. لكنه يعشق الفتيات البريئات الطيبات وربما لذلك احب رؤيتها مجددا!

تنهد مغادرا هو الأخر الى القصر..

****

بعد ان طلبت من السائق الذي عيّنه ريس لها ليقلها الى الجامعة او اينما تريد الذهاب ان يوصلها الى منزل اخيها، على علمها انه بالعمل لتبقى مع لين وتتكلم معها على انفراد عما تعانيه

هذه الفترة..

طرقت الباب بهدوء وسريعا ما كان يُفتح ليأتيها وجه لين المنعش التي تتكلم بالهاتف.. فسلمت عليها دون كلام ودخلت برفقتها..

" رباه جود.. الفتاة اخبرتني انها ستفكر وتصلي صلاة الاستخارة.. هي تعرفك منذ الصغر ولكنها لم تحتك

بك بعد ان كبرت فبالتأكيد لم تعد تعرفك حق المعرفة.. وكما انني حمدت بك لها كثيرا فانتظر.. والان سأغلق.. عدن اتت"

اغلقت لين الهاتف بتأفف لتناظرها عدن بفضول وتتساءل:

- ما الأمر؟!

- جود طلب يد شام.. ونحن ننتظر قرارها.

ردت لين بملل لتهتف الاخرى بانفعال:

- أنت جدية؟! اوه لا اصدق! اخيرا سيحدث زفافا في العائلة.. الملعونة شام ستصبح قريبتنا.. اتمنى ان توافق.. اصلا ليس لها خيارا اخرا.. جود كل العائلة تمدح به وبحسن اخلاقه.

- اوافقك الرأي.. على اي حال لننتظر.. والان ما خطبك انت؟ وجهك لا يعجبني هذه الفترة.

همست لين بجدية لتتنهد عدن وما ان ارادت ان تهمس طرق الباب مرة اخرى.. فنهضت لين سريعا هاتفة:

- سأرى من.. انتظري دقيقة.

فتحت الباب لترى من وتفاجأت بامرأة جميلة جدا، تبدو كشابة تقف اماما.. فتساءلت:

- عذرا من انت؟

- انا والدة ريس.. ترنيم!

توسعت عيناها بصدمة وتراجعت الى الخلف بذهول لتتقدم ترنيم الى الداخل وتغمغم:

- هل انت لوحدك؟

- لين من الطارق؟

صاحت عدن وهي تقترب نحوهما، حاملة كوب الماء بيدها.. وما ان رأت المرأة التي امامها، والتي كل صورها محفورة بعقلها.. التي لا تنام دون ان تنظر الى صورها وتقبلها واقفة امامها، سقط الكوب من يدها ليصدر صوتا دوى بأذنيها بصدمة تامة وهي تهمس:

- امي!!

استدارت لين سريعا نحوها وهرولت اليها لتعانقها بدموع مصدومة امام نظرات ترنيم التي تناظر ابنتها التي كبرت واصبحت فتاة جميلة بكل معنى الكلمة..

اقتربت من ابنتها هامسة والدموع رغما عنها تتكور بعينيها:

- عدن ابنتي..

تراجعت عدن الى الوراء مصدومة، عاجزة عن التفكير.. ودموعها تتساقط على وجنتيها كشلال جمري حار، تهز رأسها بنفي:

- مستحيل.. مستحيل.. امي متوفية!!

- ما الذي يحدث هنا؟!

كان هذا صوت ريس الواقف على الباب مستغربا وجوده مفتوح.. وما ان دلف للداخل تلقى الضربة القاسية التي كان يهرب منها..

- انت؟! ترنيم!!!

صاح بها ريس وهو يقترب من اخته التي تناظره بروحا منفطرة..



الفصل الحادي وعشرون

خائفٌ انا مما لا ادركهُ ولا استنبطهُ..

خائفٌ انا كطفل ضلّ وتبلَ طريقهُ..

خائفٌ انا من عذابِ عقلي يلاحقهُ..

تركتموني بين بقايا دثور اجمعهُ..

بلا فائدة وبلا جدوى الململهُ..

بقلب فارغ وروح مشتتة رشدهُ..

انام واستيقظ لأجد انه الكابوس نفسهُ..

ابيًا ان يرضخ لكأس مستقبلاتهُ..

ها هي ايامي في دُجن ليلهُ..

اصْرَخُ بلا صوتٍ ينقذهُ..

اصْرَخُ بلا صوتٍ يسمعهُ..

اصْرَخُ لأبقى في نفس ديمومتهُ..

لِيُطَمِرَ نفسهِ في اسخمهُ ويُحرِّرُ امهقهُ..

- انت؟! ترنيم!!!

صاح بها ريس وهو يقترب من اخته التي تناظره بروحا منفطرة.. وبقلب جافل جذبها الى حضنه، ممررا يداه على طول ظهرها صعودا ونزولا ليبث القليل من الطمأنينة بقلبها الدامي كمدا..

استنكرت ترنيم المشهد الاخوي ومناداة ريس لها بأسمها دون احترام بغيظ فتقدمت منهما هاتفة:

- ترنيم!! انا امك ريس اذا كنت لا تعرف.

- انا ليس لدي ام!! افهمت ايتها السيدة؟!

زمجر بها بتمهل قاتل لتتغلغل حروفه القاسية على مسامعها ومسامع اخته التي تهز رأسها بانفعال مؤلم، غير مدركة لما يحوم حولها تمام او لما يتفوه به ريس من خرافات وتراهات..

ضائعة.. خائفة.. تائهة..

لم تحتمل لين حالة عدن المزرية والمنكسرة فإقتربت منها لتضمها هي الأخرى.. بألم يوازي ألمها والم ريس.. تعلم ما يعانيه! تعلم المتاعب الذي يتحملها وتدحرج انفاسها بؤسا.. ولكنه يتظاهر بالقوة وهي حق من تعرفه.. ما زالت لا تصدق كيف امهما على قيد الحياة! لا تصدق.. كارثة عاتية حلّت على افراد العائلة اجمعها!!

شخرت ترنيم بفمها وتوقفت قبالة عدن، رامقة لين باستحقار لم يبالي به احد.. وهمست:

- تعالي معي يا ابنتي.. تعالي الى امك.. الا تريدين البقاء مع امك؟

لا.. لا تريد ان تسمع المزيد.. هذا يكفي!! سكاكين حادة تغرز بكل انحاء جسدها.. لم تعد تستطع الصمود اكثر.. انها تختنق.. تكاد تموت لوعة.. تريد الذهاب الى احضانها.. تريد وتريد لكنها خائرة بلا حول ولا قوة..

ازداد بكاءها عنفا ليتحول الى شهقات تخللت أُذنَي ريس لتزيد من الطين بلة.. وتمسكت بقميصه بإستنجاد.. واضعة رأسها بعنق لين تكتم صيحات كربها ولوعتها.. ليصيح ريس بصوت اسد مجروح، مكدوم بأعلى صوته:

- اصمتي ترنيم قبل ان يحدث ما لا يعجبك.. اسمعيني جيدا يا امرأة.. في حياتي وحياة اخوتي اياكِ ان تتدخلي.. انا احذرك! صلة الدم الدنيئة التي تربطنا سأنساها وادمرك ايتها الخائنة القاتلة.

صدمة تلو اخرى.. هذا قاس بحق.. ارادت الصراخ لتفهم التهمة التي يلقيها على امها!! تريد ان تفهم وتعرف الى ما يشير.. لكن لم تخرج منها سوى همسات خفيضة غير مفهومة بعنق لين المذهولة، ذارفة دموع الحسرة عليهما وعلى عدن اكثر..

بينما ترنيم تصنمت مكانها بذهول تام.. كيف عرف!! لا احد يعرف غير ادم.. وبالتأكيد لن يخبرهم.. تلون وجهها بإصفرار قاتم حتى بهت بياضه الناصع.. وتلك

النظرات المبهوتة التي تناظرها اثارت خوفها وارتباكها لتبتلع ريقها بصعوبة..

وما ان لاحظت عدن التي توقفت عن البكاء واقتربت منها بنظراتها التي على وشك ان تحرقها صاحت مدافعة عن نفسها:

- ما الذي تتفوه به ريس؟! انا لم اقتل ولم اخون احدا.. تعالي معي يا عدن.. هيا حبيبتي.

وما ان اوشكت يدها على ملامسة يد عدن دفعها ريس بعنف مبالغ به لتتراجع بعض الخطوات الى الوراء بإرتباك.. وصاح مرة اخرى بغضب:

- لين خذي عدن الى الأعلى.. لا اريدكما هنا.

- اريد ان اسمع.. ارجوك ريس.

همست عدن ببؤس وقلة حيلة ليستدير اليها محاولا تهدئة اعصابه التي تَلَفَت.. لا يريد ان يخيفها ولا ان يغضب عليها.. لا يحتمل رؤيتها حزينة.. يكفيها

الصدمات القاسية التي تصب عليها بلا رحمة.. يكفيها ذلك!!!

غمغم بهدوء حان، كابتا غضبه وسخطه على ترنيم، البلوة التي ظهرت:

- حبيبتي عدن اسمعي كلامي.. والى الأعلى الان.. لا اريد بقاءك هنا.. هيا اصعدي كي اتكلم معها على انفراد قبل ان افتعل جريمة في الحال بهذه المخلوقة! هيا الى الأعلى لين وعدن.

اومأت لين، مستشعرة ما يقاسيه محبوبها.. فأمسكت بعدن بحنو.. وصعدت بها، خائفة ان يتهور، الى غرفتها هي وريس تحت انظار ترنيم الحاقدة التي تكاد ان تقتلها لسبب تجهله.. وما ان اختفتا عن انظاره اقترب منها هاتفا بسخرية لاذعة:

- وها نحن الان على انفراد ترنيم.. ما الذي اتى بك الى منزلي يا ترى؟!

ابتسمت له بتهكم، وتلفتت بعينيها وبجسدها حول المنزل، قبل ان تغمغم:

- اردت ان ارى زوجتك.. ارى انك لبّيْتَ وصية والدك وتزوجتها.. حقا غبي!!

- ليس لك اي شأن بلين.. اياكِ واللعب بذيلك.. اياكِ! خذي تحذيري على محمل جدّي.. سأقضي على كل من يتجرأ ويؤذي اختي وزوجتي.. اقتلهم بدم بارد.. بتوحش شرس.. لذا اتقي شري واختصريه!

هتف بها بخشونة لتقهقه هامسة بخبث:

- يبدو انك تحبها.. حقا مسكين!! اسمعني ريس.. لا تهمني علاقتك الزوجية التافهة.. عدن سآخذها.. عدن ابنتي وستأتي معي.

- في احلامك فقط!! اين كنتِ قبلا؟! اين كنتِ بينما كانت تناجيكِ في الليالي؟! لماذا ظهرت الان لتدمري حياتها وحياة الجميع؟! لماذا لم تبقي مع القذر مجد؟ هل انتِ ام اساسا؟! اي ام تترك خلفها ثلاثة اطفال صغار دون

اب ودون ام؟! والأقسى من هذا كله انك من قتلتي والدنا وقمت بخيانته ولم تبالي بأطفالك الذين كانوا بأمس حاجة اليك!!! هل تعرفين عدد الليالي التي بكتها عدن في احضاني خائفة؟! هل تعرفين الألم الذي لا يقاس ولا يحصى الذي يخيم قلبها؟! ماذا تعرفين انت؟! من تكونين لتأتي وتأخذيها الان؟! من؟! بصفتك ماذا؟! غادري الى حيث كنتِ ولا تعودي واتركينا لوحدنا.

زمجر بها بصوت عالٍ ودموع خائنة تتكور في جفونه تأبى السقوط.. اليس انسان هو ايضا؟! هو ايضا له القدرة للتحمل.. وكل ذلك يفوق قدراته.. هو ايضا كان بحاجة لها.. كان يبكي تيتمه والحمل الثقيل الذي يجثم فوق ظهره بلا شفقة.. كيف يتقبلها ويتقبل رؤيتها وهي التي قتلت والده.. كيف وهي تخلت عنهم؟!

لم تستطع ان تتفوه بحرف واحد.. لسانها عُقِد تماما.. لم تكن تتوقع انه يعرف التفاصيل بأكملها!! لم تكن تعرف معاناتهم ومعاناة عدن!! ولكنها ستعوّضها وتأخذها معها..

عند سماع صوت صراخ ريس في الأسفل جفلت عدن بشدة مما جعل لين تقلق عليها اكثر.. فبدأت تهمس لها بكلمات مطمئنة لعل ارتجافتها تهدأ ولكن دون فائدة!!
وفجأة ابتعدت عدن عنها ووقفت لتنهض هي الأخرى عن السرير وتسأل:

- ما الأمر عدن؟! ماذا ستفعلين؟!

- سأتصل بجدي وجواد.. انا خائفة للغاية.. يجب على جدي ان يكون هنا!!

اجابت مرتجفة، لتؤيّدها لين بهزة بسيطة من رأسها.. خائفة هي على زوجها.. لا تعلم لماذا كانت تنظر لها والدتهما على هذا النحو!! وكأنها تكرهها..

خرجت من ذهولها على صوت عدن الشاهق التي تقول لجدها عبر الهاتف:

- جدي ارجوك تعال حالا.. امي.. امي هنا في منزل ريس وهما يتشاجران.. ارجوك تعال انت وجواد.

قلق الجد من نبرتها المهزوزة.. ولم يستطع ان يفهم سوى بعض كلمات منها.. فغمغم محاولا تهدئتها ليفهم منها ما تقول:

- عدن حبيبتي اهدئي وتكلمي رويدا رويدا حتى افهم عليك.

- جدي امي ليست متوفية.. هي هنا في منزل ريس.. وريس يصرخ عليها.. ارجوك لا تتأخر.. انا خائفة للغاية.

همست ببكاء ليهتف الجد بقلق عليها:

- طفلتي عدن مسافة طريق واكون عندك.. انتِ لا تخافي.. ابقي قوية.. لن يحدث شيئا سيئا.. اعطيني لين اذا كانت بجانبك.

ناولت لين الهاتف، لتأخذه سريعا منها وترد:

- اجل جدي.

- لين ابقي مع عدن.. لا تضعفي امامها.. هي بحاجة لأن تستمد القوة منك.. انا لن اتأخر فحاولي ان تسيطري على الوضع حتى اتي.. حسنا حبيبتي؟

همس الجد بحنو لتومئ بموافقتها وقلبها يتقطع الى بقايا صغيرة على حال عدن.. بينما في الأسفل عندما لم يجد ريس ردا من ترنيم على ما قاله هدر بشراسة:

- اخرجي من منزلي.. حالا! لا اريد ان اراك مجددا بالقرب مني او من عائلتي.

- سأخرج لكن ليس قبل ان اخذ عدن.

هتفت بإصرار ليصيح بها فاقدا السيطرة على اعصابه التي تضج شررا:

- اخرجي.. اخبرتك انني لا اريدك في منزلي.

انتفضت من صوت صراخه الذي اخترق لباب الجدران ووصل الى مسامع الفتاتين مما جعلهما ينكمشا على انفسهما بخوف حاد..

- لن اخرج ريس قبل ان اخذ ما اريد.

زمجرت بعناد وغضب ليقبض على ذراعها بعنف ويجرها نحو باب المنزل ليطردها.. ولكن صوت جده الذي نادى بأسمه اوقفه.. فنفض يده عنها بغضب ليتقدم ايمن وجواد

المصدوم، يناظرها بتمعن.. اهذه هي امه؟! اهذه هي الخائنة؟! التي نبش عنها ووجدها ولم يتجرأ على مقابلتها؟!

توقف قبالتها لتناظره هي بدورها وتغمغم:

- جواد! اصبحت وسيم بني.

ابتسم بسخرية، وانعقد حاجبيه الكثيفان بإستهزاء.. وهتف:

- لست ابنك ايتها السيدة!

تفاجأت من كونه يناديها هو الاخر بأسمها فأدركت انه ايضا يعلم بمصائبها.. تطلعت اليهم بإرتباك وهمست بهدوء مصطنع:

- اوه عمي.. ما هي اخبارك؟!

حدق بها ايمن بغضب.. متذكرا ابنه الغال الذي قتلته وحرمته منه ومن بسمته وحنانه.. وهتف:

- لماذا انتِ هنا ترنيم؟!

- اريد عدن.

اجابت بجدية ليكشّرا ريس وجواد عن انيابهما ويصيحان:

- مستحيل.

- اهدئا.

زجر بهما ايمن ليصمتا مما جعلها تبتسم بتهكم عليهما..

واقترب منها هاتفا بهدوء:

- ترنيم غادري.. عودتك من جديد ليست لصالحك.. فلذلك غادري الان.

- جدي..

التفتوا جميعهم الى عدن الواقفة تناظرهم من اعلى الدرج وبجوارها لين التي تمسك بكتفيها بحنان..

اغمض ريس عيناه راجيا الصبر من اللّه.. ولم يعلم ان هناك عيون تراقبه بوجع يضاهي وجعه لحاله..

ارتمت بحضن جدها تبكي دون صوت.. لم تعد تقدر على البكاء اكثر.. عدن الشمعة التي تضيء النفوس بنورها وشقاوتها انطفأت.. لم تعد كما هي.. اضحت عبارة عن قالب زجاجي مكسور يُصعب تصليحه وبناءه بسهولة..
الإرتجافة المذعورة تتقمص روحها بلا رأفة..

- عدن تعالي معي حبيبتي.. تعالي الى حضن امك.

همست ترنيم بحنو محاولة ان تلينها لتقبل بمرافقتها ولكن ابتعادها عن جدها صدمها وصدم الجميع وخاصة ريس الذي كان يود ان يطردها ويلقيها درسا لا تنساه وهي تصيح بها:

- لن اتي معك.. غادري.. لا اريدك بحياتي.. انا اكرهك! انت لست امي ولن تكوني.

ابتسم ريس وهو يقترب من ترنيم قبل ان يمسكها من ذراعها ويسحبها نحو باب المنزل ويهتف بخشونة:

- ها قد اتاك جوابها.. غادري الان ولا ترينا وجهك ابدا.. وداعا.

انهى كلامه مغلقا الباب في وجهها لتفغر فاهها بدهشة وذهول وتغادر مدهوسة الكرامة من قِبَل اولادها التي ظنت انهم سيقابلونها بالأحضان!

- لما تعاملون امي على هذا النحو؟! لماذا تنادوها بأسمها؟! اهي حقا خانت ابي؟!

تساءلت عدن بصياح مكدوم.. ليتنهد ريس ناظرا الى اخته بجدية، مغمغما:

- لن تتمكني من تحمل ما قد اخبرك به.. ومع ذلك سأسألك اذ كنت تودين معرفة السبب؟

- اجل اخبرني.

همست بجدية ليهز ايمن رأسه بنفي لريس كي لا يخبرها.. الا انه لم يأبى وهتف قبل ان يزفر انفاسه الحارة:

- ترنيم خانت والدنا وقتلته بحادث سيارة معتمد ومدّبر.

خارت قدميها تحتها لتسقط ارضا، فاقدة توازنها وفاقدة خفقات فؤادها التي تئن ببؤس.. لم يعد بقدرتها الصمود

اكثر.. تناجي الرحمة، الرأفة بحالها.. الحقائق التي تتلقاها دفعة واحدة تقتلها وتقضي عليها..

صاحت لين بأسمها وهي تراها تتهاوى ارضا فإقتربوا كلهم منها.. ومن ثم قام ريس برفعها، صاعدا الى غرفة بجوار غرفته هو ولين..

تبعه البقية بحزن مماثل بينما جواد لم يتمكن من اللحاق بهم.. هو ايضا يعاني.. تظاهره بالبرود كان يقتله.. رؤية والدته ليس شيئا سهلا وهيّنا عليه.. يعلم ان ريس يتألم على حالهما اكثر من حاله.. رباه فليكن بعونهم فقط!!!

وضعها على السرير وجلس بجانبها، ممسكا بيدها التي ترتجف دون توقف.. وهمس لها بحنان ودفئ:

- عدن حبيبتي كل شيء سيكون بخير.. ثقي بكلامي.. اعلم ما تفكرين به وتعانيه الان.. لا تدعي اي شيء يهدمك فأنا لن اسمح لك بذلك.. سأحميك من وكر كل من يتجرأ ويمسُّك بضرر.

لم تكن تعي ما يقول.. كانت شاردة بعالم بعيد.. كانت تتذكر الليالي التي تضم بها صور والدتها متمنية قربها.. كانت تتذكر نظراتها لصور والديها معا، متمنية علاقة حب قوية مثلهما.. وبالأخر... وبالأخر تكون امها قاتلة والدها!!

دموعها جفت.. روحها ذبلت.. عظامها انشدخت وتبخرت..

تطلعت الى جدها بنظرة لم يفهمها.. واخيرا همست لهم كلهم:

- اخرجوا جميعا.. اتركوني لوحدي.

- لكن..

ردع معارضته يد لين التي اوقفته عن الكلام وهي تسحبه بهدوء معها الى الخارج.. ثم تبعهما ايمن عاجزا عن التفكير في كيفية التصرف مع هذه الطفلة المهمومة..

بعد بعض الساعات.. وبعد ان غربت الشمس وسط السكون الهادئ الذي يخيم المنزل.. جلس ريس بجانب جده على الأريكة وهتف بجدية:

- جدي اصعد انت الاخر لترتاح.. منذ فترة وانت جالس هنا دون حركة ودون كلمة.

- كيف تريدني ان ارتاح وطفلتي عدن ليست بخير.. قلبي يلسعني على الحالة التي امست عليها.

همس الجد بشجن ليتنهد ريس مغمغما بهدوء:

- الجميع يتألم جدي.. الجميع! ولكن علينا ان نتعاون لنتجاوز هذه المعضلة.. عدن بحاجة لكل فرد منا.. فلا يجب ان نبدو ضعفاء امامها.

- اعرف ذلك بني.. سأغادر انا ، فجواد قد ذهب دون كلمة ولا اعرف الى اين.. عدن ستبقى عندك الليلة.. وجودك انت ولين بجانبها سيساعدها ربما.

- لا جدي الجميع سينام هنا.. وانا سأتصل بجواد ليأتي هو الاخر.. لا يجب ان يكون كل منا في مكان.. علينا ان نكون بجانب بعضنا وخاصة بجانب عدن.

غمغم ريس بتنهيدة ليومئ ايمن برأسه بتفهم ويصعد الى الأعلى، تاركا ريس لوحده، يفكر فيما يجب عليه فعله..

اتصل بجواد عدة مرات.. واخيرا اتاه رده بعد الكثير من المحاولات ليهتف بصرامة:

- اين انت جواد؟

- ما الأمر ريس؟

ردّ زافرا ليهدر الأخر:

- الامر هو ان عليك ان تعود الان.. الجميع سينام عندي في المنزل.. لأن عدن بحاجة لنا.. انت تعرف الحقيقة هذه مسبقا وكذلك انا وانت اقوى منها فيجب ان ندعمها بقوتنا هذه.. عد الى المنزل جواد الان.

- فهمت لن اتأخر.

رد قبل ان يغلق الهاتف، ناهضا عن الصخرة التي امام البحر الهائج.. وعائدا الى منزل ريس..

دلف ريس الى غرفته ليرى لين ساجدة تقضي فريضتها فإبتسم بخفة وانتظر الى ان تنهي صلاتها..

بعد ان انهت صلاتها نظرت له لتجده يبتسم لها بشفتيه بينما في داخل عيناه بحورا من الاحزان والهموم..

جلست بجانبه على الأريكة التي بجانب السرير وهمست:

- ريسي هل انت بخير؟

كانت هي اول من تسأله عن حاله.. يعرف انها مدركة تماما الامه.. تفهمه دون همسة ودون كلمة.. تفهمه من نظرة واحدة فقط.. تنهد بألم مفرط وسحبها الى صدره معلنا بصراحة لها وحدها:

- لست بخير لين ولكن سأكون.. انا خائف على عدن.. روحي تحرقني على حالها.. اختي المسكينة لا تستحق ما يحدث معها.. لن تتحمل اكثر.

انزلقت دموع حسرتها وتأثرها.. وهمست:

- حبيبي ريس نحن جميعا بجانبها.. سندعمها ونساعدها وسنكون لها الصدر التي تنام عليه وسنكون لها اليد

التي ستمسك بها للنهوض والإستمرار.. ولكن انت ايضا تتألم.. انا اشعر بك.. ليس عيبًا ان تظهر المك.. انت ايضا بحاجة الى حضن.. بحاجة الى من يدعمك ويسندك.

رفع رأسها بيديه وهمس:

- وجودك بجانبي هو قوتي.. امني بذلك.. يكفيني بسمة مشجعة منك لأسحق اوجاعي واحزاني.

ابتسمت له بحب وغمغمت بجدية:

- ريس اذهب الى عدن الان، وفلتنم عندها الليلة لأنها بحاجة اليك.

هز رأسه مبتسما بعشق على تفهمها اللا محدود.. وقبّل رأسها قبلة طويلة يبث بها شكره وتقديره على النعمة التي لا تقدر بثمن التي بحوزته..

****

ولج الى الغرفة الراقدة به عدن ووجدها جالسة كما تركوها تماما.. فتنهد بحزن لأجلها وجلس بجانبها هامسا:

- عدن..

نظرت اليه بعينيها فاقدة الحياة.. فاقدة البهجة والامل.. مجرد عينان عبارة عن دوامة ضياع مخيف..

نادى بأسمها مرة اخرى بنعومة حانية:

- عدني.. ابكي.. ابكي لترتاحي.. انا معك.

كان كلامه كفيلا لينهمر شلال دموعها وتتعالى شهقات كربها.. لتدمع عيناه وينشطر فؤاده الى انصاف صغيرة.. فضمها الى صدره بقوة مغمغما:

- ابكي يا روح ريس.. اخرجي كل ما بقلبك.. لن يمسك سوءا وانا على قيد الحياة.

اعتصرت يداها قميصه الأبيض.. واطلقت اهات متألمة لتحرقه برمادها التي تبقى منها هي..

- ريس انا لا اعرف.. انا اشعر بالضياع.. اشعر بانني داخل متاهة ليس لها حلا للخروج من سطوتها.. انا اموت.. يا ليتني لم اراها وبقيت عائشة على تخيلاتي وذكرياتي.. المي فاق مقدرتي على الصمود.. اردت ان استنشق رائحتها

التي حلمت بها.. اردت دفئها وحنانها.. اردتها في البداية ان تعوضني عما فات من سنوات عمري هباءا.. ولكن بالأخر ماذا اكتشف!! انها هي من تخلت عنا وقتلت ابي وخانته.. اريد ان اكرهها ريس.. لكنني لست قادرة.. ما زالت بي رغبة وحاجة خائنة تدفعني للركض ورائها والإرتماء بأحضانها.

عبّرت عما يجول في خاطرها ببكاء مرير سلخ جلده عن عظمه ومزق نياط فؤاده لتسيل عبرة حزينة دون ارادة منه من لؤلؤته مسحها سريعا كي لا تراها.. وهمس:

- سيكون كل شيء بخير.. اخرجي كل ما بقلبك وكل ما تريدين قوله.. انا معك حبيبتي دائما وابدا.. تمددي على السرير.. سأبقى قربك.

اومأت بإبتسامة شاكرة وتمددت برفقته ووضعت رأسها على صدره لتستكين تماما وتذهب الى عالم الأحلام دون ان تفكر اكثر.. دون ان تبوح اكثر.. يكفيها انها نائمة بملجأ امن الذي هو اخاها واباها..

****

اتى صباح الغد مغيّرا احوال اليوم الذي سبق.. اتى حاملا معه نفوسا افضل.. نفوسا اخرجت عبراتها وزوالها.. نفوسا تحلم بما هو افضل لتتمكن من التعايش بواسطة الرباط الماكن بجدارة راسخة ومتانة صلدة..

انتهت محاضرته الأولى ولم تأتي بعد.. يشعر بالقلق عليها.. اخر مرة رأها بها كانت بأسوأ حال.. خائف من ان يكون قد اصابها مكروها ما.. خرج من القاعة ليوقفه صوت قيس وهو يقول:

- هل لك علاقة بعدم اتيان عدن الى الجامعة بعد؟

التف اليه بغضب وهتف بشراسة:

- قيس لا تتدخل بيني وبين عدن.. هذا افضل لك.

ابتسم متهكما وسار نحوه قاطعا مسافة البعد القصيرة وغمغم:

- لا تتدخل بعدن انت الاخر.. انا اعلم انك لست خطيبها.. فابقى بعيدا عنها انت ايضا.

توحشت عيناه وبرزت عروق فكه وهدر:

- ليس من شأنك.. عدن ستكون لي.. انا فقط! ولن اسمح لك ولا حتى لغيرك بسلبها مني او التفكير بأذيتها حتى دون قصد.. ابقى بعيدا عنها.. عدن لا تطيقك كما لا تطيقني.

- اذا لماذا تلاحقها وتلتصق بها طوال الوقت؟!

تساءل قيس بغضب مماثل ليرد عليه اوس بعنفوان معلنا بصراحة، غير عابئا ومكترثا لأي كان:

- لأنني احبها!! اذ كنت حصلت على الجواب الذي تبغاه لا تريني وجهك بعد ولا تقترب منها.. اياكَ.

- سنرى.

غمغم ببرود وتابع طريقه راميا تهديد اوس خلف ظهره، وداس عليه بقوة رغبته وتحديه..

بعد ان بقي اوس بمفرده ضرب الحائط بقبضته بغضب وقوة تعبّر عن اختناقه لتظهر بعض الخدوش السطحية على يده وتهتز عظام يده، الا انه لم يبالي.. الم روحه فاق

المه الجسدي.. زفر بحرقة، آمِلا بكل رغبة ان تأتي للمحاضرة القادمة.. ولم يخيب ظنه ولم يخذله رجاءه فها هي قد حضرت الى محاضرته الثانية بصمت.. وجهها شاحب كالأموات، فاقد حيويته الدائمة ولكن هناك شعاع ضئيل بعينيها يحلم بما هو افضل.. يسعى للمتابعة بمسار الحياة والنجاح بإختبارها وتجاوز صعوبة اسئلته..

القى محاضرته بنفاذ صبر، يريدها ان تنتهي ليتكلم معها على انفراد.. كان يعلّم دون نفس.. دون المقدرة على التعليم كما يجب.. مظهرها الحزين مس نخاع لبّه واضرم دقاته التي تعشقها وحدها..

بعد ان انتهت محاضرته التي ضاق صدره منها.. كانت تخرج برفقة صديقتها ديم فتبعها الى ساحة الجامعة ونادى عليها لتتوقف وتستدير اليه..

هتف بأدب بينما هي ترمقه بإستفهام:

- ايمكننا ان نتكلم على انفراد قليلا؟

شيئا ما بداخلها منعها من الرفض وهي ترى نظراته الحانية المتخلية عن عبثها وغرورها الدائم.. همست بموافقتها قبل ان تقول لصديقتها ديم ان تتابع طريقها..

ابتسم لأنها لم ترفض وسار برفقتها الى حيث كان جالس معها البارحة على العشب الأخضر.. وجلسا معا على الأرضية العشبة ثم غمغمت متسائلة:

- بماذا تريد ان تتكلم؟

لم يعرف ما عليه القول.. تلعثمت وتخبطت كلماته بسبب عقله الذي تشوّش بغرابة.. فدرس نفسه وراجع كلماته خلال صمت قصير وهمس:

- عدن مما انتِ حزينة؟! ما الذي تعانيه الى هذا الحد؟! شاركيني همومك.. عيناك الزرقاوتين الشجيتين تعذبانني.

- لماذا تهتم بي الى تلك الدرجة؟! لماذا تلاحقني وتريد سماعي؟! ليس لدي المقدرة على البوح بصعابي.. انا ممتنة لك بأنك تهتم وهذا واضح لي.. اراك تتخلى عن

تصرفك البغيض الذي كنت تتصرفه معي عادة.. لكن مع ذلك تجاوُز السور الضخم الذي بنيته حولي صعب وشاق.. انا ممتنة لك بحق.. انا لا اعلم اوس اذ انت صادق ام لا.. لا استطيع الوثوق بأي احد غير عائلتي وليس كلها. غمغمت ممعنة بوجهه الذي تتقلب ملامحه مع كل جملة تقولها.. تعرف انه يحبها وتأكدت الان اكثر من تعابيره التي توحي بصراحته وصدق حبه.. لكن لا زال هناك العديد من الأمور..

هي قلقة.. رشدها ليس بمكانه لتتمكن من تفهمه وتفهم مشاعره نحوها.. تعترف بأنها تكّن له مشاعر الإعجاب بإهتمامه ورجولته الفذة.. ولكنها الان تضع جدارا تحجب به نفسها وتحميها..

- عدن انا لا اتكلم معك الان لأثبت لك انني احبك او اريدك.. انا اتكلم معك لأنني اريد ان اخفف عنك.. اعتبري اهتمامي بك وتساءلي امرا انسانيا ليس له علاقة بطلبي للزواج منك.. كل ما في الإمر انني اريدك ان تعبري عما يجول بداخلك لترقد الغيمة التي

ليس لها خاص بعدن وتتركك لتعود عدن الأصلية..

عدن التي اعرفها.. الشرسة.. المشاكسة.. هذه هي عدن وليست تلك الضعيفة، خائرة القوى.. الإفصاح عن مشاكلك ومشاركته مع شخص يريحك.. جربي ان تثقي بي وامنحي نفسك ونفسي هذه الفرصة.

هتف بجدية.. يشكُ بمعرفة سبب حزنها ومع ذلك يريد التأكد منها.. يريدها ان ترتاح ليرتاح قلبه.. تمنى بكل رجاء ان توافق لتتكلم معه..

ولم ترفض له طلبه.. ارادت منحه ومنح ذاتها فرصة.. افصحت بكل ما يضايقها له.. اخبرته ودموعها التي تنزل كسوط جمري على لبه توجعه بحق.. لم تبخل عليه ليعرف كل معاناتها.. سمعها بإنفطار روحه على ما تقاسيه.. ولم يتكلم.. لم يوقفها.. فقط ارادها ان تخرج عما في جوفها..

****

وقفت بجانب ريس النائم.. لم ينام الليل بأكمله.. تعرف ذلك جيدا.. لم ينام الا بعد ان اوصل عدن الى الجامعة

بنفسه.. وبعد ذلك فقط تمكن من النوم.. اثار التعب جالية على وجهه الوسيم..

امسكت بيده وقبلتها بحب.. وهمست ممررة اناملها الناعمة على وجنته الخشنة:

- ابقى بخير ريسي.. لنتجاوز المصاعب معا حبيبي.. رجلي الوحيد، الحنون، الطيب.. احبك!.

ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتيه لتدرك انه استيقظ على همساتها الخفيضة.. فإبتسمت هي الأخرى بهيام ووضعت رأسها على صدره رادفة:

- صباح الخير.. اتعلم كم الساعة الان؟! انها الثانية ظهرا.. هيا استيقظ لتأكل شيئا ما ثم تذهب وتحضر عدن من الجامعة.

- حسنا سأنهض.. لكن كيف وانت نائمة على صدري.. اصبحتِ ثقيلة لين.

هتف بعبث، خافيا خلفه الكثير.. عليه ان يتظاهر بالأفضل ليتمكن من اقناع ذاته انه بخير وكل شيء سيكون بخير..

ضربته على صدره بغيظ ونهضت متذمرة:

- انا رشيقة جدا على فكرة.. هيا انهض ايها الكسول.

اعتدل بجلوسه وامسكها من مرفقيها بنعومة ثم سرعان ما جذبها اليه، لاثما شفتيها بقبلة انعشت روحه واطفأت نيرانه المتوهجة..

ابتسمت بخجل بعد ان تركها وهمس:

- الان سيكون يومي بخير.. والان انا افضل بكل معنى الكلمة.. وعموما زوجتي تعجبيني بكل حالاتك حتى ولو كنت سمينة للغاية وتبدين كشوال بطاطا.

فهمت الى ما يشير اليه.. ووضعت يداها حول عنقه بدلال لتتغلغل رائحته التي تضج بالرجولة الى انفها.. وانفاسه الحارة التي تضرب بعنقها تبخرها وتذيبها.. وغمغمت بنعومة:

- ريس هل ترغب بأن يكون لدينا اطفال؟

- بالطبع حبيبتي.. ربنا كريم ليرزقنا الذرية الصالحة.. اتعلمين ما ارغب ان نسمي اطفالنا؟!

ابتعدت عنه لتتمكن من رؤية عسليتيه اللامعة.. واومأت برأسها بحيرة ليهمس بإبتسامة:

- اذا ولد ليث.. واذا فتاة رَيْن.. اعجبني اسم رين لأن بدايته اول حرف من اسمي ونهايته اخر حرف من اسمك.

ابتسمت بإشراق وهمست:

- ربنا يرزقنا حبيبي ما تتمناه.. اتعلم انني ارغب بتوأم؟!

- توأم!!

هتف بإستنكار، متعجبا لتتوسع ابتسامتها وتغمغم بحماس:

- اجل توأم.. بنتين او ولد وبنت.

- ولماذا ليس توأم ولدين؟!

- لأنني احب الفتيات ان يكن توائم وليس الأولاد.

همست ببساطة ليبتسم لعينيها اللامعة ويردف:

- كل ما هو منك راض به.. يكفي انه رباط عشقنا، تشاركنا به انا وانت.

- احبك بعدد ثواني حياتي وبعدد الأنفاس التي تصدر مني واكثر.

دمدمت بهيام لتتألق لؤلؤتيه كبريق جوهري ويجيب:

- اعشقك ملاكي.

وما ان اراد ان يقبلها مرة اخرى بشغف دوى رنين هاتفها لتبتعد سريعا مما جعله يشتم بحنق لتكتم قهقهتها بصعوبة وترد:

- اجل شام.. ماذا حدث؟! هل قررت؟!

- اجل لين.. انا موافقة ولكن اريد ان نتعرف اولا.

همست بخجل لتصرخ لين بسعادة:

- كاذبة.. كنت اعرف.. ياه اموت بك يا فتاة.. اغلقي.. اغلقي.. سأتصل بجود سيفرح كثيرا بهذا الخبر.

- ما الأمر؟

تساءل ريس بخشونة لتبتسم مغمغمة ببهجة عارمة:

- لقد وافقت شام.. الحمد للّه.. سأتصل بجود الان.

- مبارك حبيبتي.

همس لترد عليها بإبتسامة ثم قامت بالإتصال بأخيها امام ريس الذي يتابع تحركاتها ولهفتها البارقة..

- جود شام رفضت للأسف.

همست بحزن مصطنع ليضحك ريس على شكاستها وخبثها..

فهتف جود ببؤس:

- لا بأس.. ربما لا يوجد نصيب.. ربنا يكتب الذي فيه الخير.

- اجل عزيزي.. لا تحزن.. ولكن صراحة انت لا تستحقها.

غمغمت بجدية ليأتيها صوت جود بعد ان وضعت مكبر الصوت ليسمع ريس الذي يكبت ضحكته بصعوبة:

- أنتِ تواسيني ام تهينيني.. عموما اخبريها اللّه يوفقها.. اشعر بالحزن حقا لكن هذا قضاء وقدر.. اليس كذلك؟

- طبعا طبعا قضاء وقدر.. لا اعرف حقا ماذا اقول لك.

هنا لم يعد يستطع ريس تمالك نفسه لينفجر ضاحكا وتتبعه هي الأخرى وتغمغم لجود بفرحة:

- لقد وافقت ايها الغبي.. هل هناك من يتجرأ ليرفض اخي الغالي؟!

- اقسمي باللّه.

هتف بلهفة لتبتسم بحنو وتقسم..

جذب ريس منها الهاتف واردف:

- مبارك ابن العم.. موفقا.

- تسلم ريس.. اخبر لين ان تقول لها انني سأحضر اهلي يوم الجمعة لنتقدم لها على سنة اللّه ورسوله.

- تم.. الى اللقاء وخفف اتصالاتك بقدر الإمكان.

هتف بسخط ليبتسم الاخر ويغلق الهاتف..

- ريس اذهب الان واحضر عدن فقد انتهى دوامها.. هيا.

همست لين بإبتسامة ليومئ ويغير ثيابه قبل ان يخرج..

****

وصل الى الجامعة باحثا بعينيه عنها الا انه لم يراها..
الامر الذي اثار قلقه بدرجات مخيفة فقام بالإتصال بها
دون ان يأتيه رد منها..

وضع يده على جبينه بخوف من ان تكون ترنيم قد
اختطفتها او من ان يكون قد اصابها مكروه..

بدأ بالبحث عنها في الجامعة كلها وسأل بعض الطلاب اذ
كانوا قد رأوها ولكنه كان يحصل على نفس الجواب
بأنهم لم يروها مما جعله يزفر ويلعن تحت انفاسه..

واخيرا بعد ان بحث كثيرا وجدها جالسة برفقة شاب
ليقترب منها بغضب شديد ويصيح:

- عدن..

التفتت اليه مذعورة من صوته الغاضب وابتلعت ريقها الجاف بينما اصبح قريبا منها ومن اوس.. وهمست بإرتباك:

- ريس!

نظر ريس بغضب لأوس وقبض على قميصه بعنف صادحا:

- اتتجرأ على ان تخون ثقتي وتقابل اختي وحدكما؟!

- انت تفهم خطأ.

هتف اوس بجدية الا انه لم يبالي.. وقبضة عنيفة تنزل من قبله على وجه اوس ليتراجع خطوتين الى الوراء.. فتمتمت عدن بخوف:

- اخي لا يحدث شيء مما تظنه.. ارجوك اسمعني.

- اصمتي.. حسابك لاحقا.

صاح بها بغضب قبل ان يعاود امساك اوس من قميصه وضربه مجددا امام عدن التي ترتجف..



الفصل الثاني وعشرون

لا زلت اتحرى واتقصى على دوافع..

لا زلت الاحق خطواتك بدقةٍ وتتبع..

لا زلت وما زلت اهيمن على قلبي ليخضع

لك وحدك من بين العزل والجمع..

اقترفت اثما لا يغتفر بولع

عيناي بعينيك القوية للصدّ والردع..

ويا ليت ارضاخي واضمراري جادي النفع

معك يا حياة العمر الضائع..

- اصمتي.. حسابك لاحقا.

صاح بها بغضب قبل ان يعاود امساك اوس من قميصه وضربه مجددا امام عدن التي ترتجف..

لم تعرف ما عليها فعله.. لم تعرف كيف تنقذه من براثن اخيها.. وفجأة اتتها قوة وشجاعة لا تدري من اين مصدرها لتتوقف امام ريس هاتفة بدموع:

- ريس ارجوك توقف.. انت تسيء الظن بنا.. على الأقل اسمعنا.

- عدن ابتعدي.. انا سأتفاهم معه.

غمغم اوس بجدية بشفتيه التي تنزف دما بفعل قبضات ريس العنيفة.. فزمجر بعصبية:

- اخرس.. اذا كنت رجلا انتظرني في النادي الخاص بنا.. لن اتأخر وانتِ تعالي معي.

امسك يد عدن بعنف وسحبها الى السيارة ثم القاها بها، قائدا بسرعة رهيبة نحو منزله وسط دموعها وشهقاتها التي لم تتوقف من كثر الخوف..

حاولت ان تتكلم لكن عبثا.. حروفها متبعثرة.. الفزع يستحوذ عليها.. خائفة على نفسها كما خائفة على اوس.. كانت نيته طيبة.. انها غبية! ما كان عليها ان

توافق وهي تعلم عقلية ريس وحساسيته بهذه الأمور.. لا تعلم لما وافقت!!

اطلقت آهة متألمة عندما اخرجها من السيارة بخشونة مؤلمة، صاعدا بها الى غرفتها لتهرول لين اليهما مسرعة، ومتسائلة:

- ما الأمر ريس؟ لما تسحب عدن بهذه الطريقة؟

نظرت لها عدن بإستنجاد ليتضاعف خوفها وقلقها وتكرر مجددا:

- ريس ما الامر؟

رمى عدن داخل الغرفة واستدار اليها هادرا:

- ابتعدي لين.. غادري حالا ولا تتدخلي.

ابتلعت ريقها، وحدقت بعدن التي ترجوها بعينيها ان لا تتركها.. فتنهدت وهمست بتحدي:

- لا اريد.. ما الذي ستفعله بها؟ هل جننت؟!

- لين لا تدعيني اجن عليكِ انتِ الان.. لا تستفزيني وانا عصبي كي لا اقلب لك يومك رأسا على عقب.

هدر بها بعصبية اخافتها لوهلة الا انها استجمعت قواها بعزم وغمغمت بعناد:

- لا يهمني.. افعل ما تريد.. لن اتركك بحالتك هذه مع عدن.

- هكذا اذا؟!

- اجل.

هتفت بإصرار ليقبض على ذراعها بتربص، مخرجا اياها بالقوة من غرفة عدن ليتستفرد بها هو لوحده..

اقترب منها ودنى برأسه نحوها، هاتفا:

- اجلسي.

جلست على اقرب مقعد بجوارها بخوار ووهن ليجلس قبالتها على الطاولة ويقول:

- انا لم امد يدي عليك مسبقا ولن امدها.. تعرفين ذلك صحيح؟!

اومأت موافقة بتوتر ليردف بهدوء اثار ذعرها اكثر:

- اذا الان ستخبرينني بالتفصيل لما كنتِ جالسة معه لوحدك، دون ان يكون هناك شخصا غيركما يا عدن! الم تكوني معترضة على الزواج منه؟!

- انا وهو ليس بيننا شيئا يشوّه سمعتي وشرفي ويغضب ربي.

همست متلعثمة ليخبط بيده على الطاولة بعنف اجفلها وجعل عيناها تتوسع بفزع وهو يزمجر:

- اعرف ذلك جيدا.. ولو داهمني مجرد تفكير صغير بأن بينكما شيئا ما لكنت قتلتك وقتلته.. انا سألتك سؤالا اخرا فجاوبيني عليه تماما.

- انا خائفة منك.. اريد لين.

همست ببكاء ليلعن بغضب وينهض حائما حول الغرفة بعصبية قبل ان يتوقف اماما ويرد:

- الان ستتكلمين معي لوحدي يا عدن.. اخبرتك انني لن اؤذيك ولن افعل ذلك بحياتي كلها الا عند الشرف يا اختي.. كله الا عند الشرف فسأحوّل حياتك الى جحيم.. ولكنك محظوظة للغاية لأنني اعرف من هي انتِ ومن هي اختي التي ربيتها.. اريد جواب على سؤالي حالا والا لن تخرجي من هذه الغرفة مطلقا.

لم تعطيه سوى شهقاتها المتعالية ودموعها المنهمرة.. خائفة جدا.. بعد زيارة امها تشعر بأنها اصبحت هشة، فاقدة القوة، وفاقدة لسانها الجريء والسليط.. لم تعد جريئة كما كانت قبلا.. لم يعد بإمكانها الدفاع عن نفسها.. تريد من يحتويها ويحيطها بمأمن ويحميها من نفسها قبل اي احد اخر..

لن يؤذيها ريس، مُدركة لهذا الشيء تمام الإدراك.. لكنها ضعيفة بحاجة الى من يقويها ويسندها..

انتفض جسمها بجفول عندما خرج مغلقا الباب بقوة.. وازداد انهمار بؤسها من ينبوع غيمتيها السماوية حينما سمعت صوت القفل الذي يتحرك لتستدل انه اسرَها داخل

هذه الغرفة، ولا بد من انه سيعاود الرجوع الى اوس كما قال..

- جربي فقط ان تفتحي الباب لها لين.

حذر ريس لين بشراسة بعد ان سحب المفتاح من الباب، واضعا اياه في جيب بنطاله الزيتي.. فهمست بجدية:

- انا موقنة ان تصرفك خاطئ للغاية مع انني لا اعرف ما حدث ولكنني متأكدة اذا تصرفت معها بهذه الطريقة القاسية والحادة ستخسر اختك وخاصة في حالتها النفسية هذه.. افهم منها ما تريد ان تفهمه بهدوء وبساطة.. عدن ستفقد نفسها اذ بقيت تعيش بهذا الخوف وهذه الصدمات.. يكفيها ما بها.

ختمت كلامها منسحبة بإنزعاج من تصرفه مع عدن وخاصة في حالتها هذه، لتدع له مجالا في التفكير كما تفعل دائما حينما يخطأ وتريد توجيهه.. لكنها لم تعرف ان هذه المرة الأمر مختلفا كليا بالنسبة له..

لم يأبه بما قالته وخرج متوجها الى النادي ليقابل صديقه الذي يتحلف له بسرّه..

حال وصوله وَغَلَ وشحنات نارية تُقذَف من جمرتيه الحمراوين ليقفا اوس ووقاص فور رؤيته فعدا نحوه صارخا:

- لماذا كنت جالسا مع اختي اوس؟

اطلق اوس زفيرا بلحًا وغمغم بهدوء:

- اجلس اولا لنتفاهم.. انا لم ولن امس اختك بضرر ولن اخون ثقتك ابدا فلهذا اطمئن.

- اعرف جيدا من هي اختي.. لست بحاجة لأن يخبرني احدا ما هي تربيتي.

زجر ريس بشراسة ليهتف وقاص محاولا تهدئة حدة الموقف الحساس وتليينه:

- اجلسا انتما الاثنين وتفاهما.. تصرفكما هذا لا يجوز.. من يراكما الان لا يصدق انكما اصدقاء منذ سنوات طويلة!

قبعوا جميعهم على مقاعد خشبية منفردة.. وبعد ثوانٍ قصيرة هتف اوس بجدية:

- سأخبرك لما كنت جالسا مع اختك واسألها هي ايضا.. اقسم ان نيتي كانت صافية وليس بقصد اخر.. اقسم لك بوالدتي وانت تعلم عند وصولي للقسم بوالدتي فهنا يتوقف كل شيء.. عدن منذ ان ولجت الى الجامعة اليوم، بدت مهمومة وكأنها تعيش داخل وصبٍ وشجىً، ولم استطع تحملها بهذا المظهر التعيس فلذلك عند انتهاء محاضرتي ناديتها لأتكلم معها واساعدها فقط معنويا.. لا تسيء الظن بها لأنها وافقت او تفهمها بشكل خاطئ.. لا هي دائما ترفض حتى النظر الى وجهي او الإقتراب مني ولكنها كانت اليوم كمن فقدت عقلها، كانت تبدو ضائعة، وحيدة بلا معين او مغيث.. وانا فقط اردت ان امد يدي لها لأخرجها من القوقعة التي تلتف حولها وتطير بها الى امد بعيد.. سامحني يا صديقي اذ كان تصرفي اهان شرفك ومسّ به دون قصد.

رمقه ريس بسخط وهبّ منتصبا، مزمجرا بتذمر:

- اوس قد ادرك انا ما هي نيتك ومن هي اختي.. لكن الناس لا تعرف ولن ترحم، وانا لن اسمح اطلاقا بسوء ضئيل ان يمس عدن وسمعتها وكذلك سمعتي.. جلوسك معها على انفراد دون فرد اخر لا يوحي للناس الا على شيء واحد صحيح؟! كما واعتقد انك انت ايضا لن تسمح بحدوث مثل هذا الموقف مع اختك.. لا اريدك ان تخفف عنها ولا ان تقترب منها ما دام لا يوجد بينكما شيئا شرعي يسمح لكما بالإقتراب.. اذا رأيتها حزينة او بها خطبا ما تتصل بي انا.. انا اخاها وانا ولي امرها وانا الذي اتكفل بها من صغرها.. وليس الان ستأتي انت لتخفف عنها بدلا مني بعد كل هذه السنوات.. وصدقني اوس اذا تكرر هذا الامر مجددا لن ارحمك ولن اكترث لكوني اعرفك بحق صديقي.

- ما بالك ريس؟! اهدأ لقد فسر لك سوء الفهم.. لا داعي لهذه العصبية.

اردف وقاص بجدية ليباغته ريس بنظرة هادرة، قائلا بخشونة:

- لا تتدخل وقاص.. هذه اختي انا.. ولي كامل الحق بالتدخل بما يخصها او بما قد يؤذيها.

زفر وقاص انفاسه ناهضا هو الأخر عن مقعده، ممسكا بذراع اوس ليحثه على الوقوف.. وتمتم:

- ربما معك حق.. ولكن اظن انك تعرف من هو اوس ولا داعي لكل هذا.

- الا تلاحظ بأنك تزيد تعقيد المسألة سوءًا؟!

همس اوس بحنق ليدفع ذراعه وقاص مزمجرا:

- تستحق كل ما يجري لك.. ادافع عنه وفي الأخر يتذمر.. تبا لكما انتما الاثنين.

- اذا لا تتدخل ابدا فيما لا يعنيك.

هتف ريس ببساطة ليضحكا الاخرين بخفة، وفجأة سقط اوس على مقعده مرة اخرى بسبب قبضة ريس التي نزلت على صفحة وجهه بقوة، ليناظره مذهولا ويصيح بغيظ:

- لقد فسرت لك ما حدث ومع ذلك تضربني.

- هذا ليذكرك بكلامي جيدا ويُوصم داخل عقلك الفارغ، وهكذا اكون قد اشفيت القليل من غليلي.. على كلٍ سأغادر الان فقد مللت من اشكالكما التي تسدّ النفوس.

هتف ريس عاقدا حاجبيه الكثيفين قبل ان ينصرف خارجا ليقهقه وقاص هامسا بتشفي:

- تستحق ذلك.

****

كان يستند بساعده على جدار ذو طراز قديم، واقفا بكل هيبة امام رجلا ما، يحقق معه على الملفات والسجلات التي يناوله اياها ويتشاورا حولها..

همس الرجل الذي يبدو في عقده الرابع من عمره لجواد بإحترام:

- سيدي هذا فقط ما استطعت استخراجه واستنباطه.. سأبحث عن المزيد.

- جيد جدا.. اريد كل المعلومات عنه.. اماكن اقامته في جميع الدول، عدد الموظفين في شركته، الأسهم التي يملكها والأهم اذا كان لديه اولاد واعمارهم.. بإختصار اريد تفاصيل حياته بشكل دقيق.

غمغم جواد بصيغة آمرة.. هناك تدابير وخطط معقدة تدور في عقله يسعى للقيام بها.. يريد التسلل الى اعماق الخفايا ليتخلص من العقبات المتعرجة التي يُقحمون بها نهائيا..

اعتلى سيارته الزرقاء بعد ان ودع الرجل، قائدا دون وجهة محددة لتأتي بباله مجددا تلك التي لم تعد تفارق تفكيره.. ان موضوع تفكيره بها بكثرة بات يضايقه ويغضبه..

ضرب على المقود بيده بخفة لاعنا تحت انفاسه ميوله لها واعجابه بها في هذا الوقت الغير ملائم ابدا..

ترّجل من السيارة، جازيًا بين القبور ليتلبث قُبيل قبر والده..

قرأ الفاتحة بصوت عال مُرّتلاً بترانيم عذبة ودعا له بقلب صادق وولد صالح.. وبعد انتهاءه جثا على قدميه شبه واقفا، مصبا ثقل جسده على حافتيهما ثم همس بصوت اجش:

- تساءلت في الكثير من الأحيان لماذا قبر امي ليس موجودا لكي اتي وازورها كما افعل عادةً معك.. وها قد حصلت على الجواب الذي بغيته طويلا.. ابي لقد رأيتها.. ترنيم!.. ارادت ان تأخذ عدن ولكن انا وريس لم نسمح لها.. اتعلم؟ بدت غريبة.. هي جميلة جدا وتبدو صغيرة في العمر.. كانت تبدو كزهرة بيضاء ولكن عيناها يا ابي.. عيناها.. رباه كم كانت تحمل حقد.. مجرد نظري الى وميض عيناها الشرس اكرهها وابغضها.. اول ما رأيتها دهشت بشدة ولكن خلال لحظات تحولت واصبحت ابرد من الثلج نفسه.. كان شعرها اشقر ناعم كشعر عدن، وبشرتها بيضاء غريبة، بينما عيناها كانت كلون عينان ريس تماما، عسلية جذابة وابتسامتها المستهترة

والمستهزئة كانت تشبهني انا.. ملامحها مرسومة بإتقان لأبدو كنسخة اصلية عنها..

كم اتمنى لو انك حي ترقد بسلام لأعرف منك الأسباب والدوافع.. لماذا خانتك وقتلتك يا ترى؟ وكأن هناك عقد متشابكة ببعضها كديمومة متاهة ضالةٍ.. ولكن لن اكون انا اكون ولد يوسف اذ لم ادخل هذه الدوامة واخرج منها كاسبا وعالما بما حدث.

خرج من المقبرة ملبيا رغبته الجامحة في التمتع برؤياها..

قاد بلهفة نحو مدرستها.. ولكن حظه قد خذله فها هو الدوام قد انتهى مسبقا.. وفجأة طرأ على باله امر ما ليسير بخطوات بطيئة، خفيفة كالطيور عبر الشوارع القريبة من المدرسة، باحثا عن منزلها..

ابتسم بإتساع برز صفي اسنانه البيضاء اللامعة حينما رأها جالسة على الشرفة، ممسكة بقلم وتدرس بجهد ومندمجة بروية خلابة فيما تفعله.. اقترب بعض الخطوات ليراها عن وثب ثم تراجع مجددا عندما خرجت

فتاة صغيرة وجدتها التي عرفها بشكل فوري عند رؤيته وجهها.. وادرك ان هذه الطفلة الصغيرة ليست الا اختها..

اكتفى برؤية تحركاتها العفوية عن بعد.. تركها للقلم جانبا.. اخذها لصحن الفاكهة من يدي جدتها كي لا تتعب، والقيام لتجلس هي مكانها، ومن ثم حملها لأختها الصغيرة التي تبدو في الخامسة من عمرها واطعامها بحنان عشقه والتمس وتره الذي يعزف بعطاء مبّجل..

بعد ان غربت الشمس وانطفأ النور المبهج وبعد ان دخلت الى منزلها رجع الى سيارته بإبتسامة خلابة تطغي وجهه الأسر..

وصل الى منزل اخيه ليأخذ عدن ولم يكن يعرف ايا مما قد حدث.. طرق الباب بهدوء لتفتح له لين وحجاب منزلي يستر شعرها الذي كان ينسدل على ظهرها بنعومة اثارت غيرة الفراشات والأزهار..

ابتسمت بوجهه وافسحت له مجالا ليتمكن من الدخول فوَلج متسائلا عن اخوته لتغمغم لين بحنق:

- اخاك ريس لم يعد بعد الى المنزل، اما عدن فهي بغرفتها بفضله.. لقد قام بحبسها بها.

- لماذا؟! ما الذي حدث حتى يقوم يسجنها في غرفتها؟!

تساءل بجدية لترد بحيرة:

- لا ادري.. اتصل به عله يرد على مكالمتك.

زمّ شفتيه بضيق وصعد الى غرفة عدن تتبعه لين هاتفة:

- لن تتمكن من فتحه.. المفتاح بحوزته والنسخ الأخرى بحثت عنها ولم اجدها.. لا اعلم اين وضعهن.

زفر بسخط واستدار اليها هامسا بضيق:

- اذا سأتصل به.. رباه ريس من افعاله.. ولكن لا بد انها اخطأت حتى يقوم بمثل هذا الأمر.. انا اعرف ريس لا يتصرف مع عدن بهذه الطريقة الا عندما تقوم بخطأ لا يُغفر.

حاول الإتصال به بعض المرات الا ان لم يأتيه قط اي رد منه فشتم بصوت منخفض وطرق على باب غرفة عدن متسائلا:

- عدن هل انت بخير؟

- جواد..

همست عدن بإرتجاف ليتنهد مغمغما بحنو:

- اجل حبيبتي، جواد.. ما الذي فعلتيه حتى فعل ريس بك ذلك؟! اخبريني لأتمكن من اخراجك.

- لم افعل شيئا سيئا.. اقسم لك.

ردت ببكاء لتنزل دموع لين حزنا على حال صديقتها واختها.. فإقتربت من الباب مغمغمة:

- عدن حبيبتي.. لا تقلقي.. كل شيء بخير فقط انت اهدئي حسنا!

- ما الذي يحدث زوجة اخي؟

هتف جواد بخشونة لتستدير اليه لين هامسة:

- اخبرتك انني لا ادري.. سأبحث مجددا عن المفتاح لنفتح لها ونفهم منها.

- ليس هناك داعي ما دمت هنا.

هدر ريس الواقف بجانب درجات السلالم يراقبهما بتفرس لتزدرد لين لعابها وتهمس:

- متى اتيت؟

رمق جواد بنظرة غاضبة واقترب منهما هاتفا بصوت حاد:

- لين الى غرفتنا حالا، وجواد الى الأسفل، سأتحدث مع عدن.

- اريد الدخول معك لو سمحت.

همست لين بإرتباك ليمسك يدها بهدوء، جاذبا اياها الى جانبه واردف بصرامة:

- كلمتي لا احب ان تتكرر اكثر من مرة.. اذهبي الان وبعدها سنتكلم.

تأففت عاليا وابعدت يده عن ذراعها بغيظ وقامت بما امره ليبقى هو وجواد ، فنظر له قائلا:

- انتظرني في الأسفل انت ايضا.

- ماذا فعلت عدن؟ هل قامت بشيء ليس جيدا ومهينا حتى تقوم بسجنها بالغرفة بهذه الطريقة؟

هتف جواد متسائلا بعزم ليعرف ما حدث.. فأجاب ريس بهدوء:

- ليس هناك شيئا مهما للذكر.. انا غضبت منها فقط لأنني رأيت ما لم يعجبني.

- وما هو الذي لم يعجبك ريس؟

- جواد هذا يكفي.. لا تحقق معي اكثر.. اريد الدخول والتكلم معها.. اراك بعد ذلك.

زجر بضيق وفتح الباب مختفيا داخله قبل ان يسمع رد جواد المغتاظ من تصرفاته.. ثم اوصد الباب واقترب من عدن هامسا:

- كفي عن البكاء فلا يوجد ما يدعو للبكاء.. اريد التكلم والتفاهم معك فقط. اعتدلت بجلستها على السرير واخفضت رأسها خجلا وتوترا منه فتنهد بصوت عال قابعا بجانبها، مغمغما بتكلف:

- عدن انظري الي.. ارفعي رأسك وطالعيني.

رفعت عيناها الحمراوتين التي اصبحت عبارة عن سماء حمراء في صباح ندي قارِ، وطالعته بوجهها الذي يغزوه ارتباك مفعم.. فإستأنف متابعا:

- تكلمت مع اوس واخبرني تماما ما حدث وتفهمت الموقف الذي دار بينكما ومع ذلك اريد السماع منك لأفهمك انتِ.. لأفهم ما يدور بخلدك يا اختي..
ولأستطيع ان اسد لك النصائح التي انتِ بحاجة اليها في التو عدن.

لم يأتيه اي رد فعل منها الى بعد ان سكنت دموعها وتسكر مسرابهن حاجز تفكيرها.. وحينها فقط همست بضياع:

- انا كنت ضالة التفكير.. كنت زائغة الرشد.. صحيح انك كنت بجانبي طوال الليل ولم تتركني ومع ذلك لا اعرف ما بي.. الصدمات التي تلقيتها البارحة كانت كبيرة علي بحق.. واليوم في الجامعة هو رأني بهذه الحالة واراد القيام بعمل انساني لا اكثر.. اراد ان يخفف عني لأعود انا عدن.. كنت بحاجة الى مستمع.. كنت بحاجة الى نصائح.. انت لم تكن بجانبي سوى لتعطيني الأمان والدفء وانا كنت مرهقة.. ربما لو بقيت مستيقظة لوقت اطول اتحدث معك لما حدث هذا الخطأ.. صحيح انني لا اطيقه ولكنه يساندني معنويا في امسّ حاجاتي الى نصائح ودعم.. ولكن سامحني يا اخي على عدم التزامي بما علمتني اياه دائما.. انا اخطأت بجلوسي معه لوحدنا وانا اعتذر لك.

سحبها الى حضنه مقبلا رأسها بحنو واردف بإبتسامة:

- عدن انا معك دائما.. اعلم ان وعيك كان مشتتا ولكنك تعرفين ان ما فعلتيه خاطئ جدا.. جلوسك مع اوس دون شخصا اخر سيمس سمعتك، واذا رأك احدا

غيري ستبدأ الاقاويل عنكما وعندها انا لن اسكت وقد اقتل كل من يتجرأ ويتكلم عنك بسوء فلذلك عندما تجدين نفسك بحاجة الى عون وصدر يضمك انا موجود.. انا في حياتي كلها لم ارفض لك طلبا ولم ابخل عليك بشيء فلا تحسسيني الان انني لا اكفيكِ او انني غير قادر على مساندتك..

انا ممتن لأوس انه قام بمساعدتك ولكنه لا يمت لك بصلة حتى يفعل ولا يملك الشرعية التي تؤهله لذلك.. ربما ما حدث هو خيرا لكما لتتقربا من بعضكما وتوافقي على الزواج منه.. لكن انا ضد ذلك الامر بهذه الطريقة.. واعرفي دائما وطوال الوقت حتى لو انني كنت مضغوطا الى درجة لا يمكن ان تتصوريها سأكون بجانبك وكذلك لين وجدي وجواد.. نحن جميعنا بقربك وسنبقى على طول.

عبّر هيجان بحرها عما يجول بخلدها من شكر وامتنان على عبراته التي تسربت الى وجدانها.. فهمست ماسحة ما تبقى من القطرات المتبقية في جفونها:

- انا اسفة اخي.. سامحني.

تنور وجهه بإبتسامة حانية وقرب خده اليها رادفا بعبث محبب:

- قبليني وعندها سأسامحك.

قبّلته بمودة وفرحة كما تقبل الطفلة الصغيرة والدها وتمتمت بتأثر باك بعد ان لفّت يداها حول خصره لتستمد كل ما ينقصها من منبته الكريم:

- احبك كثيرا كثيرا ريس.

- وانا اكثر يا قلبه لريس..

اسمعيني عدن اذا سألك جواد او حاول ان يعرف ما حدث لا تخبريه لأنك تعرفين جواد دمه حار في مثل هذه المواضيع مثلي تماما.. وقد يتسرع كما فعلت انا فلذلك انا لن اجاوبه على اي من اسئلته وانت كذلك حسنا؟!

هزت رأسها موافقة ثم غمغمت بخجل:

- اريد لين.. ارجوك اخبرها ان تأتي الي.

- كما تريدي صغيرتي.

اجاب رابتا على شعرها برقة قبل ان يقبل جبينها مرة اخرى ويئم الى غرفته..

وغل بهدوء ليضحك بخفة وهو يرى لين تحوم ذهابا وايابا وتقطم اظافيرها بتوتر حتى انها لم تنتبه لوجوده.. فإستغل هذه الفرصة ليخطو بخفة فهد دون صوت ثم بعجلة احاطت يداه وسطها وقربها اليه دانسا رأسه في تجويف عنقها لتجتاحها انفاسه الحارة وتزداد وتيرة انفاسها..

حررت نفسها بصعوبة من وكره وهتفت بضيق:

- ها انت تتأمر وبعدها تأتي وكأنك لم تفعل شيئا!

رفع حاجبه بعجرفية عنجهية وهتف بلا مبالاة مغيظة:

- اذا؟!

مطت شفتيها بسخط واناءت عنه زافرة حنقها منه وهمست بصوت عال:

- مغرور متعجرف.. هذا هو ريس الجايد.

- لين ماذا تريدين؟

تساءل ببساطة لتلتفت اليه بغضب متمتمة بحدة:

- اريد رؤية عدن.. ماذا فعلت بها ريس حتى لا تريد مني ان ادخل اليها؟!

اكتنف الوجوم ملامحه فدنى منها زاجرا بصرامة:

- لين صوتك لا يعلو عليّ.. وانا بالتأكيد لن اؤذيها وحتى ان حدث ذلك، واكرر انه مستحيل، لن تتدخلي لين ابدا فلذلك اختصري شري وغضبي.

- بل سأتدخل ريس.. لدي كامل الحرية للتدخل.. مثلما عدن اختك هي بالنسبة لي كذلك وكما انني صديقتها المقربة وسأقف بوجه كل من يؤذيها حتى لو كنت انت.

غمغمت بتحدي شرس لينعقدا حاجبيه الأثيثين ويشتد فكه بتشنج من استفزازها له ويهدر بتهديد:

- لين كفي عن استفزازي لأجلك انتِ عزيزتي.. لن اتحدث معك اكثر كي لا اثور عليك وافعل ما لا يعجبك.. اذهبي اليها ولا تقولي اكثر مما يجب.. انا سأنزل لأرى جواد ، واجل لا تنسي وضع حجاب على شعرك.

انفرجت شفتيها بذهول حينما خرج طابعا الباب بعنف لتضرب قدميها بالأرض بحنق ثم تولج الى غرفة عدن..

وعند سماعها ما حدث بالحرف الواحد منها وتعامل ريس في البداية وبعدها معها شعرت بوخز في صدرها على وقاحتها وتكلمها بهذه الفظاظة مع زوجها..

انبّت نفسها على تسرعها واندفاعها دون ان تفهم منه او ان تعطيه مجالا ليفهمها ما حصل فإستغفرت ربها عدة مرات قبل ان تعانق عدن وتعطيها بعض النصائح وتخفف عنها حملها الثقيل..

بينما في الاسفل لم يدلي ريس اي مما حدث لجواد بقوله ان ما حدث فقط بينه وبين عدن ولا علاقة له به حتى يعرف..

****

بعد مرور يومين متتاليين من تجاهل ريس للين الشاق وتجنبها بطريقة احزنتها للغاية واشعرتها بذنب مؤلم، دلفت الى غرفة مكتبه لتجده متماد ٍومنهمك بالملفات التي يدرسها بتركيز حازم فإبتلعت ريقها وخطت اليه بتوتر، ثم توقفت امام طاولة مكتبه ونادته بإرتباك ليرد بنعم ناشفة دون ان ينظر اليها..

اطلقت زفيرا عاليا وجلست على المقعد قباله وهتفت:

- ريس الى متى ستتجاهلني؟ كلما احاول ان اتكلم معك لا تعطيني فرصة.. حسنا اخطأت وانا اعترف.

اجاب ببرود تاركا الأوراق التي في يده:

- لماذا اتيت الان؟ ماذا تريدين غير هذا الكلام الفارغ؟

شخرت بأنفها بتعجب وهمست بثبات، محاولة ان تتماسك:

- اريد اخبارك انني سأذهب مع جود ووالديّ لنطلب له شام.. ولكن هذا ليس سببي الرئيسي ريس.. انا اريد ان اتكلم معك ونتفاهم.. فرجاءا كف عن تصرفك هذا نحوي واصغي الي.

- سأفكر اذا تذهبي ام لا.. اخرجي الان وحالما انتهي سنتكلم.

اردف بنفس بروده لتصر على اسنانها بضيق كبير من معاملته لها ثم غمغمت بحزم:

- ريس انا سأذهب مع اخي واقف بجانبه وبجانب صديقتي.. مشاكلنا ليس لها علاقة بشؤوني العائلية فليس هناك داعي لتفكر.. والان اعذرني حينما تريد ان تتفرغ لي تكلم معي، واذا اردت بعد اسبوع، شهر، سنة... انت حر.

انسحبت بثبات الى ان خرجت من عنده، راكضة الى حجرة دراستها، منفجرة بالبكاء..

اما هو بعد ان توارت من امامه فقد رمى كل ما هو موجود على الطاولة بحنق شديد ومرر يداه على وجهه بتفكير..

هو غاضب منها جدا ولا تعرف انه يتألم اكثر منها لألمها وحزنها البارزان لعينيه.. هو فقط اراد ان يعاقبها على ما تفوهت به ولكنه لم يكن مدرك بأنه يعاقب نفسه اكثر منها ببعدهما عن بعض..

نظر الى الساعة الذهبية التي في يده فتأفف بضيق عندما وجدها الرابعة والنصف عصرا..

قرر ان ينزل ليراها بعد ان يهدأ قليلا، وتُراجع هي نفسها.. وها قد فعل ما حسم القيام به ونزل للأسفل لينصدم وهو يراها جاثمة على الكنبة كجلسة القرفصاء ودموعها تسيل على وجنتيها الأسيلتين لتقع كجمرات مشتعلة على فؤاده..

فتنهد رابضا بجانبها مغمغما بهدوء:

- انا اسمعك.

- ماذا تريد ان تسمع بعد ريس؟

هتفت ببكاء ليرد متنهدا بتعب:

- ما كنتِ تريدين قوله قبل قليل وطوال اليومين اللذان مرّا.

تطلعت اليه وغمغمت ببراءة:

- كنت ولم يعد ينفع ريس.. انا اريد ان اعتذر لك ولكنك لا تريد سماعي.

ابتسم لتتسع حدقتيها بحقد على تهاونه واشاحت عنه متذمرة في اوصالها.. فهتف ببساطة وهو يراقب كل تحركاتها:

- وها قد اخبرتك انني اسمعك لين.

تأففت قائلة بتبرم:

- حسنا ريس.. انا اردت ان اعتذر لك عما بدر مني فأنا كنت قلقة جدا وقتها على عدن، وعندما فهمت منها ما حدث ندمت على تسرعي وحاولت ان اتأسف لك واصلح سوء الفهم الذي حدث بيننا لكنك لم تعطيني المجال لذلك.

- اذا انت نادمة؟

سأل بخبث وشقاوة لتومئ برأسها موافقة فأبتسم على مظهرها الطفولي واضاف:

- وما الذي يثبت لي ذلك ولا يوحي على انك تقومين بذلك لكي تذهبي مع شقيقك لتطلبي يد صديقتك؟

رمقته بنفور وزجرت به لتتسم ملامحه بالجدية، محاولا التظاهر بذلك بكل قوته.. واردفت بضجر:

- اوف ريس.. انا احبك وانا نادمة فعلا وليس كي اذهب كما تعتقد انت.. ولا تنسى ان بعض الظن اثم.. فلا تسيء الظن بي ابن عمي.

قهقه عاليا هاتفا:

- حسنا ابنة عمي الحبيبة.. انا لا يكفيني الاعتذار اريد شيئا اخرا.

حدقت به بسذاجة ثم سرعان ما فهمت مقصده لتتحلى وجنتيها بحمرة خجولة يعشقها.. واقتربت منه رويدا رويدا لتقبله على خده بإبتسامة ثم ابتعدت هامسة:

- اعتبرها هي الشيء الأخر.

عبس بغيظ ثم سرعان امسكها من مؤخرة عنقها وجذبها اليه ليتذوق قِراح ثمرتيها الطيبتين بنهم.. ولم يتركها الا بعد ان نفذ الهواء من رئتيهما ودمدم مبتسما:

- هكذا يجب ان يكون اعتذارك عزيزتي.

توسعت ابتسامتها ونهضت ممسكة بيده لتحثه على الوقوف معها وهمست:

- ريس هل ستأتي معنا؟ تعال ارجوك.

كوّب وجنتيها براحتيه وغمغم بحب:

- لا حبيبتي.. لا استطيع ان اتي.. لدي الكثير من الأعمال التي يتوجب علي انهائها.. وكما مفضل

ان تكون اول زيارة، زيارة عائلية فقط.. وفي الزيارة القادمة سأرافقكم بإذن اللّه.

- لكنك لست غريب.. انت ابن عم جود وكذلك زوج اخته.

- اعلم ولكنني حقا لا استطيع.. في المرة المقبلة اعدك انني سآتي والان اصعدي لتجهزي نفسك.

- تعال معي.

هتفت بإبتسامة ليصعد معها الى غرفتهما ويتابعها بهيام وهي تبحث بين الملابس عما ترتديه..

الفصل الثالث وعشرون

محتارةٌ انتِ بين التداني والتنائي..

محتارةٌ اي سبيل تَقْتَرِعِي وتجتازي..

محتارةٌ بين ما يفرضه عقلكِ وما يفرضه حبي..

إختاري ولا تهتمي يا محبوبتي..

فنهاية الطريق المتعوجة ليست الا لي وحدي..

وانا فقط الأسِر ما تصارعيه يا اسيرتي..

ولو قطعتِ الاف اميال الدروب مساركِ لي..

والیک هذا الوعد مني يا لبّ جماحي..

كان مرأس عسله يلاحق تحركاتها العفوية.. لفِّها للشال الزهري الفاتح حول شعرها.. وضعها مرطب الشفاه بلون شفاف.. كحلها الأسود الذي يبرز رسمة عيناها الجذابتين.. وارتدائها كعبها الأسود الذي يناسق فستانها المتناغم بين الزهر والأسود..

توقفت قباله كحورية تناقض معرفتها اذ كانت فضائية ام بحرية.. كحورية نادرة.. حورية تخصه لوحده..

تدانى منها مأخوذا الرشد وما تبقى منه لتبتسم بعشق متسائلة بلهفة من حدقتيه المتوهجة كأشعة شمسية في يوم بارد وقوس قزحه يناظره بخجل:

- كيف ابدو؟!

- اجمل من الجمال نفسه.

غمغم بهيام لتتعلق برقبته كالأطفال المدللين، مدمدمة:

- احبك رجلي.

- لين حبيبتي ليس لدي مانع ببقائك في المنزل.

هتف بسخط لتتوسع ابتسامتها، نائية عنه بإشعاع تسلل بقفزات متعالية الى وجدانه، متفاخرة بأنوثتها وجمالها اللذان يؤثران عليه.. وهمست:

- حسنا ايها الأمير الخاص بي سأبتعد.

رمقها بغيظ متذمرا:

- اين الغبي اخاكِ؟ لماذا لم يأتي بعد؟

هزت كتفيها بعدم معرفة ليشتم بسره.. ثم نظر لها بإبتسامة مزيفة، عاجٌ على اسنانه بحنق ومتمتما:

- تعالي لننزل فربما يأتون بعد قليل.. وصحيح حبيبتي لين انا سآتي لأقلك الى المنزل فإتصلي بي.

- فهمت.. ها يبدو انهم قد حضروا.. سأخرج انا.

غمغمت سريعا وهي تلتقط حقيبتها الصغيرة الزاهية بنعومة ثم قبلته قبلة خفيفة، رادفة بخجل قبل ان تخرج:

- هذا لتتذكر انني اعشقك ريسي.

تصنم مكانه بتعجب من تصرفاتها التي تسلب لبه.. ولم يستدرك نفسه الا بعد سماعه صوت اغلاق الباب لتتوغل ابتسماته العاشقة ويهمس:

- اعشقك اكثر مجنونتي.

****

كانت تقف بشرود امام نافذة غرفتها، تتطلع الى السماء الباهتة بعقل يفكر بالكثير.. باغتتها احداث الأيام الماضية.. كم تشعر بالفضل والشكر له.. احتواها كلاميا ومعنويا كإحتواء القريب والحبيب.. تذكرت اليومين الماضيين حيث كانا يتجنبا بعضهما بعد الموقف السيء الذي كبشا عليه.. كانت محرجة للغاية منه بعد ان رأت الكدمات البنفسجية الطفيفة الموجودة اسفل

حنكه وشفته المجروحة.. كلما ارادت ان تعتذر له وتشكره كانت تتوتر وتلتبس حواس افكارها وعقليتها ككتاب رياضيات انقلبت اعداده وتشابكت معادلاته..

بدأت تشعر بنفسها تميل اليه.. تحب اهتمامه واعتنائه بها.. لم تعد تكرهه كما كانت قبلا.. عيناه السوداوتين التي تحدق بها في المحاضرات باتا يجذباها اليها كمغناطيس من المشاعر الجياشة.. كشحنات وحرارات هائمة بتراص عميق..

تنهدت بعمق.. خائفة مما قد تقبل عليه.. تخاف الحب الذي لم تقع به يوما.. وتخشى الحانه العذبة الشجية..

دوامة من الاعاصير الفكرية تنتهكها ليكون في النهاية المسراب الوحيد هو.. هو فقط.. اوس!! هو الذي اخترقها كقوس شغوف.. كقوس لا يجرح ولا يؤلم.. بل كقوس يلملم ويداوي الجراح.. كقوس عقّار على السقم المُعَلقم..

تربعت على سريرها الأخضر الفاتح الذي يشابه العشب في لون دثاره.. وامسكت بقلم رصاصي لتدوّن على دفتر

مذكرات اهدتها اياه لين حديثا.. عبّرت عن تناقضها الفكري، وعن ما تخشاه في هذا الصفحات الممتلئة بالكلام المرهف بالأحاسيس الصادقة..

وحالما تعبت يدها من المجهود الكتابي والفني الذي استنزف منها ساعتين طويلتين تمعنت في الرسمة التي رسمتها.. ساحة صغيرة لا يحيطها غير الأشجار المزدهرة بربيعية صافية وازهار من جميع الألوان البديعة تحيط رجل وفتاة جالسان على الأرضية العشبية بطريقة نجمية..

تركت ما في يديها ونزلت لترى جدها ولكن في سبيلها اليه اصطدمت ببنية جواد الصلبة لترفع رأسها اليه وتغمغم:

- متى عدت؟ اين جدي؟!

- ربما في غرفته.. ما بك تسيرين بهذه العجلة؟!

تساءل بجدية لتهمس بأريحية:

- لا لشيء فقط بغيت رؤية جدي.

اومأ مستفهما لتضيف بتساؤل اثار غرابته:

- جواد الا تفكر بالزواج؟

اشار لها بيده ليكملا طريقهما نحو ساحة القصر ثم اردف بتعجب:

- ما الذي اتى ببالك الان حتى تسألين مثل هذا السؤال عدن؟

- لا ادري.. فقط هكذا اردت المعرفة.

اجابت بهدوء وهي تجلس على المقعد الرمادي بجانب المسبح الواسع ليغمغم بإبتسامة وصورة تلك التي تلاحقه في تفكيره اينما يذهب تعاود فرض سيطرتها عليه والظهور مجددا:

- لا حبيبتي.. ليس حاليا، على الأقل بعد عامين او ثلاثة.

ثم اضاف بخبث:

- لماذا هل قررت صغيرتنا الزواج او الموافقة على عرض الزواج الذي اتاها ام ماذا؟

ابتسمت بخجل متذكرة اوس وحنانه.. فضربته على كتفه بغيظ متمتمة:

- غليظ لعين.. على اي حال انا لا اعلم بعد.. احتاج الى المزيد من الوقت للوثوق بشخص ما وتقبّله.. وتفاقم هذا الأمر علي اكثر بعد رؤية امي ومعرفتي بجرائمها.

تسنّم الضيق وجهه المبتسم وهتف بجدية حكيمة:

- عدن ليس كل الناس كترنيم.. الدنيا هذه تنقسم الى الخير والى الشر، وهذا هو الصراع الذي يطوف حول الحياة البشرية وبمن سينتصر منهما.. ولكن عليك انت ان تفكري بالأفضل دائما وان تنبذي مخاوفك وعدم ثقتك بأشخاص لا يستحقون هذه المعاملة بسبب شخص واحد بعثرك داخليا واثار تخفرك وقلقك.

نظرت له طوالا تبتلع كلماته الرزينة.. اوس مختلف عن امها وذلك واضح لكنها ما زالت مترددة.. تحتاج الى

المزيد من الوقت.. اضحت تشهد بأنه رجل مواقف، طيب القلب، يختلف كليا عن معتقداتها السابقة عنه..

همست بعد ان استجمعت افكارها المندثرة بتفاوت حاد:

- جواد ما الذي قد يدفعك للزواج؟ حسنا انا سأعترف لك، ولكن اياك ان تخبر ريس او احد اخر.. فقط لين الوحيدة التي تعرف عني كل شيء.

اومأ له موافقا لتتابع مضيفة:

- ربما اكن مشاعر الإعجاب لأوس فهو غيَّرَ مفهوم افكاري عنه.. هو شاب واع، متعلم ومثقف، وصديق ريس فلن يتجرأ على ايذائي وسيصونني.. لكن.. لا اعلم لماذا احتاج لدفعة اخرى واشد حتى اوافق.

ابتسم جواد مغمغما بعبث:

- هل تريدين ان ادفعك انا؟

قهقهت بمرح وزجرته ليضيف بجدية:

- عزيزتي عدن خذي كل ما تحتاجيه من وقت.. لا تجعلي هذا الموضوع هو محور حياتك.. من يريدك بحق

ينتظرك العمر كله.. ويكفي انك اخت جواد لتتهاتف الناس زحفا اليك.

- مغرور.. عائلة مغرورة جدا.

- بالطبع هؤلاء هم افراد الجايد.

هتف متباهيا لتقهقه مرة اخرى وتغير مجرى حديثهما الى ان تغرب الشمس وتتساخم غيوم السواد الأمهقية..

****

وقفوا يرحبون ببعضهم بوّد ووقار الى ان تلاقت العينان الشغوفة بالعينان الخجولة لتتظاهر بعدم مبالاة وهي تعانق لين التي توزع نظراتها بينهما بخبث..

اقترب منها لتتخبط تعقلاتها وتتوسع عيناها بتوتر وارتباك.. وازدردت لعابها بتوتر اشد حينما سألها:

- كيف حالك شام؟

- انا بخير.. و.. وانت.

اجابت متلعثمة لتضحك لين على مظهرهما الغبي وتقف بجانبها مكتفة يداها حول صدرها، تنتظر جواب جود..

- اذا كنتِ بخير فأنا بخير.

غمغم مبتسما قبل ان يعبس بوجه لين بغيظ.. ثم تساءل بعد ان لاحظ الشاب الحاضر:

- من يكون؟

ابتسم الشاب بعد ان زلف من شام، مطوّقا كتفيها بذراعه الطويلة لتهمس بإبتسامة:

- هذا اخي قيس.. هو يتعلم مع عدن في الجامعة لين.

جاملته لين متنائية الوقوف معه وقتا اكثر:

- تشرفنا استاذ قيس.. هيا شام لندلف الى الداخل.

قاطعها صوت جود الذي خرج ضائقا:

- ايّ داخل حبيبتي؟! انا اتي لأطلب يدها وانت تريدين ان تنفردي بها في الداخل.. هيا تعالوا فوالدينا قد سبقونا.

قهقهت لين وقيس بينما اختلج وجه شام بألوان حرجة..
وبعد ان قاروا الى غرفة الصالة تولت شام القُعود بجانب صديقتها، متجنبة احتكاكها بجود الذي يتصفحها ناشدًا ملامحها الناعمة بحدقتيه الصقروية..

وضعت ام شام القهوة وبعض حلويات ومكسرات على الطاولة المزخرفة بخشب اصيل كما يتفنن العرب بإكرام الضيف.. وشزرت الى ابنتها وضناها بأبتسامة متهللة بخليلية مبتهجة..

هتف ادم بجدية بعد السكون الذي استولى على اركان الجالسين بملل وضجر:

- حسنا لنأتي لموضوعنا الرئيسي.. نحن هنا لنتشرف بطلب يد ابنتكم شام لأبننا جود على سنة اللّه ورسوله.

- ونحن يشرفنا نسبكم اخي ادم.

اجاب والد شام بإبتسامة لتتوسع ابتسامات الحاضرين بأريحية وسعادة عارمة.. متمنين كل التوفيق لجود وشام.. فقال ادم معلنا بسرور:

- اذا لنقرأ الفاتحة على نية هذا الزواج.

رنا جود بخزرتيه شام وهو يقرأ الفاتحة بحب الى ان انتهى الجميع ليغمغم والدها:

- بإمكانك الجلوس مع شام بني في غرفة الصالة الأخرى.

- يسرّني ذلك.

همس ببهجة لتتوقف شام، ماشية قبله ليتبعها هو بدوره.. ولكن صوت لين الذي خرج فظًا ومستفزا اوقفهما..

- هل استطيع ان اجلس معهما؟

- وانا ايضا اريد ذلك.. لا يجب ان يجلسا لوحدهما.

اضاف قيس بعبث ليقهقه الكبار ويردف ادم:

- اجلسا انتما هنا ولا تزعجوهما.

ثم التفت الى جود وشام وغمغم بحنو:

- تابعا مساركما انتما.

بقيت فاطنة قبالته، تفرك اصابعها بتوتر بينما هو رابض يراقبها بإستمتاع جلي، مكتفيًا برؤية حمرة وجنتيها القانية، وعيناها الزمرديتين التي تحجبهما رموشها السوداء الكثيفة التي تقف كحارس مرمى يصد النظرات المنبعثة اليه..

همس بعد توسم وتمعن دام طويلا من قبله بها:

- الن تجلسي؟ بجانبي يوجد مكان فارغ.

تعثرت كلماتها ورفضت الخروج من حلقها.. فها هي حبالها الصوتية من كثر التلبك قد تبددت وتلفت فإقتربت منه وامتطت ساقيها القصيرتين اقصى الكنبة لتخلق مسافة شاسعة بينهما..

- لم اعرفك خجولة.

صرح متبسما على مظهرها ليزداد توترها وتتمنى بسرّها ان تنتهي هذه الليلة بأسرع وقت يمكن.. وبعد ان اخذت نفسا عميقا يوحي على دلالة المجهود الذي استنزفها بقوة لتتمكن من الهمس بررت بصراحة:

- انا لست معتادة عليك بعد.. هذا كل ما في الامر.

- اسمعيني سأخبرك عن نفسي مع انك تعرفين كل هذه الاشياء الا انني سأكررها لك مجددا وبإمكانك ان تسأليني كل ما تريدين سؤاله وبعدها انا سأفعل الأمر نفسه معك لنغير من هذا الجو الممل.

هتف محاولا مساعدتها لتخرج من الهالة التي تحيط بها وتمنعها من النظر الى وجهه وتمتُّع حدقتيه بزمرديتيها التي جذبته اليها كمغناطيس مُتيّم، رافضا الإنجذاب والالتصاق الا بهما.. فأومأت مؤيدة ما قاله ليبدأ حديثه:

- انا ابلغ الخامسة والعشرون من عمري، اعمل في شركة والدي واحيانا اتولى منصبه بدلا عنه لظروف معينة، هوايتي ركوب الخيل والسباحة، اجيد الطبخ.. فإذ لم تكوني طاهية ماهرة فأنا هنا سأساعدك.. لا اعلم ماذا اضيف ايضا اسأليني انتِ.

تساءلت بعد ان اسمت ماستيها الخضراء اليه، مستشعرة عبثه وشقاوته التي فطرت بها:

- اول سؤال هل لديك علاقات حب مسبقة؟

- لا انتِ اول واحدة.

اجاب غامزا اياها لتشيح عنه بإقتطاب خجول وتردف:

- لماذا تريد الزواج مني انا دون غيري؟

- لا اعلم، ربما لأنني اكن لك مشاعر واحاسيس انجذابية.. والان دورك.. كلميني عن نفسك.

- عمري يماثل عمر لين اي ابلغ التاسعة عشر من عمري.. وادرس الطب كذلك معها وفي منزلها بسبب زوجها الذي يغار الى ما لا نهاية.. هواياتي مثل هواياتك لكن بالإضافة الى ذلك اجيد الغناء.

صفر بإعجاب وهتف:

- اذا ستغني لي كثيرا لاحقا اليس كذلك؟

- ان شاء اللّه.

همهمت بخفوت قبل ان تعاود سؤاله مرة اخرى:

- هل انت تغار بقدر ريس زوج لين ام ماذا؟

رنت ضحكته كالطبول الناعمة التي تطرق في اذنيها وغمغم:

- لا اعلم.. ولكن كغيرة ريس لا يوجد في العالم كله.. هو مهووس بالغيرة.. وهذا لا يعني بأنني لن اغار فاحترسي غيرتي من الان يا شام فربما اصبح مثله في يوم ما.

- معاذ اللّه.

هتفت بحنق ليتصاعد رنين ضحكته اكثر.. وبعد ثوان قليلة اضافت:

- جود اريد اخبارك بأمر ما الان.. فأنا لا احب الخفايا والأسرار ولذلك عليك ان تعرف الان.

نظر لها بتركيز ليحثها على الكلام الذي اثار حيرته فدمدمت بهدوء:

- قبل ان تتقدم لي انت كنت اكنّ مشاعر اعجاب لأبن خالتي.. هو قد اتى قبل عام تقريبا وطلب يدي ولكن لم يكن هناك بيننا نصيبا فابتعدنا عن بعضنا.. انا اخبرك حتى تعرف هذه الامور مني انا وليس من غيري..

ويراودك الشك ومثل هذه الأمور... وعليك ان تعلم وتثق بما اقوله، انا لم اعد اشعر تجاهه اي من هذه الأحاسيس المراهقة السابقة.. في ذاك الوقت انا كنت مراهقة ولم استطع تحديد تقلباتي العاطفية ولا تمكني من اختيار شريك حياتي.

تفاقم شعور بالفخر والاعتزاز من صراحتها وصدقها.. كيف لا يستطيع الوثوق بها والتأمين لها وهي صادقة لا تعرف التلفيق والكذب وغيرهما؟ نظر اليها بنظرات اعجاب جالية لتبتسم بخجل بعد ان سكنت حروفها وهدأت تحركات يداها التي تنفعل مع كلماتها..

- اعجبتني صراحتك واعترافك لي الان.. ولكن ذلك لا يمنعني عن سؤالك لاحقا بتوسع حول ما حدث بينكما.

- انا جاهزة طوال الوقت للإجابة على اسئلتك.

غمغمت بثقة لتنفرج شفتيه باستمتاع رهيف حول هذه الفتاة التي اقتحمت اسواره ونالت على اعجابه عن بوْن فقط، دون ان يختلط بها ولا اي من غيره..

****

نهض عن مقعده بعصبية ورعونة.. لا يستطيع الصمود اكثر.. جلوسها في مكان اخر ليس ملكه وغير تابع له يثير ضيقه وقلقه.. بعدها عنه كل هذا الوقت يجعله يفقد اعصابه.. لا يريد ان يعرف الأصول ولا غيرها.. لا يريد الانتظار فهو ليس من عوائده!

اعتلى سيارته وهبّ مسرعا نحوها كطير يحلق نحو عشه ليخبئ نفسه في مأواه بعيدا عما يدور بالخارج..

وضع السماعة الصغيرة حول اذنه اليمنى قبل ان يقوم بالاتصال بها بتهدجات متشنجة، مطقطقا بأنامله الخشنة على المقود الى ان اتاه صوتها الناعم الذي يلحن اناشيد الحب على اوتاره المختلجة ليهتف بخشونة:

- لين انا في الطريق اليك.. ربع ساعة واكون عندك لذا جهزي نفسك.

- لكن ما زال الوقت باكرا!

همست معترضة بإستياء ليكرر بعزم واصرار:

- لا يوجد لكن لين.. انتظريني.

- حسنا كما تريد.

غمغمت بحنق قبل ان تغلق الهاتف، متسائلة في باطنها عن سبب مجيئه لأخذها الان وكلامه الحاد معها.. سمعت صوت والدتها الجالسة بجوارها تتساءل عما يريده زوجها لتجيب بإبتسامة:

- سيأتي ليأخذني ريس بعد قليل.

- لم يكن هناك داع ليأتي هو ليعيدك فنحن كنا سنوصلك.

تمتمت ليان بضيق لتصمت لين ولا تعلق على كلام امها..

وبعد برهة من الزمن طرق باب المنزل لتقول بجدية:

- اظن ان ريس قد وصل.. سأخرج اليه.

غمغم والد شام ناظرا الى ابنه قيس:

- انتظري ابنتي.. دعيه يدخل اولا.. قيس افتح الباب للرجل.

اومأ قيس لوالده بطاعة قبل ان يوثب ويفتح الباب لريس الذي تطلع عليه بعبوس فائق..

القى عليه تحية باردة وهرع بقلبه قبل جسده نحوها.. وحال ما رأها جالسة مع الرجال وخاصة ان هذا الشاب الذي يدعى قيس جالسا بنفس المكان القابعة به جنّ جنونه ليلقي عليها نظرة حارقة لم تفهم سببها.. وبعد ان سلّم على الجميع امسكها من يدها ليحفزها على النهوض وطوق خصرها بيده السميكة واردف:

- اعذروني سأخذ زوجتي واغادر.

- اجلس اولا بني.

هتف ادم بجدية ليدمدم ريس بإتقاد:

- لا عمي.. لا استطيع حقا.. سأخذ لين واغادر.. وصحيح اين هو جود؟

- ها انا هنا.

ردّ جود الواقف بجانب الحائط ببنيته اللافتة بينما شام اسرعت خطواتها نحو لين وسلّمت على ريس من شطون ليماثلها السلام ويغمغم لجود الذي تدانى منه:

- مبروك يا عريس.. هناك محادثة مهمة بيننا.. انتظرني.

- ما الأمر؟

تساءل بفضول الا ان ريس اجاب مومئًا برأسه بمعنى مبطن:

- لاحقا.. لاحقا اخ زوجتي.

وقبل ان تتصاعد وتتنافر المزيد من الأسئلة اعلن بعجلة سلام الوداع وتسارعت خطواته على الأرض الرخامية، قابضا على يدها بأنامله كإمساكه للجنة، يخاف ان تتسرب وتتغلغل من بين سبكهِ..

- ريس حبيبي ما الأمر؟ لماذا تتصرف بهذه الطريقة؟ هل حدث شيئا سيئا؟

تساءلت لين بتخفر وهي تربض في السيارة بجواره ليهتف بغضب:

- لماذا كنتِ جالسة بين الرجال لين؟

- ابي كان موجودا وانا كنت جالسة بجوار امي وبعيدة عن اب واخ شام.

بررت بهدوء لتكتظ الشحنات النارية التي تهب في خلايا ثناياه المتأججة ببريق الغيرة والغضب فزمجر بصوت قريب للصراخ:

- لا يهمني.. كان هناك شاب متواجد في نفس المكان الذي انتِ حاضرة به.. والأدهى من ذلك انني غير قائم بجانبك.

ظهرا التوتر والخوف على ملامحها الى ان انهى كلامه وتبقى صوت انفاسه المتعالية وكأنه كان يعدو في سباق ركض، يتكردس الناس عليه ليعرفوا من المتسابق..

فتنهدت تلتقط حبيبات لقاح تصبرها وتعقلها وهمست بأناة واطراق:

- ريس قيس لم يقترب مني ولن يتجرأ فاهدأ.

هدر بها بهيجان.. لا يحتمل نطق اسم غريب - ليس من محارمها - من بين شهدها الذي يستلب دماثته ورجاحته:

- اصمتي لين.. لا تنطقي اسم رجل على لسانك.. لا تزيدي من عصبيتي وغضبي.. اصمتي الان ولا تتكلمين الى ان اهدأ قبل ان اثور عليك واعود لأقضي عليه.

"على اساس انك لم تثور بعد"

فكرت بجزع بعقلها ولبت رغبته في الصمت كي لا يتهور حقا ويعود وينفذ ما افشى به.. لاحظت تغير مسلك اتجاهه الى الطريق الذي لا يؤدي الى منزلهما فتساءلت بتقاعس وارتياب:

- الى اين سنذهب؟

زفر ليهدئ من روع سخطه عليها.. كان يخطط لأن يتجولا ويخرجا ليتنزها لبعض الوقت ولكن بعد الذي رآه لم يعد له رغبة كما كان.. فأجاب ببرود سائم:

- ستري عندما نصل.. استدعي ان تتغير حالتي هذه وتخمد براكيني كي لا ارتكب مصيبة.

- حسنا سأدعو.. انت ركّز في السياقة.

همست لتغيظه، مستمتعة بنسمات الهواء الربيعي المنعشة التي تشتبك بنسمات وجهها الناعم كحرارة هوائية عشبية مشبعة بالخضار الأسِر للعيون..

كاد ان يرد على جوابها الذي اثار حنقه ولكن شالها الذي يتطاير حولها لتبدو كلوحة حوشية نادر وجودها.. وعيناها المغمضة بإستنشاء طاهر سطت وافنت حروفه ليتبعثر داخليا وظاهريا.. شتتت حواسه بأيقونتها العفوية المتمردة بإغراء وبرائحتها العبقة المختلطة مع عبير الخلاء الربيع الفاتن..

اناء بحدقتيه عنها بسخط وغمغم بخشونة لعبت بإثارة على وبر جسدها الشفاف:

- اغلقي النافذة لين.

نفذت طلبه كاتمة ضيقها من اسلوبه الوقح في الأوامر والتعبير.. وسرعان ما لبثت ان جحظت عيناها بفرحة سادية، مستديرة برأسها نحوه بإندهاش ليتصاعد الغرور في مقلتيه العسليتين وهي تردف ببهجة:

- سنتعشى على البحر.. اعشق هذا المطعم.

استطرد متعمقا في بحر عيناها اللامعة والتي تبدو كخيطان فضية تنحدر بأثيرية لتحط على امواج البحر الغامق:

- لا تعشقي غيري فلن اسوّغ لك ذلك ابدا.

انقبض حجاب الحاجز في صدرها بعوزٍ جليل للهواء الطلق الموجز من طحالب البحر وصدفاته الرغدة المشاكسة لتبدو كل منها استثنائية عن نوعها.. وغمغمت بلذة متنسمة الرياح التي تتهافى عليهما:

- انت عشقي الأبدي والوحيد.. لا تقارن نفسك بما لا يستحق المقارنة وليس له والٍ للجرأة.

تعانقت انامله الخشنة برجولة فطرية مع اناملها الأسيلة ليصرخ ثوران البحر بعنف عن اغتباطه وتهلله بسعادة.. والتصق جانبه بجانبها لتتشاحن اوداجهما ثم قادها بخطوات متمهلة متلذذة..

ازاح المقعد الخشبي المدبج من القش الصدفي لتركن عليه قبل ان تعطيه نظرة شكر اغرقت البحر نفسه في دوامة بحرها الأبية عن الإستسلام والخناعة..

همهمت متوسمة بشعيراته السوداء القصيرة التي تتطاير مع الرياح القابلة من البحر كسحر مطموس في ضمره:

- ريسي الا زلت غاضبا؟

ارتفع صدره العضلي وسرعان ما انخفض بتنهيدته الزافرة لتجتاحها انفاسه وذبذباته التي تغلغلت الى مسامتها.. وقال رابطا جأشه:

- انسي الموضوع الان سنتكلم به بتوسع في المنزل.. كنت مخططا ان نرفه عن انفسنا فلننفذ هذا الشيء ونجعل يومنا جميلا.

كبح ردها العفوي عليه النادل الذي توقف بجانب طاولته مُرّحِبًا بهما ومتسائلا عن طلبهما ليهتف بهدوء:

- ماذا تريدين ان تطلبي لين؟

- لا اعلم.. اختر لي مثلك.

اعطى النادل طلبهما ثم التفت اليها هامسا بتحذير:

- لين لا اريدك بعد الان ان تجلسي بمكان به رجال افهمت؟

تأففت بضجر وغمغمت بحنق:

- قلت اننا سنتكلم في المنزل حول هذا الموضوع.. فلماذا تتكلم الان عنه؟؟

ارتفع حاجبه الأيسر بأبهة متغطرسة ليحتقن وجهها المحمر بفعل النسمات الباردة.. والتوى فمه بسخرية هاتفا:

- لا يهمني.. لا يوجد اختلاف بين هنا والمنزل.. الشيء الذي يهمني الان ان ما اقوله يُنفذ.

- حاضر.

تمتمت بنفاذ الصبر واشاحت بوجهها عنه مصوّبة نظراتها نحو الشاطئ الذي تزينه الأضواء الخفيفة المنبعثة من المطاعم والمسلطة على احجاره الرملية..

****

تهيبت اوصاله ارتياعا حين وجد والدته تتقيأ دما داكنا الى حد السواد فهرع اليها بجفون متوسعة بتوجس.. وامسكها من كتفيها ليساعد ثبات توازنها وعدم انهياره.. تطلع اليها بذهول باهت وناولها محرمة بيضاء لتزيل ما تبقى من قطرات الدماء الموجودة على شفتيها الشاحبة.. وبعد ان استعاد الفتهِ زجر بصوت حاد يغلفه القلق:

- امي ما بك؟ ما الذي تخفينه عني؟ ما هذه الدماء التي تتقيئينها؟

انافت الى بكْرها هامسة بتحشرج:

- لا تقلق بني.. انا بخير.

قاطعها مزمجرا بعنف ونيران لاهبة تكوي الدماء الجارية في عروقه.. يموت خوفا على والدته.. متعلق بها كحبل الروح الواصل الى قلبه لينعش روحه ليعيش.. هي والدته وكل ما له في هذه الدنيا.. هي واخته الصغيرة وتلك التي ارهقت جانحه بلحًا:

- لا امي.. انت لست بخير.. ما خطبك؟ اخبريني الان قبل ان اخذك الى المشفى قسرا واعرف بنفسي.

سرّحت تنهيدة حارة من عناد ابنها الذي تعشقه.. وغمغمت:

- صدقني لا يوجد شيئا خطرا.. السبب الذي ادى الى ان اتقيأ الدماء هو انني لدي التهاب في المريء ولكن الطبيب اعطني الدواء وانا اتناوله بإلتزام ولا اهمله فلا تقلق اوس.

- كيف لا اقلق امي؟ غدًا انا بنفسي سأشرف على الطبيب الاحمق واتأكد من التفاصيل الصغيرة قبل الكبيرة واعرف طرق العلاج بعناية.

ابتسمت له بحنو ليمسك يدها المرنة ويقبلها بحب وخوف كبير.. وما هي الا ثوانٍ معدودة حتى اتاه صوت اخته الصغيرة التي تبلغ السادسة من عمرها:

- اوس.. امي.. لماذا يوجد دماء على الأرض؟!

- تعالي الي سيلين.

غمغم بحنو لتركض اليه وتلف يداها الصغيرة حول ساقيه الطويلة وتغمغم بفرحة طفولية:

- اوس احملني.

حملها بإبتسامة وجثى بجانب امه على الكنبة لتتعلق انظارها المضيئة بطفولية تنعش الروح بوالدتها..

مرثت كفها الصغير بسترة والدتها وهمست:

- امي قربي وجهك مني.. اريد تقبيلك.

ضحكا اوس ووالدته ثم قربت وجنتها الى ابنتها الصغيرة لتقبلها ثم قبلتها هي هاتفة بإبتسامة حانية:

- حبيبتي سيلين روح امها.

- وحبيبة اخيها.

اضاف اوس بشقاوة لتنبسط ابتسامتها اكثر وتلهج بهما الإثنان ببراءة لطيفة..

****

في صباح يوم جديد مُحمّل بالعديد والعديد من المصاعب راقب خطوات سيرها الى المدرسة.. حجابها الأسود الذي يغطي شعرها والذي يتوق لإلقاء نظرة واحدة عليه.. الحقيبة الصغيرة السوداء المُخضبة باللون الرمادي والقابعة على ظهرها.. حذائها الرياضي الأبيض الذي اثار ضيقه ضرباته على الأرض الخشنة.. لا يعرف ما يحدث معه!! ها هو يتعقب تحركاتها كاللصوص والمراقبين السريين.. بات يهوى التشبع برؤيتها حتى لو بالزمع والخفاء.. هذه المراهِقة تستولي على عقله دون ان تفقه!

تزلزل كيانه دون ان تجاهد وتدأب كعاصفة بحرية دون ميعاد.. ظهرت بحياته من الإندلاس كبركان ناري تفجر من الأرض..

تحمل تحركاتها العفوية وهي تسير برشاقة هوت بلباب خافقه.. تحمل وجهها الصافي الذي يقطر طيبة وحيوية.. تحمل كل ما بزغ منها الى ان توقف شاب امامها وامسك بيدها بقوة، يريد سحبها معه بفظاظة جهورية.. بينما هي تقاومه بشراسة لتتراكم شحنات الغضب الهائجة بسرعة عجيبة ويقبل عليهما معنفا الشاب بقبضته التي فجرت الدماء من انفه لتشهق بتفاجؤ قبل ان تنظر له بذهول وتهمس بصوت ملحن اطرب اذنيه التي تنفث نيران:

- جواد!

غمض عيناه متسائلا بعصبية، يريد قتل ودفن الشاب الواقع بين قبضته الباسلة:

- من هذا؟

- انا اكون ابن عمتها.

هتف الشاب بتوعر محاولا ابعاد قبضة جواد عنه دون جدوى لتغترف ريقها وتؤكد بتعتعة:

- هو.. هو محق.. لكن.. لكنه يريد اخذي معه غصبا.. وانا لا اريد.

دفع الشاب بكل قوته ليتهاوى ارضا كرقعة وسخة.. واقترب منها هامسا بهدوء:

- لن يأخذك وانا موجود.

ابتسمت بوجهه بإمتنان كشمعة متلألئة بسناء ولم ترد على كلامه ليحدودب نحو الشاب هادرا بجسارة فولاذية:

- اياك والإقتراب منها.. اذا كانت لا تريد ان تأتي معك فتتركها براحتها افهمت يا هذا؟

تجشّم الشاب متوقفا بإختلال واردف بعنف:

- هي يجب ان تأتي معي.. ابي يريدها.. واذ كانت امها غير موجودة فأخ امها موجود ليلقي عليها اوامره.

- جدتي هنا.. لن اتركها واترك اختي ابدا.. غادر ولا تعود واخبر خالي ان لا يدنو بعد الان مني.. لقد سئمت وضجرت من تصرفاتكم المتحكمة بي دون اي حق.

صاحت بغضب ليندهش جواد، فاخرا بقوتها في الدفاع عن نفسها وحريتها..

غادر ابن خالتها محذرا بأنه سيخبر والده عن وقاحتها الا انها لم تأبه.. وجود جواد بجانبها امدها بالقوة والجرأة.. شعور رجل يدافع عنها ويهتم بها لم تجربه يوما.. معه هو احست فقط ان لها سند افتقدته طوال عمرها.. فقط من خلال دفاعه عنها وبوحه بأنه لن يأخذها ابن خالها وهو موجود جعلها تجد ملجأ تفتقره.. صحيح ان جدتها لا تبخل عليها بحنان ولكنها ايضا ضعيفة في اواخر عمرها..

غمغمت بإبتسامة شكورة:

- اشكرك جواد.

ردّ لها ابتسامته الجذابة وهمس:

- لا عليك.. هيا تعالي سأوصلك انا الى المدرسة.

سارت بجانبه والسعادة تغمر قلبها وتزهره.. ثم سألت فجأة:

- صحيح ماذا كنت تفعل هنا؟

توترت عيناه التي زاغت بتفكير ولحسن الحظ انها لم تلاحظ.. فهمس بإرتباك:

- كان لدي بعض العمل هنا.

اومأت بتفهم واسكتَ الكلمات التي على حافة لسانها رنين هاتفه ليخرجه من جيب بنطاله الجينز ويجيب بجدية:

- اجل ريس.

- اين انت؟

صاح ريس بعصبية لا يدرك سببها فأجاب بهدوء:

- ما الأمر؟

- عدن خُطفت.. عُد حالا الى المنزل.

هدر ريس بهيجان لتتوسع عيناه البنية ويغمغم بسرعة:

- انا اتٍ.

نظر الى ريما التي تتطلع اليه وهتف بجدية بعد ان توقفا امام بوابة المدرسة:

- ادخلي انتِ الان.. انا علي ان اغادر.. هناك امرا طارئا.. اذ ما حدث شيئا سيئا اتصلي بي على هذا الرقم.

اعطاها بطاقة مسجل عليها رقم هاتفه ومكان عمله وعاد ركضا الى سيارته.. يتحلف بسره الى ترنيم التي ليس هناك غيرها لتقوم بخطف عدن..

وصل الى القصر بعد قيادة سريعة.. وولج يلهث انفاسه ليجد ان ريس وجده وجود واوس متجمهرين في الصالة بتوتر..

هتف بقلق بعد ان انتبه الجميع له:

- ماذا حصل؟ كيف اختطفت؟ الم تقلها بنفسك يا ريس الى الجامعة؟

- انا اوصلتها ولكن اللعنة لم انتظر حتى تدخل الى الجامعة.. سأجن رباه.. ترنيم ومجد اقسم انني سأقتلهما.

زأر ريس بتوعد وغضب اعمى لينهض اوس المتوتر اكثر منهما – ربما! - على تلك التي يعشقها والذي جن جنونه ريثما اتصل به ريس عندما كان بالعيادة الطبية مع والدته، يتأكد من فحوصاتها، متسائلا اياه اذا حضرت عدن محاضرته ولكن لسوء الحظ انه لم يكن متواجدا بعد في الجامعة.. فسأل الحارس الذي يوجد علاقة صداقة بينهما ليخبره انه رأى سيارة تأخذها.. فأوصل والدته بعجلة من امره الى منزلهما وهرول الى ريس بقلق، يقصّ عليه ما حدث وما عرفه..

هتف بجدية كابحا بكل جهده ذعره وقلقه الجال على وجهه:

- هذا ليس وقته.. فلنبحث الان عنها.. حاولوا ان تستنبطوا بعض الاماكن التي من الممكن ان يأخذوها

اليها.. او اشخاص من الممكن ان يفيدونا لنتمكن من الوصول اليها.

ركل ريس الطاولة، يصب كل غضبه وخوفه على صغيرته بها.. لن يسامح نفسه اذ اصابها مكروها ابدا.. مرر يداه على شعره الذي تشعث بعصبية وهتف:

- لا اريد ان يقدم احد منكم بلاغ الى الشرطة لأنني سأتكفل باللذين تجرأوا على اللعب مع عائلة الجايد بنفسي.. هيا اخرجوا لنبحث.. وجدي انت ابقى هنا واذ وجدناها سأتصل بك.

بعد بعض الساعات رنّ هاتفه ليلتقطه بزفرة حانقة ويجيب بعد ان وجده رقما غريبا:

- من معي؟

- ريس.. انا اعرف مكان اختك.. قابلني على الطريق السريع الذي بجانب البحر.

بعد ان اغلق المتصل المجهول المكالمة امر ريس اوس ان يتصل بجود وجواد ويخبرهما ان يتلاقوا في المكان الذي حدثه عنه ذاك المجهول..

وفي نفس الوقت خدّر بعض الأشخاص الحراس الذين يحيطون بمنزل ريس ولين، مستغلين انشغال افراد العائلة بالبحث عن عدن المفقودة..

فتحت لين الباب بعد ان سمعت الطرقات الصاخبة عليه لتتفاجأ بترنيم ورجل ما، تشع من حدقتيهما نظرات الحقد والخبث.. فتوسعت عيناها بخوف وغمغمت بتلعثم:

- ترنيم!

ابتسمت ترنيم ابتسامة شيطانية مليئة بالشر وهتفت:

- بحد ذاتها.. مجد هذه هي ابنة ادم.

اكتسى الرعب قلبها من الشر الذي يحيط بها وحاولت ان تسد الباب الا ان مجد دفع الباب بقبضته لتتراجع الى الوراء بقوة.. فتكنس هو وترنيم وبعض الرجال الى الداخل..

- اخيرا التقينا على انفراد يا ابنة ادم.

زمجرت ترنيم بغل ليتابع مجد بتجهم:

- اتعلمين كم انتظرنا لنحرق قلب والدك عليك كما احرق قلبنا هو واخاه الابله الراقد في القبر.

تعاظم الذعر في دماءها فأمسكت هاتفها محاولة الإتصال بريس الا ان مجد جذب الهاتف سريعا ورماه على الأرض ليتحطم الى اشلاء صغيرة وهتف:

- ليس بهذه السهولة يا صغيرة.. دعينا اولا نتمتع بآلامك المبرحة.

الفصل الرابع وعشرون

خليلي.. كيف لعيناي ان لا ترى سواك؟!

كيف لوجداني ان لا يرتعد سوى لهواك؟!

كيف للبي ان لا يسجد سور للؤلؤتي عيناك؟!

جلّ ما تفعله خفقاتي الهزيلة الإنصهار لرؤياك..

جلّ ما تفعله روحي التقصي عن اثر جرماك..

عشقي لك بات لا يمكنه الهلاك ولا الإدراك..

وها انا اصبحت اهواك.. وها انا اصبحت مهووسة برؤياك..

فيا اثيري انا عاشقة لمهجاك.. وهيامي ليس لسواك..

وصل الى المكان الذي اخبره به المجهول ليترجل من السيارة برفقة اوس منتظرا جود وجواد.. وما هي الا دقائق

معدودة حتى تكرما لينتصبا امامه زافران بعنف.. فهتف ريس بجدية:

- انتظرا.. سيأتي بعد بعض دقائق ذاك الذي اتصل بي.

اومأوا بأعصاب متشنجة، بدماء ثائرة بتضوع.. وبعد انتظار دام وكأنه سنوات اقبلت عليهم سيارة بيضاء ليعتدلوا في وقفتهم ويهيئوا انفاسهم استعدادًا وأهبةً..

اجمّ ذلك المجهول ورسَى امام العيون المذبهلة التي تحدق به بإتقاد متهبب كعاصفة نارية على وشك الإنبلاج..

وسرعان ما كان اوس يصيح بغضب اسود اعمى:

- انت!!.. قيس!!

دنا منهم بخطوات بطيئة متمهلة، رادفا بجدية يشوبها الندم:

- انا اعرف مكان عدن.

زجر ريس موجزا على اسنانه التي تصطك ببعضها بعصبية تدفقت من جذوره.. يكرهه منذ ان وجده جالسا

في المكان الراكنة به زوجته.. يكرهه ولا يطيقه..
والان يشعر بأن ذاك الكره تراكم وتفاقم اكثر:

- اين هي؟ وكيف تعرف مكانها قيس؟

- انا الذي اختطفتها.

غمغم بألم وحسرة ليحتقن وجه جود بصدمة تامة.. اخ التي على وشك الزواج بها هو من خطف ابنة عمه!! هو من تجرأ على اللعب مع عائلته.. الأحمق بالتأكيد لا يدرك فداحة ما فعل والخسارة التي سينالها!! ولم يتيقظ من ذهوله الا عندما وجد اوس يهجم عليه صادحا:

- ايها الخسيس.. هي لا تريدك ومع ذلك قمت بإختطافها.. سأقتلك لا محالة.

ابعده جود بصعوبة عن قيس ليتأرجح الأخر بإهتزاز خائر.. بينما ريس وجواد كانا يطالعهما ببرود اثار ريبتهم وتوجسهم..

سكونهما هذا ليس الا عبارة عن زلزال خفيف سيرجرج ويزعزع كل ما هو مُوطّد ومرسّخ حتى لو بجدارة وطيدة..

- لماذا؟!

هذه الكلمة المتسائلة الوحيدة التي انسلت من ثغره.. بالكاد يتحكم بيديه التي ترتعش بإنفعال هائج.. سيسمع منه وسيرى ما الذي سيفعله به.. ولكن بالتأكيد لن تكون نهايته عادية ولا عابرة.. سيقضي على روحه وينتشلها من جسده كما انتزع فؤاده ارتياعا على اخته..

استرَط لعابه من العيون الشرسة التي تتطلع اليه.. وهتف بأسف شديد:

- مجد الذي يقربكم هو من امرني.. انا اعمل لديه منذ فترة لأسباب لا استطيع البوح بها.. ودخولي الى الجامعة ومحاولتي الفاشلة بالاقتراب من اختك كانت من تدابيره وتدابير زوجته ترنيم.. طلبا مني ان اتقرب اليها لأعرف عنكم كل شيء ولكنني لم استطع ابدا ولو حتى الحصول على معلومة ضئيلة.. وذلك بالطبع بسبب رفض اختك الدائم بالإحتكاك بي ولو صدفة.. انا اسف.. اسف للغاية.. هذا كل ما استطيع قوله.

لم تهتز شعرة واحدة على جلده بأسفه الصادق المتحسر.. وتدانى منه ريس هامسا بشراسة جهنمية:

- حسابنا طويل جدا.. جدا جدا.. ولكن لاحقا.. خذني اليها الان.

- اعتذر بكل صدق.. تعالوا سأخذكم اليها اذ كان هذا سيخفف من تعذيب ضميري.. فأنا اعرف مكانها.

غمغم بنزر ملتاعًا حسرة.. لم يبالي بالأيونات التي تلاحقه بنفور.. لم يبالي بحدقتي اوس وريس وجواد الغاضبة.. ولا بحدقتي جود المتخاذلة والمصدومة.. كل ما يهمه الان هو هي.. ستكرهه اكثر مما كرهته.. نادم اشد الندم على انصياعه للأوامر المليئة بالشر التي كانت تُطلب منه رغما عنه استبزازا..

تبعوه الى ان قنع بسيارته بجوار مبنى قادم بعيدا كل البعد عن المدينة.. مبنى بداخل غابة تملؤها سيمفونية الأحراش المخيفة.. غابة مهجورة.. ليس هناك اثر لبشر واحد بها..

قادهم الى جوف المبنى الذي يتناقض داخله مع خارجه..
كان نظيفا مرتبا مليء بالمسالك والغرف..

فتح باب غرفة قائمة في اعلى طابق في هذا المبنى
ليبقى هو وجواد واوس مكانهم بينما يدلفا ريس وجواد
بسرعة للداخل ليرا اختهما الصغيرة التي سلخت روحهما
بدموعها المذعورة التي تنهمر على وجنتيها كمطر حزين
متهالك مما يحدث معه، مربوطة بحبال خشنة لا تناسب
ملمس بشرتها الناعم، ولاصقة فظة تردع كلماتها
وشهقاتها من الزوال..

ركضا اليها.. وابعد ريس اللاصقة عن فمها برفق، بينما
جواد فكّ حبالها بعنف ولهفة.. وقربها ريس الى احضانه
مطمئنا اياها بكل مقدرته وغافلا تماما عما تعانيه
زوجته لوحدها..

كانت تجاهد للخروج والهروب من المنزل ولكن الرجلان
الملثمان كرجال عصابات والمستندان على الباب منعوها
وبقوة.. ارتجف وجدانها من شدة الخوف والفزع الذي
تقمص اوداجها.. وانسكبت دموعها على وجنتيها.. لا

تعرف كيف تنقذ نفسها من براثنهم.. هي لوحدها.. ريس وعائلتها غير متواجدين ليحموها.. وليس هناك من يخلصها من هذا العذاب التي ستواجهه دون شك..

هتفت ترنيم بخبث مستمتعة بحالة لين المثيرة للشفقة:

- خائفة عزيزتي؟ يستوجب عليك ذلك للأسف.. اتعلمين اين هو زوجك الان؟ هو يبحث عن اخته المفقودة فنحن اختطفناها حتى ننفرد بك ونصفي حسابات قديمة اثناء بحثه هو والبقية عنها.

تباطأت الى الوراء، نافية برأسها لتتعالى ضحكاتهم الشامتة قبل ان تأمر احد الرجال:

- اريد ان اراها دون حجاب.. اريد رؤية شعرها.. ابعده عن رأسها لأرى ما الذي يعجبه ريس بأبنة ادم.

قاومت واللّه يشهد كم كافحت لتثبت حجابها على شعرها الذي انسدل على طول ظهرها بتمويجة عسلية متألقة، وتستره من عيونهم التي تغتالها بحقد.. ارادت الهروب الى غرفتها والإختلاء بنفسها.. ارادت ان تخفي

نفسها من هذا الكم الهائل من الحقد الشهواني الذي يحيط بها ليصيبها بدوار افتك بروحها..

حاولت ابعاد يد الرجل الذي يمسكها بجدارة وخشونة هرست وهشمت عظامها الما لتحجب شعرها بيداها لكن بلا فائدة وبلا جدوى!!..

خارت قواها وسُحِقَت امالها بؤسا وكمدا ليأتي من يخلصها من هذا الجحيم السعير..

صاحت بلوعة مُقاومة الى الرمق الأخير المتبقي في كيانها:

- اتركوني.. اخرجوا من هنا.. انت نذلة ترنيم.. حقيرة.. بالتأكيد لست انسانة.

اخرسها الكف الحار الذي نزل من مجد على صفحة وجهها لتسيل الدماء من شفتيها وترتجف خلايا دماغها.. ثم هدر بغل لرجاله:

- اريد رؤية دماءها تغطي الأرضية كي ارسل الفيديو الى ادم وأهنئه بوضع ابنته الغالية الوحيدة.

جسدها الضعيف خارَ وتهاوى على الأرض الباردة التي ماثلت بتفنن برودة جسدها الذي فقد حيويته.. صرخاتها المتعالية باتت خفيضة غير قادرة على لفظها حتى.. حروف لوعتها سكنت ما تبقى منها من بقايا على وشك الإضمحلال.. تعبت.. تكسرت.. تحطمت.. ولم يعد بإمكانها الصمود اكثر.. دموعها التي تداخلت والتبكت بدمائها النازفة توقفت.. اطلقت تنهيدة اخيرة قبل ان تندس في عالم بعيد عما تواجهه في التو..

استهترت ترنيم هاتفة بسخط لمجد:

- لم يشفى غليلي بعد.. اكره هذه الفتاة كما اكره والدها.. إبعث الصور والفيديو اليه ليستمتع بالتحديق بأبنته المثيرة للإشمئزاز مثله.

****

كان جالسا بجانب زوجته يشاهدان الأخبار اليومية على التلفاز الى ان اتته تلك الرسالة على هاتفه والتي جعلت

عيناه تجحظ بصدمة تامة ويهب واقفا من مكانه لتسأله ليان بقلق:

- ما الأمر ادم؟!

- لا.. لا شيء.. يجب ان اذهب.. لن اتأخر.

اجاب بتوتر قبل ان يلتقط سترته السوداء بعجلة ويهرع الى ابنته التي افطرت قلبه بحالتها..

اتصل بريس عدة مرات الا ان لم يأتيه اي رد.. فقام بالإتصال بأبنه جود بيأس ليأتيه رده فغمغم بخوف مرتبك:

- جود الحق اختك.. اين ريس اللعنة؟ اتصلت به الكثير من المرات ولا يجيب.

- ريس معي.. ما الامر ابي؟ ما بها لين؟

هتف جود بقلق ليصيح ادم بصعوبة:

- اعطيني اياه حالا.

طرق جود الباب ليعلن عن دخوله فقام ريس بترتيب شال اخته بحنو قبل ان يسمح لأي من

يكون في الولوج..

دلف اليهم هامسا وهو يناول الهاتف لريس الذي ينظر له بمعنى من، ليجيبه قبل ان يلتقطه الاخر:

- انه ابي، يريدك ضروري.

- اجل عمي.

اردف ريس بجدية ليندب ادم بصراخ:

- اين انت؟ لماذا لين لوحدها؟ اين حراسك؟

- لماذا؟ ما الأمر؟!

تساءل بتخفر.. يكفيه مصيبة خطف اخته وتهدئة ذعرها.. نبرة عمه هذه ايقظت خوف كبير في اوصاله على لين.. القلق بدأ يتصاعد في امتياز حاد وكأن هناك ضررا الحق بزوجته.. واذ كان ذلك صحيح فهو بالتأكيد سيُجن لا محالة..

اتاه جواب ادم بوجع ثائر ليؤكد شكوكه التي افجعت قلبه واحرقته بدهاء:

- ترنيم ومجد اعتدا على لين.. وصلني فيديو الان من ذلك الحقير.. انا في الطريق الى منزلك.. اذهب انت ايضا وجود.. حاولا ان تصلا قبلي اذ تمكنتما ارجوك.

سقط الهاتف من يده.. لين.. زوجته.. اعتدوا عليها وهو بعيد.. لم يتمكن من انقاذها منهم.. لم يتمكن من حمايتها.. وضع يده التي احمرت بسبب تجمع الدماء اللافحة بلظاظة على قلبه الذي بدأ يطرق بعنف افجعه وجعا..

غمض عيناه، غير مستوعبا ما حدث لزوجته.. خائف ان تكون تأذت الى ذاك الحد الذي سيقتله.. خائف من وعوده الذي لم يستطيع اقتناءها والوفاء بها..

انكرس على الارض بجوار اخته، مغمغما بثبات قدر امكانه:

- عدن هيا سنذهب حبيبتي.. انهضي.

لم تستطع ان تتحرك من الذعر الذي لم يخمد بعد فقام هو بحملها بصعوبة، مجاهدا على عدم الفتور والتراخي..

خرج الى سيارته يتبعه البقية بفضول عما حدث لتتدهور حالته اكثر مما هي متدهورة جزعا على اخته!..

وضعها بسيارة جواد وهتف، محاولا التقاط انفاسه التي نفذت:

- جود تعال معي انت فقط.. هناك شيئا ما سنفعله.. اما البقية فأذهبوا الى منزل جدي وانت قيس اذهب معهم.. هناك حسابا لم ينتهي بعد بيننا.

- ماذا هناك؟

تساءلوا بفضول قلق لتسكتهم نظرته التي تأججت بسواد داكن.. وزجر بتمهل صقراوي:

- اغربوا دون سؤال.. جود اتبعني.

كان يقود بعجلة قاصلة وكأن الهاب نارية تلاحقه.. كان يشعر بأن الدقائق طويلة لا تنتهي.. المسافات غير

راضية على التناهي والتلاشي.. السيارة تركض في مكانها ولا تتقدم!..

تأفف لاعنا بأعلى صوته وضاربا بعنف على المقود الذي تزحزح من مكانه لينظر له جود الراقد بجواره، هاتفا بجدية:

- ريس ماذا هناك؟ ما بها لين؟ ما الذي اخبرك به والدي؟

اطلق صيحة اسد مفترس مكبوت ومجثوم على امره.. وزأر بنبرة موجوعة ليرتجف فؤاد جود ارتيابا على اخته:

- اعتدوا على زوجتي.. اللعنة عليكما ترنيم ومجد.. اقتحما مأزري مستغلين انشغالنا بالبحث عن عدن.. واللّه يشهد سأدمرهما واسحق روحهما.. اقسم بروح ابي المتوسدة القبر ظلما ان موتهما لن يكون الا على يداي انا.

لم يأبه بوجه جود الذي بهت لونه بإصفرار قاتم.. لم يأبه بإشارات المرور الحمراء الذي تجاوزها دون حذر.. كان

يبكي في جوفه حرفيا.. دموعه لم تتزلق من ينبوعه الحار على وجنتيه الخشنة ولم تتضح في لؤلؤتيه.. ولكن في طياته بكاء مرير انهك ما تبقى منه كمدا وكربا على حبيبته وزوجته..

وصلا اخيرا بعد ما يقارب الساعة والنصف ليتصفف هارعا الى زوجته.. الا انه توقف بمكانه يبتلع ريقه الجاف بصعوبة حين وجد الباب الرئيسي لمنزله مكسورا.. واغراض منزله المرمية على الأرض في الخارج.. ترددت قدميه في الدلوف.. قبضة حديدة مصنوعة من الفولاذ الصلد تعتصر انفاسه.. وشبح عاس متحجر يكبح تحركاته..

انتبه جود الى وضعه ليسحبه برفقته الى الداخل وسرعان ما انبسطت حجرتيهما بصدمة.. الأوكسجين انقطع من رئتيهما ولم يعد بإمكان الشرايين ان توصل الدم الغني بالأوكسجين الى القلب لتستمر خفقاته..

زوجته فاقدة الوعي.. غارقة بدمائها.. شعرها الذهبي الذي يذيب كيانه ويرهفه مبعثر حولها.. جزء من ملابسها ممزق..

عيناها التي تأسره في ملمعها العاشق مغمضة بجفاء.. وشفتيها المكتنزتين بإحمرار يعشقه

شاحبة كالأموات وقطرات دماء تستر نصفهما..

شهق بأزر وخطى نحوها، جاثيا على ركبتيه بجوارها تماما ليهتف ادم الواضع ابنته على حجره والتي انزفت روحه وجعلته يبكي لأول مرة امامهما بنشيج:

- ابنتي ستموت!! سيارة الإسعاف لم تأتي بعد.. صغيرتي تنزف بغزارة.. والكدمات تغطي جسدها الرقيق...

سحبها من حضن والدها مقبلا جبهتها المتعرقة ومبعدا شعرها عن وجهها قبل ان ينبو نحو سيارته ليلحقه ادم وجود المنكمشان بكدر وبؤس.. ثم هتف بصيغة امرة وهو يضعها في المقاعد الخلفية:

- سأخذها الى المشفى.. لن انتظر حتى تموت او يصيبها ضرر لا نحمل عقباه.. اتبعاني.

وصل الى المشفى بعيون فارغة.. عسير استنباطها.. اهي حزينة ام غاضبة ام كلاهما معا!!

نادى على الأطباء بلهفة عجرفية ليتراكموا حوله ليسعفوها..

حاول طبيب شاب ان يأخذها من حضنه الا انه رمقه بنظرة شرسة قوية جعلته يعود الى الوراء قبل ان يفكر بلمس زوجته.. ثم هتف بنبرة حادة:

- اوصلوني الى الغرفة التي تريدون وضع زوجتي بها.. واحضروا طبيبات.. اناث فقط.. لن يدخل لها ذكور.

- ريس غيرتك ليس وقتها الان.. اختي بوضع لا يسمح لك بالنقاش والجدال.

غمغم جود بعصبية ليؤيده ادم متابعا:

- هو محق ريس.. لن اسمح لابنتي ان تتأذى اكثر.. فكٍّف عن غيرتك هذه الان.

- على جثتي فقط!

ردّ بعنف متوحش قبل ان يأمر احدى الممرضات التي تناظره مبهوتة ومذهولة:

- قوديني لو سمحتِ الى احدى غرف العناية.

تصنم الأطباء اماكنهم بصدمة متعجبة.. وتابعاه جود ووالده بخطوات سريعة قريبة للركض..

وضعها على السرير برقة ونعومة واقلع عنها مغمغما للممرضتين المصدومات من تصرفاته:

- انا في الخارج.. احضرا الطبيبة حالا.

اومأت له الممرضة بعجلة قبل ان تنقشع لتنادي على طبيبتين ليعالجا زوجته التي عقفت نخاعه بما حالت عليه من عسر..

عيناه المتلهفة شوقا لم تتزحزح عنها.. خوفها اوجع قلبه وامطره بؤسا على حالها.. اراد ضمها واشباع رغبته القافحة في بث الطمأنينة في طياتها.. اراد ان يروي ظمئه برحيقها

ليرتاح خافقه الهائم ويتأكد انها بكل خير.. اراد واراد الكثير ولكن ليس له اي حق..

تنهد بمرارة راويا ناقعه ومكتفيا بسلامتها..

لم تبتعد عن حضن جواد منذ ان تركهما ريس وغادر..
تأزر وجدانه غيرة من حق اخيها في معانقتها بينما هو لا..
تمنى ان تأتي تلك اللحظة والتي ستكون بها له وحده..
ليكون هو مأواها وملاذها الحامي الوحيد.. ولو تشفق على روحه الذابلة عشقا فقط!..

تألقت عيناه حينما ابتعدت عن حضن جواد وتطلعت اليه..
كان وجهها محمرا بفعل نهرها الذي تدفق بكثرة على وجنتيها الحبيبة مما زادها جمالا على جمال لتبدو فتنة عرهريرة رقراقة..

تخضبت وجنتيها بعد ان لمحت نظراته الوالهة التي ترمقها بعشق وشغف ولوهلة تناست كل ما حدث معها وتخدرت حواسها ليسيطر عليها هو لوحده.. بهالته التي

تلاحقها بوله جرفها الى غابتيه المظلمة لتنيرهما هي فقط..

اجلت مقلتيها الى اخيها وهمست ببحة انثوية وقورة:

- جواد اين ذهب ريس؟ وجدي اين هو؟

- انا هنا يا حبيبة جدها.

تصببت بوجد اليه وهرولت اليه تعانقه، مناجية بأسمه:

- جدي..

اجاب ايمن رابتا بحنو فائض بإكتناز على ظهرها لتتهلل مخاوف ما عانته:

- عيون وقلب جدها.

اضطجعت وميضيها الزرقاوين، مستمتعة بالأمان والحنان التي تكتسبه من حولها.. وفجأة طرأ في بالها لين! ريس اختفى فجأة واخذ فقط جود معه..

"هل حدث شيئا سيئا للين؟"

تساءلت في عقلها بإضطراب قلق.. تمعنت بالجالسين واستغربت وجود قيس بينهما الا انها لم تسأله قط عنه بل كل ما اثار اهتمامها الان هو الإطمئنان على اخيها وزوجته التي اخذتها صديقة واخت نادر معزتها وطيبتها.. فغمغمت متسائلة بتوجس:

- اين ريس ولين؟! لماذا هما ليس هنا؟ هل اصاب لين مكروها ما؟

- لا سمح اللّه حبيبتي.

اجاب الجد على حفيدته التي اوغرت هاجس قلقه على حفيدته الاخرى بسؤالها..

ابتعد جواد عنهم ليقوم بالإتصال بأخيه واسكات سهدهم الا ان كان هاتفه مغلق.. فلم يجد حلا غير ان يتصل بجود ويعرف ما حصل..

صهبت حدقتيه البنية بصدمة وخوف باغت فور ما عرف ليعود اليهم هاتفا بعجلة حازمة:

- انا سأغادر.. لين زوجة ريس في المشفى.

- كنت اعرف.. اقسم شعرت ان لين ليست بخير.. انتظرني اريد ان اتي معك.

اباحت عدن ببكاء ليهدر الجد بجدية:

- انتظر جواد انا ايضا اتٍ معك.

وصلوا الى المشفى جميعهم عدا قيس الذي لم يستطع ان يرافقهم بسبب خجله المزري فعاد الى منزله مدليا رأسه وزاحفا الى حجرته، ثالبًا خيباته وتأنيب ضميره الفتاك..

خرجت الطبيبة من غرفة العناية القابعة بها الملاك المتهالك ليتوقفوا جميهم بلهفة فطرية، منتظرين كلامها وتشخيصها للين فأردفت بهدوء:

- من هو زوجها؟

- انا.

اجاب ريس بجمود مبطنا وراءه ما لا تدركه النفوس لتغمغم بنفس جديتها وهدوءها اللعين:

- ابإمكانك ان تدلف معي اليها؟ هناك ما سأتحدثه معك حول زوجتك على انفراد.

اومأ برأسه بإرتباك.. خائف مما قد تقوله عن حبيبة قلبه.. خائف من ان يكون بها مكروها ما لا قدر اللّه..

- كما ترى ايها السيد هذه هي زوجتك.. عالجنا الرضوض والجروح التي في جسدها.. كان هناك نزيف داهي في معدتها وبعض الجروح في جوانب جسدها وبالرغم من ذلك ليس هذا هو سبب ندائي لك.

تمعن بزوجته.. لينه الملتفة ببياض كرهه ببغض.. يداها.. جبهتها.. والبقية المخفي تحت الملاءة البيضاء الشاحبة.. والان كلام الطبيبة الذي يبدو انه لا يبشر ابدا بأي خير.. فغمغم محاولا الصمود وعدم الإنهيار امامها او امام اي من يكون:

- ماذا هناك حضرة الدكتورة؟

- نشك بأن زوجتك لديها مرض القلب.. سنجري في صباح الغد لها بعض الفحوصات لنتأكد اكثر.. وذلك

ليس له علاقة بما تعرضت له فلا داعي ان تضاعف من حدة غضبك على من اذاها بهذه الصورة القبيحة للغاية.. غدا سنعرف الاسباب اكثر والان اعذرني.

تمتمت الطبيبة باعتقاداتها ونتائج فحوصاتها غير مدركة فاحشة ما تلقاه.. هذا يكفي.. هذا كثير بحق عليه.. كله في يوم واحد.. ويتلقاه دفعة واحدة حادة..

انهار بجانب سريرها على الأرض الدافئة لتحرقه حرارتها.. وامسك بيدها المغطية بالجراح وقبلها بنهم هامسا بلوعة:

- ستكونين بخير يا نفسي.. ولله سأقضي عليهما ولكن انت يجب ان تكوني بخير.. لن اسمح لك بالبعد عني ولا لآلام اخرى ان تلازمك.. سأجن انا يا لين!.

اعتدل واقفا وزجر بوعيد حاد:

- سأغيب عنك الى ان اخذ حقك يا قلبي.. واسحق حياتهما واضعها تحت رجليكِ.

انسل من حجرتها وحُمَم من الشرر تنجلي من عيناه الغائمة بالإنتقام.. توقفوا جميعهم متلهفين عليه ومتسائلين عن حال لين ليهتف ببرود ادركه جيدا جده واخيه واوس:

- لا يوجد شيء مهما للذكر.. ستكون بخير زوجتي.. عودوا الى منازلكم فأنا سأغادر ايضا.

اوقفه اوس بجدية حالما تحرك للأمام لينصرف فدفعه بغضب صادحا:

- اوس لا تقف في طريقي.. اياكَ.

تدخل جواد مغمغما بصرامة:

- ريس نحن في المشفى.. الان ليس الوقت اللازم لأخذ ثأرك.. الوقت متأخر جدا.. وعدن هنا.. هي بحاجة لك.

تكورت قبضته كحجر ناري مشدود ورمق اخته التي لا تزال تذرف دموعها فلعن وشتم بداخله عدة مرات قبل ان يدنو منها ويضمها الى صدره بحنان.. من ومن سيحمي وينقذ!! هذا كثير بحق عليه.. اخته.. زوجته.. عائلته.. وانتقامه.. الحمل ثقيل على ظهره ويخاف ان يكسره..

يخاف اذا انكسر ان لا يستطيع الوفاء بوعوده والتمكن من حماية اسرته..

ازداد سخطه وحنقه من نفسه اكثر ليحفزه على القتل والإنتقام بصورة اكبر حينما همست عدن له:

- اخي لا تذهب وتتركني.. انا خائفة جدا.

مرر يده المتقدة على طول عمودها الفقري بنعومة وغمغم:

- لا تقلقي او تخافي يا عدن.. لن يمسك سوءا بعد الان.

- ريس امي هي من اختطفتني واذت لين صحيح؟

همست متسائلة ليبعدها عنه ويثبتها من كتفيها امامه بحدة.. وهتف بخشونة مرعبة:

- ليست امك.. هذه ليس امك.. اياكِ يا عدن وان تنعتيها بأمي.. ناديها ترنيم الحقيرة فقط.. هذه ليست انسانة.. ولله لأدمرها هي وزوجها النذل.

ارتجفت بين قبضتيه كورقة بالية.. فتدخل جواد مبعدا ريس عنها وزجر به بعنف:

- ريس انتبه بأي طريقة تتكلم مع عدن.. هيا عدن وجدي سنغادر.

نشجت عدن ببكاء مرير مدركة ان ما يقوله ريس هو صحيح.. هذه ليست ام.. انها لعنة مليئة بالشر والحقد.. الان فقط وجدت الدافع الذي يجعلها تكره والدتها من صمام قلبها:

- لا.. ريس محق.. هذه شيطانة.. انا اكرهها واكره نفسي اكثر لأني ابنتها.

ختمت صيحاتها راكضة عبر ممرات المشفى للخارج ليركض خلفها جواد ويتبعه الجد بحزن شديد على ما يعانيه احفاده.. بينما اوس كان يشعر بمطبات هوائية حارة تنزل من السماء لتقتل روحه على حال محبوبة مُهجهِ وتفتفت كبده.. غراريتها هذه اوقعته في لب البحر لتجرده الأمواج الى اخرها وتقتص انفاسه.. دوامة مريرة يقاسيها على حالتها الدامية.. تنهد بسقم نشّ الدماء في

شراايينه واوردته.. وزفّ من ريس الزائغة عيناه بضلال، لا يدرك ما عليه ان يفعل في التو..

ثم ضيّق عيناه السوداوتين ريثما مدّ ادم الخائر بألم عليل الهاتف لريس ليرى الفيديو الذي وصل اليه.. كان ادم تفكيره بعيدا عما حدث قبل قليل.. كان باله منشغل بأبنته.. تتقطع روحه على حالها وعلى كيفما ضُربت..

اخذ ريس الهاتف منه فور ما رأى لين في الفيديو وتناءى عنهم الى زاوية بعيدة بجانب الغرفة وسرعان ما توسعت ذهبتيه الى ان فقدت لونها.. وانقطع الأوكسجين من رئتيه وحلّ مكانه حبيبات ضخمة من النقم والتِرَه وهو يشاهد كيف يخلعون الحجاب عن زوجته بعنف وقوة وهي تقاومهم بلا حول ولا قوة.. وضربهم لها وكأنها ليست فتاة لن تحتمل بل وكأنها ليست انسانة!.. شدهم لشعرها الذي يكره ان يراه او يلمسه احد غيره.. صيحاتها التي فجرت الطنين المؤلم في اذنيه..

لم يحتمل مشاهدة البقية فثلب الهاتف بعرض الحائط لينكفئ ويختفي الصوت المزعج.. ثم هرع الى سيارته

لاحقا اياه اوس وجود الذي كان صامتا طوال الوقت يخطط الى ما يفعله وكيف سيأخذ ببغي اخته..

اعتلى سيارته وهب طائرا بها مخلفا وراءه صوت زَحَفَ اندلاع دوى ضجيج انقشاعه، ليمتطي

اوس سيارته برفقة جود محاولان الوصول اليه بهرع ليوقفاه..

كانت روح الإنتقام تعمي عيناه فأخرج مسدسا لم يلجأ الى استعماله يوما من درج سيارته ودثره في بنطاله.. يعلم اين هما الان.. فهو كان يتابع كل تحركاتهما.. هو ليس غرا حتى لا يفقه اي ملجأ يركنا به ليحجبا انفسهما بعد المصائب التي يقومان بها..

شخط بسيارته فور ما توقف بجانب قصرهما الذي في طيّ الجبل.. وترجل بإبتسامته الشيطانية المليئة بالحقد ليتمعن لوهلة في مبناه وديكوره قبل ان يسمع توقف سيارة اخرى وخروج اوس وجود منها ليطالعهما ببرود مثلج بالعواصف قبل ان يولج كالإعصار ويتوقف امامه رجلين

ليبتسم لهما بعنف حارق ويضربهما بجانب مسدسه على رأسيهما ليقعا ارضا..

داس عليهما وكأنه يسير على ارض لا على بشر!.. وزأر بصوت حاد غاضب بعد ان توقف في مطلع الدرج الموصل للأعلى:

- مجد... ترنيم... اين انتما؟ انزلا انا هنا.

اتاه صوت مجد الضاحك بتهكم شامت:

- اهلا بأبن يوسف.. لست قليلا.. عرفت مكاني دون جهد.. كيف حال زوجتك؟ اخبرني امانة.

هتف بوعيد شرس مومئا برأسه:

- سأخبرك بتفصيل ممل.. انزل اكثر اليّ انت وما عليك.

رمق ترنيم بنظرة تحقير مفعمة بالدناءة حال ما توقفا الإثنان امامه وسرعان ما كانت المزهرية الزجاجية التي بجانبه تنزل على رأس مجد ليقع ارضا صارخا بألم والدماء تتنافر من جبينه.. فشهقت ترنيم بخوف وصاحت به:

- هل انت مجنون؟!

- لم تري الجنون بعد على اصوله يا امرأة.. اختفي من امامي قبل ان اقتلك انت ايضا.. السبب الوحيد لعدم قتلي لك هو انك من انجبتني على هذه الحياة الدنيا.. اغربي عن وجهي حالا والا اقسم برحمة ابي ان ادفنك بجانبه.

صاح بشراسة لترتد الى الوراء بخوف وتصعد الى الأعلى بركض جازع.. فإبتسم بشماتة متهكمة قبل ان يتأوَى الى جوار مجد الصارخ بألم ووجع كبير برّدَ قليلا من نيران دمائه.. ثم بلمحة ما لبث ان هجم عليه ضاغطا على مكان نزيفه ليزيد من حدة الامه وصرخاته..

ابعده اوس بصعوبة عن مجد لينتصب واقفا، راكلا اياه بساقيه الى ان تراخى فاقدا الوعي ودماء فائضة تحيط به.. وبعد ان توقف ريس يلهث انفاسه هجم عليه جود مُصبا لوعته على اخته الوحيدة.. افرغا شحنات غضبهما به الى ان تهالك وفقد انفاسه..

لم يهنأ لريس بالاً الا قبل ان يجد الرجال الذي حُفرت صورتهم بذاكرة عقله.. بحث في ارجاء القصر الى ان رأى احدهم واقفا بجانب البوابة المؤدية للمسبح ليهرول اليه مكيلا اليه العديد من اللكمات التي واجهتها لين منه ولكن بأضعاف..

لم يجد غيره فعاد اليهما.. الى حيث اوس الذي لا يزال ممسكا بجود.. فهتف بحصافة وجسارة:

- هيا لنخرج.. فما زال هناك حسابا اخرا عليّ تسويته بيني وبين اخ خطيبتك جود.

- الساعة خامسة صباحا.

اردف اوس بجدية ليبتسم ساخرا ويجيب:

- الإنتقام والثأر ليس له وقت يا صديقي.

- عليك ان تعود الى القصر اولا ريس.. عدن بحاجة لك.. قيس رأيته نادم وحسب ما قاله انه كان مُجبر فلا تتهور قبل ان تصغي اليه.

هتف جود بجدية ليعلق ريس مزمجرا:

- اجل صحيح.. اخ خطيبتك لن تفرط به.

- ريس لا تتحامق.. لا تنسى ايضا ان اختي لها دخل بما حدث.. فإنتبه لكلامك جيدا ابن عمي.

هدر به جود بغضب ليتنهد اوس، زافرا بإرهاق وهاتفا بجدية:

- ريس وجود جدالكما ليس في وقته وليس بمكانه الصحيح.. وانت ريس انا اوافق جود فيما قاله.. اولا عليك الذهاب الى اختك وكما ان الصباح لن يهرب.. وكذلك انت جود عد الى منزلك وقف بجانب والديك.

زفرا الإثنين بسخط قبل ان يقوما بما نطق به اوس..

دلف الى القصر بهدوء ظنًا منه ان الجميع نائم الا انه تفاجأ ريثما وجدهم جالسين، منتظرين اياه فتمتم بجدية:

- لما ما زلتم مستيقظين؟

- ماذا فعلت؟

هتف الجد بتوجس ليرد بإبتسامة مزيفة:

- لا شيء.. تعالي يا عدن لتنامي.. ففي الصباح سنذهب الى لين.. ربما تستيقظ باكرا.

تمسكت بذراعه وصعدت برفقته الى غرفتها.. وفور ما دخلا غمغمت برجاء:

- ريس ابقى معي.. لا تتركني الان.

- لن اتركك ابدا.. لا تخافي انا بجانبك.. نامي.

همس لها بحنو ودفئ ثم تكهن الى ان غفت عيناها ليعود اليها.. ليعود الى تلك التي ملكت قلبه وسرقت روحه.. كان التعب والإرهاق باديان بوضوح على ملامحه المتشنجة الا انه لم يلقي لهما اي اهمية قط..

رقد بجانب سريرها وامسك يدها هامسا بعشق:

- انتقمت لك ليني.. دمرته للحقير مجد جسديا وما زال القادم اعظم حبيبتي.. هناك الكثير والكثير لأفعله بعد لأجلك يا نبضي.. انتقامي لم ينتهي بعد.

تململت بخفة ليتلهف شوقا واستعدادا لان تصحو.. فتحت جفونها عدة مرات لتتأقلم على الضوء الذي صدع لؤلؤتيها.. لاحظت وجوده فتذكرت كل ما حدث معها لتنهمر دموعها وتشهق بصوت عال وهي تدير رأسها للجهة الثانية..

تفاجأ من صدّها نحوه فأزف منها هامسا بحنو:

- لين حبيبتي.. انا هنا بجوارك.. انظري الي.

- اخرج.. دعني لوحدي ارجوك.

استعبرت بنحيب قاس.. تريد الإنفراد والبكاء عما عانته.. ما تعرضت له ليس بالشيء الهيّن ابدا..

تفهم موقفها جيدا الا انه رفض تركها فوضع يده على كتفها لتئن بألم ليتراجع كما لو انه لمس سلكا كهربائيا.. فغمغم بجدية:

- لين انظري الي.. لا تعذبيني اكثر مما اتعذب.. ابكي في حضني.. انتقمت لك.. ذاك الخسيس مجد تركته غارقا بدمائه القذرة وعدت اليك.. اعلم ما عانتيه واعلم

كل شيء.. سأقضي عليهما الإثنين كليا واجعلهما يركعان تحت قدميك ليني.. فقط انتظري.

- انا نتنة.. انا مثيرة للإشمئزاز.. انا لا اصلح لأكون زوجتك.. هذا ما اخبرتني به امك.

هتفت بجمود باكٍ، غير عابئة بطلبه بأن يرى وجهها المليء بالجروح.. ليصيح بشراسة جعلتها تنتفض شاهقة:

- ليست امي! ليس لي ام.. وحذار يا لين ان تفكري بكلامها.. لا يوجد احد دنيء ومثير للإشمئزاز غيرها.. انا اكرهها الى الحد الذي لا تتخيليه.

ادارت وجهها لتتحد الايونات الذهبية مع الايونات الفضية في نظرة طويلة مكتظة وموسرة بالأحاسيس المزحمة والكلمات المشتتة والمتناثرة على الخطوط الجوية المشتعلة بينهما..

ابعد خصلة شعرها المنزلقة على وجهها وهمس بحب:

- لا تحرميني من رؤية بدري الفاتن الجمال.

- لم يعد كذلك.. لا بد انني ابدو قبيحة.

تذمرت بإعتراض باكٍ ليبتسم بنعومة رومانسية ويرد برقة ارغمتها على الإبتسام:

- ولو كنت اقبح واسمن نساء الأرض فأنت بنظري اجمل من الجنة نفسها بل انت حوريتها الخاصة بي وحدي.

- اريد ان انام ريس.. اريد ان انام بين ذراعيك ليقر ويركد خوف ما عايشته واوجاعه.

همست طالبة بحزن ليصعد على السرير بجوارها ويفرد ذراعيه لها لتتحامل على الالام التي افتكت بروحها وتدثر نفسه بحضنه وامنه..

بعد خمس ساعات..

كان في القصر يتشاجر مع اخيه جواد على ما فعله ليصيح به بغضب:

- جواد لا تتدخل.. احمل الهم الذي اقوم برفعه انا ثم تعال واسألني لماذا.. جرب ان تحمي زوجتك واختك وبقية افراد عائلتك.. واضافة الى ذلك عملك.. انت لا تقلق على شيء بقدري لذلك اخرس فقط.

- لا تحاول ان تدخل ذلك بما فعلته ريس.. الا تفكر انت؟! قد تدخل السجن.. وايضا انا اتحمل بقدر ما تتحمله انت فلا تزلق وتتمتم بالتراهات والتفاهات.

صاح جواد بغضب مماثل ليزمجر الاخر بعنف:

- لا.. ابدا.. انا فقط المسؤول عن عدن وعن التهدئة من روعها وخوفها بينما انت لا.. انا فقط المسؤول عن زوجتي وحمايتها بين البقية لا.. انا المسؤول عن الشركة ولا احد غيري.. اخبرني الى كم قطعة يجب ان اقطع نفسي؟ رجاءا لا تتدخل يا جواد فيما افعله كي لا اثور عليك.

كانت واقفة خلف الباب تسترق السمع وتنحدر دموعها الشفافة ببؤس.. اهي حمل ثقيل حتى لا يتمكن اخيها من مساندتها؟ ستخفف من الكهل الثقيل التي تضعه على ظهرهما.. ستزيل عبئها الجلف وتخلصهما منه..

شهقت بقوة حينما فتح الباب وخرجا اخويها هاتفين بصدمة:

- عدن!



الفصل الخامس وعشرون

خطفتي قلبي واشترطي بقرض لإعادته..

حاولت استراق الإستعطاف منك ولكنك بقسوة

الجمتيه..

**

جعلتيني انبش بنكا بنكا علّه يقرضني ثمن شرطك..

اكترصت الأموال والشيكات الى ان بلغت المليارات

لأجلك..

**

هلكت وانا اجمع الأموال حتى اعيد خافقي الى مكانه..

وبعد ان جمعت اموال الدنيا كلها بجبروت رفضتيه..

**

فتساءلت عن الأسباب لتهمسي لي بشجاعة: لأنني اعشقك..

وحتى إن احضرت ملذات العالم كله لن ادعك واتركك..

كانت واقفة خلف الباب تسترق السمع وتنحدر دموعها الشفافة ببؤس.. اهي حمل ثقيل حتى لا يتمكن اخيها من مساندتها؟! ستخفف من الكهل الثقيل التي تضعه على ظهرهما.. ستزيل عبئها الجلف وتخلصهما منه..

شهقت بقوة حينما فتح الباب وخرجا اخويها هاتفين بصدمة:

- عدن!!

تطلعت اليهما لوهلة ثم همست بجمود بعد ان جففت عيناها من عبراتها المتألمة:

- ريس انا موافقة على الزواج من اوس.. اخبره بردي.

نظرا ريس وجواد لبعضهما بذهول.. فأدركا ان اختهما سمعت المحادثة التي دارت بينهما..

تنهد ريس بتأس وسلو وهتف بحصافة ليتأكد اذ كانت استمعت فعلا الى الجدال الذي اكتنف بينه وبين جواد:

- لماذا؟ لماذا الان وافقت على الزواج منه؟ الم تكوني معارضة؟

- انا بدأت اشعر بالحب تجاهه.

اجابت بنبرة قريبة للوقاحة لتحتدم الشرارات بمنبت عيناه.. اخته تعترف له بكل وقاحة، متناسية خجلها منه حول هذه المواضيع وتقر بلهجة قريبة للصفاقة بحبها لصديقه..

صاح بها بصوت غاضب:

- عدن.. التزمي حدودك.. اعرفي بأي طريقة تتحدثين معي.

- عدن هل كنتِ واقفة تتنصتين على كلامنا.

قاطع جواد اخيه بهدوء، سائلا اخته لتقتص مجيبة بسذاجة اتقنتها ببراعة:

- اي كلام؟! انا الان اتيت من غرفتي.

- عدن..

اعاد جواد بشك لتسدل امواجها فوق بحريها وتخفي توترها وحزنها قسرا.. ماذا تخبره؟ إنها حملا ثقيلا عليهما؟ إنها تشعر بنفسها عضوا زائدا لا محل له من الاعراب وسطهم ام ماذا؟ تعرف ضغط ريس وربما هو محق.. ولكنه لم يكن ابدا يشكو منها او من حمل اعانتها.. كانت دوما وقر اهتمامه ودلاله.. كانت صغيرته الوحيدة واهم ما له.. هي تحب اخاها اكثر مما تحب نفسها.. تحبه لأنه سندها وملاذها.. تحبه لأنه بمثابة ابيها وامها.. تحبه وتحب كذلك اخيها جواد.. لكن ريس بالنسبة لها استثنائيا مميزا.. ربما لأنه الاكبر.. ربما لأنه قدوتها وملجأها في الضياع الدائم..

حضنت عيناها عينان ريس في نظرة مكتظة بالشجن والخذل الموجع ثم غمغمت بتؤدة موجمة:

- ريس.. انا اسفة ما كان علي التواقح.. انت ليس لك اي ذنب.. ولكنني لم اكذب حين قلت انني موافقة على اوس فأنا اكتشفت منذ فترة انه رجل بكل معنى الكلمة وكيفما اريد فلذلك انقل اليه موافقتي.

اراد التكلم ولكن انسحابها السريع من امامه كما لو انها تهرب من البقاء معهما.. كما لو انها تهرب من قدر حقيقي واجهته.. بل وكأنها تهرب منه هو لشخصه.. وهذا الشيء ابرح فؤاده الما.. بالتأكيد هي سمعت ما هتف به وحللته كما اتضح من كلامه ولكن في مضموره كان اختلاف سحيقا كإختلاف الشمس والقمر بألوانهما ومواعيد ظهورهما.. هي اخته وهو ملزم بحمايتها.. هي طفلته الصغيرة التي لم يتذمر يوما من عنايتها.. هي اغلى ماسة لديه.. هي وزوجته بكل تأكيد..

تنهد بوصب وثقل قبل ان يهمس لجواد:

- اظن انها سمعت محادثتنا اللعينة.. لم اكن اقصد ما فهمته تبًا.

- انا ايضا اظن ذلك.. وعلى اي حال هي لم تكذب بقولها انها بدأت تحب اوس واعتقد ان كلامنا هذا هو الدافع التي كانت بحاجة اليه لتوافق على الشاب الذي يعشق هواها.. وكلانا يدرك جيدا كم اوس يحب عدن.

غمغم جواد بوقار رافد ليرمقه ريس بتهكم هاتفا، رافعا حاجبه العتيق بصفاقة فظة:

- اعرف جيدا صديقي جواد.. ولما تتكلم كما لو انك وقعت ايضا بالحب؟ من هي؟

ابتسم جواد فور تذكره لتلك المراهقة الصغيرة التي سها تفكيره عنها بسبب المشاكل التي وقعت على رؤوسهم كحجارة رملية صائفة.. ربما فعلا هو واقع بالحب.. واقع بسحر حبها هي.. تلك الفتاة الغريبة التي سلبت فكره ليلا ونهارا.. تلك التي سلبت عيناه وجعلتهما تسجد ابتهالا واسترحاما لنيل لمحة غريرة زهيدة عنها..

صدفة التقاها.. وفجأة تحولت هذه الصدفة الى سرمدية روحه..

اجاب ولمعة بنية أملوجة تنيف مبعثيه:

- ليس لك شأن.. اصعد لترى اختك او اذهب لزوجتك.. وحين يغشو الوقت ستعلم من هي.

تبدلت ملامحه المتعجرفة الى اضطراب.. اليوم سيعرف نتيجة فحوصاتها، اذ كانت مريضة بالقلب ام لا.. وكم يخشى معرفة النتيجة.. كيف سيخبرها؟ الطبيبة رفضت ان تبوح لها وفقا لحالتها النفسية السيئة بعد كل ما تعرضت اليه.. وكذلك هو يرفض ولا يرغب في معرفة النتيجة التي يتهرب منها كما يتهرب من كوابيس الإنتياط.. اطبق على شفتيه بلوعة متحسرة على كل الظروف والمصائب التي تكرُّ وتسطو خلده لتشطره الى فتات ثقيل متجمد..

تنهد بإرهاق ترح قبل ان يهتف بجدية:

- انا سأغادر اذا.. اصعد لعدن ووضح لها موقفي الى ان اعود.. قربي بجانب زوجتي في قمة الأهمية الان.. اراك ظهرا واجلب عدن معك.

****

تلبثت سيارته بجوار منزلها ليرتجل منها بخطوات مختلجة.. طرق الباب بعصبية بقبضتيه المشدودة لتفتح له الباب بتفاجؤ.. وبلمحة اقتدت اوصاله بشحنات تتنافر وتتوثب غضبا حينما فتحت له الباب وشال اسود خفيف بالكاد يستر عُقر سماء شعرها الحالك سواده.. فزمجر بإلتهاب اثار رعدها:

- ما هذا شام؟! اهكذا تفتحين الباب دوما؟ بهذا المظهر؟!

- لماذا ما بي؟

تساءلت بسذاجة.. لا تدري عما يتحدث عنه جود تماما ليلفها ويدخلها براحتيه الخشنتين بغلاظة وجهامة، هاتفا وهو يصر على اسنانه التي كادت ان تتحطم من حنقه:

- اصعدي لتعدّلي حجابك حالا وعودي الي ونادي على اخاكِ.

عضت على شفتيها بخجل واحتقنت وجنتيها المنتفختين بإحمرار مرتبك وهي تعدل من وضعية الشال الأملس على رأسها بأناملها المضطربة وهمست:

- عدلته.. ماذا تريد من قيس جود؟ ثم لماذا انت غاضب؟

- شام..

لجم صك ملكيتها في التكلم بتذمره الساخط لتهز براسها بحنق مدمدمة:

- حسنا.. انا صاعدة لأناديه.. منذ البداية تتذمر وتغضب علي اذا كيف لاحقا؟!

- اصعدي.

امرها مشيرا اليها بحاجبه السميك لتغتاظ من تصرفاته، جاهلة تماما ما هي المصيبة التي قام بها اخيها وما هي حالة اعز واغلى صديقة لها الان..

بعد بعض دقائق اوَى اليه قيس مُدليا عيناه العشبية بالأرض البيضاء الزجاجية التي عكست خيال امتهانه ودناءته.. ليس له الجرأة ولا المقدرة لينظر في وجهه.. كيف يفعل وهو يعتبر من الأصابع الرئيسية لليد التي شاركت في تعذيب اخته وخطف ابنة عمه؟! كيف وهو احد المجرمين الذين قاموا جبرا بجريمة لا تُغتفر ولا تُرحم؟! ولمن؟! للناس التي خلال ايام معدودة ستصبح اهم اقرباءه! كيف وهو من حاول التقرب من ابنة عمه لسحب ونيل معلومات عن عائلته ليتدمروا رويدا رويدا؟!

تنهد حالما توقف قبالته ليرفع عيناه اللامعة بندم حقيقي ادركه واستنبطه جود بإتقان.. عينان جاهرة بالخزي والأسف الضائع الذي باد اوانه.. عينان تنزف حسرة على ما مضى..

حاول جود التحكم بأعصابه كي لا يقضي عليه.. كل حرف من كلمات ريس التي خرجت من فاهه بلحظة غضب تتردد بنقز شنّج دماغه واعصابه لتحثه على فعل ما قد يندم عليه دائما وابدا فيما بعد..

زفر انفاسه المضطرمة بتبختر جلف قبل ان يرمق شام الواقفة بينهما بحيرة لذيذة ويغمغم بصيغة قريبة للغرور الوقح:

- شام لدي ما اتحدث به مع اخاكِ.. دعينا لوحدنا الان.. وبعد ان انتهي سأتكلم معك.

اكتفت بإيماءة بسيطة من رأسها قبل ان تنسحب من بينهما بخفة عصفورة حالقة بأريحية رقيقة ليس لها هاجس ولا شاغل..

وبعد ان اختفت من امام حدقتيه التي لم تكتفي ولم تشبع ابدا من التوسم والتأمل بها هتف بتهجم لقيس:

- سأدخل في صلب الموضوع قيس.. اريد الأسباب التي ارغمتك وحثتك على القيام بفعلتك الدنيئة.

- يا ليتني استطيع التكلم جود.. لا استطيع اقسم.

اجاب ببؤس واسف ومنبت عشبتيه تشع حرارة مكبلة بما لا تدركه النفوس.. ليهدر جود بشراسة، غير مباليا بسمته التي توحي بصدقه وبراءته:

- لا يهمني قيس.. ستخبرني حالا.. الان.

- لا جود.. انا اسف لا استطيع.. ولكن كل ما بمقدوري فعله هو وضع يدي على القرآن الكريم والقسم لك وللجميع انني كنت مجبرا وان ابدا ليس من طباعي اذية اي شخص حتى لو كان عدوي.

همس بلوعة مكدومة.. يتمنى لو يفشي بسره الذي قسره قهرا على ما يبغض ولا يمثله البتة.. آهات تتلاطم في اوصاله.. اهات شجية بحزن لا يعلمه غيره.. اهات على تلك التي احبها فعلا.. على تلك التي اسرت دقات فؤاده.. عدن التي اعجبته بصدّه مرارا وتكرار.. ولكن ليس له اي حق بحبها.. ربما اوس هو من يستحقها فعلا.. اساسا ليس له الشجاعة والجسارة للتوقف امام طفيفها..

لم يعرف جود ما يفعل.. نظراته.. كلامه.. كله يلهمه انه صادق، آلِف ومظلوم.. رباه!! ما هو الدافع الذي يستره قيس بهذا التزمت والتوطد؟! من ناحية اخته وابنة عمه ومن ناحية اخرى خطيبته واخيها.. دوامة معقدة بألغاز

لصبة وشاقة تحيط به من كل صوب لترغمه ان يتهالك عُرضها يائسا ومخذولا من نفسه قبل اي شخص اخر..

لا يعلم كيف يجبره على البوح بالخفايا المضمورة في مكنونه.. لا يعلم اي شيء سوى انه طائر يرفرف دون جناح..

همس آملا استسلامه الركيك:

- اخبرني قيس لأتمكن من مساعدتك.. اخبرني علّي انقذك من براثن مجد وترنيم وبراثن ريس الساكن بأعجوبة حتى هذه اللحظة.

تطلع اليه بتمعن قبل ان يردف بجدية مغمومة:

- اعدك بأنني سأطلعك عن سري ولكن ليس الان.. ليس في هذا المكان والزمان الغير مناسبين.. وصحيح جود شام ليس لها اي دخل بي فليس هناك داعي لتنهيا علاقتكما التي لم تبدأ بعد بهذه السرعة وبسببي انا.

- شام لن اقحمها بأي مشكلة من مشاكلي.. فلا تحضر سيرتها عبثا.

اجاب زائرا بفحيح سمج.. يستحيل ان يُهيِّج شامه بالمصائب هذه.. لم يصدق ان توافق على هذا الزواج.. هل هو غبي ليقوم بفك الرابط الذي جمعهما؟! قطعا لا!!

زفر انفاسه بارتياح عارم.. لا يريد اذية المزيد.. وخاصة اخته التي ستفاقم من عذابه النفسي والروحي اذ انفصلت عن جود..

- تستطيع ان تنادي شام.. كلامنا لم ينتهي بعد قيس.. لا زلت عازما على معرفة سرّك المحجوب.

استطرد مضيفا بعزم جدي ليومئ الاخر موافقا قبل ان يلبّي طلب نسيبه قريبا..

اقبلت عليه محبوبته القصيرة، هامسة بلهفة فضولية:

- ما الذي تحدثت به مع قيس؟

- ليس من شانك.. لا زلت صغيرة على هذه المواضيع.

ردّ عليها بعجرفة عابثة لتزم شفتيها الصغيرتين بضيق وتتذمر:

- الا تلاحظ انك مغرور جدا؟ بل ووقح ايضا.

قهقه بخفة مغمغما بفظاظة:

- هذا هو انا حبيبتي.

اناءت عنه بسخط ليستأنف مخاطبا بحدة:

- شام تحذيري هذا سيكون لأخر مرة.. عندما تفتحين الباب لأي من يكون تضعي حجابك وتعدليه جيدا.. ثم تتأكدي منه مرة ومرتين وثلاثة حتى وبعد ذلك تفتحيه.

- سيكون قد شلّ انتظار الطارق والملل قد غمره.

همست بامتعاض ليهرق بغضب:

- فليموت الطارق.. لا يهمني.. المهم ان تكوني بكامل تسترك وليس اغلبية خصلات شعرك الامامية بارزة للعين.

تأففت بضجر وهتفت بسأم:

- اقسم انني فهمت.. كنت بعجلة من امري.. هذا كل ما في الامر فلذلك لم انتبه لكيفية وضعي للحجاب.. على اي حال كيف هي لين؟

- لين في المشفى.

اجاب متنهدا ببطء متمهل لتتوسع عيناها الخضراوتين وتهمس بصدمة:

- ماذا؟! لماذا ما بها؟!

- هل تريدين ان تزوريها؟

تساءل بجدية لتتخبط ذعرا على صديقتها التي لم تعلم ما هي حالتها غير الان.. فغمغمت بإختلاج:

- اجل بكل تأكيد.. انتظرني لأغير ملابسي هذه واتصل بأبي واخبره فهو وامي ليسا في المنزل.

اومأ لها بابتسامة.. ولم ينتبه غير الان على بيجامتها القطنية الخضراء التي ترتديها والتي تناسق باحترافية وبراعة فخمة زمرديتيها دائمة اللمعان..

****

جرّب فتح باب غرفتها عدة مرات الا انه كان موصدا من الداخل بالقفل.. فطرق على الباب بقبضتيه التي تأججت خوفا عليها ونادى بصوت عال نسبيا:

- لين.. افتحي الباب.

بقي يطرق دون فائدة فاختنق فؤاده من شدة الذعر عليها، خشية ان يكون قد اصابها مكروها او ان احد ما قد قام باختطافها او اذيتها.. وبعد ان يأس من ان تفتح الباب اليه قرّر ان ينادي على احدى الممرضات لتفتح له الباب ولكن سرعان ما تصنم مكانه وهي تفتح له الباب بعينيها الشبه مفتوحة من اثر النوم.. وعندها استقر لحن دقات وجدانه برجاحة ودماثة وامتنعت السلبية في عقله وانحدرت الى المنون..

- هل كنت نائمة؟!

تساءل مذهولا وهما يدلفان الى داخل الغرفة.. هو كان في الخارج يكاد ان يموت من شدة قلقه عليها وهي نائمة بكل اريحية!..

اجابت وهي تفرك بأناملها الصغيرة لؤلؤتيها الناعسة وتتثاءب:

- اجل.. كنت متعبة للغاية.

رقد بجوارها على السرير ووضع ساعده الجسيم حول ظهرها ليرتخي جسدها وتقرّب رأسها اليه وتضعه على صدره كي تمتص منه الدفء والأمان..

- كاد قلبي ان يخرج من مكانه وملاكي نائم، غافلة تماما عما عايشته في هذه الدقائق القصيرة.

غمغم مبتسما لترفع حدقتيها اليه وتهمس باختناق:

- كنت خائفة.. خفت ان أُهاجم مرة اخرى.. خفت ان يتكرر ما عانيته البارحة ريس.. خفت للغاية.. بعد ان غادرت صباحا وتركتني ظنا منك انني نائمة ارتعدت

اوصالي مخافة مما قد يحدث لي فجأة.. لم يغفو لي جفن الا بالكاد ريسي.

قطرات مريرة انحدرت من فؤاده كمدا مع دموعها وكلماتها التي كانت تنهمر على روحه كسياط مليء بالأشواك لتضاعف من حدة الامه.. شعر بأنها تعري جلده عن لحمه ليحترق من الحرارة العالية المنبعثة من الشمس.. خوفها وارقها بخرّاه.. بخرّا روحه وقلبه بمياه لاهبة تكوي دون شفقة ودون رحمة.. شعيرات جسمه الأثيثة ناجت الرحمة وهيأت ثلوجها امام النيران الغليظة الأليمة التي تذبحه.. دون جدوى!

قربها الى صدره، مزيلا حجابها عن شعرها ليقبله بإنتشاء ملسوع بالشجن.. كم يلوم نفسه لأنه لم يتمكن من حمايتها! كلامها هذا ابرحه ضربا ليسقط هزيلا غير قادرا على الوقوف.. رغب بكل قوة شجعه ان يعود لترنيم ومجد ليدفنهما في ارض تتصاعد منها النيران من كل مكان لتحولهما الى رماد فاسد كما احترقت روحه على محبوبة عمره وحياته..

هتف ببؤس شديد وهو يمرر انامله بين طيات شعرها الذي تصبب على ظهرها:

- اسف لين.. اعتذر لأنني لم اتمكن من حمايتك منهما.. ولكن ها انا وعدتك مسبقا وسأكرر الان انني سأجعلهما يركعان تحت رجليك طالبين المغفرة والسماح.. حتى ترنيم! وليس ريس الجايد من يخلف بوعده.

- لا اريد شيئا من ذلك ريس.. اريدك فقط سليما وقريبا مني.. لا توقع نفسك في شباكهما الشريرة.. انت مختلف عنهما فدعهما فقط.

همست ببكاء ليطبطب على ظهرها بحنو ويغمغم:

- حسنا حبيبتي لا تقلقي انت الان.. فقط ارتاحي.

صمت لوهلة قبل ان يستأنف متابعا:

- صحيح مررت على المنزل واحضرت لك بعض الملابس لتغيري.

مسدت رأسها بصدره كهريرة صغيرة، تود ادخال نفسها بمسامات دمائه ليتنفسا الأوكسجين من الفذلكة نفسها

وتتحد دمائهما مع بعضها لتصبح خليط يدعى بِ "خليط عشقهما الأبدي".. وهمست وهي تجفف دموعها العاصية للقيام برغبتها بالتوقف عن انهمارها:

- اشكرك ريسي.

ابتسم بحنو، راحة الكون اجمعه تكون ملكه ريثما تتواجد لينه، امرأته المثالية بين ذراعيه.. وتنشق رحيقها الذي يطير بحبيبات عقله بكل نهم وشغف..

لم يتمكنا من الحفاظ على هذه الراحة الاستثنائية والنادرة طويلا بسبب سماعهما لصوت الباب الذي يُدَّق.. فتأفف ريس بسخط وهو ينهض ليفتح الباب بينما لين اعادت بعجلة وضع الحجاب على شعرها الذهبي..

فتح الباب بضجر لتولج الطبيبة التي تحدثت معه ليتذكر ببرهة قصيرة للغاية ما اعلنت به اليه.. ترددت عسليتيه بالنظر الى زوجته مرة اخرى، مخافة ان تكشف توتره وجزعه عليها.. ابتلع لعابه بصعوبة حالما تقدمت الطبيبة الى لين متسائلة بابتسامة:

- كيف حالك مدام لين اليوم؟

- انا بخير.

اجابت لين بتهذيب ليلتف ويدنو منهما، واقفا تماما بجانب زوجته لتهتف الطبيبة بجدية:

- سيد ريس انا الان سأجري الفحوصات لزوجتك.. ستأتين الممرضات لأخذها.

- فحوصات ماذا؟

تساءلت لين بتخفر ليتدخل ريس متلعثما:

- ستقوم بعمل اشعة لجسدك حبيبتي لتتأكد من ان كل شيء بخير وجسدك معافى تماما.

اومأت بتفهم لينظر الى الطبيبة التي تشاور له بعينيها ان يخرج معها ليتكلما على انفراد.. فانسحب برفقتها بهدوء لتغمغم بجدية:

- استاذ ريس.. انت تعلم الان فحوصات ماذا التي سنقوم بها.. اتمنى ان تكون ظنوني خطأ فعلا.. اهم شيء ان لا تعرف زوجتك الان بخبر مرضها كي لا تتدهور حالتها

النفسية مما قد يسبب لا سمح اللّه - اذ كان لها مرض القلب - اضرارا لا اعلم نتائجها.

- فهمت دكتورة.. لكن زوجتي تتعلم الطب وبالتأكيد ستعرف ان الفحوصات هذه ليس فحوصات اشعة فقط.

اردف ريس بقلق لتهتف:

- لا تقلق.. نحن سنخدرها قبل اجراء اي من الفحوصات لها.

- شكرا ايتها الدكتورة.

ختم كلامه معاودا الولوج الى تلك التي تسلب روحه بعنف مرارا وتكرارا لا تدري به.. تنهد بوجع حاد، مسندا رأسه على الباب الخشبي قبل ان يتقدم اليها..

****

تلجلجت قدميه بالارتجال من سيارته الراكنة بجوار البوابة الحديدية السوداء المؤدية لمنزلها

البسيط بمبناه.. الا انه حسم هُوّة مهدهِ لينبجس من السيارة فارجا البوابة الحديدية وزلف ليطرق على الباب

بهدوء.. وسرعان ما كانت تفتح المرأة العجوز له الباب لتهتف بدهشة:

- انت! ماذا تفعل هنا؟!

تنحنح، مبعثرا رابطة باسلته وجأشه لوهلة قبل ان يغمغم بهدوء، مبتسما:

- كيف حالك جدتي؟

- لماذا اتيت؟

تساءلت الجدة بضيق ليرد بارتباك كبحه بتفوق وتضلع:

- سأخبرك.. ولكن هل تسمحين لي بالدخول؟

ابتعدت قليلا لتفسح له المجال.. فولج بزفرة شموسة، سامحا لأغصانه البنية المتلهفة للتجول بأريحية على اثاث المنزل المتواضع وسحنته.. بانت اللهفة العذبة بعينيه حينما خرجت من غرفتها برفقة اختها الصغيرة والصدمة تنمحص من سيماء وجهها الساحر..

هتفت بذهول متعجبة من وجوده:

- جواد! ماذا تفعل هنا؟!

- كيف تعرفين اسمه ريما؟

تساءلت الجدة بجدية، مكوّرة شفتيها المهترئة من الشيخوخة لتجيب الأخرى بخجل:

- هو الذي حررني من براثن ابني خالي.. تعرفين.. عندما حاول اخذي معه غصبا.

هزت رأسها باستدراك قبل ان تغمغم لجواد الواقف بجانبهما:

- تستطيع ان تجلس.. واشكرك على مساعدتك لحفيدتي.

- العفو.. هذا واجبي.

اجاب بابتسامة وهو يقبع على الكنبة المخملية ليفعلن هن المثل.. تعلقت الطفلة الصغيرة بملابس اختها لتقربها اليها وتهمس بتساؤل فضولي:

- ريما من هذا الشاب؟

غمغمت وهي تحملها لتضعها على ساقيها النحيلتين الملتفات ببنطال جيشي انيق:

- انه صديق لنا حبيبتي.

- انه وسيم ولكنه طويل جدا.

صرحت بابتسامة متذمرة لتبتسم الأخرى متأملة ساقيه الطويلة التي تسللت بأقدام شاسعة تحت الطاولة البيضاء..

غارة مبتهجة سارت متعالية ومتفاخرة مع محلول دمائه الحار لتنسكب في صمام فؤاده.. وتطرب اذنيه بعزفه المبجل المتهلل.. كانت حواسه منجذبة اليها كالمغناطيس الماكن بترابط اجش فتوسعت فتحات اذنيه بقفزات تائقة لسماع الكلمات الرغيدة التي تخرجها شفتيها السلسبيليتين.. وعنجهية خلابة اختلجت قامته ليعدل منها بغرور محبب..

- اذا هل تستطيع ان تخبرنا سبب وجودك؟

هتفت الجدة بوقار لتتنبه حواس دماغه ويضع جم تركيزه معها بعيدا عن الطفلتين التي أحبَ احداها وعَشقَ الثانية منذ ان تعرف عليها.. فأردف متنهدا:

- في الواقع سبب مجيئي هو للاطمئنان عليكن من ذاك الرجل الذي يكون خال ريما ويريد اخذها معه قسرا.

- لماذا؟ ما الذي يجمعك بنا لتطمئن علينا؟

ازدرد لعابه من سؤالها الذي اثار حرجه فغمض عيناه قبل ان يرد بجدية:

- اعتبريه كاعتذار عما قمت به.. اعلم انك الان لا تطيقيني بسبب ما فعلته بحفيدتك بلحظة عدم وعي.. ولكن ذلك ابدا لا يمثلني.

تنهدت الجدة بتفكير قبل ان تغرد:

- مشكور.. اعلم انك لم تكن تقصد.. ابنتي ريما الغالية اخبرتني كل شيء وهذا يكفينا.. نحن اناس بسطاء لا نحمل حقد ولا ضغينة حتى لأعدائنا.. فلا داعي لتحمل نفسك ذنبا اكثر.

- اعلم هذا الشيء جيدا.. ومع ذلك انا اريد مساعدتكن ومساندتكن فرجاءا اسمحي لي.

- لن امانع ولكن لنسمع رأي صغيرتي.

غمغمت الجدة بابتسامة لتتوجه الأنظار اليها مما جعل حمرة لامعة تزدهر على وجنتيها وتهمس بخجل اذاب عيناه التي تطالعها بهيام خارق:

- انا ليس لدي اي مانع.. هو حر.

- طبعا كذلك.

هتف بابتسامة ادمت وجدانها اعجابا.. واغرقت لبها بمشاعر اثيرية لتناجي صارخة بالإغاثة لتتمكن من النجاة من فتنته وسحره الجذاب..

امتطى المقعد الحديدي البارد بجوار غرفتها بأعصاب محترقة..

بعد ان خدرتها الطبيبة رفض تركها لوحدها فولج برفقتها الى غرفة تصوير الأوعية الطبقي المقطعي الا ان الطبيبة اصرت عليه ان يخرج لتكمل بقية الفحوصات

بتركيز فخرج يجر مخاوفه وقلقه على من ملكته روحيا وجسديا..

وبعد ما يقارب الساعة ونصف فتح الباب لتخرج الطبيبة اليه مطئطئة برأسها بأسف شديد ، ومغمغمة:

- للأسف ظنوني كانت بمكانها.. مؤسف ان شابة صغيرة بعمرها عندها هذا المرض.. رجاءا لا تخبرها الان.

حبيبات من الصخور الجبلية بدأت تتهاوى على رأسه لتوقعه مُصِبًا دماء ترحه وجزعه، دون المقدرة على الوقوف بمحاولاته التي تبوء تكرارا بالفشل اليائس.. بكاء طفل صغير يداهمه بإحتشاد ليقضي على ما تبقى من روح صامدة في جسده.. الا يكفيه؟! الا يكفيه كل المصائب التي تُحط على ظهره دون رحمة.. ستتدهور لا محالة.. لين كعود هش خوّار ينكسر بعقف بسيط.. تخاف من الأمراض كخوفها عليه.. هي صغيرة جدا لن تحتمل كل ما ستقبل عليه.. ستصبح ملزمة بأدوية وعلاجات دائمة.. رباه على حال محبوبته.. فليكن اللّه بعونهما فقط.. لا.. لن يخبرها الان اي شيء.. بعد ان

تتحسن تماما سيخبرها وسيجد اقوى علاج لروحه التي تنتزعها دون مدركة منها.. حتى لو اضطر للتضحية بقلبه لأجلها.. لن يسمح لها بتركه ابدا.. وكم يخشى ان تباهتها صدمات اخرى فتتأذى اكثر وتضيع منه! هي الشريط الودود الذي يعيش لأجله.. هي فقط..

تنهد مطلقا حرارة اختناقه، وحابسا لوعته على تلك التي راقدة داخل الغرفة اللعينة، فاقدة الوعي وغير محتلمة على ما تقاسيه من مشقات ومقاسات..

همس بصعوبة مجاهدا على الثبات وعدم الاهتزاز:

- لن اخبرها بكل تأكيد.. ولكن ماذا مع العلاج؟! وما هو نوع المرض الذي لديها اياه؟

- لديها مشكلة في انقباض وانبساط صمامات القلب الخلفية.. نحن يجب ان نبدأ بإعطائها الدواء دون ان تعرف الى ان تتحسن حالتها النفسية قليلا وبعدها ستبدأ بأخذ الأدوية باستمرار وانتظام.. وكذلك سنبدأ بإجراء فحوصات دائمة.

اجابت بجدية متأسفة على الشابة الجميلة التي لم ترى شيئا من عمرها بعد.. فهز رأسه بتفهم واهن وهتف:

- اريد ان اراها.

- سنعيدها في التو الى غرفتها.. تستطيع انتظارها هناك.

عاد الى الغرفة التي تجثم بها بأقدام يغلفها التيه والوحدة.. بنفس تكاد ان تنبزغ وتنبثق من صدره الذي تَرَمَّدٌ الى سَكَنٍ مُفتفت ردع رشده على الخلود.. لم ينتبه الى العائلة المتجمهرة في غرفتها الا بعد سماعه صوت بكاء امها وهي تسأله عن زوجته لتزوغ عيناه قبل ان يغمغم بهمس:

- دقائق قليلة وستكون هنا.. كانت الطبيبة تجري لها بعض الفحوصات.

- وكيف هي؟

هدر السؤال العال من جود ليستدير اليه ويستشيط غضبا حال ما يرى شام، اخت الذي يكره واقفة بجانبه والتي

ذكرته بأخيها الذي يرغب بقتله.. فهتف بجدية وهو يرمقه بنظراته المتجهمة من شدة سخطه:

- بخير.. ستكون بخير.

تفطنت حواسهم جميعا ريثما سمعوا خطوات اقدام تقبل عليهم لتتهاتف اعينهم لهفة ظنا منهم انها لين.. الا ان امانيهم قد خابت عندما وجدوا الجد وجواد وعدن يولجون اليهم..

جلست عدن بجانب شام دون ان تلقي كلمة واحدة على مسامع اخيها ليزفر ويشتم بداخله.. الى كم قطعة يجب ان يقطع نفسه؟ تعب.. ارهق.. لم يعد بإمكانه المجازفة بثباته اكثر.. هناك خنجر متحجر جفف بقاياه المندثرة وفتت حنجرته بصلافة.. تطلع اليها بعذاب ثقيل قبل ان يهتف:

- عدن.. تعالي معي للحظة.

تنهدت باستياء وهي تنهض عن المقعد التي اعتلته وتبعته الى الخارج تحت انظار الجميع.. وحينما توقفت قبالته

تماما امسكها من يدها البيضاء الملساء وجرها معه دون كلمة الى المقهى الموجود في الطابق السفلي للمشفى لتسمو اليه بتساؤل، هامسة:

- لماذا احضرتني الى هنا ريس؟

- لدي ما اتكلم عنه معك عدن.

اجاب بعزم لتحوم موجات بحريها بهدوء حول الجالسين وتومئ برأسها موافقة.. فأجلسها بجانبه، هامسا بحنو:

- عدن.. صغيرتي.. اعرف انك سمعت النقاش الذي دار بيني وبين جواد ولكن وللّه ان كل ما فهمتيه ليس صحيح ابدا.. انتِ اختي وابنتي وانا ملزم بالاعتناء بك لأننا من نفس النطفة.. وانتِ تعلمين انني بعمري كله لن اتخلى عنك ولن اتذمر من حمايتك والتكفل بك.. فرجاءا لا تفهميني خطأ.. انا كنت غاضبا للغاية ولم اعي ما قلته.. انا امرّ بضغوطات من جميع الاتجاهات فرجاءا تفهميني يا عدني.

تلألأت العبرات الزاهية في سماؤها لتبدأ بالإمطار بغزارة جعلت فؤاده ينكمش على نفسه وهو يسحبها الى حضنه، رابتا بحنو على ظهرها..

همست ببكاء:

- انا اسفة.. لم اقدّر ظروفك ريس.. نسيت كل ما فعلته لأجلي طوال سنوات حياتي وركزت فقط على جملتك التي بدرت منك دون قصد.. انا اخاف ان تتخلى عني يوما.. انا احبك واخشى الابتعاد عنك.. اعتبرني طفلة ان اردت فلا يهمني.. انا متعلقة بك لأنني اجد بك كل ما احتاجه فأرجوك لا تكرر كلامك حتى لو دون قصد.. اريد البقاء دائما تحت جناحيك الذي يحميني ويدفئ بردي.

تبسّم بذبول وشجن وهو يرفع وجهها الباكي اليه قبل ان يغمغم بجدية:

- انا دائما بجانبك.. لن اتخلى عنك الا في مماتي.

- بعيد الشر.

هتفت بارتياع ليبتسم بحنو فائض ويستطرد محاولا تغيير الجو المتزمت قليلا:

- وماذا مع اوس؟ هل اخبره بموافقتك ام لا!

عضت على شفتيها بخجل وازداد احمرار وجنتيها اكثر وهي تهز برأسها موافقة ليبتسم بعطف حنون ويغمغم:

- ستكون الساعة الميمونة لدى العاشق اوس.

- ريس..

تذمرت بحنق ليقهقه بارتياح قبل ان يعاودا الصعود الى زوجته الغالية.. وفي طريقهما سمعا صوتا يعرفاه الإثنين جيدا ليستديرا سريعا منتظرين الرجل الذي يهرع اليهما.. ومن غيره؟! بالتأكيد ليس الا اوس!

توقف امامهما، ناظرا الى حبيبة روحه قبل ان يغمغم بابتسامة اسرت طيات فؤادها اسرا:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام.

ردّا عليه السلام.. وسرعان ما خطر ببال ريس امرا ليعلن به، مُصمِّما على اثارة خجل اخته:

- اوس معي لك خبرا مبشرا.

تطلعت عدن بفزع الى ريس.. وجحرت بعينيها لتمنع ثغره بالبوح بموافقتها.. الا انه لم يبالي

وصمّم على فعل ما يبغاه عقله.. فهتف:

- عدن وافقت على الزواج منك.

اكتسى الإحمرار وجهها الناصع بياضه لتنسحب من امامها، راكضة الى الأعلى، لاعنة ريس بأفظع الشتائم واللعنات.. بينما العاشق المغوار الذي لم يتقبل عقله بعد ما اخبره به صديقه كرر متسائلا باضطراب ساذج لريس الذي يقهقه بأعلى صوته:

- ماذا قلت؟

- إنت غبي ام ماذا؟ قلت لك ان عدن وافقت على الزواج منك.

هتف ريس بحنق قبل ان يتركه لوحده، يحاول استيعاب ما باح به..

ولج الى غرفة شريكة عمره وروحه ليجدها مكتظة فتأفف بضيق قبل ان يكمل مساره الى داخل الغرفة.. وسرعان ما اتاه صوتها الذي يعزف الأناشيد الناعمة على لبه.. فدنى منها بإبتسامته المتلهفة، متفاجئا باستيقاظها السريع.. امتطى جسده حفة السرير بجانبها، متجاهلا البقية الذين يناظرونهما بتتبع.. وهمس بحب، ساترا قلقه المتشاحن عليها:

- كيف هي حبيبة زوجها؟

- انا بخير ريس.

اجابت بإبتسامة خجولة، مكتفية بوجوده معها الذي يغلغل الدفئ والأمان الى اوصالها..

تفاجأوا جميعهم بالباب الذي فُتح بعنف اندفاعي.. فاحتمت لين متمسكة بقميص زوجها الأزرق لتعتق نفسها من وكرهم، شاهقة.. ودموعا مأسوية تنزلق من ماستيها

الفضية ريثما رأت معذبيها يقفا بكل سفاهة امامها.. فدار بعقلها العذاب الشديد الذي عانته وتلقته من هذان الشخصين..

هبّ ريس وبقية رجال العائلة المتواجدين واقفين بعاصفة قاتلة، ومزمجرين بشراسة ترتعد لها النفوس:

- انتما! مجد وترنيم.

ابتسم مجد باستهتار، هاتفا بحقد شيطاني:

- ماذا؟ اظننت انني متُّ يا ابن ادم؟

- لا تقلق اليوم ستموت.

زأر ريس بهيجان، هاجما عليه بكل عنف..

الفصل السادس وعشرون

مرُّ حبكَ كطعم العلقمِ..

مؤلم جرحكَ كالملح على البلسمِ..

زمهريرَ برودكَ يشلُّ سَريان دمِي..

وها انا أعاني من جُرعةٍ اغداقكَ لي بالسمِ..

ولكنك لا تُبالي بروحي المُحرَّمة للتيتمِ..

وها انت تحرقني باللهيب ولا تُداري السئامِ..

ومع ذلك اعشقك يا نادر الإغتيامِ..

- لا تقلق اليوم ستموت.

زأر ريس بهيجان، هاجما عليه بكل عنف لتتكور لين على نفسها من شدة الذعر الذي اختلج فؤادها.. ذكريات اليمة معذبة تتجول في عقلها بكل شموخ حاملة سيفها الشكيم لتنغز طيات دماغها بآهات كتمتها بكف يدها

المتقفقف.. دموعها التي تعبر عن معاناتها المأسوية
سترتها رجليها المكورة امامها، دافنة وجهها بهما لتحتمي
من الشياطين الواقفين امامها، وتحمي نجمتيها البريئتين
من رؤية المشهد الدامي الذي على وشك البدئ..

تراكمت شام وعدن وامها حولها، عسى ان يدفقوا بعض
من الحنان والأمان في اطرافها ويلجموا شهقاتها التي زلزلت
الات سنديها في الحياة الدنيا لتبدأ عزفها السفيه على
اوتار اعصابهم المتبددة وتفجر الدماء التي اكتظت في
عروقهم بصورة رهيبة ليثوروا كبركان اضمحل خموده
وحلت مصائبه، ازفين بعنف من كارثة الحياة كذئاب
ضارسة..

لم يقم اي شخص بإبعاد ريس عن مجد المغطى رأسه
ورقبته بشاش ابيض سوى رجاله الذين ولجوا لينالوا
قسطهم من ضرب ريس المبرح والعنيف.. فأمسكه جواد
بصعوبة لتتشاحن ذرات غضبه اكثر ريثما لمح الشخص
الأخر الذي اعتدى على زوجته بضربه العنيف، غير
راحما اياها فاشتدت شراسة مقاومته لأخيه ليدفعه بجمّ

غضبه، هاجما على الرجل ومعنفا اياه الى ان خار ارضا، ودماءا دنيئة تنزلق من وجهه لتنعش روحه بإغتباط وانشراح..

تزاحمت الغرفة التي باتت عبارة عن معركة بين رجال مجد ورجال العائلة بالأطباء الصارخين بهم ليتوقفوا، مهددين بالاتصال بالشرطة.. فاستغلت ترنيم الاشتباك الحاد القائم لتدنو من لين مغمغمة بشماتة قذرة:

- سأدمرك وادمر اسرتك كلها.. سأفك شملكم.

- اغربي عنا.. لا تحتكي بنا ولا تحومي حولنا ترنيم.

صاحت عدن بها بعنف، لا تصدق ان من امامها بشرية.. لا تصدق ان من امامها هي امها.. ترى امامها فقط عقرب دنيء يبث سمومه باحتراف مثير للاشمئزاز.. جرأتها ووقاحتها فاقت الخط الأحمر وتعدته بمليارات الأمتار المعوجة..

- عدن!

همست ترنيم بصدمة، رافضة تقبل ان ابنتها تناديها باسمها مثل بقية ابنائها الباغضين وجودها ومعرفتها..

كانت املها الوحيد.. كانت تسعى لسحبها اليها.. وها هي تحطم احلام واامال بنتها جهدا وسعيا طويلا..

لم ينتبه ادم الى اكثر امرأة حقودة عرفها واقفة جانب ابنته الا على صراخ عدن ليفتك من الجحد الخانق ويهرول نحو لين التي ترتجف كورق غصن ذبل وتجره الرياح كيفما تبغى الأمواج سحبها، منتظرا من يرويه عله يحيى من جديد ويزدهر..

هدر بترنيم بصوت حاد وهو يدفعها بكل غل لتتراجع الى الوراء شاهقة:

- اتركي ابنتي لوحدها قبل ان اقضي عليك ترنيم.. وضبي القمامة التي برفقتك وانقشعي الى الأزل، بعيدا عنا.

- مسكين ادم حقا.. لن ادعكم ابدا قبل ان احقق انتقامي منك ومن عائلتك كلها.. سأستمتع بتدمير العائلة فردا فردا صدقني.. انتظر القادم فقط عزيزي ادم.

غمغمت مقهقهة بشيطانية حقودة ليتفطن عماد على ما يدور بجوار شقيقته فيدنو منها، مبعدا البقية عنها بعنف ليجرف جسدها الذي لم تتحرك وضعيته قط في صدره بضمة حنونة عسى ان تبجس نفسها من القوقعة التي اولجت نفسها بها..

كاد ريس ان يقتل مجد بيديه الغاضبة لولا وجود الشرطة والناس الذين تجمهروا ليشاهدوا العرض المزري في المشفى..

ابعد بعض رجال الشرطة ريس بالقوة وبصعوبة عن مجد الساقط ارضا، والذي يلتقط انفاسه بصعوبة، والالم قاصلة تحثه على اطلاق انين متألم..

- ما هذه المهزلة التي حدثت هنا؟ جميعكم الى المخفر.

زمجر الشرطي بغضب ليبتسم له ريس بتهكم جنوني ويهتف بخشونة:

- يبدو انك لا تعرف من نحن ايها الشرطي! ليس ريس الجايد وافراد اسرته من تطئ اقدامهم مخافر الشرطة.. اذ

كان هناك اشخاصا يتوجب عليك اخذهم فها هم امامك على الأرض.. هم من اقتحموا سوار منزلي واتوا بكل شجاعة الى غرفة زوجتي في المشفى ليوصلوا انفسهم الى هذه المرحلة.

تطلع افراد الشرطة الى بعضهم بتدبر ليتدخل الجد محاولا التهدئة من الجو العصبي المتوتر المخيم:

- حضرة الشرطي كما ترى بإمكانك سؤال الاطباء.. هذه غرفة حفيدتي في المشفى وهؤلاء الأشخاص هم من هاجمونا، وكذلك هم السبب في وجود حفيدتي في المشفى، وايصالها الى تلك الحالة.

تنهد الشرطي، مغمغما بجدية:

- حسنا ايها العم.. انا سآخذهم وسآتي فيما بعد لأخذ افادتكم.

اومأوا برأسهم موافقين قبل ان يتابعوا طريقة قبض افراد الشرطة على مجد ورجاله ومغادرتهم.. لترمقهم ترنيم

باستهزاء، ماشية بشموخ، رافعة الرأس وهي تتطلع عليهم فردا فردا باحتقار..

مسح ريس على وجهه بعصبية قبل ان يستدر ويزداد بريق عيناه شراسة واضطراما حالما يجد زوجته في احضان عماد ، فهرول نحوهما زائرا بعنف جهوري:

- ابتعد عماد عن لين قبل ان اقتلك وللّه.

نأى عن لين كما لو ان سلكا كهربائيا قد مس اوداجه واقشعر جأشه، ليأزف ريس منها ويتشقق فؤاده جزعا على انهيارها الذي اسقط معه دماء صمامي لبه على سجاد الإبتئاس والترح.. فصاح بهم بصوت عال حاد يعبر عن مدى سخطه من نفسه ومن الجميع:

- الجميع للخارج.. لا اريد اي شخص هنا.

كادوا ان يعترضوا لو ان الجد لم يتدخل هاتفا بصرامة جدية:

- اتركوهما الان لوحدهما.. عليه ان يُهدئ من ارتياع زوجته.

بعد ان بقي لوحده معها في الغرفة امتطت ساقيه المتخشبة السرير الذي يهتز مع ارتجافتها الأبية عن التوقف.. فإبتلع حبيبات ريقه الجافة، محاولا رفع رأسها الذي ما زال موضوع في حجرها، الا انها كانت ترفض بإستمرار اثار خوفه وقلقه عليها ليصيح بها بغضب خشية ان تختنق:

- ارفعي رأسك اللعنة.

لم يأتيه اي رد منها فتشنجت شعيرات اعصابه وانتصبت كزلزال اهتزت اعماقه ليرفع رأسها قصرا وينصدم ما ان يلمح وجهها المختنق باحمراره الحاد الذي يوحي على انسياب الأوكسجين من رئتيها وتنفسها الراضخ عن الامتثال..

قبّل جبهتها قبلة طويلة، مُهدِّئا من خوفها الذي تضخه لؤلؤتيها الزائغة بوجع اليم سلخه

بسياط حديدي قبل ان يبتعد قليلا ويفك حجابها عن رأسها ويتمتم بتحشرج، مكوبا وجهها

براحتيه الغليظة:

- انظري الي ليني.. كل شيء بخير.. لن يحدث لك ضررا ابدا بوجودي يا ملاكي.. تطلعي الى عيناي فقط ارجوكِ.. لا تزيدي من حدة خوفي وقلقي عليكِ.

بحر عيناها كان ينطق بما تعانيه من شقاءٍ مريرِ.. كان يعبر عن صرخات عذابها الصامتة المكتومة في صدرها لتكويه بحرارتها.. هناك شلل مخيف يتقمص حويصلاتها لتجبرها على الخوار وعدم الإنصياع بما يأمرها به زوجها..

تمتمت بتقطع، لتقطع مع حروف ابجدية مفرداتها التي تنطقها روحه التي تجشمت وبلحت بضنك فتاك:

- احميني ريس.. احميني من شرهم.. سيبعدونني عنك انا متأكدة.

- لن يبعدني عنك الا موتي يا لين.. اسمعت موتي فقط هو من سيبعدني عنك! انت روحي.. حياتي التي احيى بفضلها.. فكيف اذا سنفترق؟

غمغم بجدية عازمة لترفع منبع شلال دموعها اليه،
متأملة ملامحه التي تعشق قبل ان تدس نفسها في صدره
لتستمد منه كل ما هي بحاجة اليه..

****

بعد مرور اسبوعين مليئان بالسكون الغريب عكس ذلك
اليوم القاس الذي قد حدث في المشفى.. كانت لين قد
خرجت من المشفى بسبب تطور وتحسن حالتها الصحية
والنفسية..

وقفت امام المرآة بقامتها المتوسطة لتتوسم حدقتيها
بفستانها الأسود الطويل الذي يزين جسدها الرشيق..

كان مفتوح الظهر ليبرز نعومة ظهرها الفاتنة.. ومساحيق
التجميل الخفيفة التي وضعتها تزيدها فتنة وسحرا..
بينما شعرها العسلي كان مرفوع للأعلى على هيئة ذيل
حصان بسيطة..

تبسمّ ثغرها حينما شعرت بلمسات يداه التي استولت على
خصرها لتستدير بجسدها اليه، محاولة اشباع عيناها من

رجل الجاذبية الراسي امامها ببذلته السوداء الأنيقة التي سلبت جنون اعجابها لترفع قدميها قليلا لتتمكن من الوصول اليه وتقبله قبلة خفيفة بجانب زاوية فمه..

فتوسعت ابتسامته الماكرة المستمتعة قبل ان يثبت رأسها براحتيه، لاثما ثغرها بقبلة مفعمة بالجموح ومتقدة بالمشاعر الهائجة.. ولم ينتزح عنها الا بعد ان ازال احمر الشفاه التي تضعه على شفتيها المغريتين، هامسا بصعوبة:

- هكذا افضل.. لا تضعي احمر الشفاه امام غيري.

- حاضر.

اجابت بإنصياع عاشق ليبتسم ويغمغم بعبث، غامزا لها بذهبتيه اللامعة كشمعة هلالية:

- زوجتي المطيعة.

القت عليه نظرة مستنكرة قبل ان تهتف:

- كان علي ان اكون برفقة صديقاتي واقف بجانبهن لا ان اقضي اغلبية وقتي في المنزل دون فعل اي شيء مهم.

- لين منذ الصباح وانتِ تتكلمين عن هذا الموضوع.. الم تملين؟ اخبرتك وسأعيد واكرر من جديد لن اسمح لك بالبقاء بمكان قد يتواجد به رجال.

رد بجدية صارمة لتغتاظ من تحكمه وغيرته وتدمدم بعبوس:

- ريس حبيبي كيف سيدخل رجال عليهن.. هن بصالون نسائي فمن اين سيأتي الرجال؟

- لا يهمني لين.. اشكري اللّه انني رضيت بفستانك هذا لترتديه.

هتف بخشونة لتضم حاجبيها الرقيقين وترد بضيق:

- اجل رضيت كثيرا ان ارتديه.. فلذلك لم تقبل حتى ان اسمح للنساء ان تراني به.. حتى عدن وامي!

قهقه وهو يجذبها اليه، دافنا حرارة انفاسه في حرارة دفئ جلد رقبتها لتهب القشعريرة مهرولة صعودا ونزولا في خلاياها كلها وهي تسمعه يهمس بنعومة حشرجت صمودها على بساط عشقها:

- لا احب ان يراكِ غيري.. لا احب ان تتمتع عيناي غيري بجمالك وان كانت والدتك.. انا اغار يا فتاتي.. اغار من ذرات الهواء التي تستنشقها مبعث جنوني.. اغار من نظراتك التي تقع على كل ما هو غيري.. غيرتي جنونية.. تملكية.. وانت تعرفين ذلك مسبقا ليني.

- اعشقك بجميع حالاتك ريسي.

غمغمت مبتسمة قبل ان تتناءى عنه مستطردة برقة:

- انتظرني في الاسفل سأرتدي معطفي واضع حجابي وانزل اليك.

هز رأسه موافقا قبل ان ينسحب بهدوء، مترجلا بحذائه الأسود اللامع الى الأسفل، منتظرا حبيبة روحه لتنزل..

كانت هناك قلوب تغرقها الفرحة والسعادة بسبب نيلها على ما تتمناه اخيرا.. قلوب جاهدت

وسعت بكل ما اوتيت بهم من مقدرة للوصول الى هذا اليوم المميز بالنسبة لهم..

تطلع اوس وجود الى بعضهما وابتسامة غرور زاخرة بالمكر والعبث تحتل وجوههما الوسيمة.. ليتذكر كل واحد منهما ما فعله اوس بعد ان اعلنت عدن بموافقتها للزواج منه..

" بعد ان تيقظ اوس من ذهوله صعد راكضا الى غرفة لين في المشفى ليرى الجميع يجلسون بجانب الغرفة.. ودون ارادة منه تنجذب عيناه الى استثنائية عشقه ويهتف بالسلام عليهم جميعا وعليها هي خصيصا لتبعد عيناها عنه بخجل اشعل الوقود في لب خافقه ليدوى قافزا بخفقات جنونية شلّت رشد جماحه..

انتبه الجد لهما الإثتنين ليتساءل بريبة:

- ما بكما انتما الإثنين؟

- حفيدتك يا جدتي ستصبح زوجتي.

اجاب اوس على الجد مبتسما لتشهق عدن، دافنة رأسها بكتف شام الضاحكة عليها من العيون التي لاحقتها..

- مبارك لكما بني.

غمغم الجد بابتسامة لتتهاتف تهنيئات البقية، متمنيين لهما التوفيق..

- انا لست موافقا؟

هتف جواد، ممثلا الجدية للتوجه الأنظار اليه قبل ان يحل اوس منه ويردف بوجوم:

- من طلب رأيك في الأساس؟ انا لم اصدق ان توافق وفي الأخر تأتي انت لتعترض! اعتراضك مرفوض عزيزي.. ريس موافق وهذا يكفي.

قهقهوا عاليا متناسيين ما حصل قبل قليل بسبب ترنيم ومجد ليستطرد مضيفا:

- جدي انا اريد حفل الخطوبة ان يتم مع حفل خطوبة جود.. لن انتظر اكثر.. والزفاف بعده بشهر.

- ماذا؟!

شهقت عدن، واقفة وهي ترمق اوس بضيق قبل ان تتابع هاتفة بنزق:

- وماذا عن رأيي سيد اوس؟ هل تراني مجرد هامش؟

- بالطبع لا يا حبيبتي.. لأثبت لك انك لست مجرد هامش انا متعجل بإقامة حفل زواجنا ولتكوني سيدة بيتك.

رد بعبث لتتراجع قاعدة على مقعدها بتوتر وخجل من كلامه الذي مس اوتار وجدانها لتبدأ بعزف تراتيلها الهائمة.. وقهقهات الجميع التي اخترقت اذنيها لم تكن الا عبارة عن تكردس دماءها القائظة في مسمات جلدها الأمرَه.."

- ما بك شارد؟

همس جود وهو يتأمل بنية اوس الفائقة الجاذبية ببدلته الكحلية وقميصه الأبيض كفارس غطريف، يحمل سلاح وسامته ليخطف اميرته ويحلق بها نحو مملكته وينفرد بها بمقصورة عشقه التي بناها بلهفة مدرارية..

- افكر بجنتي.

غمغم متنهدا بإبتسامة ليستأنف الاخر متابعا:

- ستصبح من نصيبك ابنة عمي.. فلماذا القلق والتفكير الان؟

- لا ادري.. انت تعلم قيس لم نراه بعد الغارة التي قامت بالمشفى.. واليوم سيظهر.. وانا لست بغر حتى لا اعرف نظراته لخطيبتي.. لا انكر بأنني بصرت الندم والألم في عيناه ولكن ذلك لا يمنع خوفي عليها من براثنهم.

همس بوقر قلق.. حال ما يتذكر السمة التي كانت عليها وقت ما أُختطفت تحتش وتجتث اغشية خلاياه.. سيدسها ويضمرها في ثنايا جذوره ليوغرها ويحميها من الكون اجمعه..

- قيس كان لديه اسبابا اوس.. لا تفكر به بنية عاطلة.. سيخبرني اسبابه بعد الخطوبة.. فلا تظلمه وتحكم عليه بالسوء.

رد جود برجاحة ليتنهد الأخر بحرارة قبل ان يتمتم:

- اعلم.. لا تأبه سيسير كل شيء على ما يرام بإذن اللّه.. وعموما فكرة ارتداء نفس البدلة لم تكن سيئة فانت تبدو بغاية الأناقة لدرجة ان خطيبتك ستجن.

قهقه جود مغمغما بخبث:

- لا تستخف برجال الجايد عزيزي.. وكذلك بإناثهم فإحترس على نفسك من ابنة عمي.

- سنرى.

غمز له اوس بعينه مجيبا قبل ان تتوجه انظارهما للباب الذي فُتح ليدلفا ريس وجواد اليهما.. وابتسامة اسِرة تطغي وجوههما الفاتنة..

- اراكما جاهزان.

هتف ريس بإبتسامته الخلابة ليضيف جواد بعبث:

- واراهما متلهفان اكثر من اللازم.

تعالت قهقهاتهم الرجولية قبل ان يدمدم جود بغيظ:

- هلا تكفان عن اثارة غيظنا.. ذلك سيكون لمصلحتكما.

وقبل ان يتمكن ريس من رد جوابه كان عماد يندفع بعجلة اليهما، رادفا:

- ريس الفتيات يريدونك.

- اذهب اليهن يا رجل.. لا احد محظوظ غيرك.

همس اوس بطريقة فكاهية جعلت البقية يضحكون على تعابير وجهه المرحة..

انسحب ريس من امامهم، هاتفا:

- لا تتأخروا.. بعد قليل سيبدأ الإحتفال.

اومأوا بموافقتهم على كلامه ليسفر جناحيه ويتلتلهما الى ردهة شقيقته..

طرق على الباب بهدوء لتفتح له لين بإبتسامتها العاشقة وتغمغم بحب:

- سأخرج انا وشام.. تكلما بمفردكما.

سبيكتيه الذهبية طوّقت رماديتها العذبة واقتضت عليها بسلطته العنجهية الصنديدية ليتدفق سيلان التتيم، راقصا بغبطة مسرورة..

جذبها من يدها الى الخارج قبل ان تتمكن من الولوج الى الداخل مرة اخرى لتشهق حالما ارتطم جسدها بالجدار النديّ.. وزوجها وحبيبها يشرف عليها بمحاصرته لجسدها، هامسا بخشونة:

- سأدخل واتكلم معها، لكن ليس قبل ان أُشبع عيناي العاشقة منك قليلا يا زوجتي.

ابتسمت بخجل، واضعة اناملها الرهيفة على صدره ليداعبوا ازرار قميصه وهي تغمغم بدلال مُغنّج:

- انا امامك طوال الوقت حبيبي.. ولكن لن امانع ابدا ان أُشبع انا ايضا منبعي المتلهف من رؤية رجلي الوحيد والأوحد مع انه لا يكتفي ابدا.

رجفة راسخة اختلجت شحنات لباب مأواها واستيطانها الوحيد في سراياه.. وغيوم داكن بريقها دوت بحدقتيه

من دلعها الذي يمزق رابطة تزّهُده ليقبض على اناملها هامسا بعاطفة خشنة:

- لا تلعبي بالنار ليني.. الزمان والمكان ليسا مناسبان وملائمان لتشعلي نيراني الهامدة والوقورة.

- لن اكون لين ابنة ادم وزوجة رجل الجايد اذ لم العب بالنار ريسي.

تمتمت بهمس ناعم.. وشعلتيها تتلهف توقا اليه ليبتسم بمكر مُدلهم قبل ان يسحق ويتذوق رحيق ثغرها بشفتيه الوالهة، والعاطشة لإقتناء مُستساغ غضارتيها.. ولم ينتأي عنها الا بعد ان اغترف واغتذى كل اكسجين رئتيها ليثبتها براحتيه الخشنة، هامسا:

- لا تلعبين بناري ابدا لين لأنك لن تتمكني من تحملها.

همهمت بصعوبة، خامرة وجهها المقتد في عضلات صدره المتينة لتتوسع ابتسامته اكثر ويهتف بمداعبة ابعدتها عنه بسرعة:

- ما رأيك ان نترك حفل الخطوبة اللعينة ونعود الى منزلنا؟

- مستفز.. ادخل قبل ان يرانا احد في هذه الوضعية.

اجابت بإبتسامة قبل ان يقهقه بخفة ويردف:

- زوجتي وحلالي.. ويوجد جدران كثيرة في القصر لمن لا يعجبه فبإمكانه ضرب رأسه بواحد منهم.

- مجنون.. سأنادي شام لتتمكن من الدخول.. اياك ان تدلف قبل ان اسمح لك.

همست بتهديد ليومئ لها برأسه بخوف مصطنع لترمي اليه قبلة مسرورة قبل ان تختفي خلف الباب الخشبي..

- هيا شام لنخرج فريس سيدخل.

همست بإبتسامة ليتطلعا عدن وشام الى بعضهما بإبتسامة ماكرة قبل ان تتساءل عدن، رافعة احد حاجبيها الى الأعلى:

- كل هذا الوقت كنتِ تفتحين الباب لين؟ ماذا كنتما تفعلان؟!

- ليس من شأنك.. لا تتدخلي بيني وبين زوجي وفكري فقط بحبيبك اوس.

رمقتها عدن بحنق لتقهقه شام عليهما قبل ان تضع حجابها وتغمغم:

- هيا لنخرج نحن لين، وندع زوجك يدخل الى اخته.

اومأت لين لها سريعا، حادجة نظراتها الخبيثة على عدن لتهمس الأخرى بامتعاض:

- عسى ان لا يهنئ ريس بالك بهذه الخطوبة بغيرته يا لين.

تشدقت لين زاجرة بسخرية وتهكم:

- لنرى من لن يهنئ بال من.. ريس ام صديقه؟

- اللعنة عليك يا مغرورة.

صاحت عدن بغيظ، قاذفة الوسادة التي بجانبها على لين لتتفاداها الأخرى بإحتراف وهي تنبجس من الغرفة..

- بإمكانك الدخول ريسي.. لا تتأخر فأنا انتظرك في الأسفل.

همست بنعومة لتتقعر شام بإحتدام وازدراء..

- من عيوني.

غمغم مبتسما لترد بتغنج اشد حتى تثير غيظ شام اكثر:

- فليدمهم اللّه لي.

- استغفر للّه العظيم.. اصبحتِ لا تُطاقين يا فتاة.

تمتمت شام بعبوس لتضحك لين وتغمغم بعبث:

- لا تقلقي اخي يجيد الرومانسية بإتقان وابداع.

- اخرسي وامشي امامي.

زمجرت بضيق وهي تدفع لين امامها لتحثها على السير..

زلف ريس الى غرفة اخته مبتسما على جنون معشوقته..
لتنتصب عدن واقفة بخجل حال ما تراه وتناديه بفرحة:

- ريس..

دنى منها، ساحبا اياها لحضنه.. وغمغم بحنو:

- حبيبة اخيها تبدو في قمة الجمال.

ابتعدت عنه قليلا وتوقفت امام المرآة الجسيمة تتأمل انعكاسها.. كانت ترتدي فستانا طويلا باللون الزهر الفاتح، ضيق من الأعلى ليبرز رشاقة قدها، اما بقيته فيمتد بإنسابية فاتنة الى الأسفل ليلامس اطرافه الأرض الزجاجية الرمادية.. وحجابها التي لفته بنعومة تلائم رقتها ذو اللون الكحلي الأملس يضيفها اناقة وطهارة.. ومساحيق تجميلية خضلة تناسب بشرتها حتى تزيدها جمالا..

- اتعلم اليوم وانا اتجهز رغبت بأن تكون والدتنا معنا وتقف بجانبنا وتبهجني بإبتسامتها الدافئة.. كم اتمنى لو انها لم تكن بمثل هذا السوء!! تمنيت ان اجهز نفسي

امام عيناها.. لكن في النهاية اجد ان هذا كله احلام مستحيلة.. ترنيم ليست ام ولن تتغير ابدا.. هي امرأة انانية لا تكترث الا بنفسها وبزوجها الذي اكره.

صمتت لوهلة لتزيل الدمع الذي تكور في جفونها قبل ان تسترسل هامسة بإبتسامة حزينة:

- ومع ذلك كله انا سعيدة اخي.. صحيح انني لا املك ام ولا اب.. لكن انا لدي الكثير ليدعموني ويقفوا بجانبي ليُسرِّبوا الامان والطمأنينة الى روحي.. انت، جواد ، لين، جدي، وعمتي الين التي قد تصل بأي وقت.. لا اعرف ريس حقا.. انا فقط ممتنة لكم جميعا.

توقف قبالتها وامسك ذقنها برقة لتتطلع الى عيناه قبل ان يردف بجدية مليئة بالحنان:

- عدن.. لا اريد ان اكرر هذا الامر كثيرا.. انا اخبرتك مسبقا انتِ ابنتي.. وانا دائما سأقف بجانبك.. والان سأكون والدك ووالدتك واخاكِ.. سأقف كدرع حاميا

لكِ بين الجميع وسندا ترمي عليه كاهلك وان كان ثقيلا.. وليس الان فقط اختي بل دائما وبإستمرار.

تبسمت ودمعة تأثر أضعفتها تتزحلق بتلكك متمهل على وجنتها ليمسحها ريس سريعا بإبهامه، زاجرا اياها بتأنيب:

- لا تبكي عدني.. دموعك الغالية يجب ان توقف امطارها وتخفي نفسها.

اولجت نفسها في حضنه، هامسة:

- احبك اخي.

- واوس؟

هتف بعبث ليتمكن من رؤية ضحكتها الحسناء تزيّن ملامح وجهها الشجية.. وها قد نجح لتضربه عدن بخفة على صدره مقهقهة..

****

عجّت الترانيم الهادئة والألحان السنسبيلية في الخلاء.. وأُبلجت الأضواء المنيرة على الضيوف الحاضرة.. وجلجلة وشقشقة الأفواه تتكدس من كل مكان في ساحة

القصر المكتظة بالضيوف.. بينما الأطفال الصغار يتراكضون حول الأواني والزهور الثالبة على العشب الأخضر الرطب..

كان واقفا بجوار جده وعمه، يسلّم على الضيوف بلباقة وتهذيب.. وسريعا ما كانت عيناه تبرق بلهفة وشوقا ريثما رأها تدلف برفقة جدتها واختها ليهرع نحوهن، مغمغما بإبتسامة:

- اهلا بكن.. يسعدني عدم رفضكن لدعوتي وتلبيتها.

- ما كان عليك ان ترسل احد رجالك ليحضرنا من المنزل.

تمتمت الجدة بإبتسامة ليهتف بتأنيب:

- وهل سأسمح لكُن بالحضور لوحدكن جدتي.

- مشكور جواد.

همست ريما بإبتسامة ليفيض من لؤلؤتيه هياما ملحوظا وهو يتأمل جمالها الطبيعي وفستانها الرقيق البسيط ذو اللون الأحمر..

- لا داعي للشكر.. تفضلوا بالدخول.

غمغم بإبتسامة ليدلفوا برفقته الى ركن جانبي في الساحة الموسرة في كل جانب وكل زاوية..

- يبدو ان جواد معجب بتلك الفتاة التي اعتدى عليها سابقا.

همست لين لريس الواقف بجانبها، يتأملان اللمعة البارقة في مقلتي جواد..

- اظن ذلك انا ايضا.. فهو اصرّ على دعوتهن.. ليس قليلا اخي.. يحب ويعشق دون علمنا.

اجاب ريس مبتسما لتتنهد لين رادفة:

- لكن الفتاة صغيرة ومراهقة.. مشاعرها ليست ثابتة ومستقرة.

- اعلم ذلك.. لكنه على ما اعتقد لم يعترف لها ولم يتجاوز حدوده معها.. انا اعرف جواد واعٍ ولن يقوم بعمل يمس الفتاة او يمسه بضرر.. ولا تنسي ان جواد يخاف اللّه

كثيرا ولن يسمح بنفسه باللعب بفتاة ما.. اكثر ما يثير حزازيته هو الشرف.

همس ريس بجدية للين لتغمغم بتفكير:

- اعلم ذلك..

ران الصمت بينهما لثوان معدودة قبل ان تتساءل بشك:

- ريس لن تتكلم مع قيس الان.. اليس كذلك؟

- لا لين، لن اتكلم معه الان.. كل موضوع له وقته.

تمتم بنفاذ الصبر لتبتسم له براحة، هامسة:

- جيد.. سأصعد لأرى شام وعدن.

ردعتها يده التي قبضت على معصمها بغلاظة وهو يزمجر، جاذبا اياها الى جانبه تماما:

- لا تتحركي من جانبي لين.. الا ترين الحشد المتجمهر هنا؟

- ريس لن يتكلم معي احد.. لا داعي لغيرتك وخوفك الان.

دمدمت بضيق ليكرر بصرامة:

- ابقي بجانبي لين دون كلمة واحدة.

تذمرت بحنق من انقلاباته المتعجرفة ليقهقه بخفة حتى يزيد من عبوسها المحبب.. ثم سرعان ما لبث ان هتف:

- ها هن صديقاتك يا حبيبتي.. لا بد انهما كانتا مشغولات بالترحيب بالضيوف.

- يبدو ذلك.. ريس اتذكر حفل خطوبتنا؟ لا اصدق انني انا من كنت اكرهك واكره ذاك اليوم!

همست بإبتسامة، متذكرة رفضها وكرهها لحفل خطوبتهما ليتذكر الأخر بدوره ويرد متبسما:

- وهل انسى شيئا يخصنا ملاكي؟ بالتأكيد اتذكر.

****

توقف كل من جود واوس بجانب خطيبته، مستمتعان بقربهما وبجمالهما الذي مزق كل اقتران صبرهما ونخره في بسمة خجولة منهما..

كانت خطوبة مميزة وفريدة عن باقي الخطوبات.. ارتداء اوس وجود نفس البدلة.. وشام وعدن نفس الفستان ونفس لفة الشال كان في غاية الغرابة بالنسبة للضيوف..

وها هو التوق والشغف يزدادا اكثر حينما اعلنوا عن موعد ارتداء المحابس ليقتربوا الأزواج والفرحة تغمس مهجهم في طيات البحور العاشقة من المنصة، ليقوم كل زوج منهما بتلبيس شريكهِ المحبس الذي سيوصل بينهما وسيعلن عن صك الملكية لكل منهما بالأخر..

بعد اتمام ارتداء المحابس امسك اوس بيد عدن برقة ليسحبها الى طاولة والدته واخته الصغيرة لتسلم عليها بإبتسامة هامسة:

- اسفة خالتي لأنني لم اتمكن من السلام عليك.

- لا داعي للإعتذار حبيبتي.. انتِ مكانتك الان مثل مكانة اوس تماما في قلبي لذا بإمكانك ان تناديني امي لا خالتي.

غمغمت ام اوس بإبتسامة صافية لتلمع عينان عدن بدموع ألم وامتنان.. فقامت بضمها بإبتسامة شكورة، هامسة برقة:

- اشكرك امي.

كان اوس يتابع المنظر المؤثر بحدقتيه السوداء بكل فخر واعتزاز.. حنية وطيبة حبيبة قلبه لم تزده الا عشقا.. تواصلها السريع الودود بأمه فرش رياشة فؤاده على الفراشات الساكنة لتتطاير من كل مكان..

- اريد ان اعانق خطيبة اخي ايضا امي.

تذمرت الصغيرة بضيق لتبتعد عدن عن ام اوس مبتسمة، وتنزل بجسدها اليها مغمغمة بحنو:

- وخطيبة اخاكِ تريد معانقة اجمل سيلين عرفتها.

تعلقت الصغيرة برقبتها، متسائلة بفرحة طفولية:

- عدن متى ستأتي الى منزلنا وتعيشي بغرفة اخي اوس؟

توردت وجنتيها وظهر التوتر على ملامح وجهها لتوبخ الأم سيلين حتى تصمت.. ولم يكن اي شخص مستمتعا بقدر

المُدنف الواله الذي اعجبه كلامه اخته الذي اقار خجل خطيبته..

****

في صباح يوم جديد لم يغادر ريس الى عمله ليقضي وقتا اطول برفقة زوجته..

جلسا الإثنان على طاولة الإفطار التي حضرتها الخادمة بتفنن والتي استدعاها ريس من القصر حتى لا تتعب لين بسبب مرضها..

نظر ريس الى الخادمة متسائلا بعينيه اذا وضعت دواء لين التي الزمته الطبيبة بإرشافها اياه بأي طريقة الى ان تتحسن نفسيتها بصورة نهائية.. فأومأت له بهزة بسيطة من رأسها دلالة على انها فعلت..

- لين حبيبتي كلي اولا قبل ان تشربي.

هتف ريس بإبتسامة لترد له الابتسامة قبل ان تقوم بفعل ما قاله..

- ريس اريد الخروج مع شام وعدن اليوم؟

غمغمت برجاء ليتابع اكله ببرود وكأنه لم يسمعها..

- ريس انا اتكلم معك.. لا تتجاهلني.

كررت بضيق ليناظرها ببرود اشد، رادفا بصيغة حازمة:

- اظن جوابي وصلك لين.. لا انت ولا عدن ستخرجان.. ولا تجادليني.

تركت ما في يدها، هامسة بحنق:

- لكن لماذا؟ انا مللت من الجلوس في المنزل.. اريد الخروج.

- لن اعيد كلامي لين.. انتِ ملزمة بطاعتي وطاعة كلمتي.. لا تنسي ذلك.

زمجر ريس بحدة لتنهض عن الطاولة بضيق شديد، متوجهة الى غرفة دراستها ليزفر بسخط وينهض هو الأخر..

ربضت على الأريكة المخملية، ممسكة بهاتفها لتتصل بعدن وسرعان ما اتاها صوتها النائم.. فهتفت بغيظ:

- انهضي.. لا مجال لنومك الان.

- ما الأمر لين؟!

تمتمت الأخرى بنعاس لترد عليها بعبوس:

- ريس لا يريدنا ان نخرج.. ماذا سنفعل؟

- كنت متأكدة واخبرتك مسبقا.. بالتأكيد لن يسمح لنا خشية ان نُخطف او يعتدي احدا علينا من رجال مجد وترنيم.. وهو محق.

همست الأخرى بجدية لتتأفف لين بصوت عال وتغلق الهاتف بعد ان تجيب:

- تبا لكِ.. لن يحدث شيء.. اكاد اختنق من جلوسي في المنزل.. ايًا كان بإمكانك ان تعودي الى النوم.

انهت كلامها، خارجة من الغرفة، باحثة برماديتها عنه.. الا انها لم تراه قط.. فسارت نحو المطبخ لتجد الخادمة ممسكة بدواء ما..

- ما هذا الدواء الذي بيدك؟

هتفت لين، متسائلة بشك لتتوتر الخادمة وترد بإرتباك:

- هذا الدواء لي.

- اريد ان ارى.

همست بصيغة امرة وهي تسحب علبة الدواء من يد الخادمة لتتوسع عيناها بصدمة حال ما ترى اسمها مكتوب على العلبة مع المواعيد التي يجب ان تتلقى بها الدواء.. فتمتمت بإرتعاش:

- انا لدي مرض القلب؟! كيف؟! هل كنتِ تضعينه بطعامي حتى لا اعرف؟

- ذلك طلب زوجك سيدتي.. انا ليس لي اي ذنب.

اجابت الخادمة بتوتر وخوف لتتطلع الى الدواء الذي بيدها بذهول وهي تفكر ان لديها مرض القلب وريس اخفى عنها هذا الامر لسبب لا تعلمه ولا تستنبطه..
كانت مريضة منذ فترة وهي غير مدركة لما يدور حولها او حتى لما يدور بجسدها..

- ما الأمر؟

هتف ريس بجدية بعد ان ولج الى المطبخ، باحثا عنها لتزدرد الخادمة لعابها سريعا وتخرج.. بينما لين الواقفة بإذبهال تطالعه بدموعها المخذولة..



الفصل السابع وعشرون (الجزء الاول)

ويلاه ثم ويلاه يا حبيبي من عش حبنا..

امتحقَ تحت مسراب وصبنا وترحنا..

وتزعزعَ تحت وطأة غرمائنا ومعادينا..

انيني المفتوك اخترق سرايا مجثمنا..

وزلزل سرمدينا ليلسع مستقار مرتعنا..

حائرة انا في اختيار موت وشم روحنا..

شتآن بين النار وبين الماء لأقضي على اثير وصلنا..

أحترق ام اغرق يا خليلي في عراء شغفنا؟!

ففي كلا الحالتين سأفني روحي دما لعشقنا..

- ما الأمر؟

هتف ريس بجدية بعد ان ولج الى المطبخ، باحثا عنها لتزدرد الخادمة لعابها سريعا وتخرج.. بينما لين الواقفة بإذبهال تطالعه بدموعها المخذولة قبل ان تهمس بحرقة:

- انا مريضة قلب ريس!! و.. وانت اخفيت عني هذا الأمر.. لماذا؟!!

دنى منها ببطء ليزيد من تحطيم زجاج فؤادها ونثره تحت قدميها لتدوس عليه حتى يتفاقم انين المها.. وحال ما توقف قبالتها غمغم بهدوء:

- لأن ما كان عليك ان تعرفي.. وضعك النفسي والصحي منعني من اخبارك.

- منذ متى؟ منذ متى عرفت ريس؟

تساءلت بعصبية ولؤلؤتيها التي تهدر شلالي دموعها تزداد لتطعنه بسموم اوجاعها والأجسام المضادة التي يعمل عليها جهاز المناعة في جسده يتخاور ويضعف.. فأجاب متنهدا:

- منذ الحادثة.. حيث كنتِ في المشفى.

ابتسمت بتهكم مرير.. هي اخر من يعلم انها مريضة..
اخر من يعلم انها تتلقى العلاج.. استغفلوها ولعبوا بجسدها
كأنها دمية يحركونها كيفما تشتهي نفوسهم.. كأنها
ورقة بالية ليس لها قيمة ولا معنى.. وليس لها حرية رأي
ولا حرية تصرف ايضا..

همست بثبات اثار توجسه وقلقه عليها:

- كل هذه المدة! كل هذه المدة ريس! ماذا تظنني؟
غبية ام ماذا؟

دون شعور قبضت راحتيه على كتفيها ليهزها بعنف،
هاتفا بغضب:

- كفي عن غباءك لين.. الا تعرفين ما الذي عانيته
ريثما علمت؟ كدت اجن من شدة خوفي عليك! كدت
اموت اذ لا سمح الله اصابك سوء او ضرر! فكيف تريدين
مني اخبارك و حالتك النفسية والجسدية ايضا كانت
باسوأ حال؟ هل انا مجنون لأزيد من حدة خوفك اكثر
واخاطر بحياتك؟ انت ستتابعين علاجك وانا سأكون
معك في المسار الذي ستسلكينه بموافقتك او دونها..

ولا تنسي كذلك يا لين انتِ لست اول ولا اخر انسانة لديها مرض القلب.. اشكري اللّه على كل شيء سواء في العسر ام في اليسر.

تعالت شهقاتها وهي تغلغل ذبذبات كلماته الى ثناياها لتدرك صحة الأمر.. هي لديها مرض قلب! هي معرضة للنوبات في اي وقت.. هي لن تتابع حياتها وتحقق احلامها كما تتمنى.. هي ستصبح حملا ثقيلا عليهم جميعا وخاصة عليه.. على زوجها! هي لن تكون حياتها طبيعية كما كانت فكذلك دون ارادتها ستجعل حياة البقية غير عادية مليئة بالمخاوف والمخاطر..

لم ترفع رأسها اليه ولم تتوقف شهقاتها التي مزقت صمامي لبه الا حينما شعرت بلمسته الخشنة تتحول الى لمسة ناعمة على وبر جلد ذراعيها لترفع رمادتيها التي تسيل منها عبرات شجية تعبر عما تعانيه.. وهمست بحزن، محاولة كتم انتفاضات شهقاتها وسد مسرب نيلُها:

- احمدُ ربي دائما وابدا يا ريس.. انا لا اعترض على حكمه وقضاءه ولن اعترض قط في عمري.. ولكن ذلك

لا يعني بأنني لا استطيع ان احزن او ان اغضب.. فبقدر غضبي منك انا ممتنة لك.. اجل! انت محق.. ما كان يجب ان اعرف فربما كنت سأنهار اكثر واتدمر ولكن.. ولكن مع ذلك يا ريس حالما اتذكر انني كنت اتلقى علاجي في طعامي وانا بكل سذاجة اتناوله يجعلني اغضب.. اشعر الان بأنني ساذجة فقط.

عُقِد لسانه، عاجزا عن الرد عليها وايقاف بزوغ كلامها الذي قهره قهرا عجيبا.. ترددت حروفه ان تتحد وتجتمع لتكوّن جملة او حتى كلمة واحدة.. مع اعصار لؤلؤتيها لدموعها كانت تتفكك حباله الصوتية بسطوة وطيدة اكثر فيُحاصر لسانه برباط الصمت ليعمل على قتله بصورة افظع واوجع وهي تتابع بجدية:

- انا بحاجة الى راحة ريس.. اريد ان افكر بالكثير فأرجوك امنحني راحة الإنفراد لفترة قصيرة ولا تقترب مني الا ريثما اطبع ختمتي بوصمة تفكيري وبكائي.

بعد ان ختمت صك عبراتها وصك حديثها تقهقرت بخفة من امامه ليتطلع الى مطرح اثرها بذهول من سكوته وعدم رده عليها..

****

تخفرت حواسها عند سماعها رنين هاتفها الذي دوى معلنا عن وصول اتصال.. فتركت القلم الذي شابكته اناملها وهبت كريح ملساء نحو سريرها لتلتقط الهاتف بإبتسامة خجولة مبهجة حالما رأت من هو المتصل.. وهمست بصوت ناعم:

- السلام عليكم.

اتاها صوته الرجولي المغري لتتوسع ابتسامتها اكثر كبلهاء عاشقة.. ودق طبول قلبها يحتد ويستفحل.. وقشعريرة انِفة تثير ارتجافة اطرافها:

- وعليكم السلام.. كيف حال خطيبتي وحبيبتي؟

- انا بخير اوس.. وانت؟ اجابت بإبتسامة هادئة ليغمغم برومانسية محببة:

- حالي كما هو حال محبوبتي وعدن روحي.

- اوس هل اتصلت لتتغزل بي؟

تمتمت بضيق من وجنتيها التي تحرقها من شدة سخونتها ليبتسم، مُدركا خجلها.. بات يعرف كل تصرف صغير وكبير يبدر منها.. تبكي حينما تخاف كطفل يتيم.. تغضب حينما تخجل محاولة خفي خجلها الذي يزعجها، غير عالمة بلمعان بحريها ووجهها البدري الذي يضطرم ليفضح ما تجهد لإخفائه.. روحها الشقية التي سترتها المشاكل والصدمات..

فرد عليها بشقاوة:

- اجل لأتغزل بك.. وبالإضافة الى ذلك لأخبرك انني سآتي واخذك في تمام الساعة واحدة ظهرا لذا حضري نفسك.

- الى اين؟

تساءلت بفضول ليهمس بعبث:

- ماذا سأحصل مقابل الجواب على سؤالك؟

- بالتأكيد لا شيء غير ان افكر بأتعاب جسدي للبحث عما ارتديه.

قهقه، مستمتعا بفرسته التي عاودت ظهورها.. والذي قسم على ترويضها بنفسه وترويض وقاحتها ومشاغبتها.. وأجاب بحزم مرح:

- اذا انسي ان تعرفي الى اين سآخذك فرستي لأنك بكل الحالات ستنفذين اوامري.

- سنرى ايها المغرور.

تمتمت بغيظ وايونات التحدي تجول حولها لتحثها على معاندته.. فتعالت قهقهته الرجولية مرة اخرى لتأجج الويلات في فؤادها الخافق..

- عدن انهضي الان قبل ان اتي بنفسي لأغير لك ملابسك.

هتف بتهديد ، ممثلا الجدية لتتذمر بإرتباك وخجل قبل ان تغلق المكالمة بحنق:

- وقح.. سأخبر جدي وجواد اولا.. اتمنى ان لا يوافقا.

ضحك على مجنونته بعشق ووله صنديد متيم.. وكل خلية في جسده تطفر صارخة بحبه لعدنه.. لجنته لوحده.. ثم بعد ثواني قليلة قرر ان ينزل الى الأسفل لينادي بصوت عال، عازم على تنفيذ ما يحوم في خاطرته:

- سيلين اين انت؟

- انا هنا اوس.

اجابت الصغيرة وهي تركض نحوه ليبتسم لها بحنو وينزل برجليه الى مستواها هامسا:

- اصعدي وغيري ملابسك.. سأخذك معي.

- الى اين؟

تساءلت بفضول طفولي ليطفو حول مخيلته كلام محبوبته وفضولها.. ويُيقن بأن لا فرق بينها وبين اخته غير الحجم!

فرد متبسما بإتساع وعيناه الداكنة يزداد وميضها الخلاب:

- مفاجأة.. لا مزيد من الأسئلة والا اغير رأيي.

تمتمت بحنق قبل ان تصعد راكضة الى غرفتها لتجهز نفسها والبهجة الطفولية تنبع من عينيها العسلية دائمة الفرحة..

- الى اين ذاهب اوس؟

اتاه صوت والدته الدافئ ليستدير اليها ويدنو منها، مغمغما بحب:

- سأخرج مع عدن وسيلين قليلا ثم سأحضرهما اليك.

- احب على قلبي.. لا تصدق كم احببت هذه الفتاة كما احببت ريس تماما.. يدخلان الى القلب بسرعة.

همست امه بإبتسامة ليؤيدها متابعا:

- فعلا اوافقك الرأي.. ولكن تشبيهك بعدن لريس لا ينفع.. ريس الصارم الجدي والخشن بعدن الرقيقة الشقية والحبيبة.. بالطبع لا.

ضحكت امه هاتفة بإستمتاع:

- لقد اوقعتك الفتاة في فخ العشق.. تحمل يا بني.. فما زلت لا تدرك ما هو العشق وما هو اقصاه.

- اجل يا ام اوس انا وقعت منذ زمن طويل في دوامة سحر فخها.. فأنا اراها جنتي.. ابنك عاشق يا امي كما عشقتي والدي وكما هو عشقك له.

صرح بإعتراف مستهام مغرم لتتلألأ العبرات الشجية الفاقدة والمشتاقة الى حد النخاع في مقلتيها وهي تغمغم:

- رحمه اللّه.

- مشتاقة اليه امي؟ لأبي اقصد.

تساءل بحنو وهو يقربها الى صدره، معانقا جسد والدته ببنيته القوية لتومئ له بحزن، دافنة شوق عظيم في طيات خلاياها:

- كثيرا يا اوس.. كثيرا.

مسحت انامله دموع امه الغالية وهمس لها بحنو ابن بار:

- لا تبكي امي فدموعك ثمينة على قلبي وعلى قلب ابي.. انا ابنك وحبيبك وسندك ورجلك.. لا تنسي ذلك ابدا.

- اعلم بني.. رضي الله عنك.

غمغمت بإبتسامة هادئة لأبنها الصالح الذي يسعى دوما لإسعادها وابعاد اي كرب او هم ضئيل قد يمسها..

وفي تمام الساعة واحدة ظهرا توقفت سيارته بجانب مدخل القصر منتظرا نزول خطيبته اليه..

همست سيلين القابعة في المقعد الخلفي عند رؤيتها لعدن التي تقترب منهما بفرحة ولهفة لأخيها قبل ان ترتجل من السيارة راكضة:

- اوس ها هي خطيبتك.. سأنزل لأعانقها.. لا تنزل انت.

- عدن..

صرخت ببهجة وهي تقفز بحضن عدن لتحملها الأخرى بإبتسامة حانية، رادفة:

- يا قلب عدن وروحها.. اشتقت اليك سلونتي.

- وانا اكثر.. هيا تعالي اوس سيأخذنا الى مكان جميل.

غمغمت، متعلقة برقبتها كقطة رهيفة تحت انظار المراقب الأشْوَس المتلهف لتتساءل عدن بخبث:

- الى اين يا صغيرتي؟ اخبريني حبيبتي.

- لا اعرف.. لم يقبل ان يخبرني.

تمتمت سيلين بضيق لتتذمر الأخرى مثلها قبل ان يتقدما ساخطات نحو اوس المبتسم بغطرسة وعجرفة..

فتحت عدن الباب الخلفي لسيلين لتهب الصغيرة والجة وراقدة على المقعد لتفعل هي مثلها ولكن بجوار خطيبها..

- السلام عليكم.

غمغمت عدن بضيق ليتأملها بهيام قبل ان يهتف بجدية:

- لا اريدك بعد الان ان تضعي اي مستحضرات تجميل حينما تخرجي.

- لا اضع على فكرة غير مرطب شفاه وكحل.

ردت عليه بغيظ ليهتف بإصرار:

- لا يهمني عدن.. انتِ جميلة دون اي شيء وهذا يقتلني غيرة ولهفة اليك فلا تزيدي من جنوني اكثر بوضعك هذه الأشياء امام غيري.

- ما هو المقابل اذ نفذت طلبك؟

تساءلت بمكر ليضحك بخفة قبل ان يصححها بصرامة:

- هذا امر يا عزيزتي وليس طلبا.. اما بالنسبة للمقابل فستحصلين عليه بعد زواجنا.

- وقح.. لا اريد اي مقابل منك.

دمدمت بسخط لتتدخل الصغيرة هادرة من بين شفتيها المزمومتين بحنق:

- ولكنني اريد ان ارى ما هو المقابل.. اوس ستدعني ارى صحيح؟

- اجل عزيزتي ستري ناتج المقابل.

رد على اخته مبتسما بمكر لتحمر وجنتي عدن بخجل شديد وتشيح عنه بتوتر وارتباك..

كان جاثما على مقعده في شركته، مفكرا بشرود بما هو سر اخ خطيبته قيس، منتظرا اياه الى ان يأتي ليطلعه بالخفايا المستورة..

وسرعان ما كانت سكرتيرته تتصل به معلنة عن وصول زائر ليسمح لها بإدخاله..

دلف قيس هاتفا بسلامه وهو يصافح جود قبل ان تمتطي قدميه الطويلة المقعد الجلدي الأسود..

- اسمعني جود سأدخل الان في صلب الموضوع لأنني على عجلة من امري قليلا.

غمغم قيس بجدية ليرد عليه جود بنفس الاسلوب:

- انا اصغي اليك قيس.. اخبرني.

- لا اعرف اذ كنت تعرف بأنني لست اخ شام من نفس الأم! انا اخ شام الغير شقيق اي فقط من نفس الأب.. والدتي التي انجبتني توفت بعد ان انجبت اخي الصغير

والذي لا يعلم بوجوده غيري.. اجل جود.. انا لدي اخ صغير يبلغ الخامسة عشر من عمره ولكنه ليس بكامل قواه العقلية.. هو على هذا الحال بسبب مجد الحقير.. سأخبرك بالقصة منذ البداية حتى النهاية.

همس قيس بحرارة مرهقة لجود المصدوم، الذي لا يصدق كل هذه التراهات.. شام خطيبته والى الان لا يعرف ان قيس اخيها الغير شقيق! تلك التي على قرابة بعض اسابيع ستكون في منزله وزوجته لا يزال لا يعرف عنها وعن عائلتها الا القليل.. تُواري خلف قناعها الصادق خفايا كثيرة.. كيف للصدق والأسرار ان يجتمعا بها؟! كيف لها ان تتقن هاذان الأمرين بإحتراف ودقة؟! لا يعرف اذ كان عليه ان يلومها ام لا.. لا يعرف حقا..

وعى عقله الباطني ليضمحل تحت استمرار قيس بالكلام الموجع:

- حينما كان اخي الصغير يبلغ الثالثة عشر من عمره كان يعبر الشارع في يوم من الأيام ليكاد ان يصطدم بسيارة ما.. ولم تكن الا سيارة مجد الخسيس.. ولو ان

السائق لم يتوقف بأخر لحظة لكان اخي الأن متوفي ايضا.. ومع ان الحق كان على السائق لأنه كان شاردا، نزل مجد صارخا على اخي ومهينا اياه ومستحقرا فقره فقط من ملابسه التي لم استطع ان اوفرها له رغم كل ثروة والدي.. ولم يتحمل اخي كلام مجد وهو يهين بوالدتي وفقره فهجم عليه بطينته الصغيرة مقابل طينة مجد الوحش ليخرجوا رجاله من سيارتهم معنفين اخي الى حد الموت، غير مهتمين بأنه طفل صغير! لا يبلغ الا الثالثة عشر من عمره! وفقد بعدها اخي قواه العقلية واصبح تحت رحمة مجد وأُسْتَغَليت انا من قبل مجد وترنيم لكي لا يقتلوا اخي الذي اصبح رهينة عندهما.. هذا هو سري يا جواد.. عرفته الان.. فرجاءا لا تلمني اكثر من ذلك.. وارجوك لا تخبر اي احد فحتى أبي نفسه لا يعرف بوجود ابنه الاخر.

- لكن كيف والدك لا يعرف بوجود ابنه؟ اقصد اخاك.

تساءل جود مبهوتا، عاجزا عن استيعاب وساخة مجد التي فاقت وتجاوزت شر العالم اجمعه.. ليجيب قيس عليه بجدية متألمة:

- لا استطيع جود ان اخبرك عن هذا الأمر لأنه لا يتعلق بي لوحدي بل يتعلق بأخرين.. وهذه الأمور يجب ان لا يعرفها اي شخص.

اومأ جود بتفهم ليغمغم قيس ناهضا بعجلة:

- انا مجبور ان اغادر جود.. هناك من ينتظرني.

- اخاك؟

تساءل جود بإبتسامة هادئة ليرد الاخر بتنهيدة باسمة:

- اجل مراد.

همس جود وهو ينهض عن مقعده مصافحا قيس ليسعفه بدعمه الودي:

- يسعدني ان اراه يوما ما.

- وانا ايضا.. قريبا ان شاء اللّه.

اجاب قيس بوقار قبل ان يستدير مغادرا لتوقفه سكرتيرة جود هاتفة:

- سيد قيس..

التفت اليها بتساؤل لتهمس بإبتسامة وهي تناوله ما بيدها:

- اوقعتَ محفظتك.

- شكرا لك.

- العفو.. هل انت اخ شام؟

سألته برقة ليومئ برأسه موافقا وهو يرد:

- اجل.. من اين تعرفينها؟

- كنا صديقات فهي كانت بمدرستي.. اوصل اليها سلامي.. وعموما اسمي رؤى.

همست بإبتسامة هادئة ليرد اليها الابتسامة رادفا:

- تشرفنا انسة رؤى.. بالتأكيد سأوصل الى شام سلامك.. وداعا.

- وداعا.

غمغمت وهي تراه يغادر بسرعة، تاركا خلفه فتاة تتوسم اثره بإبتسامة يغمرها الاعجاب..

****

توقف جواد امام الباب بعد ان قام بطرقه منتظرا ان يُفتح.. وما هي الا ثواني معدودة كانت تفتح له اشراقة عمره ونورها بإبتسامتها التي تشرح له صدره وتزيد من ضخ الدماء في وجدانه..

"اعشقها.."

دوى اعتراف خانع وخاشع تحت قدمي ابريق الهيام والغرام الذي يندلع من فؤاده..

- تفضل جواد.

غمغمت ريما بغبطة وسرور، وروحها تُرَّنِم على حبال كمانة تهدجاتها مشاعر واحاسيس جديدة، تعيشها لأول مرة معه.. هو فقط..

انضوى الى الداخل بإبتسامته الجميلة لتركض اخت ريما نحوه صادحة بطفولية:

- اتى الشاب الطويل.. اتى الشاب الطويل..

حملها جواد مغمغما بإبتسامة:

- كيف حالها لورين؟

- لورين بخير جوجو.

هتفت بطفولية ليقهقها جواد وريما قبل ان يتساءل بتعجب:

- جوجو!

- اجل.. جواد دلعه جوجو.

صاحت بحماس فرح ليقطب حاجبيه، رادفا بإبتسامة ساخطة:

- اذا لا تدلعينني يا حبيبتي.. ناديني بالشاب الطويل افضل بكثير بالنسبة لي.

- حسنا ايها الشاب الطويل.. ما هذا الذي بيدك؟

- هذه هدية مني لك.

- لي؟

تساءلت بتلهف وهي تنزل من حضنه ليومئ لها بإبتسامة، مغمغما بحنو:

- اجل لك ايتها الجميلة.

- شكرا ايها الشاب الطويل.

همست بإبتسامة قبل ان تصب كل تفكيرها باللعبة الجديدة التي حصلت عليها في التو..

- جواد هنا.. كيف حالك بني؟

انبثق صوت الجدة التي خرجت لتوها من ردهتها بعد ان قضت فريضتها ليرد عليها جواد مبتسما بعبث:

- بخير بعد رؤيتكن يا جدتي الفاتنة.

قهقهت الجدة هاتفة وهي تقترب منهم:

- اتضحك علي ايها الشاب؟ الا تراني عجوز مهترئة من الشيخوخة؟!

- معاذ الله يا اجمل شابة رأيتها في حياتي.

هتف جواد بإبتسامة مرحة ليقهقهوا مرة اخرى قبل يربضوا قاعدين في غرفة الصالة..

- جدتي انا اريد ان اتكلم معك على انفراد.

استأنف جواد حديثه بجدية لترمقه ريما بغيظ قبل ان تنهض، ساحبة معها اختها لورين لتفسح مجالا لجدتها وجواد بالتحدث على انفراد كما اراد.. فأردفت الجدة:

- انا اسمعك بني.

تنهد جواد قبل ان يستهل بكلماته التي عمل على اجادتها وتجليتها بكل مجهوده:

- قبل ان ابدأ اريد ان تعيديني بأن كل ما سيدور بيننا لن يعرف به اي احد.. حتى ريما.

اومأت الجدة له موافقة ليستطرد مسترسلا:

- في الواقع جدتي وبكل صراحة انا سأعترف لك بأنني احب حفيدتك.. اجل انا احب ريما! ولكنني لا اريد ان اخبرها ولا اريدها ان تعرف الان فهي ما زالت فتاة مراهقة

لم ترى الكثير والكثير بعد من هذه الدنيا.. ولا زال امامها حياة طويلة لتقرر كيف تريد ان يكون شريك حياتها بنفسها..

انا فكرت جيدا اذ كان يجب ان اخبرك عما اشعره تجاهها ام لا.. وفي الاخر توصلت الى هذا القرار الذي اطلعك عنه الان.. اسمعيني جدتي انا اريد حفيدتك بالحلال وعلى سنة اللّه ورسوله.. وانا انتظر فقط تخرجها من المدرسة حتى اتي واطلب يدها حتى تكون لي يا جدتي.

ابتسامة الجدة كانت تنبسط اكثر مع كله حرف يهمس به مما سبّب له حيرة جسيمة..

احتل السكون لدقائق قليلة ليتفاقم ارتباكه قبل ان تغمغم الجدة:

- اعلم ذلك جواد.. اقصد حبك لحفيدتي.

رمقها بعدم فهم لتواصل بدفء:

- عيناك تحكي لي الكثير.. حبك لحفيدتي رأيته بعينيك.. والان مع كلامك هذا كبرت بنظري يا بني.. انت رجل يرفع الرأس.. قدوة لبقية الشباب.. ربي يحقق لك ما تتمناه.

ابتسامته التي تُحدِر امطار الإعجاب من سماء العيون اعتلت وجهه الوسيم المفعم بالجاذبية المفرطة وهو يزلف من جدته اكثر، مطبعا قبلة احترام مليئة بالصدق على كف يدها ، وهامسا:

- فليديمك اللّه جدتي.

****

ركن اوس سيارته بجانب المجمع التجاري الفخم.. فطالعته عدن وهي تفك حزام الأمن عن جسدها بتساؤل ليتجاهلها بأبهة متغطرسة، مترجلا من سيارته البيضاء الفخمة..

- لماذا احضرتنا الى هنا اوس؟

تساءلت عدن بجدية تامة ليجيب بإبتسامة متعجرفة:

- لنشتري لك فستان زفافنا.

- ماذا؟! لا اريد.. لا استطيع اختياره دون ان تكون لين برفقتي.

هتفت بإندفاع حاد لينظر حوله، متفقدا اذ كان احدا سمع صوتها العال وهو يزجرها بغضب:

- اللعنة يا عدن.. اخفضي صوتك.. انت في الشارع ولست في المنزل.

صمتت بضيق، انية بعينيها الى سيلين الغير منتبهة لحديثهما، منشغلة بهاتفها الذي بيدها وتلعب بشعرها بيدها الأخرى كفتاة شابة واعية..

- سيلين.. تعالي الى هنا واتركي اللعنة التي بيدك قبل ان اكسره.

زمجر اوس بعصبية على اخته الصغيرة لتترك الهاتف بخوف، دانية من عدن لتحتمي بها من غضب اوس.. فهدرت الأخرى بحنق:

- لا تصرخ على سيلين اوس.

- اصمتي وسيرا بقربي حالا.

هتف بحدة لتتذمر الطفلتين اللتان معه بخوف وسخط..

- اوس لا اريد ان اشتري الان فستان الزفاف ارجوك.

همست عدن برجاء وهم يدلفوا الى داخل المجمع ليرمقها بنظرة جعلتها تبتلع ريقها وتصمت.. فزفر بحنق قبل ان يردف:

- ريس لن يقبل للين بالخروج ابدا.. وانتِ تعرفين ذلك جيدا عدن.. وكذلك انا اريد ان اكون اول من يراكِ بفستان الزفاف يا عدني.

- حسنا.

تمتمت عدن بموافقة حينما دخلوا الى متجر فساتين الزفاف..

وتسبحت عيناها السماوية في الأمواج البيضاء الفاخرة الجميلة بكل معنى الكلمة لتهتف بلهفة طفولية وهي تشاور الى فستان نال على اعجابها:

- اوس هذا الفستان جميل جدا.. اريد ان اقيسه.

- وانا ايضا اريد مثله.

تذمرت سيلين بضيق ليضحك اوس مغمغما:

- جلبت معي طفلتين.

- على اساس انك كبير.

دمدمتا عدن وسيلين بسخط ليقهقه مرة اخرى بصوت عال حتى يضاعف غيظهما منه.. ثم طلب من احدى العاملات التي تعمل بالمتجر ان تعطي مقاس الفستان التي اخترته عدن.. واحدا لها واخرا لأخته..

دخلت عدن وسيلين ليقيسا الفستان الذي نال على اعجابهما.. وسرعان ما كنت عدن تقبّل وجنتي سيلين في غرفة تبديل الملابس بعد ان ارتدتا الفستان الأبيض، هامسة بحب:

- سلونتي الجميلة.. تعالي ليرانا اوس.

ازاحت عدن الستار لينصدم اوس بالملاكين اللتان تقفا قبالته.. حوريتان بعثهما اللّه له من الجنة، يزينهما

الابيض الفاتن الذي اطار بروحه الخاملة.. فلم ينجبس من شفتيه سوى هذه الجملة:

- ما شاء اللّه!

- اوس اشتري الفستانين لنا.. نحن كالأميرات.. انا حقا جميلة.. اللّه يحميني.. انتظرا عندما اكبر لن اقبل بأي رجل وسأتكبر عليهم جميعا.

غمغمت سيلين وهي تدور حول نفسها ليعتري اوس وعدن الذهول من كلامها وطريقة حديثها قبل ان ينخرطا في ضحك عال..

همس اوس بعشق لعدن الواقفة بجواره تتأمل اخته الصغيرة:

- حورية غرامي سرقت روحي بجمالها.

الحمرة القانية اعلنت سطوتها واحتلالها على وجنتيها لتصبح كماسة جمرية، زادت فتنتها وجمالها.. فدمدمت بخجل وارتباك:

- شكرا اوس.. سيلين هيا تعالي لنغير.. لم اعيد اطيق ارتداء الفستان.. اشعر بالحار الشديد.

استترت الفتاتين خلف الستار الخاص بغرفة تبديل الملابس ليبتسم بحب ووله، منتظرا خروجهما ليدفع الحساب ويعيدهما الى منزله كما وعد والدته..

****

ها هي الشمس تغرب حاملة معها حب وعشق سيُدفن ويندثر تحت طائلة وصَوْلة الظلم والتدابير.. وها هي الدنيا باتت عبارة عن سواد حالك مؤلم الى حد الإحتضار.. وها هي الحياة امست كسيمفونية احزان تتفنن الايام بتنغيمها وتلحينها.. اوجاع عجيبة تأتي من الأزل لتحرق دقائق ابدع بها العشق الهائم..

كانت قابعة على الأريكة الناعمة في الصالة تعيد احداث الصباح للمرة التي لا تذكر كم الى ان سمعت الدق الذي ينزل على الباب بقوة.. لتقوم، مدركة جيدا من هو الطارق وتفتح الباب لزوجها المترنح امامها..

شهقت بإجفال وهي تراه حاملا زجاجة كبيرة من الخمر بيده لتصيح به بغضب:

- ما هذا ريس؟ هل انت ثمل؟! ارمي هذا القرف حالا.

- اصمتي.

هدر بها بعنف وهو يدفعها الى الداخل لترتد الى الوراء، مزمجرة بشراسة غاضبة مرة اخرى:

- لا تُدخل هذا الخمر اللعين الى منزلي.. ارميها حالا ريس.

- قلت اصمتي.

صاح بها بصوت عال حاد لتنتفض بفزع من الخوف الذي داهم اوصالها وهي ترى احمرار عيناه العسلية التي تنطق بشرارات جهنمية..

- لا اريد ان اسمع صوتك.. فقط اخرسي قبل ان اقتلك.

كرر بغضب، قابضا على ذراعيها كوحش بربري لا يرى بعينيه غير السواد..



الفصل السابع وعشرون (الجزء الثاني)

تتيمت بك تتيم ليس له نشور..

عشقتك عشقا ليس له معادِ ولا ختامِ..

توسدت معك ستائر العشق الهائمِ..

دوّنت لك عيوني ابجدية غرامي..

تغلغلت في اسوار خفقاتي وافكاري..

وها هو ملاذ هوانا يتوارى في ساحل اكداري..

وها انا القي عليك تحية وداعي وسلامي..

واعطي لنفسي حرية هلاكي دماري..

- لا اريد ان اسمع صوتك.. فقط اخرسي قبل ان اقتلك.

كرر بغضب، قابضا على ذراعيها كوحش بربري لا يرى بعينيه غير السواد لتجاهد بإبعاده عنها بكل ما تقدر عليها قواها الخوارة..

- ما بك ريس؟ ما الذي غيّرك هكذا؟!

صاحت ببكاء وشهقاتها المذعورة دكّت واهلكت حجارة الجدران الصلبة، مُعبّرة عن شفقتها الشجية على الأسى الذي يعتريها، ابيا تركها ليثوي وجهه الذي يُسرح كُهبة ودُهمة مقابل وجهها المطمور بالشجن والبؤس.. ويهمس بشراسة عنيفة اقشعرت لها كل خلية نابضة في جسدها:

- كل منا يتغير يا زوجتي.. كل منا!! سأحبسك في عريني ولن ادعك تري قط بعد الان نور الدنيا.. حتى حلمك بأن تنجدي من براثني لن تصليه وتناليه.. لن اسمح لك بفعل ما فعلته ترنيم بأبي.. سأقتلك.

توسعت لؤلؤتيها بصدمة تامة.. لا تصدق! محال هذا ليس ريس! هذا ليس حبيبها! ريس الذي يعشقها ويسعى لإبعاد كل شر واذى عنها يختلف تماما عن هذا الكائن الوعري

المتوحش الذي ترى بعينيه فقط عذاب.. ترى بعينيه كره عجيب.. كره قاتل كذاك الكره الذي يكنه نحو مجد وترنيم..

ارتكست خطوتين الى الوراء.. نافية برأسها كلامه الذي طعنها بسيف جمري ملي بالأشواك ليشعرها بتلك الغصة التي تحجب انفاسها.. تشعر بنبض لبها يزداد بسرعة غريبة.. صدرها يعلو ويهبط من الذعر الذي احاطها كظل اطلس..

همست بنبرة مزقتها الأوجاع والألام والصدمات التي تأتيها، شاجبة ان ترحمها ولو لفترة قصيرة:

- من انت؟! انت لست ريس.. انت لست حبيبي! انا ارى امامي فقط شيطان.. ارى امامي انسان مختل عقليا.

اسكتتها الصفعة التي ارجفت كل عرق على قيد الحياة في ثناياها لتتهاوى ارضا، تطالعه بصدمة ووجع فاق الحدود العاتية.. رنين صوت كفه الذي جعل صفي لؤلؤ

اسنانها تصطك ببعضها تخلل اذنيها ليُغزر من دق سقمهما..

لم يرأف بها او برباط العشق الذي ابحرا به ليغار منهما السفيه والحصيف واناملها تقبض بكل خشونة على شعرها الذي كان يتلهف شوقا لتنشق عبيره والتمتع بملمسه الناعم بكل شغف..

لم تشفع عنده تأوهاتها وهي تحاول ازالة يده التي تشد على خصلاتها الملساء بكل عنف ليرفعها عن الارض، هادرا بشراسة:

- سأُريكِ كيف يكون الشيطان الحقيقي.

- ابتعد عني.. اتركني.. لا تلمسني فيداك القذرة الملوثة بالخمر تدنسني.. انت بالتأكيد لست ريس.

صاحت بصوت مبحوح من شدة المقاسات والمعانات التي ابهرت وارهقت روحها.. ويا ليته شعر بها.. يا ليته استيقظ ضميره وفؤاده الذي يموت في هواها.. يا ليته كان واع،

مدركا بأن من يأذيها هي محبوبة حياته وملاكه وهو يجرها من شعرها الى غرفتهما، هاتفا بشيطانية لئيمة:

- اذا دعيني ادنسك اكثر.. سألوث داخلك كما تلوثت انا.

ارتعد وتقفقف وجدانها وهو يرمي جسدها الذي ينتفض ارتياعا على السرير الضخم بكل قساوة، مُقبلا عليها كوغد متوحش، ومُكبّلا ذراعيها بصلابة فولاذية وهو يلطخها بنجاسته، ناهشا روحها من جسدها، لاقيا على اذنيها ابشع وافظع الكلمات الدنيئة التي لم تسمعها قط في عمرها كله.. ومرسلا الام فظيعة في كل خلية تتنفس بأوصالها.. زوجها يغتصبها!! زوجها يمرغ اذنيها بشتائم وكلمات دنيئة لا تسمعها الساقطات حتى!! زوجها الذي يكون ابن عمها، واكثر من عليه ان يصونها والحفاظ عليها يقتلها بلمساته وكلماته.. دموعها جفت.. اوتار صرخاتها تقطعت.. لم يتبقى الا شهقاتها وقرفقاتها المرهقة.. قلبها يؤلمها بشدة غريبة.. ووتيرة خفقاته تتباطأ لتفيض نيران دماءها..

رمقته بكل اسى وخذلان حينما تضعضع بجانبها، يلهث انفاسه قبل ان يتوغل في دوامة نوم عميقة.. وحينها فقط توقفت على قدميها التي تكاد ان تتكسر وتقعها ارضا بسبب وهنها، الا انها صممت بالتحامل على نفسها.. وولجت الى الحمام المرفق بغرفتهما لتنظف نفسها.. تنظف رائحة الخمر التي لسعت مسامات جلدها التي كانت تنبلج مع انفاسه والتي لم يهنأ منها اي مطرح في جسمها..

تهالكت ارضا في حوض الإستحمام، تبكي كما لم تبكي يوما.. تبكي زوجا وحبيبا فضلته على حياتها.. زوجا ارادت بكل ما في وسعها حمايته بروحها.. زوجا تحملت منه شتى انواع القساوة.. وتحملت منه تملك لا ترضى به النفوس.. منعها من التصرف بحرية مع اسرتها لإرضائه وارضاء الحب الذي تلمع به عيناها وتدق طبلة لبها لأجله.. تحكم بها منذ البداية ليرضي مزاج روتينه.. ومع ذلك عشقته ولا تزال تعشقه..

لا تعرف ما الذي حدث حقا ليلجأ الى الخمر وايذائها بهذه الطريقة.. لم يكن هذا ريس الذي تكلم معها في

الصباح عن اهمية ارضاء اللّه.. لم يكن هذا ريس الذي عذب اخيه وقام بإدخاله المشفى لأنه فعل ما لا يرضي اللّه وشرب الخمر.. ولم يكن هذا ريس حاميها، الذي كاد ان يقتل والدته لأنها قامت بأذيتها.. لا لم يكن هو!! لم يكن اي من ذلك زوجها الذي تحب!

تريد الراحة.. تتمناها ولكن لماذا ترفض ان تلازمها؟! لماذا تصر على ان تكون الأوجاع والمشقات هي دربها؟!

بعد ان انتهت من حمامها تطلعت الى وجهها بالمرآة.. ويا للأسف لم ترى الا انعكاس لشابة شاحبة، كالتي تلفظ اخر امنياتها وانفاسها.. عينان حمراوتان.. وجه مقتد.. شفاه مجروحة.. كدمات زرقاء طفيفة تغطي جانب وجنتها اليمنى.. وعلامات حمراء وزرقاء تتوزع في انحاء جسدها..

تنهدت بكل ثقل مكدوم، واضعة يدها على قلبها الذي يؤلمها لتنزل بخطوات بطيئة الى المطبخ وتبحث عن الدواء الذي كانت تضعه الخادمة في طعامها من اجل تلقي العلاج..

واخيرا وجدته لتأخذ حبتين من العلبة وتبتلعهما عسى ان يخف الألم ولو قليلا..

وهكذا مرّت ليلتها، خافية نفسها في غرفة دراستها لتحمي نفسها من كل سوء.. وتحمي نفسها من زوجها وملجأ امانها الذي اصبح مصدر الامها واوجاعها!!

****

كانت مستمتعة بوجود هذه المرأة التي غمرتها بحنانها وطيبة قلبها.. تشعر بها كأم حقيقية.. كأم تختلف عن تلك التي انجبتها ولم تكلف نفسها عناء الإحتفاظ والإهتمام بها بهجرها لها وقتل والدها..

لم تشعر بالوقت الذي مر وهي جالسة مع خطيبها ووالدته.. حبها له تفاقم بسبب طريقة تعامله مع والدته.. رأت به ابن بار.. ابن تتمناه كل والدة.. يفاجئها دوما بطيبته وحنيته التي تعشقها.. اكثر ما جذبها اليه وحثها على قبول الزواج منه هو الدفئ والإهتمام الذي تنطق به سماؤه الداكنة..

تأملته بحب وهو يدلك لوالدته ظهرها فقط لأنها اطلقت آهة صغيرة حالما ارادت ان تنهض وتجلب قارورة ماء باردة ليعيدها مكانها بكل قلق وخوف ويقوم بما يفعله الان..

ولم تحرك لؤلؤتيها البارقة هياما والمسلطة عليه الا بعد ان سمعت رنين هاتفها لتتوجه الأنظار اليها وهي تجيب:

- اجل جدي.

- اين انتِ عدن؟ الوقت تأخر وانت لا تزالين مع اوس.. دعيه يقلك او ان جواد سيأتي ويأخذك.. فهو سيجن غضبا بسبب تأخرك الى هذه الساعة.

هتف الجد بجدية لتنظر الى الساعة الذهبية التي تزين يداها وتنصدم ريثما رأتها تشاور الى الثانية عشر ليلا لتهب واقفة، مغمغمة بسرعة:

- رباه جدي.. اقسم انني لم انتبه الى الساعة.. سأعود حالا.

- حسنا لا تتأخري حبيبتي.

همس الجد بحنو لترد بإبتسامة:

- لا تقلق جدي.. لن اتأخر.

- ما الأمر؟

هتف اوس الذي يتابع كل تحركاتها بترقب لتتمتم بخجل وارتباك:

- ان الساعة الان الثانية عشر ليلا.. وانا منذ مدة ليست قصيرة هنا.. يجب ان اغادر.. جدي وجواد قلقان علي.

- اذا قُم واوصلها بني.. الوقت بالفعل قد تأخر.

همست امه برقة دافئة ليومئ موافقا:

- كما تريد ام اوس.

ابتسمت بمحبة على طريقة حديثه مع والدته ومداعبتها قبل ان تقف وتعانق والدته بكل ودٍ، مغمغمة:

- اعتني بنفسك امي.. سأشتاق اليك.

- وانتِ ايضا ابنتي.. اوس سيبقى يحضرك لي الى ان تأتي الساعة التي سيكون بها هذا المنزل منزلك يا قمري.

اجابت ام اوس بإبتسامة دافئة لتهز الاخرى برأسها لها، داثرة رأسها اكثر بحضن ام تمنت وجودها..

وفي الطريق الى القصر كان الصمت هو الذي يرفرف جناحيه حول هذان العاشقان الهادئان.. لتقطعه بعد برهة عدن بتساؤلها:

- اوس.. ماذا حدث مع قيس؟

- لا ادري عدن.. ولا تفتحي هذا الموضوع قط بعد الان.

غمغم بجدية باردة لتزم شفتيها بحنق وتهمس:

- ما مشكلتك معي اليوم؟ منذ الصباح وانت تتسلط وتتحكم بي.. لا تكن متعجرفا اكثر من اللازم اوس.. فهذا ليس من صالحك.

- اتهددينني ام ماذا عدن؟

هتف اوس بتهكم لتتأفف بضيق شديد وترد ببرود:

- اعتبرها كما تشاء خطيبي.

تبسم بخفة، مفكرا بأن عدنه القديمة تعود.. تصرفاتها الشقية.. وقاحتها الفظة عليه.. عدن التي عشقها تنبثق رويدا رويدا من القبضان الحديدة التي كانت تحيط بها وتعلن وجودها..

همس بنفس سخريته حتى يثير غيظها اكثر ويأجج شراستها ووقاحتها الهائم بهما:

- تعجبينني ابنة الجايد.. لا يُستهان بك حقا.

- من الجيد انك تعرف ذلك.

هتفت بغرور وهي تغمز له بعينها ليكتم ضحكته على تصرفاتها وافعالها الطفولية..

****

ها هي الأمواج الشمسية تبعث اشعاتها عبر النوافذ الزجاجية.. وها هي اغصان الأشجار تتناغم تحركاتها الهائجة مع رياح الفجر الخضلة.. وها هو اذان الفجر يعلن قيامه لتتأجج النفوس المؤمنة وثبًا لصلاتها..

لؤلؤتيها الشجية لم ترى قط طعم النوم.. خوفها وحزنها تغلبا على سلطان نومها وداسا بكل فظاعة عليه ليسحقاه بشهقاتها ودموعها التي لم تتوقف قط..

دلفت الى الحمام لتتوضأ وتقضي فريضتها عسى ان يفرج اللّه همها ويزيل كربها.. تشعر بالإختناق.. الترح والعسر ابيان ان يكتفيا منها.. يجاهدان على قتلها.. تموت في الثانية الف مرة.. الام جسدية.. الام نفسية.. والأقصى من ذلك كله الام عشقها تذبحها.. كل ذلك يقضي عليها ببطئ..

وبعد فترة قصيرة شعرت بحركة ما تعج في الأرجاء لتدرك انه استيقظ فإنكمشت على نفسها اكثر بخوف تقمصها من اخمص قدميها الى اشهق رأسها.. سيأذيها مجددا.. سيغتصبها بوحشية ناسيًا انها زوجته واهمية رقته معها.. ناسيا الصعوبات التي عانت منها.. وناسيا مرض قلبها ليزيد من حدة اوجاعها..

ارتجف كل انش في جسدها حينما سمعت صوته الجهوري ينادي عليها بغضب من عدم تواجدها معه بنفس الغرفة..

وتراجعت الى الوراء، عسى ان تحمي نفسها من وكر ثمولته وقساوته ريثما طرق الباب بعنف قبضتيه التي كادت ان تكسره..

- لين افتحي الباب حالا والا حطمته فوق رأسك.

صاح بشراسة وهو يدفع الباب برجليه بعنف لتنهمر دموعها كشلالات ناعمة انهكتها الصخور التي تحجب سيلانها بصداتها المؤلمة.. وتتعالى شهقاتها المذعورة.. خائفة كما لم تخاف يوما.. خائفة اكثر مما كانت خائفة من مجد وترنيم.. بل ترتعب منه..

لم تعي ما يدور حولها وهي تحاول اسكات جزعها الا بصوت الباب الذي وقع ارضا بقوة لتهتز جدران المنزل كله واراضيه..

- الم اخبرك ان تفتحي الباب؟

هتف بحدة، قابضا على شعرها بوحشية لتتأوه بضعف.. من هذا؟! من هذا الوحش الواقف قبالتها؟! كأن هناك

غشاء يغطي عيناه حتى لا يعرف من هي التي يتعامل معها بشراسته وهمجيته هذه..

هزت رأسها نافية مع كل كلمة من كلماته السامة التي تتكرر بأذنيها لتُضخِّم من جراح لبها اكثر وتعمل على عدم شفاءه:

- اكنتِ تخططين الى الهروب مني ايتها ال****؟!

وعندما لم تعطيه سوى انسدال رموشها لتحرس رماديتها من رؤية هذا الوحش الكاسر.. وشهقاتها التي ادمت الحجر، شدّ اكثر على شعرها مزمجرا:

- عندما اسألك تجيبين.

- من انت؟ ارجوك اخبرني انك لست ريس.. انت الان لست ثملا.. انت بكامل وعيك ومع ذلك تؤذيني!! من تكون؟ من؟!

صاحت ببحة باكية ليترك شعرها بإشمئزاز نخر عظامها وهرس روحها لتتجول بمرارة معلنة عن موت حبها.. موت عشق لم يدم طويلا..

- انت قتلتِ ريس بيداكِ.. تصرفاتك وافكارك هي من ادت الى ما وصلتي عليه الان.. اتظني انني قد اسمح لك بإستغفالي؟ سأحرق روحك عزيزتي.. جحيمك معي ابتدأ.

همس بشراسة عنيفة، لتقف هاتفة بتحدي سيودي بحياتها لا محالة:

- اذا طلقني وارحم نفسك من التفكير بأنني قد استغفلك.. وارحمني انا ايضا من سعيرك.

ابتسم ببرود الى ان برز صفي ماسات اسنانه البيضاء.. واحمرت عيناه العسلية الدامية اكثر قبل ان ترتفع راحة يده وتنزل على صفحة وجهها بكل غضبه، ويهدر:

- بإحلامك الوهمية فقط.. انت ملكي.. انا فقط.. اتحكم بك كما اشاء واحركك كما تشاء عقلية مزاجي.. وعلى مزاجي ستعيشين.

- انا لم اعد اريدك.. انا سأكرهك!

تمتمت ببكاء مأساوي.. ستكرهه اذا بقي يتصرف معها بهذه الطريقة وقد تكره نفسها.. هناك مرارة مؤلمة في حلقها تمنع تنفسها.. تشهق للهواء دون فائدة.. السوط الذي ينزل على قلبها يزيد من حرقة دموعها..

فجأة شعرت بنفسها ترتفع لتعرف انه قد قام بحملها..
حاربت يداه الممسكة بها بخشونة، عسى ان ينزلها.. لا!!
لا تريد تكرار تلك التجربة.. هو يقوم بأخذها الى غرفتهما التي شاهدت بكل هدوء صرخاتها وعذابها الليلة الماضية..

تخبطت بين ذراعيه كمجنونة تعيسة ليرميها بعنف على السرير، دانيا من وجهها، وهامسا بتفرس:

- منذ الان هذه الغرفة هي مأواك الوحيد.. خروجك منها ممنوع.. الخادمة لن تأتي بعد الان لتعمل هنا..
ودراستك اساسا حاليا موقفة بما انها عطلة.. ولكنني افكر بأن امنعك عنها بتاتا.

تطلعت اليه بصدمة، تبتلع اسهم حروف الهلاك التي يطلقها لسانه.. لقد جن.. بكل تأكيد قد جن..

توقفت لتحاول الفرار من براثنه ولكن.. لم يكن الا حلما مستحيلا وهو يبترك ذراعها بضغط قبضته المؤلم لترتد الى السرير واقعة.. وحينها تركها فقط ليخرج، موصدا الباب جيدا عليها لتعرف انها اسيرة رخيصة عنده.. اسيرة لمتحكم ظالم.. يدمرها ببطئ وقسوة لا تعرف سببها.. بل هي سلعة بالية لمزاج عقليته كما قال..

بعد ان تركها لوحدها.. وبعد ان تركها سجينة غرفة معاناتها طارت قدميه ليشتري المزيد من الخمر.. لا يعلم لما يرغب بالخمر لتلك الدرجة.. لا يشبع.. معدته لا تكتفي من شربه..

اشترى صندوقا كاملا وانهى نصفه ومع ذلك لا يزال يريد المزيد..

امر سائق سيارته بإيصاله الى الشركة ليشرب القليل من القهوة ويبدأ بالعمل.. لا يستطيع التركيز وهو بهذه الحالة مطلقا..

- احضر لي فنجانا اخرا من القهوة.

هتف بلهجة امرة للسكرتير الخاص به بعد ان قام بشرب فنجان القهوة الاول.. وفجأة اتى في مخيلته ما قام بعمله البارحة مع زوجته.. ابتداءا من عنف جنسي الى عنف جسدي والى عنف كلامي.. هز رأسه ليبعد هذه الافكار بعيدا ويركز بالملفات التي في يده بكل دقة..

****

رنّ هاتفه حينما كان منسجما مع سكرتيرته التي تناوله بعض الملفات ليشير لها بيده ان تنتظر لوهلة.. وبعد ان رأى الاسم تردد اذ يقوم بالرد عليها ام لا..

"خطيبة روحي"

قرأت عيناه الأسم كما لو انه يبتلعه لتطالعه رؤى بتعجب من عدم رده.. فإضطر اخيرا على الرد على اتصال خطيبته وغمغم ببرود:

- اجل شام.

- السلام عليكم جود.

همست شام بإبتسامة لتتغلغل ترنيمة صوتها العذبة الى جوف ثناياه.. نعومة صوتها تنتشله من طي الجبال ومحيطه لتزيل الجروح والمتاعب التي تأذيه.. حاول ان يحافظ على رابطة جأشه ويرد بصلابة خشنة الا انه لم يفلح قط وهو يهمس بنعومة:

- وعليكم السلام شام قلبي.

تنحنحت رؤى بخجل لتقوم وتنسحب بهدوء حتى تفسح مجال للخطيبين بالتحدث براحة..

- في الواقع اتصلت لأذكرك اننا سنخرج اليوم لنشتري فستان الزفاف.. ولكن اذ كنت مشغول فسأخرج مع عدن ولين.. او مع والدتي.

اردفت شام بهدوء اثار حنقه ليهتف ببرود:

- اخبرتك انني سآتي واخذك لنشتري لك الفستان.. ولا داعي لإضافة كلمات اخرى.. وفي المناسبة هناك موضوع هام جدا بالنسبة لي سأتحدث معك بشأنه.

- ما هو؟

تساءلت بريبة ليغمغم بنفاذ صبر قبل ان يغلق الهاتف:

- عندما اراكِ شام.. انا مشغول الان.

- ما به هذا؟ بماذا اخطأت ليتكلم معي بمثل هذه الطريقة؟ اي كان.

تمتمت شام بتفكير وهي تنظر الى هاتفها وتحركه يمينا وشمالا قبل ان تقرر الإتصال بلين..

قامت بالإتصال مرتين ولكن لا رد..

"لا بد انها مشغولة مع زوجها الحبيب وليس مثلي انا، مع جود الجدّي"

فكرت بحنق من انقلاب جود عليها دون سبب، غير عالمة بمعاناة صديقتها الروحية واخت خطيبها الغالية..

وفي تمام الساعة الرابعة ظهرا كانت تجهز نفسها للذهاب معه ومع والدته ووالدتها لشراء فستان الزفاف.. الا انها تفاجأت حينما اخبرها انهما سيذهبان لوحدهما فأدركت انه يريد ان ينفردا لوحدهما قليلا..

- شام لماذا لم تخبريني ان قيس اخاك الغير شقيق؟

تساءل جود بجدية وهو يقود، موجها انظاره على الطريق لتغمغم بتعجب:

- ولكن من اين عرفت؟

- اجيبي على سؤالي شام.

كرر جود بحدة لترد بكل سكون:

- لم اجد اهمية لذلك الأمر جود.. لن يختلف شيئا اذ اخبرتك انه اخي الغير شقيق ام لا.. ففي النهاية هو اخي.. ولا ارى اي سبب مقنع لغضبك هذا.

- بالنسبة لك شام.. بالنسبة لك.. انت بالنسبة لك عادي ان لا اعرف.. ولكن بالنسبة لي هذا الامر في غاية الاهمية.. ومن المهم ان اعرف كل شيء عن تلك التي ستصبح زوجتي بعد بعض ايام معدودة.

اجاب بعصبية لتومئ بخوف قليلا قبل ان تتماسك وترد ببرود:

- حسنا اعتذر.. منذ الان سأخبرك كل صغيرة وكبيرة حسنا.

- شام لا تستفزيني كي لا تري وجهي الأسود.

هتف بتهديد لتومئ بصمت، متابعة مسار الشارع بعينيها الزمرديتين عبر زجاج السيارة بتأفف..

****

تسللت قدميها عبر الممرات ليوقفها صوته الذي تعشقه وتستدير اليه، ممعنة النظر في وسامته الجذابة.. جماله الشرقي يثير لمعان نجوم سماؤها.. عيناه السوداوتين

الحازمة، والتي تطالعها بكل حب تكاد ان تتلهف شوقا لتقبيلهما والتأمل بهما ليلا ونهارا..

وحالما توقف قبالتها همست بنعومة رقيقة:

- اوس.. اليس لديك محاضرة الان؟

- لأي صف؟ لا اذكر.

غمغم بعبث لتبتسم بعمق وتنظر اليه بحب، رادفة:

- في صف خطيبتك.

- تعالي معي اذا.. ادخلي معي الى تلك القاعة التي اصبحت اعشق التعليم بها.

همس بإبتسامة والشحنات التي تطلقها عيناه المتأججة تتصادم مع شحنات لولؤتيها ليغرقا في غيمة شفافية لوحدهما، بعيدا عن صخب طلاب الجامعة.. بعيدا عن ركض الطلاب حتى يتمكنون من الوصول الى صفوفهم.. فقط هما.. لوحدهما.. اوس وعدن..

كانت حدقتيه تتابع كل تحركاتها.. كتابة اناملها بالقلم الذي اثار غيرته كل ما يشرح به.. تركيزها

الشديد بكلماته التي تشرحها شفتيه.. والأهم تأمل بحريها الأزرق به ليبدأ عزف وجدانه بوله..

- خطيبك لا يبعد عيناه عنك.

تمتمت ديم لعدن الجالسة بجوارها بشقاوة لتلقي عليها الأخرى نظرة غرور قبل ان ترد بهيام:

- لأنني اعشقه ويعشقني اوسي.

- الم تكوني تكرهيه؟ اخبرتك انك ستقعي في حبه ولم تصدقيني.

همست ديم بثقة وغرور لتضحك عدن بخفة، متأملة جاذبية خطيبها المفرطة وتغمغم:

- معك حق.. انا كنت غبية ولكنني الأن اعشقه واكثر ربما.

****

يا للسخرية شاء القدر ليجعلها تتمنى الهروب من زوجها.. ذاك الذي كانت تعشق قربه.. ذاك الذي كانت تعشق

حضنه باتت تبغضه.. ذاك الذي كانت تتمنى رؤيته كرهته..

تنهدت بتعب حالما سمعت هاتفها يرن.. لحسن حظها انه نسي ان يأخذه منها.. ولكنها في الأساس ليس لديها اي رغبة في التحدث مع اي كان.. اتصل بها العديد اليوم ولم ترد على احدهم.. جود، عدن، شام، والدتها، ووالدها.. الا هو على غير عادته.. لم يتصل بها كما كان يفعل كلما يغادر الى عمله ليطمئن عليها ويتغزل بها، اخِذًا قلبها بسحر عسل ثغره الذي اصبح الان مثل العلقم المر.. مثل المسامير التي تطرق بالحائط ولكن الاختلاف فقط انها تطرق في فؤادها لتزيد من حدة نزيفه..

امسكت الهاتف بتعب واجابت بصوت شبه مبحوح حينما اتاها صوت اخيها عماد:

- اجل عماد.

- كيف حالها اختي الغالية؟!

تساءل بإبتسامة، ظنا منه انها سعيدة مع زوجها كما يعتقد الجميع.. لا تنكر ان البهجة لم تكن تسعها ولكن انقلب الحال لتحتل التعاسة موطنها.. فردت، محاولة الحفاظ على ثبات صوتها وعدم البكاء اكثر:

- انا بخير عماد.. وانت؟

- لين ما بك؟ ما خطب صوتك يرتجف؟

غمغم عماد بقلق لتستر شهقاتها بيدها، وتضغط على قلبها بقبضتها متمنية ان يتوقف المه حتى تتمكن من الاجابة.. ولكنها حتى لم تقدر ولم تتمكن اطلاقا.. فأبعدت الهاتف قليلا وسمحت لدموعها بالإنزلاق بحرارة كاوية على وجنتيها..

زفرت أنفاسا مهزوزة عدة مرات قبل ان تكوّر بقايا اوتارها الصوتية على بعضها وترد بإبتسامة موجوعة:

- انا بخير عماد.. لكنني متعبة.. اعتقد انني سأمرض.

ولم تعطيه اي مجالا للإجابة عندما شعرت بالباب الذي يُفتح لتتوسع حدقتيها بخوف وارتباك وتحاول اخفاء الهاتف الذي بيدها قبل ان تتمتم بسرعة:

- عماد ريس اتى.. انه ينادي علي.. سأتكلم معك لاحقا.

- ما الذي تخفيه لين؟

هتف ريس بحدة بعد ان دلف الى داخل الغرفة، حاملا زجاجة الخمر في يده لتبتلع ريقها بصعوبة وتنظر حولها بتوتر قلق قبل ان تحاول اصطناع اللا مبالاة وهو يدنو منها..

وحينما توقف قبالتها ارادت النهوض ولكن يده التي امسكت بمعصمها بخشونة لتعيدها قاعدة ردعتها..
فهمست بإضطراب مرتعش:

- لا شيء.. دعني اذهب.

- الهاتف؟!

تمتم بخبث وهو يمسك الهاتف بأنامله الباردة لتنظر اليه بتوتر وخوف شديد..

- لنرى من كنتِ تكلمين يا ترى!

اضاف بإبتسامة واصابع يده تعبث بهاتفها ويده الأخرى تضغط على معصمها بصلابة..

جاهدت ان تتملص من بين براثن قبضته.. ولكن عبثا!! يقبض عليها كما تقبض الوحوش على ضحاياها.. ويبدو انها باتت ضحية دائمة لوحوش عديدة..

- "روحي عماد!!"

غمغم ببطء متمهل قبل ان تحرقها ثقبتيه وهو يضرب الهاتف ارضا ثم يدوس عليه بحذائه الأسود الى ان بات عبارة عن اشلاء صغيرة محطمة كما تتحطم هي ببطئ..

- ماذا تريد ريس؟

تمتمت بنبرة مرتجفة ليضحك بخفة قبل ان يهتف بصراخ:

- اتخونيني معه؟ تتفقا انتما الإثنان على طريقة للتخلص مني والهرب معا.. اتظنيني ساذجا بكذبك علي انه اخاك بالرضاعة؟ اجيبي!

- اقسم انك رجل مجنون.. ابتعد عني.. انا اكرهك..

لم اعد اتحملك ولا اطيقك حتى.

صاحت به بكل ما تحمله من الم يتسبح داخل دماءها..

ولله لم تعد تحتمل.. يكفيها.. تعبت.. ارهقت..

وانتهكت.. الموت بات بالنسبة لها ارحم منه ومن افعاله..

لم تنغلق جفونها وهو يعاود تكرار احداث الليلة الماضية

ولكن بطريقة ابشع وافظع.. هذه المرة لم يكتفي

بصفعها او بشد شعرها.. ولا حتى بإغتصابها او بإلقاء

كلماته البذيئة عليها.. بل فعل كل ما هو اكثر.. لترفع

راية موت حبها وعشقها له وتدفنه بدمائها ودموعها التي

تهطرها سماء جلد جسدها..

وها هي الأيام تتلاهف وراء بعضها لتمر خمسة ايام

كاملة وتصبح عبارة عن جسد بلا روحا.. وها هي قد

اعلنت الحداد لكل ما هو حي في جسدها.. اعلنت الحداد

للإنسانية.. للرحمة.. للحب.. ولكل ما هو خير..

ربما قلبها توقف عن النبض.. لا تعرف ما حصل معها سوى انها تسير في سبيل اسود لا ترى منه الا الهلاك!!!

الفصل الثامن وعشرون (الجزء الاول)

دثرتُ نقودَ عشقي في بنكِ موتي..

فتلهفت النفوس للنبش في قبري..

لتتأبه تُراب روحي وتصدّ سحجَ اعدائي..

ناجيتُ الأرواح الهائمة التي بجانبي..

وتوسلتها ان تغيثُ خلودَ بقاءِ عمري..

ولكن.. هيهات فيد شقائي إستتلت اموالي..

لأعود مجددا الى ملاذها العاصي لأمري..

واتوه بين ساحر غربتي وساحر وجداني..

تهب الهواجس في نفوس الأقارب لتشعل مخاوف ووساويس على ارواح اطفالهم..

كانت ليان تضع يدها على قلبها.. هناك وجع غريب يداهمها.. احساس الأمومة نحو ابنتها لم يخطأ.. منذ فترة ليست قصيرة وهي تشعر بإنكماش رهيب في صدرها.. تفكيرها القلق على ابنتها لا ينفك ان يتق فؤادها..

توترت اوصالها وهي ترقد على الأريكة الطويلة بجوار زوجها الذي يتابع الأخبار بصمت.. لا تعرف اذ كان حقا مُرّكزا بالشاشة الكبيرة التي امامه ام ان تفكيره بعيدا كليا عما تشاهده حدقتيه.. ولم تدري سوى بدموعها التي تنزل دون سبب.. تختنق.. لا تتمكن من الجلوس براحة.. خوفها على ابنتها يتفاقم ويزيد من دموعها واختناقها..

- ادم.. انا قلقة على لين.. منذ بضعة ايام وانا اتصل بها ولا ترد علي.

همست ليان فجأة ببكاء وهي تمسك بيد زوجها ليطالعها ادم بإضطراب.. هو ايضا مثلها يشعر بالخوف على ابنته.. وليس فقط عليها بل ايضا على ريس.. فهما الإثنان لا يجيبان على اي من اتصالاتهم.. فكرّ في البداية انهما

مشغولان او خارج البلاد.. ولكن ذلك محال فبالتأكيد كانا سيخبراهم..

لا يعلم ما عليه ان يجيب زوجته.. ولا يعرف كيف كان ابنه جود امامه ليأمره بهدوء:

- جود اذهب الى منزل شقيقتك وتأكد اذ كانت هي وريس بخير.

تمتم جود بموافقته قبل ان ترى قدميه عملها لتسير بخطوات متعجلة نحو سيارته ليُطَمْئِن

قلبه هو الأخر على اخته الصغيرة الوحيدة.. وما ان ركن سيارته بجوار منزل ريس ولين تفاجأ بالباب الرئيسي المفتوح قليلا.. فسقط قلبه فزعا مخافة ان يكونا قد هُجِما من قبل مجد وترنيم.. ودون سابق انذار كان يهرول الى جوف المنزل يجول بحدقتيه القلقة عن اثر لهما.. ولكن.. ها هي الصدمة تشل حواسه.. لؤلؤتيه تجمدت على المنظر الذي تراه.. هناك خطأ ما.. هناك خطأ كبير وفادح.. ريس يشرب الخمر بشراهة في غرفة

الصالة!! ريس ابن عمه الرجل المتدين!! الذي كاد ان يقتل اخاه امامه يسري الخمر في دمائه..

لا يعرف ما حدث وكيف حدث وهو يقبل عليه بعنف، رافعا اياه من ياقة قميصه ومتسائلا بشراسة:

- اين لين؟ اين اختي؟

لم يحصل على اي رد منه سوى ابتسامته الساخرة ليقوم بدفعه بيداه بخشونة ويهب راكضا الى غرفتهما، باحثا عن اخته.. وهناك تلبست قدميه وتشابكت بالأرض التي تحتها.. دقات قلبه فاقت سرعتها عنان الجنون وتوقفتها الهاب لظةً ادمت لُبّه.. عيناه لم تعد تبصر الا بما هو قبالتها.. صغيرته الوحيدة هامدة بسكون مريب، لا يليق بها ولا يطاق ابدا.. خصلات شعرها منثورة على الوسادة البيضاء بفوضوية وقسم منها يخفي البعض من اطار وجهها الذي أُستتر جماله الفاتن بالكدمات والدماء التي استوطنت اقامته..

تقدم بصعوبة، مبتلعا الغصة الخانقة التي بترت حنجرته بأشواكها الملحة.. ورسى امامها ليتأملها عن وثب

فإختلجت الدموع الملسوعة اهداب سودوتيه.. وهتف بحرقة وهو يهزها برفق:

- لين.. اختي.. انهضي.. انا هنا.. ولله لن اسمح لأي من يكون بأذيتك مجددا.. سأخذ روحه من جسده.. ولكن انهضي يا عمر اخاكِ.

وعندما لم يأتيه منها سوى ثباتها وبرودة جسدها التي اثلجت اطراف انامله تحسس وتيرة نبضها بيده التي ترتجف.. وسرعان ما كان يتنفس براحة حينما وجده ينبض ولكن بوتيرة متباطئة جدا!.. فأراد رفعها ليتفاجأ بها عارية، ليعيدها بسرعة الى مكانها ويتأمل بألم العلامات التي تغطي رقبتها واعلى صدرها.. فنهض سريعا وبحث لها عن جلباب ما وحجاب لترتديه.. وسرعان ما وجدهما ليتلبك، غير مدركا كيف سيدعها ترتدي ثيابها وهي في هذا الوضع.. ولم يجد اي حل سوى ان يغض النظر عنها وهو يقوم بتلبيسها اياهما.. وحالما انتهى قام بحملها بحذر ونظر لها بشفقة موجوعة قبل ان يهرع الى الأسفل ليأخذها الى المشفى.. ولكن منظر ريس الغير

مبالٍ والذي يطالعهما بإشمئزاز واستحقار وهو يشرب الخمر اوقفه مكانه ليزأر به بغضب:

- ولله لأقضي عليك واشرب من دمك يا ابن ترنيم.. تجرأت وضربت اختي.. وبل اغتصبتها! انتظر فقط الى ان اطمئن عليها ايها الحقير ثم سأعود لأقتلك.

ارتفعت زاوية ثغره بشماتة وتجاهل كليا كل كلمة بذرت من جود وتخطاها ببرودة تامة لتعاود عيناه النظر فيما امامها بهدوء ممل.. وأفكار تائهة تنتهش دماغه ليشعر انه في وسط دوامة مصنوعة من الضياع..

****

تجمهر جميع افراد العائلة في المشفى، منتظرين خروج الطبيب ليهدئ من روع قلقهم على لين بعد ان اتصل جود بوالده وجده واخبرهما ما حدث بتشنج..

وسرعان ما كانوا جميعهم يستقيمون واقفين بلهفة، منتظرين كلام الطبيب الذي خرج لتوه من غرفة العناية

الراقدة بها الضحية المسكينة والتي تأبى الألام والأوجاع ان ترحمها..

- كيف هي ابنتي؟

تساءل ادم بصعوبة وكأنه في متاهة بين امواج البحر ومياهها الجارفة.. تلطمه من كل الجهات.. خوفه على ابنته الصغيرة دفنه في قاع البحر لتشتهي الحيوانات اكله بإنتصار.. ولم تكن هذه الحيوانات الا مجد وترنيم المستمتعين بما يحدث بكل غبطة وفرحة!..

- كيف سمحتم ان يحدث ذلك مع هذه المرأة الشابة؟! هي لديها مرض القلب وقد تعرضت الى اغتصاب اكثر من مرة وهناك علامات كثيرة حول جسدها تدل على انها تلقت الضرب.. نشكر اللّه اننا تمكنا من انقاذها.. عليها ان تبقى في العناية المشددة فحالتها سيئة للغاية..

ولكن انا مضطر لتقديم بلاغ عما حدث معها.. لا استطيع ان اسكت على مثل هذه الجريمة الفاحشة.

هتف الطبيب بجدية حانقة لتنهار ليان فاقدة الوعي بعد ان عرفت بمرض ابنتها وما تعرضت له فتجمعوا جميعهم

حولها وقام جود بحملها بمساعدة الممرضات وادخلها الى غرفة ما بينما غمغم ادم بجمود:

- لن تقدم بلاغ حضرة الدكتور.. هذه ابنتي وانا اعرف جيدا كيف اتصرف.

اراد الطبيب ان يعترض لكن بعد ان لمح نظرة الجدية في عينان ادم تنهد بثقل واومأ له بموافقته قبل ان يعود الى عمله..

استدار ادم ليحدق بوالده التي نزلت دمعته فعرف سببها ليدنو منه، هامسا بحرقة:

- اياك يا ابي ان تبكي.. اياك.. ابنتي لن تموت.. لن اسمح لها باللحاق بوالدتي.. اذ كانت والدتي ماتت بسبب مرض القلب فأبنتي لن تموت بسببه.. سأحميها بروحي.. ولكن سامحني فربما ادع دموعك تنزل على شخص اخر.. لن اسامح ريس ابدا على ما فعله بأبنتي اذ كان ما فعله بها دون سبب منطقي او لم يكن لمجد وترنيم اي علاقة فيما حدث.

- ريس يستحيل ان يؤذي لين.. هو يعشقها.. ارجوك لا تظلموه.

غمغمت عدن ببكاء.. لا تصدق ان بإمكان اخاها اذية زوجته التي يموت في هواها.. محال.. لا بد ان هناك سبب مخفي.. لا بد من ذلك..

سحب جواد اخته الى حضنه ومرر يده بحنو على ظهرها وهو ينظر الى جده بهدوء.. لا يفكر الا بأمر واحد الان وهو الذهاب لرؤية اخاه..

- عمي لنذهب الى ريس.

تمتم جواد بثبات لتفزع عدن وتبتعد عنه بخوف وتصيح:

- اياكم ان تأذوه.. اياكم.. انا لا اعلم ما حدث ولكنني متأكدة ان ريس مظلوم كما ظلمت لين.. لن اسمح لكم بأخذه مني.. لن اسامحكم ابدا اذا قتلتموه.. قبل ان تقرروا فعل اي شيء تأكدوا منه.. انا ارجوكم.

التوت روح ايمن حسرةً على احفاده.. لا يعرف ما هو الصح وما هو الخطأ.. لا يعرف مع من يجب ان يقف.. قلبه ينتزع

منه ببطئ موجع.. من جهة حفيدته الغالية التي تصارع الحياة بداخل غرفة العناية المشددة.. ومن جهة حفيده الذي يعتبره ابنه ويده اليمنى في الحياة الدنيا.. لا يعرف اذ كان ظالما ام هو مظلوم ايضا.. ضائع.. شارد في اختيار الصواب.. وليس قادرا على استنباط الصح من الخطأ..

- لا تقلقي عدن.. لن ابعد اخاكِ عنك الا اذا فقدت ابنتي لا سمح اللّه او انه قام بأذيتها لأسباب لا يتقبلها عقلي البتة.

غمغم ادم بوقار قبل ان يتوجه برفقة جواد الى منزل ريس..

وحينما وصلا لم يكلفا نفسهما عناء فتح الباب وطرقه لأنه كان مفتوحا.. وصوت ضجيج قادم من الداخل تخلل مسامعهما ليهرولا الإثنين بقلق الى الداخل.. وسرعان ما كان ادم يصيح وهو يرى الشجار القائم بين ريس وجود الذي لا يعرف متى اتى وكيف اختفى من وسطهم:

- جود ريس توقفا حالا.. جواد خذ جود واخرجا الان.

سحب جواد ابن عمه جود بصعوبة والذي وجهه ينزف تماما كوجه ريس المترنح من الثمالة لينفرد ادم بريس ويهتف بخشونة:

- انظر الي ريس.. انظر الي يا ابن يوسف.

رفع ريس عيناه الحمراء، ملبيا طلب عمه لتتزاحم افكار عجيبة في رأسه.. فغمغم دون وعي:

- انت لست والدها.. انت تكذب.

تمعن ادم النظر في عينان ريس ليجدهما زائغتان كليا كالشخص الفاقد عقله كليا.. بل وكأنه جن تماما والهلوسات والتهيئات تحاصره من كل الجهات.. فتساءل بحذر، قبل ان يفكر بحل لهذه

المعضلة وتحليل نفسية ريس الغريبة:

- ماذا تقصد ريس؟

دمدم ريس بتقطع حائر، ناظرا في انحاء المنزل:

- رأيتك معها قبل قليل.. لا البارحة.. اتخونني معك؟!

لماذا انا اشرب الخمر؟

- عن من تتحدث؟

تساءل ادم بتعجب من كلمات ريس الذي يبدو ضالا ، لا يدرك ما يحوم حوله البتة ليهمس الأخر بذهول:

- من هي؟ لا اذكر اسمها.. لا اعرف.. هل انت عمي؟

تأكد ادم ان ما يجول بباله يبدو صحيحا فهتف بجدية:

- تعال معي ريس.. وأفق قليلا عمّ يدور حولك.

ولم ينتظر اكثر شرود ريس فقبضت اناملة المتعبة على معصمه كما لو انه قبض على مشعل حراري ليتفاجأ بحرارة جسمه المرتفعة الا انه لم يهتف ببنت شفة وهو يسحبه خلفه خارج المنزل..

- الى اين ابي؟

هدر جود بعصبية وهو يرمي نظراته الساخطة على ريس المنفرجة شفتيه بإبتسامة متهكمة، والبرود الذي

تسرحه عسليته المتغابرة بتنافر مع نسمات الهواء الحارة تزيد من حدة غضبه..

- لدي ما افعله.. اذهب الى المشفى وابقى بجانب العائلة الى ان اعود.

اجاب ادم بجدية، متابعا مساره الى معرفة الحق وتأكيد شكوكه..

زفر جود بضيق شديد.. لم يشفي غليل عروقه بعد.. لم يرتاح باله.. يود الثأر لأخته.. المنظر الذي وجد به اخته لا زال ينجلي بحدقتيه دون رحمة.. دموعها وصرخاتها ودماءها لن تضمحل سدى.. البتة لن يسمح بذلك..

****

ربض الطبيب الذي يبدو في عقده الخامس من عمره على مقعد مكتبه مقابل ادم قبل ان يهتف:

- للأسف شكوكك في مكانها سيد ادم.. الشاب تلقى حبوب عقارات هلوسة ولكن المثير للغرابة في الموضوع هو انك تخبرني عن صفاته وانه ليس من ذلك النوعية..

فلا بد ان سيكون احد ما وضعها له في طعامه او في مشروباته.. والمذهل اكثر انه كان يتلقى كمية كبيرة وهذا سبّب له ادمان على الكحول ليتخلص من الام رأسه الحادة.. اي ما اقصده هو انه ليس بكامل وعيه الان وكل ما بدر منه لم يكن بتحكم عقله.. هل تشك بأحد ما؟

لم يتفاجأ ادم كثيرا من كلمات الطبيب التي اكدتّ له كل تحليلاته واستنتاجاته.. وادرك جيدا ان الوعد الذي قطعته عدوته الكريهة علنا قد نفذته وبجدارة ايضا..

فردّ على الطبيب بثبات:

- اجل اعرف جيدا من فعل ذلك.. وسأعرف كيف اخذ حق ابنتي وحق ابن اخي منهم.. ولكن كل ما اريد منك فعله دكتور عصام وبأسرع وقت ان تخلص ريس من هذه الحبوب اللعينة وان تعيد له رشده لأنني بحاجة ماسة اليه.

- ان شاء اللّه سأكثف له العلاجات ولكن عليه البقاء في المشفى.. وانا سأتولى جيدا شفائه من هذه الحبوب.

- يسرني ذلك.. ولكن كن حذرا معه فهو ليس بالشخص الهادئ لذا اعرف كيف تتصرف معه.

غمغم ادم بتفكير قبل ان يعاود الرجوع الى بذرة روحه وثمرة وجودها..

****

بعد مرور شهر ونصف..

توقفت على قدميها المرهقة، متأملة موجات البحر الهادئة عبر النافذة الزجاجية.. كل ما يخيم حولها هو الذرات الساكنة التي تبعث في نفوسها الوحدة الهادئة.. لم تستيقظ الا قبل بعض اسابيع ولم ترى وجهه قط بعد ان انتشلها اخاها - كما عرفت - من براثنه.. لم تعد تريد التفكير اكثر بمعاناتها.. الثواني التي جمعت عذابها بأيام تأبى ان تفارق مخيلتها.. لا تعرف ما الذي تشعره نحوه الان.. اهو كره ام اشتياق ام بغض ام عدم مبالاة؟

كل يوم تمتلئ غرفتها بأفراد اسرتها ليطمئنوا عليها ولكنهم لا يحصلوا منها الا على هدوءها المريب.. لم تعد تطيق التحدث ولا الإستيقاظ حتى من نومها القلق.. باتت تعشق الإنفراد والوحدة كما عشقته هو.. تريد ان تنأى نفسها عن عيون الكل..

ملّت من الحروف التي تنطق بها شفتي عدن كلما تواجدت معها وهي تتوسلها بأن ريس مظلوم مثلها تماما ولكنها لم تعطيها سوى الجمود المخيف..

لؤلؤتيها ذابلة فاقدة حيويتها.. لا تطالع غير الفراغ الأسود.. امست تعتقد ان حياتها سوداء ليس بها نطفة بيضاء..

سمعت فجأة الباب يُفتَح الا انها لم تستدير لتلقي نظرة واحدة لتعرف من الذي ولج اليها..

وفجأة سمعت صوت الممرضة تطلب منها ان تجلس علي السرير لتقوم بفحص وتيرة نبضها وضغط دمها فإلتفتت اليها ببرود وفعلت ما امرت به دون ان تهتف بحرف واحد..

- كيف حالك اليوم ايتها الجميلة؟

همست الممرضة بإبتسامة علها تخرجها من اجتثامة اغضائها وسكونها.. ولكنها لم تجد منها سوى الصمت.. الصمت الذي يلازمها مع الجميع.. فتنهدت الممرضة الشابة بحزن شديد على حالتها المثيرة للشفقة..

طُرق الباب مرة اخرى لتتطلع الى الداخلين بفضول هذه المرة، ليس كما فعلت قبل قليل.. فوجدت ان افراد اسرتها الدائم حضورهم قد اتوا ولكن الان برفقتهم اوس..

- كيف حال صغيرتي اليوم؟

غمغمت ليان بإبتسامة رسمتها على محياها غصبا وهي تقبّل وجنتي طفلتها بشجن دامي.. مشتاقة اليها.. مشتاقة الى سماع صوتها الذي يريح قلق فؤادها.. الى سماع كلمات الحب الحنونة التي تبثها على مسامعها بعاطفة صافية..

تمنت ان تبتسم لها.. ان تهمس بأسمها.. ولكن لم تكن الى اماني شبه مستحيلة بهدوئها هذا..

لم يرد ادم التدخل.. اراد ان تنبجس ابنته من قوقعتها المظلمة، المصنعة من فولاذ صرد بنفسها او فقط بمساعدة ذاك الذي سيأتي اليها اليوم.. لا يصطبر اكثر ولكن عليه ان يرى المواجهة بعينيه لأنها الأفضل ستكون للجميع..

وسرعان ما كان المتواجدين يشهقون حينما تقيأت لين لتطلب منهم الممرضة الإبتعاد وهي تقوم بمساندة لين للدلوف الى الحمام قبل ان تطلب من عدن التي لاحقتها بقلق ان تطلب من احدى الممرضة ان تأتي اليها ومعها جهاز اختبار الحمل.. وهنا فقط همست بذهول بعد ان قامت بإختبار الحمل في الحمام وحصلت على النتيجة:

- اا.. انا حامل!

لم تعرف الممرضة أتفرح لها على هذا الخبر الجميل الذي تتمناه كل امرأة والذي جعلها تتكلم بعد مدة طويلة ام

تحزن لها لأن حملها الان يضع حياتها على المحك بسبب مرض القلب..

لم تكن تظن انها حامل مع انها كانت تفحص وتيرة نبض قلبها ولكنها كانت تعتقد ان سبب تغير وتيرته هو مرض القلب وليس بسبب وجود جنين بدأ يتكون في رحمها..

فتمتمت بإبتسامة ينبع منها الأسى:

- اجل انتِ حامل حبيبتي.. مبارك لك.

- لا.. لا اريد الان.. كنا ننتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر و.. وانا معه.. والان.. والان بعد ان افترقنا وبعد ان بات مستحيل ان.. ان نجتمع.. اعرف انني.. اعرف انني حامل!

همست ببكاء متحشرج مزق نياط لب الممرضة لتذرف دموعها هي الأخرى ببؤس شديد على حالها.. وبلمحة جذبتها الى حضنها بحنو فائض كانت بأمس حاجتها اليه.. وغمغمت بدموع:

- اهدئي حبيبتي.. واشكري اللّه على هذه النعمة التي اهداها اليكِ فملايين الأشخاص يتمنوها.

- الحمد لله الحمد لله.. ارجوكِ لا تخبريهم.. ارجوكِ لا اريد ان اعود اليه.. اذا عرفوا انني حامل الان سيحاولون ان يجمعونا مرة اخرى.. وانا الان لا اطيقه.. لا اريد النظر الى وجهه.. فكيف البقاء معه؟! عديني انكِ لن تخبريهم.

توسلت لين الممرضة بإبتئاس وخيوط دموع كربها تتدحرج على وجنتيها بحرارة لتلسع فؤادها بشعلات نارية.. تشعر انها سماء شمسية يسِيرًا وجودها.. ونجوم السماء الداكنة التي تحيط بأشعة شمسها هي دموعها.. تشعر انها بعيدة بجحيمها.. تريد ان تعيش لوحدها في ذلك الحضيض الذي اوقعها به من عشقت هواه..

- اعدك.. اذا سألوا سأجيب ان ما حدث لك فقط ارهاق.. ولكن بالتأكيد لاحقا سيعرفون.

همست الممرضة بشفقة، وهي تربت على ظهرها بنعومة عسى ان تخفف من التياعها المغتم لتبتعد عنها لين هاتفة بعزم:

- سيعرفون بعد ان يطلقني.. وحينها لن اعود اليه ابدا.

****

كان اوس جاثما على مقعده، مراقبا محبوبة روحه بحدقتيه العاشقة.. تقطع قلبه بؤسا على حزنها.. لا احد يعرف اين ريس مختفي غيره وغير ادم وجواد.. يدرك جيدا ما يجول بعقلها.. من جهة اخاها الذي تعتبره والدها والمشتاقة اليه كإشتياق القمر الى سطوعه ومن جهة ابنة عمها التي تعتبرها بمثابة اخت ورفيقة نادر وجودها بطهارة قلبها..

ولم يستطع تحمل دموعها التي تأخذ تقضي عليه اكثر فهتف:

- عدن تعالي معي لحظة.

اومأت له بهزة بسيطة من رأسها وهي تقوم باللحاق به بروح منفطرة، ارهقها سبيل التيه والفقدان..

توقفت قبالته بعد ان اغلقت الباب ليكوّب وجنتيها الناعمة بين راحتيه الدافئة، ويهمس بحنو انتشلها من بين الوكر المليء بخشونة الذئاب النائمة الى حد الان:

- كل شيء بخير.. اعدك ان كل شيء سيصبح بخير.. لذا عليك البقاء قوية.. انا بجانبك وسأبقى طوال عمري بجانبك.

كلماته هذه التي كانت بأمسّ افتقارها اليها فكّت اكبال قيودها لتحررها من مكانها الأوسط في ديمومة الضياع لتلجأ اليه هو.. ودون ارادة منها ارتفعت شهقاتها وهي تتمسك به.. هي بحاجة الى حضن.. بحاجة الى من يخبرها ان كل شيء بخير.. سندها الحامي مختفي منذ اكثر من شهر ونصف وليس له اثرا خفيفا حتى.. وزوجته الغالية في حالة نفسية وجسدية سيئة للغاية.. من كانا يد العون لها لم يعدا برفقتها.. والان اتى هو.. حصن الحبيب.. روحها وخطيبها..

لم يبخل عليها بحنانه وهو يعطيها اياه بضمته.. يعلم انها ضائعة ولا تدري حقا ما عليها فعله.. يعلم انها ما زالت ليست حلاله ليقوم بمعانقتها.. يعلم الكثير.. ولكن زواجهما كان يجب ان يتم قبل اسبوعين.. ولو ان لم

تحدث هذه المشاكل لما كان سيتأجل وما كان سيزداد موته شوقا اليها..

- انا خائفة اوس.. خائفة عليهما.. ريس.. ريس لا اعلم اين هو.. و.. ولين تأبى التكلم حتى لو بكلمة.. وربما تكون حامل.. فالممرضة طلبت مني ان احضر لها جهاز اختبار الحمل.. واذا كانت حامل هناك خطر على حياتها.. يا الله يا اوس ماذا افعل؟!

نشجت عدن ببكاء بتر شرايينه واوردته لتتوقف عملها الهام.. التقط انفاسه المتثاقلة بصعوبة فائقة وهو يحاول ازالة تلك القبضات الحديدية التي تعتصر كل خلية في جسده.. فهتف محاولا ان لا يضعف امامها ويفضح ما يخططون اليه:

- لن تفعلي شيئا يا جنتي لأن كل المشاكل ستتوارى قريبا جدا.

- ريس يناديني ايضا جنتي.. ولكنه ليس موجودا.. عدني اوس ان كل شيء سيكون بخير.. قم بوعدي لأرتاح.

تمتمت عدن، دافنة رأسها في قميصه الأسود ليهمس لها بنعومة اذابت لبها عشقا وهياما:

- اعدك يا معشوقة روحي.

****

خرجت لين برفقة الممرضة من الحمام بعد ان وعدتها الأخرى انها لن تخبر احدا بموضوع حملها.. فهبوا جميعا منتصبين بخوف بينما ادم يتساءل:

- ما الأمر؟ هل لين بخير؟

- اجل هي بخير.. وذلك فقط بسبب ارهاقها النفسي.

اجابت الممرضة بإرتباك ليتنهدوا براحة..

اقتربت شام من لين، هامسة بقلق:

- حبيبتي لين.. هل انت بخير؟

اومأت لها لين ببرود قبل ان تستولي قدميها السرير الأبيض بهدوء.. وفجأة توسعت عيناها على وسعهما وهي تحدق بذلك الجسد الذي فتح الباب وولج دون كلمة واحدة..

ارتفعت وتيرة انفاسها بصورة رهيبة.. وارتعشت اناملها وهي تكورهم على دثار السرير بفزع.. لم تكن تحدق به بشغف ولا بحب بل بخوف.. سيناريو العذاب الذي عانته تكرر امامها بوحشية قاسية..

راقب ادم ردة فعلها بتوجس وتوتر.. كان يعلم ان ريس سيأتي اليوم.. اساسا كل ذلك من تخطيطهم.. فغمغم بجدية، راجيا بقلبه ان لا يتهور جود:

- الجميع للخارج.. ريس ولين يجب ان يتكلما مع بعضهما على انفراد.

- على جثتي.. لن ادع هذا الحقير مع اختي ولو لثانية.

صاح جود بغضب اعمى ليهدر ادم بعصبية:

- جود الان.. لدي ما اخبركم جميعا به.

- اخرج جود واسمع كلمة ابي.

اردفت لين بجمود وهي تتأمل بنية ريس المهملة بعينين قضى عليها الصقيع القارص ليتفاجأوا من تكلمها الان

وخاصة في هذا الوقت.. وما هي الا ثوانٍ معدودة ليتبقى صوت انفاسهما هو المتولي في ارجاء الغرفة..

- كيف حالك لين؟

همس ريس وهو يدنو منها بخطوات حذرة.. ومنبعيه الذهبية تطالعها بكل شغف وشوق.. اشتاق اليها.. يعلم انها لن تغفر له بسهولة ولكن ربما حينما تعرف انه لم يكن بوعيه.. وان كل ما قام بفعله دون ارادته ربما ستسامحه.. الا انه تصنم مكانه ريثما اوقفته بيدها، هاتفة بحدة:

- لا تقترب مني.. اياك.

- اسمعيني لين.. اعلم انك لن تسامحيني بسهولة.. انا حقا اسف.. صدقيني...

اوقفت صدى كلماته الموجعة لأذنيها ولروحها بصراخها عليه بأن يتوقف.. لا تريد ان تسمع مبرراته.. لا تريد ان تسامحه.. ولا ان تلين امامه.. ابدا لن تسمح.. لن تغفر له ايام معاناتها وشقائها.. ليس بهذه السهولة.. فهدرت بعنف:

- انا اكرهك.. لن اسامحك في حياتي كلها.. مبرراتك واسفك التافهان لن يشفعا عندي.. انا لا اطيق النظر في وجهك.. اتسمعني؟ انا ابغضك.. اشمئز منك.

تحمل اهانتها بهدوء.. تقبل كل ما نطقت به لأنها على حق.. حقها ان تغضب عليه وان تلومه.. حقها ان تثأر لصيحاتها ودموعها التي لم تؤثر به حينما كان يؤذيها.. ولكن ما لم يستطيع تحمله هو تلك الكلمة التي جمّرَت روحه واشعلت ذرات الغضب في اوصاله.. تلك الكلمة التي امرت بها.. ومن المستحيل ان يحققها.. "طلقني!!" لم يأبى لشهقتها المذعورة حالما زلف منها، قابضا على ذراعيها بإنفعال:

- في احلامك.. ولله في احلامك يا لين.. انتِ لي.. انسي كلمة الطلاق من قاموس عقلك.. انسيها كليا لأنك قدري كما انا قدرك.



الفصل الثامن وعشرون (الجزء الثاني)

اسير وحيدة على سبيل الحضيض..

استقصي عن مغيث ليغثني من الشقاء..

اسير وحيدة دون ملاذ ودون ملجأ..

ثم بلمحة يقبل من اوهمني بحبه يوما..

ويضع جم اللوم على روحي الذابلة من حبه تبا..

اين انت؟ اين كنت؟ ومن انت؟!

بعد فوات الاوان حضرت يا حبيبي..

لذا غادر كما فعلت قبلا..

توقف ادم قبالتهم بعد ان انبثقوا جميعهم من غرفة لين، تاركين لها حرية التحدث كما امَرَ.. ووجه حدقتيه الى ابنه الهائج بثوران غاضب على اخته، وهتف بوقار جاد:

- اسمعوني جميعا جيدا.. وخاصة انت جود.. ما لا تعلموه ان ريس كان طوال هذه الفترة يتلقى علاجا.. ريس لم يكن بكامل رشده.. فهو قد تلقى حبوب عقارات هلوسة دون ان يدرك.. ولكن انا واوس وجواد لا زلنا نبحث جيدا في الموضوع لنتأكد من هو الفاعل ونؤكد شكوكنا.

- ماذا تعني؟

تساءل جود بذهول ليتنهد ادم، موزعا انظاره على وجه فردا فردا من الوجوه المصدومة ويردف:

- نشك بترنيم ومجد انهما من وضعا هذه الحبوب لريس حتى يقوم بأذية لين وينتقما منا.. وبالفعل انا ارى انهما نجحا فلم نعد عائلة.. بل اصبحنا اعداء أليس كذلك جود؟ ابن عمك لم يقم بالفاحشة التي فعلها بأختك بإرادته بل هو مظلوم مثلها.. كلّفه وقتا طويلا حتى تخلص من هذا الإدمان على الخمر الذي سببته له عقارات الهلوسة، وابعاد اثرها المتعبة عنه.. نحن نحمد ربنا انه لم يُجَّن والا كان كل شيء سيتدمر.. انا لم استطع ان

اخبر لين دون ان يُشفى لأنني اعلم ان حالتها ستزداد سوءا.. وذلك ما لا اريده.

- هذا يعني ان اخي بريء.. هو مظلوم.. كما اخبرتكم.

دمدمت عدن بإغتباط وابتهاج.. ريس لم يخطأ ولم يتغير.. رباه كم تريد التغلغل في وسادة صدره الدافئة والإرتياح عليها.. رأته حينما ولج الى غرفة لين ولكن الصدمة الجمت لسانها عن النطق.. كان مرهقا واثار التعب تستبنها الهالات السوداء التي تدرز عيناه الناعسة.. شعره طال قليلا، وذقنه نامية بإهمال لا يناسب الفارس الجذاب.. لا يناسب الرجل الساحر للقلوب والعيون.. لا يناسب ريس، الأمير الفاتن..

لم تلقى زرقاوتيها الهادئة سبيلا سوى الى الروح الهائمة لتستأثر على عرش لبه الذي تهتز اركانه من فرط الشوق والصبو اليها.. رباه كم يحبها!! يموت في هواها.. يموت في تهلل شفتيها بإبتسامة تلقف الأوكسجين من رئتيه وتنتش مبعث رؤيته ليتأمل بها، غافلا كالمغيب عما يدور حوله..

"واذ همستُ لكِ في ليالي الربيع وهمهمتُ بحروف اسمكِ..

فإعلمي انني تخطيتُ العشق واوصاله وغرقتُ في اردافكِ..

واذ لاحقتكِ عيناي كشمعات ضالة، ترجى ان تنير مأواكِ..

فزلزلي شفتيكِ بهمسات الغرام لي ليسجد قلبي طوعا لحلاكِ..

واذ امرتكِ بدفن وردمِ جسدكِ في وطن احضاني وحزر هواكِ..

فتلهفي بأوتار ايقاعك لعزفِ ترانيم عشق نبضي ونبضكِ.."

- اجل ابنتي.. شقيقك بريء ولكنني لا اظن ان ابنتي ستغفر له بسهولة.. فما عانته ليس سهلا ولن ترضخ تحت كلمات اسفه وحبه بتحلحُل.. ولكن كل ما بإمكاننا فعله هو الدعاء والرجاء ان يوفقهما الرب ويبعد عنهما كل شر وسوء.

غمغم ادم بإبتسامة عذبة، منشرحة من اعماقه.. طريقهِ الى الإنتصار يسير بنجاحٍ فائق.. سيحرق مجد وترنيم بغُلٍ كما ثلبا مُهجهِ على ضناه.. طفلته وطفل شقيقه.. سيثأر لظلمهما وافتراقهما.. سيثأر حتى لو كلف الامر حياته..

تطلع الى ابنه وبكرهِ الذي نتره من صدى افكاره بكلماته الثابتة:

- انا لن اسامح ريس يا ابي ما دامت اختي لم تسامحه وتغفر له.

- وانا كذلك.

ايّده الجد بهدوء، مستبشرا بالفرحة.. ارتاح هوس خوفه بعد ان تأكد من التعسف الذي عاناه احفاده.. بعد ان تأكد من براءة ابن ولده الغالِ.. تنفس بسرور وحُبور وكل انش في جسده يخمد هواجس قلقه..

ابتعدت حدقتيه عن ابنه ادم وجود بعد ان وافقاه بإيماءة بسيطة وتسمرت على عدن التي تطالعه بعبوس ساخط..

فهمس برزانة:

- عدن حبيبتي اخاكِ بريء وهذا هو المهم.. ولكن عليه ان يتعذب قليلا ليتلهف اكثر لزوجته.. وجميعنا نعرف كم ريس يحب لين وكم هي تحبه.

- حسنا جدي كما تريد.

غمغمت برقة ناعمة قبل ان تسترسل كلماتها الموجهة لخطيبها المعشوق:

- اوس اريد ان اشرب.

- ماذا تريد ان تشرب حبيبة قلبي؟

تساءل اوس بإبتسامته المغرية لتلمع سماؤها بنيازك بيضاء عاشقة.. فتعلقت بذراعه كطفلة مدللة، تهوى التغنج والدلال.. وهمست بنعومة ارهقت صبره حتى لا يخطفها من اوساط العيون وينفرد بها مشبعا جوعه وسغبه بمستطاب ثغرها الذي يتوق اليه بشدة:

- لنذهب معا ونجلس في مقهى المشفى.

توسعت ابتسامته على طفوليتها التي تُهدج خفقاته ومالكها.. ثم سار برفقتها ليُلبِّي ما تبغاه جنة دنياه..

تطلع جواد اليهما بإبتسامة اخوية مبتهجة، متمنيا كل الخير لهما.. وخيال مراهقته الصغيرة يتعندل بأيونات الهواء التي امامه.. اشتاق اليها.. منذ ان بدأت المشاكل لم يتفرغ لزيارتها.. لم يعد بإمكانه الصبر اكثر.. عليه ان يعطي مجالا للؤلؤتيه التأمل بجمالها..

قفز قلبه مُغنيًا ببشاشة حينما استدارت قدميه لتمضي طريقها الى مأوى غرامه واوتارها الطيبة بعد ان اعلن سلامه المغادر..

****

لم تأبه بقبضتيه التي استملكت ذراعيها بعنف اوجعها.. لم تأبه بإحمرار عيناه بدماء غاضبة رافضة.. ولم تأبه بفزعها من قربه الشديد منها، الذي عاد ذكريات تجاهد ان تنسل من عقلها بقوة.. فكل ما يجول بثناياها هو نيل حقها منه بحريتها بطلاقهما.. هناك بذرة وثيقة باسلة صعترية تتعاظم في اعماقها وتحثها على التمرد بشراسة.. لتكثف مزاولتها لإغتيال رباط عشقهما الذي يتهالك،

ساحبا قنوط ورود الهيام لدفنه دون رأفة او شفقة بسهام كلماتها التي اطلقتها شفتيها البائسة:

- ستطلقني ريس.. لم يعد هناك ريس ولين.. انتهينا! لن امنعك بالزواج بأخرى وانت لن تمنعني من شيء.. عش حياتك كما تريد بعيدا عني.. وانا سأفعل المثل.. وصدقني ليس لدي اي معارضة للبحث لك عن زوجة ثانية!

لا تصدق اذنيه ما سمعته.. ولا تريد التصديق.. رنين مفردات الأبجدية التي تفوهت بها يتردد صداه بكل خلية في جسده..

هناك الم غريب يهرس عظامه بقسوة وطيدة يلذع دمائه.. كيف تمكنت من التفكير بهذا الأمر؟! كيف فكرت انه بإمكانه تركها والزواج بغيرها؟! اللّه وحده يعلم بمقدار هوس عشقه بها.. فقط هو من يعلم بتعلق روحه بها.. كيف تريد التخلي عنه وهو يراها امه، اخته، صديقته، والأهم توأم روحه وشريكة عمره؟! كيف وهو

بعيد عنها يموت شوقا وتوقا الى حضنها؟! بل كيف وهو لا يرى انثى في الأرض غيرها؟!

اوتاره الصوتية تشققت بدهاء لتجبره على عدم الرد.. الصدمة شلت عقله.. شلت لبه العاشق.. وشلت اطرافه ليبتعد عنها ببطئ..

لؤلؤتيه الساكنة بريبة كان بها شلالات من الدموع تفيض بصمت، ولا يكتمها الا كبريائه.. تأملها لدقائق دون ان ينبث بحرف واحد.. تأملها ليلاحظ ارتباك رماديتها الذي تخفيه بجمودها.. تأملها ليلملم تبعثره وتشتته الذي احدثه كلامها ليُكتّل ويُوَّحِد صمود قوته.. وبعد ذلك فقط همس بصلابة:

- اخبرتك مسبقا يا لين لن يفرقنا الا الموت.. واذ كانت امنيتك هي الإفتراق حقا، فتمنيه لي.. تمني لي الموت لتحصلي على حريتك مني! لتنطلقي الى الحياة التي ترغبينها.. ولتتخلصي مني الى الأبد لين.

تحشرجت انفاسه بثقب ليجثم الهم والإرهاق على صدره قبل ان يستطرد متابعا بوجع فائق اخفاه بإستفحال:

- لكن لا تحلمي بأن اتزوج غيرك.. وكذلك لن اسمح لك انت ايضا ابدا.. ما دمت على قيد الحياة لن تتحرري من عصمتي.. لن احررك من ملجأي ولو احرقتِ قلبي لين.. ولو احرقتيه!

- هذه مشكلتك ريس.. مشكلتك انت فقط! وكما قلتَ انا فعلا لن احلم بطلاقي منك لأنني سأحققه على ارض الواقع.. لا يوجد سبب واحد ممكن ان يقنعني بالبقاء معك.. ولا يوجد اي سبب كذلك يبرر التصرف الوحشي الذي عانيته منك.. انا تألمت.. بكيت.. توسلت.. وصرخت الى ان تقطع وأُنهك صوتي بمرارة.. وكل ذلك بسببك.. كله بسببك انت! فقط.. فقط لأنني رفضت ان تشرب الخمر.. فقط لأنني اردت ابعاد المعاصي عنك.. لأنني اردت ان تكون رجل صالحا عند اللّه ضُربت وشُتمت وأُغتصبت.. اتعرف ما كان وجعي حينما اتذكر ان الشخص الذي اذاني هو الذي كان دوما

اماني؟! كيف اثق بك؟! كيف ودمائي وشهقاتي لم تؤثر بك؟! ارجوك ريس اخرج ودعني لوحدي.. انا لا اريدك.. لا تزيد من كرهي لك وانت تذكرني بأيام ذلي وشقائي.. اخرج فقط.

غمغمت بألم شجي.. تريد ان تسامحه لكنها لا تقدر.. لا تستطيع ابدا.. استخرجت الضعف الذي يدسه في ثباته واوجعتها معالم وجهه الحزينة.. تمنت ان تفقد الذاكرة لتنسى ايامها معه وتسير مع الثواني في هذه الحياة دون حبه.. دون كرهه.. دونه.. ودون نفسها..

حدقت به لبرهة بمسراب دموعها التي لم تمل قط من السيلان وافزعتها تلك الدموع التي بانت لها.. لما هو نادم الان؟! لماذا بعد شهر ونصف اتى نادما اليها؟! استنزفت جمّ طاقتها حتى لا تضعف وتسقط مكمودة، رافعة يدها لتمضي على اوراق عشقها بغفرانها عنه.. وفجأة اتاها صوته بعد ذلك السكون الطويل المعذب الذي تجول حولهما متحسرًا على حالهما:

- سأتركك واخرج يا لين.. ولكن الان فقط، حتى تستجمعي نفسك وتعودي الى بيتك وزوجك.. انا لن اتخلى عنك ولو رفضت وحاربت.

لم يدع لها اي سبيل للرد حينما تحركت قدميه، ضاربة الأرض التي تدوس عليها بغضب والم.. يريد الإنفراد.. يكره ضعفه في هذه اللحظة.. يكره نفسه لأن جسده خانه واستجاب للحبوب الذي كان يتلقاها.. يكره مجد وترنيم اللذان فرقا بينه وبين محبوبته.. يكره نفسه لأن يداه اذتها.. لأنه فسح مجالا لتدهور حبهما..

توقف قبالة عمه وجده بعد ان اغلق باب ردهتها، وهتف:

- انا سأغادر.. لم ترضى ان تسمعني ولكن اوصما كلامي هذا في دفتر عقلها انني لن اتركها ابدا.. سأعطيها مجالا للإنفراد بنفسها الى ان تهدأ وتخمد ثورتها النفسية.. سأتكلم مع الطبيبة المسؤولة عنها قبل ان ارحل.

- تكلمنا مع الطبيب المسؤول عنها.. غدا ستخرج.

اجابه ادم بهدوء، متيقظا ببراعة لتشنجات زوج ابنته الذي انكمشت ملامحه بغضب وتوحش ريثما عرف ان المسؤول عنها هو طبيبا وليس طبيبة.. ولم يغفل ابدا لقبضة يده التي تكورت حول بعضها بعنف وقوة جسومة.. فغمغم بجدية بعد ان انتبه لكلماته التي على وشك الإنبثاق:

- ريس اظن ان لا داعي لغيرتك الان.. سلامة ابنتي اهم لي بكثير من ان ادقق اذ كان الذي يعالجها ذكرا ام انثى.. ولو انك تيقظت اكثر لما يدور حولك لما كانت ابنتي الان في المشفى ولما كنت انت في مكاا بعيد عنها تتعالج لتتخلص من حبوب الهلوسة.. واظن ان ما كان سيتكرر هذا الموقف.

- اين ذاك المسؤول عنها؟ اين هو؟

زمجر بشراسة، غير عابئا باللوم الذي القاه على مسامعه عمه.. يكاد يجن.. فترة طويلة يحوم حول زوجته رجالا ولا يعرف ما كانت نظراتهم لها.. لا يبصر امامه غير نظرات الرجال لها.. ربما رأوا شعرها.. ربما تكلمت امامهم

بصوتها الناعم الذي يجب ان يسمعه فقط هو.. ربما أُبلجت لهم اسنانها البيضاء بإبتسامتها التي تسلب روحه.. كل ذلك لمدة شهر ونصف! الغيرة شلت دماغه بطرقاتها المؤلمة والأفكار السوداء التي اشعلت النيران في اوصاله.. ولم يتحمل انتظار جواب عمه اكثر ليزأر بحدة، مستأنفا:

- لين اليوم ستخرج من المشفى عمي.. لن انتظر للغد.

- استغفرك يا ربي.. ريس بني لين لا تستطيع ان تخرج اليوم.. غدا فقط ستخرج كما قال الطبيب.

تمتم ادم بتأفف ليتدخل الجد مغمغما بوقار:

- ريس اسمع كلمة عمك لأجل لين.. ثم ارى انك نسيتني كليا لدرجة انك لم تكلف نفسك عناء السلام علي.

تنحنح ريس قبل ان يدنو من جده، ويحدودب برأسه، مقبلا يده بحنو ليسحبه ايمن الى حضنه ويعانقه، متنشقا رائحة ابنه بحفيده.. ثم همس:

- اريد التكلم معك حديثا خاصا.. لنغادر الان وغدا ستزور زوجتك وتخرجا معا.

اراد ان يعترض ولكن النظرات الدافئة والحانية التي سدلتها حدقتي جده اليه منعته ليزفر في جوفه قبل ان يتفطن للطبيب الذي ودّ الولوج الى زوجته.. وبلمحة سريعة زلف منه، مُلجما امكانية مروره عبر الباب بجسده وصوته الذي هدره بحدة:

- الى اين تظن نفسك داخلا؟ عد ادراجك حالا.. هذه الغرفة لن تطئها قدميك بعد الان والا سأحجز لك سريرا في هذا المشفى.

اذبهل الطبيب بشدة من اسلوبه العنيف ليبتلع حبيبات ريقه بخوف من الشرارات التي تطلقها عينان ريس نحوه ويهز رأسه بطاعة مثيرة للشفقة قبل ان ينفذ طلبه بإستسلام تام..

بينما كتم المتواجدين ضحكتهم بصعوبة بالرغم من حنقهم من غيرة ريس المبالغ بها.. ولكن الذعر الذي

ارجف الطبيب المسكين كان تأثيره اقوى بكثير عليهم..

- ريس.. اخي..

صاحت عدن بفرحة سادية فور ملاحظتها لوجود شقيقها الحبيب امامها.. ثم هرولت نحوه، راكضة بشوق فائض واوغلت نفسها بصدره الدافئ..

ابتسم لها بحب كبير، مقبلا اعلى رأسها بعاطفة اخوية وابوية.. وغمغم بلطف ناعم:

- اشتقت لك عدني.. اشتقت لحبيبة اخيها وروحه.

تبسمت بدموعها التي تنهمر على وجنتيها بتأثر وارتياح، وتوجهت لؤلؤتيها الى اوس فور ما سمعت كلمة "عدني" التي دوما يناديها بها اخاها وبات يناديها بها حارس صمامي فؤادها.. فرمقها الاخر بنظراته الحانية السعيدة لعودة الأمان الى ثناياها بعد ان عاد حاميها الأول قبله.. لتتوسع ابتسامتها اكثر وتزداد كثافة دموعها وترد على شقيقها:

- انا اكثر.. ولله انا اكثر اخي.. اياك ان تتركني مجددا.. سأموت دونك.

- بعيد الشر عن روحك عدني.. اعدك انني لن اتركك.. اساسا ارى ان هناك من اخذ مكانتي في قلبك.

هتف بإبتسامة عابثة وهو يبعزق انظاره بين شقيقته وصديقه لتحمر وجنتيها خجلا وتضربه بخفة على صدره، متمتمة:

- مكانتك في قلبي ووجداني لن يصل لها احدا.. حتى اوس خطيبي وحبيبي.

- حبيبك؟! هناك تقدم ملحوظ اختاه.. يبدو انه حدث الكثير في غيابي.

تذمر ريس بحنق مضحك، لتقهقه بود وتدس نفسها اكثر بحضن ملاذها الأول في الحياة الدنيا.. ولم تشعر سوى باليد التي سحبتها لتبتعد عن اخيها.. فرمت نظراتها الساخطة على اوس حينما تمتم بضيق:

- هذا يكفي حبيبتي.. الم تشبعي منه؟

- اتغار مني يا مجنون عليها؟ انا اخاها.

تساءل ريس بحنق ليقهقه، مجيبا:

- اين انت يا جود؟ ريس انت الوحيد الذي لا يحق له المعاتبة على الغيرة.. سأذيقك مرارة ما عاناه جود بسبب غيرتك.. انتظر فقط.

- لن اسمح لك.. فريس كل الدنيا بالنسبة لي.. واذا غرتَ علي من ريسي سأغار عليك من سيلين.

تدخلت عدن هاتفة بوعيد ليقهقه ريس ويردف، متناسيا القليل من اوجاعه على محبوبته بشقاوة اخته وصديقه:

- اثبتِ لي وبجدارة انك اختي.

- مجنونة! سيلين صغيرة جدا.. اي كان.. هذا الكلام سيدور بيننا لاحقا في حديث طويل.. الأهم الان ان الزواج سيقام الاسبوع القادم.. انا لن انتظر اكثر.. لن اصبر اكثر ولو احترق العالم كله سنتزوج.

غمغم اوس بنفاذ الصبر ليضحكا ريس وعدن عليه بسرور..

- بإذن اللّه اوس زفافكما سيتم بعد اسبوع مع زفاف جود وخطيبته.

هتف ريس بجدية قبل ان يقول بصوت عال حتى يسمعه جده ويقترب منه:

- والان سنغادر.. هيا جدي لنذهب.

****

تأملته بزمرديتيها طوال الطريق.. لم ترد ان تتكلم.. ولا ان تقطع تفكيره.. تعلم ان باله مشغولا.. فهناك شقيقته التي نزعت روحه من جسده بالمظهر المؤلم الذي رأها به ومن ناحية ابن عمه الذي ايضا ظُلم.. تعلم انه قاعد وسط لعبة المتاهة، وينبش بعناء وضنك عن سبيل لإستخراج الحل الصحيح.. تنهدت ببؤس غزير على ما حال عليه الوضع.. عاشوا جميعهم اياما مريرة قاسية طوال هذا

الشهر ونصف.. هناك دموع لم تجف.. هناك نيران لم تقر وتهمد.. هناك الام لم تستأصل بعد..

احبت خوفه على اخته.. احبت طيبته معها.. احبت رأيه عما حدث مع صديقتها.. تقربت منه خلال هذه المدة وباتت تعرفه جيدا.. غضبه.. عصبيته.. حنانه.. طيبته.. لا تنكر بأنها امست تخشى عصبيته فهي ادركت جيدا من هو جود ريثما يثور.. وهذا اثار قلقها حول حياتهما المستقبلية.. تخشى ان لا يتفاهما لاحقا فهي لا تستطيع الصمت عندما تجد نفسها على حق.. هي جريئة وصريحة جدا وتخاف ان يؤثر هذا الأمر على علاقتهما بأضرار لا تحمد عقباها..

ودون شعور منها امتدت يدها الصغيرة لملامسة يده الخشنة.. وهمست لتبث الدفئ والطمأنينة الى مضموره:

- كل شيء سيكون بخير جود.. فها هي الحقيقة قد بانت وريس قد عاد.

- لا ادري شام.. لا ادري.. لا استطيع مسامحته بسهولة.. فما قاسته اختي معه ليس بالشيء البسيط.. لين مزقت

الجلد عن لحمي يا شام.. فكيف لا انتقم لها؟ كيف لا اثأر لحقها؟ بمن اداوي جراح ضغينتي؟! اخبريني.

دمدم بيأس مؤلم.. ليس هناك من يتفهمه.. حتى والده.. يشعر بنفسه عاجزا، طريحا للحقيقة التي ظهرت لتفاقم من دماره العقلي..

لن ينسى وقفتها معه خلال هذه الفترة ابدا.. لن ينسى حضورها الدائم ولا رفضها لمتابعة دراستها والعودة الى الجامعة دون ان تطيب لين وتخرج من المشفى..

وبالرغم من ذلك كله الا انها كانت احيانا بكلماتها توقد غضبه اكثر وخاصة عليها.. هي حساسة ولا تفكر جيدا قبل ان تنطق الكلمة.. وهو متقلب المزاج.. صار يغضب بسرعة.. صار عصبيا الى درجة الجنون..

والمشكلة الأكبر والذي اكتشفها حديثا ان من طباعها هي ايضا العصبية.. وهذا سيء.. سيء للغاية.. فعلى الأقل يجب ان يكون احداهما هادئا ومتفهما ليتمكنا من السير في سبيل الحب الذي يربط بينهما..

وما هي الا ثواني قصيرة حتى وقع على اذنيه ردها:

- جود من وجهة نظري.. ريس يستحق الغفران فكلانا نعرف مقدار حبه للين.. هو يعشقها.. ولا يجب ان نسمح بذبول علاقتهما بل يجب ان نعمل على جمعهما معا.. لأن البعد للعاشقين لم يكن يوما دواءا بل هو ليس الا تضخم من التفكير المبرح.. وتعاظم من الغصة الحزينة الملتاعة في حجرتيهم.

- كلامك صحيح.. شام اريد ان اسألك سؤالا واجيبيني بصراحة.. حسنا؟

هتف بجدية لتومئ برأسها موافقة، فإستأنف متابعا بتساؤله:

- هل تحبيني شام؟ مشاعر الحب لا زلت لا اشعرها منك.. المشاعر التي تكنيها نحوي والتي استخرجتها من خلال تصرفاتك هي مشاعر صداقة.. وانا لن اقبل بذلك ابدا.. ابدا.

اعتلت الزهور الحمراء وجنتيها الدامثة.. كيف تظهر له مشاعرها الان؟ هو حقا غبي.. لن تعطيه الجواب ولو اعتقد ما يريد.. ستقر بعشقها فقط يوم زفافهما.. لن تكرر نفس الخطأ مرة اخرى معه..

ولم تعرف ان بصمتها وهدوئها بدأ عقله يعمل بطريقة سلبية.. لم تعرف انه بدأ يفكر بأنها ما زالت تحب ذاك الذي احبته يوما.. وصدمتها نبرته التي انبجست من شفتيه هازئة:

- حصلت على جوابك بسكوتك.. ها قد وصلنا.. انزلي.

تطلعت حولها بترقب لتجد نفسها بجانب منزلها.. ففكت حزام الأمن وهمست بهدوء:

- لا جود.. جوابي لم يصلك بعد.. ستحصل عليه يوم زفافنا.. الى اللقاء الان وانتبه الى نفسك.

- شكرا.. وداعا.

تمتم بجفاف قبل ان يدير سيارته ويتوجه الى الشركة، تاركا خلفه فتاة تحدق بالفراغ.. وتفكر بحل لتوتر العلاقة بينهما..

****

تعجبت من عدم دلوف اي شخص اليها بعد ان زارها.. حتى الأطباء والممرضات لم تراهم.. تشعر بالملل والضجر من بقاءها وحيدة بين هذه الجدران.. تحسست بأنامل مرتجفة بطنها الصغير.. لا تعرف اذ بإخفائها امر حملها عنه سترتاح.. والمشكلة الأكبر انها لا تُواري هذا الأمر عنه فقط بل عن الجميع.. تعلم ان حياتها في خطر وكذلك حياة النطفة التي تنمو في رحمها.. النطفة التي تكونت منه ومنها.. نطفة وصل عشقهما.. النطفة التي لم ترد ان تخلق بالغرام والهيام بل رضت فقط ان تخلق وتتكون بالإغتصاب والذل..

انجرفت دموعها بحبر كتبَ الام قلبها على صفحتي وجنتيها.. تحبه وتكرهه في نفس الوقت.. تخاف منه

وعليه.. تريد بقاءه وبعده.. تبلبلت افكارها بمجيئه.. تبلبلت بندمه وتعبه.. تبلبلت اكثر مما هي متبعثرة..

اغلقت عيناها بإرهاق وتكورت حول نفسها على السرير الابيض.. تريد النوم.. تشتهيه.. عسى ان ترتاح قليلا في نومتها اليوم.. دون ارق ودون كوابيس.. دون كابوس مجد وترنيم الذي بات يلازمها دوما..

عانقت وسادتها التي تحملت ضرباتها وامطارها واجهشت في بكاء حار.. تبكي.. تشهق.. وتتحسر.. خائفة مما هي قابلة عليه.. خائفة من ايام قادمة، اللّه وحده يعلم ما في طياتها..

" يا اللّه! "

صرخت بلوعة متعبة، دافنة وجهها اكثر في الوسادة الناعمة التي بين يداها.. لماذا تشعر بأنها واقعة في قاع الجبل؟ لماذا تشعر انها في السعير؟ وحيدة الظلام.. يتيمة الغربة.. وفقيرة الأمان.. فليكن اللّه فقط بعونها على ما تعانيه من كرب.. تشعر بنفسها طائرا تقطع جناحيه ليسعى حتى يرفرف دون ان يقدر.. كطائر شذي اخذوا

الحياة وهدفها منه.. وهي سلبت منها كل حياتها.. سلبت روحها ومعقل وجدانها..

بعد بعض ساعات كان سحر النوم قد سحبها اليه بقيصره المغري واوغلها في رجاحته.. ولكن تلك اليد التي طافت حول مسامات وجهها جعلت تعابيرها تتقلص بضيق وتأفف.. ففتحت ماستيها لتتبسط رماديتها وتشهق بفزع، دافعة يده عنها وصارخة بغضب:

- انت!! ريس!! ما الذي تفعله هنا؟!

- اتيت لأحرسك فأنا لن ارتاح لبقائك وحيدة في المشفى مع هذه الكمية من الناس.

برر ببراءة، مستمتعا بقربها منه.. فعبست بوجهه بحنق شديد وزمجرت بسخط:

- لا داعي لأن تحرسني.. فمنذ فترة طويلة وانا في المشفى ولم يحرسني احد.. لذا اطمئن وغادر.

تأملها عن وثب ودنى منها اكثر الى ان رقد بجوارها على السرير لتبتعد الى اقصاه بتوتر وخوف.. فإحتك ظهرها بخشبة السرير وكررت بتهديد:

- لا تقترب مني.. ابتعد.. سأصرخ.

- الم تشتاقي الي لين؟ اعلم انني اخطأت ولكن...

همس بشجن موجع.. المته نظرات الخوف التي بعثتها عيناها الفاتنة.. عذبه خوفها - بسياط من لهيب لظٍ - بجلداته على صدره.. اغرقته دموعها التي صبتها مجثم فضيتيها بمياه مالحة اذبلت روحه وجففتها بأشواك نصلة.. واغتالته صيحاتها العنيدة التي بترت كلمات تبريره من الزوال..

- لا اريد ان اسمعك.. ولم اشتاق اليك.. كيف اشتاق لك وانا اكرهك؟!

صرخت بحدة ودموعها الخائنة تنفي كل حرف نطقته.. تقضي على كذبها بكرهها نحوه.. لا تقدر ان تكرهه وهو من كان لها كل الدنيا ذات يوم.. تود ان تسمع

اسبابه لكنها خائفة.. تائهة.. محتارة.. لا تدري اذ كان لديها فعلا المقدرة لتسمعه..

لم يهتم لصرخاتها ريثما قبضت راحتيه على وجنتيها بدفئ، واضعا جبينه على جبينها، ومستنشقا انفاسها اللاهثة بهيام شغوف.. رباه سيموت من فرط شوقه لها.. يعشقها كما لم يعشق يوما.. لن يتخلى عنها ولو اهلكت روحه وجسده.. ستسامحه وتسمعه بإرادتها او دونها.. لم يبالي بإعتراضاتها الخفيضة عندما حُطت شفتيه على شفتيها، شاربا سلسال طيبها برقة.. قبلها بشوق ولكن بلطف.. قبلة بث فيها ندمه وحبه لها.. قبلها الى ان انهارت حصون مقاومتها وانجرفت معه في تلك الأحاسيس التي عشقتها دوما وكرهتها الان..

- احبك لين.. انا اسف.

تمتم بصعوبة بعد ان فصل وصل الجنون بينهما، لاهثا بعنف.. لم يبعد جبينه عن جبينها وبقي يتوسم بملمع عشقه.. رموشها الكثيفة التي سدلتها جفونها بنعومة..

توسم بهيام ملمسها ورحيق انفاسها العذب.. وتوسعت ابتسامته حينما غمغمت بضعف:

- انا اكرهك.. سأكرهك لبقية عمري.. اللعنة عليك.

لم يرد عليها بل اكتفى بما دار بينهما.. اكتفى بتيسره منها.. اكتفى بإنحلال مقاومتها.. فربما هذه هي بداية الطريق للسماح..

وفجأة انتبه لصوت الباب الذي يُفتح فهتف بصوت عال:

- لا احد يدخل.. وانت لين ضعي حجابك.

رمت عليه نظراتها المغتاظة قبل ان تنفذ ما قاله بإنصياع.. وبعد ان انتهت سمح للطارق بالولوج فإزداد بريق ذهبتيه غضبا حينما رأى الطبيب الذي هدده بأن لا يقترب من غرفة زوجته.. وسرعان ما زأر بهيجان:

- انت!! الم اخبرك انني لا اريد ان اراك بجانب هذه الغرفة؟ اتتمنى الموت؟؟

تنحنح الطبيب بخوف شديد واجاب بتلعثم:

- ااا.. اريد ان اجري بعض الفحوصات للين.. اقصد لمدام لين فقط ل.. لتخرج غدا.

- تفضل دكتور ولا تهتم لكلامه.. اقترب ولا تقلق فلن يؤذيك ريس.

همست لين بمكر حتى تغيظ ريس وتثير غيرته وغضبه.. فتشنج فكه بعصبية وهدر بإشتعال:

- وللّه اشرب من دمك اذا تقدمت خطوة واحدة.. وانت لين لا انصحك بإثارة جنوني قبل ان اقلب المشفى رأسا على عقب.



الفصل التاسع وعشرون (الجزء الاول)

كالفراشة تطيرين بين مسامات جلدي..

تدغدغين فؤادي ليعزف قهقهاته العاشقة..

وتلعبين على اوتار اعصابي لتكشفي حالات اطواري..

غريبة انتِ.. ومتناقضة كالجنة والنار..

اعشقكِ وتتكبرين.. ارفضكِ وتثورين..

ماذا افعل معك يا مطر سمائي؟

لا تريدي ان تكوني الشمس فتحرقيني..

ولا تريدي ان تكوني القمر فتُنيريني..

تائهة وحائرة انت كي تقتليني..

ومع ذلك احبك..

حينما تتضاربين وتتعارضين مع النجومِ..

معلنة بأنك غيومي..

ودونك اموت في بحار السحر الأسود..

ظهرت ابتسامة حثيثة على شفتيها، مستمتعة بإثارة ناره التي اخمدت قليلا من اشتعالها.. لم تضحك منذ تلك الحادثة المشؤومة التي ادمت قلبها وروحها بسببه..
اعجبها توحش عيناه ببريق شرس قمع من ثورتها وغضبها عليه.. ستستغل غيرته المجنونة وتملكه الريعاني لتحرقه بالنار التي احرقها به.. ستدعه يتهاوى وينحدر الى قعر الهاوية الذي اوقعها بها..

لا تعلم ربما ستسامحه يوما ولكن بالتأكيد ليس قبل ان تدع خصلات شعره السوداء الكثيفة تشيب احداها ان لم تكن كلاها..

وفجأة انتشلها من تفكيرها العميق صوته الرجولي المحتدم بعد ان انقشع الطبيب من امامها، يجر ذيول خوفه برفقته:

- ماذا تفعلين؟ بماذا تفكري انتِ؟ لا تلعبين بالنار معي لين كي لا احرق الدنيا كلها ونحترق انا وانتِ معها.

تطلعت اليه ببرود اهاج حنقه وسخطه ليكوّر يده بعنف.. وبغل ثائر ضرب قبضته بالجدار الأبيض الذي بجانبها لتجفل بشهقة مكتومة وتلقي عليه نظراتها الرافضة.. ثم هتفت بخشونة:

- ماذا افعل او بماذا افكر هذا لا يعنيك.. انت ليس لك اي علاقة بي.

- انا زوجك يا امرأة.

صاح بنبرة شرسة قبل ان يدنو منها لتتسمر مكانها، وتناظره بذهول بينما يتابع بحدة، قابضا على ذراعيها بجهامة افزعتها لوهلة:

- اسمعت لين؟! انا زوجك.. لي كامل الحرية لأتدخل بك واتحكم بك.. فلا تغضبيني لمصلحتك.. وصدقيني لا زلت اتصرف بهدوء واتقبل تصرفاتك لأنك على حق.. ولكنك تعلمين جيدا من اكون يا لين.. انا

لست بالهادئ ولا الليّن ولا الصبور كذلك.. انا لا زلت ريس؛ العاشق المتملك.. والمتعجرف اذا اردتِ ايضا.

توسعت جفونها بخوف الى ان لامست رموشها الطويلة حاجبيها.. وارتعشت شفتيها رغما عنها لتبدو لذهبتيه كملاك فاتن استلهب بقايا حبيبات العقل الضئيلة التي تبقت بمضموره..

جاهدت لإستجماع بذور ثمارها الذي نفثهم بعيدا عنها لتتلاحق انفاسها وهي تحاول دون فائدة..

واخيرا لا تعرف متى.. او كم مرة من الثواني غمغمت بنبرة ارادتها ساخرة.. الا انها خذلتها وانبثقت من ثغرها مرتجفة:

- تهديداتك لن تخيفني يا.. يا ريس.. فأنا لم اعد تلك الفتاة القديمة ايها الزوج العزيز.

قهقه الى ان تغلغل رنين ضحكته الى اعماق قرار روحها لتتحرر فراشاتها الناعمة وتجول وتطوف بإنفساخ وابتهاج في سائر اوردتها.. وفجأة اضطربت خفقات قلبها لتبدأ

طبلة فؤادها بالعزف بجنون حينما مدّ يده وصادر نبضاتها بتلمس انامله لمكان نبضاتها التي استشرت واحتدت بقوة اعظم.. طالعته بإرتباك جلي قبل ان تشيح بوجهها بعيدا عنه ليهمس بنعومة، كاثبا وجهه قبالة رقبتها، ومتنسما رحيق عطرها النقي الذي يخطف انفاسه بلا هوادة:

- كاذبة.. انتِ تخافين تهديداتي.. ارتعاشك وخفقان قلبك وتوترك يدلون على هذا الشيء.. الا اذا كان هناك سببا اخرا..

وهو.. وهو بالتأكيد عشقك لي.

دفعته براحتيها بضيق ليتراجع قليلا قبل ان تهدر من بين شفتيها المزموتين:

- انتَ تحلم.. لا تبني امالا زائفة.. اريد ان انام لو سمحت اخرج.

- لا امنعك.. تعالي لننام سويا فالسرير يتسع لشخص ونصف.. وانتِ ربع شخص بينما انا شخص كامل.

تمتم بتحاذق عابث لتشع مقلتيها شرارات الجنون.. تود ان توصم اظافيرها بوجهه الجذاب بهمشاتها وخدشاتها الى ان تنبجس دمائه.. تود ان تجلب مقصا من اللهب لتبتر لسانه اللعين حتى لا تسمع كلماته كلها.. من تملكه حتى عجرفته الى غروره...

لم تشعر بنفسها الا وهي تصرخ بسخط وامتعاض:

- اللعنة عليك.. لا اريد البقاء معك لثانية واحدة فكيف انام بجانبك؟

- اصبحتِ شرسة لين كالقطة التي تريد خدش مخالبها دون جدوى.. وهذا يعجبني نوعا ما.. فأنا احب القطط واعشق ترويضهم وخاصة اذ كانوا جميلات مثلك.

تمتم بنعومة مثيرة لتغمض عيناها بعصبية مفرطة من تأثيره عليها.. وقبل ان تنبس ببنت شفة كانت تغرق في بحر صدره على فراش السرير الدامث ريثما جذبها اليه..

تقلقلت كالسمكة بين ذراعيه، عسى ان يدعها الا ان محاولتها العابثة لم تبوء الا بالفشل الغانم.. فصاحت

بصوت مكنون بسبب ارداع كلماتها من الإندلاع بتقريب وجهها الى صدره بقوة:

- اتركني.. ريس.. انا اختنق ايها اللعين.

- تستحقين.. والان نامي وكفي عن التذمر كالأطفال.

تمتم بنعاس، مغلقا جفونه الأثيثة، ومُرَّسِخًا من ذراعيه حول خصرها الى ان تستلم له رغما عنها.. وسرعان ما تحقق مبتغاه حينما انهدمت جدران مقاومتها وهمست بعبوس كطفلة صغيرة منزعجة:

- اكرهك الى الأبد ايها المتسلط المستبد.

لم يأتيها اي رد منه لتزفر حنقها الشديد قبل ان تتوه في دوامة النوم المريحة واليسيرة على عضلات صدره المتينة..

تأملها بعشق مُبجل بعد ان جرفها سحر النوم الى اطاره.. وفجأة باغته حديثه هو وجده..

"رقد ريس بجوار جده في ساحة القصر ليتكلما على انفراد وبراحة اكثر، وكذلك ليعطيا المجال لأوس وعدن في البقاء معا في غرفة الصالة بأريحية..

ثم سرعان ما لبث ان هتف الجد بجدية:

- اولا ريس.. اريد ان اسمع منك ما حدث تماما وبعدها سأخبرك بكلامي.

تنهد بإرهاق جلي، والذكريات تداهمه من كل الجهات لتقتل روحه بلا تروٍّ وتأنٍّ بشكيمة نخزاتها المؤلمة.. ثم همس بوجع:

- لا اعرف يا جدي.. لا اعرف كيف كنت اتصرف.. فجأة وجدت تخيلات قبيحة تدور في رأسي.. تخيلات قضت على عقلي.. الام رأسي كانت تقتلني.. كنت اجد نفسي اتعرق دون سبب.. وتيرة انفاسي تزداد وتنخفض ولا اعرف لماذا.. لا اعرف كيف القيت نفسي في فاحشة الخمر.. لا اعرف كيف اذيت لين.. اشعر بنفسي كنت في كابوس يجسدني واستيقظت منه حديثا.. انا نادم جدي.. نادم

على معصية اللّه.. نادم على ايذاء زوجتي التي اموت في هواها.. ونادم على نفسي!

- ان اللّه غفور رحيم ريس.. ما قمتَ به لم يكن بإرادتك.. ولا تنسى ان رحمة ربنا وسعت كل شيء.. فقط كفّر عن ذنوبك يا بني.

قاطعه الجد برجاحة تفكيره، مقدما له نصائحه الودودة، وواضعا يده المترثية على يد حفيده الحبيب ليرد عليه الأخر:

- اعلم جدي.. استغفرُ للّه العظيم في كل نفس اتنفسه.. اتظن ان لين ستسامحني؟!

- هي تحبك ريس.. وهذا ما كنت اريد الوصول اليه.. انتَ عليك فقط ان تثبت لها ندمك وحبك لها لتدع قلبها يلين.. لا تضعف كثيرا امامها ولكن لا تقسو عليها.. دعها تذق طعم عشقك بطريقتك انت.. ومن الأفضل ان لا تخبرها الان عن سبب تغيرك معها.. دعها تعبر اولا عن ما عانته.. دعها تنفث عن اوجاعها التي

اوصلتها الى ما هي عليه الان.. دعها تنطلق قليلا مع نسمات الهواء.

غمغم الجد بإبتسامة رقيقة ليطالعه ريس بتمعن شديد قبل ان يردف بحب، مقبلا يد جده بوّد:

- ادامك الله لنا يا ابو يوسف."

مرر انامله بنعومة بين طيات شعرها الذهبي، متنشقا سلسبيل اريجه العذب قبل ان يقبله بروية وشوق كبير ويتبعها الى اجتثامة النوم العميق..

****

حدق مطولا بالشريط الذي امامه قبل ان يولجه في حاسوبه ليشاهد بغضب شديد ما هو محتواه.. تنافرت الايونات النارية بين دمائه وفجرتها مقلتيه المشتعلة.. وانهمرت من شفتيه افظع الشتائم والتوعدات.. سيحرقه حيا كما افجع فؤادهم على اخيه وزوجته..

كان في الطريق الى محبوبة روحه ولكن الإتصال الذي وافاه منعه من الإستمرار في سبيله وارغمه على الذهاب الى

الشركة ليتلقى الشريط الذي يحوي سبب تغير ريس بمعرفة من وضع له حبوب عقارات الهلوسة..

هبّ حائما في غرفته كالمجنون.. لو ان الوقت ليس متأخرا ما كان ليصمد ولو لثانية واحدة..

طوال الوقت كانوا غافلين ان الشخص الذي من الممكن ان يضع هذه الحبوب هو سكرتير ريس الذي يثقون به ثقة عمياء!!

خيانة قاصلة اغارتهم.. الشخص الذي وثقوا به وأمنوا نفسهم وشركتهم تحت يده يطعنهم طعنة قاضية قاسية..

سينتظر للصباح.. فلكل وقت حديث..

وريثما اراد النوم اردعه اهتزاز هاتفه ليزفر بضيق ويمسك الهاتف ويجيب بخشونة:

- من؟

- جواد.. انها انا.. ريما!

فاجأه بكاءها وشهقاتها المتقطعة ليتناسى كل غضبه ويشرع مفزوعا، متسائلا بقلق:

- ريما!! ما الامر؟ لماذا تبكين؟

- جدتي.. جدتي لا اعرف ما بها.. سقطت على الأرض فجأة و.. ورأسها ينزف.

تمتمت بتحشرج ليمرر يده بتوتر بين خصلات شعره البنية ويردف بحنو، محاولا تهدئتها:

- حسنا حبيبتي.. لا تقلقي.. فقط اهدأي.. مسافة طريق واكون عندك.

سمع ايماءِتها بموافقة قبل ان تغلق المكالمة ليلعن تحت انفاسه ويسرع بإرتداء ملابسه حتى يهرول الى معشوقة عمره ويرى ما حدث تماما..

وفور وصوله ترجل من سيارته ليدق الباب بخبطات متتالية مضطربة.. وسرعان ما سكنَ هاجسه بعد ان فتحت الباب له وتمعن بسلامة جسدها ليسحبها دون ارادة منه الى

حضنه، مفشيا بكلماته الرقيقة الناعمة ليركد من حدة خوفها وقلقها:

- لا تخافين ريما انا هنا.. اين لورين؟

- نائمة.. لم اوقظها.. خفت ان تفزع.

همست ببكاء، متشبثة به كطفلة صغيرة وجدت اخيرا ملاذا لها ليحميها من ذئاب الدنيا.. لم يستطيع كبت ابتسامته من طريقة تعلقها به.. يعلم جيدا ان ما يفعله حرام.. ولكنه غير قادرا على عدم احتواءها بين نجوم قلبه.. يعشقها وعشقه سيرشقه في بحر الهلاك لتجرده مياهها الى القاع.. الى قاع حورية فؤاده..

غمغم بصوت اجش وهو يبعدها عنه قليلا:

- تعالي لنرى جدتك.

هزت راسها موافقة بطاعة وهي تسير معه الى جوف المنزل.. تقدم جواد، مبعدا قليلا ريما التي التصقت به لينقصع برأسه وجسده حتى يحمل جدتها عن الأرض ويتفحص جرحها..

- احضري لي كوبا من الماء ريما وعلبة الإسعافات الأولية.

هتف بجدية لتغمغم ببكاء رافض:

- لا اريد.. تعال معي.

- ريما لا تتصرفين كالأطفال.. انتِ كبيرة وجدتك بخير.. فقط من هول الصدمة اغمي عليها كما ان جرحها ليس عميقا.

تمتم بتشجيع لتناظره لبرهة وتنفذ ما قاله بخنوع.. ثم سرعان ما كانت واقفة امامه، رادفة وهي تناوله ما في يديها:

- تفضل جواد.

- شكرا.. ساعديني قليلا لأعقم جرحها.

- حسنا.. انت كالطبيب تعرف كيف تعالج.

همست بإبتسامة ليبادلها بإبتسامته المغرية التي تسلب منها خفقات قلبها.. باتت تعشق قربه.. تفكر به طوال الوقت.. هي متأكدة ان ما تكنه نحوه ليست مشاعر

مراهقة.. فهي تحبه حبا لم تعرف مثيله الا معه.. واخيرا صرحت لنفسها بهذا الإعتراف الذي كانت دوما تنكره..

تأملته بحب شديد لاحظه لتعتلي ابتسامته المغرورة وجهه الذي ابدع الخالق برسمه..

- انتهيت.. لا اريد ان اوقظها.. ستستيقظ صباحا.

هتف بهدوء لتومئ ببساطة وتتعلق حدقتيها بوسامته دون شعور منها.. فتابع، متيقظا لنظراتها الهائمة جيدا:

- علي ان اغادر الان.. سأتي صباحا.

- الا تستطيع ان تبقى؟ انا سأنام بغرفتي وانت نام في الصالة.

همست برجاء ليدمدم بجدية وقورة:

- لا يصح ما نفعله ريما.. هذا خطأ.. انا لا يجب ان ابقى معك في نفس المنزل بما ان ليس هناك صلة تربطنا ببعض.. ومعانقتي لك قبل قليل ايضا خاطئة للغاية.. انتِ مراهقة وربما لا تدركين جيدا ما هو الصح وما هو

الخطأ.. ولكن انا لا.. انا شخصا واع.. فدعينا لا نفعل ما يغضب ربنا.

- لماذا تتكلم معي بهذه الطريقة؟ حسنا اذهب فأنا سأنام.. واذ اردت لا داعي لأن تأتي غدا.. وسأعتني بنفسي بجدتي.

اجابته بغضب حاد لينتصب واقفا، هاتفا بغلاظة:

- ريما لا تحللين كلامي بسذاجة.. انا قادم غدا.. ولا تنسي اغلاق الباب جيدا ورائي.

لم يسمع اي رد منها ليزفر بسخط ويتجاوزها، شاتما هذا اليوم الذي ابيا ان ينتهي على خير.. فتابعته بحنق، متشدقة بشفتيها، وعاقدة حاجبيها ليلتف لها فور وصوله الى الباب ويغمغم:

- انتِ طفلة صغيرة ريما، لا يتعدى عمرها السبعة سنوات.. هذا ما اثبتيه لي.

- على اساس انت الكبير.

ردت عليه بتهكم وسخرية اثارت غضبه ليخرج، صافعا الباب بعنف.. فتمتمت من تحت اسنان مطبقين بقوة:

- اللعنة.. من يظن نفسه؟! اذا احبه هذا لا يعني ان اسكت له.

****

في صباح يوم جديد..

كانت جاثمة على مقعدها قبالة طاولة السفرة تفطر مع اخيها الشارد وجدها الهادئ قبل ان تنصت لرنين هاتفها الذي تعالت نغماته.. فتركت ما بيدها والتقطت هاتفها الموضوع على الطاولة بإبتسامة شاسعة فور رؤيتها من المتصل.. ثم ردت بصوتها الناعم الذي يطرب روحه:

- اوس!

- عيونه لأوس.

غمغم برقة لتذوب ثلوجها في نهر دفئه.. رباه كم باتت تعشقه.. تكاد لا تصدق ان هذا الشخص نفسه الذي

كانت تكرهه بشدة.. لا بد انها كانت غبية حمقاء لتتصرف معه كما كانت تفعل سابقا..

همست بخجل بعد ان نهضت عن الطاولة لتتكلم بخصوصية اكثر مع خطيبها:

- كيف حالك؟

- بعد ان سمعت صوتك، انا بخير.

اجابها بهيام لتبتسم بحب شديد وتردف بإبتسامة مغرمة حد النخاع:

- دوما ان شاء اللّه.. اتصلتَ بي، هل هناك ما تريد اخباري به؟

- اجل.. جهزي نفسك اود ان اخذك الى مكان احبه.

اجابها بحنو لتومئ بموافقتها وتغمغم بنعومة:

- كما تريد اوسي.. سأجهز نفسي.. ورجاءا احضر سيلين وامي معك.. فانا مشتاقة بشدة اليهما.

- سأخذك اليهما بعد رجوعنا.

- حسنا.. اراك لاحقا.. واعتني بنفسك جيدا.

همست قبل ان تزلج المكالمة لتصعد الى ردهتها وتختار اجمل الملابس التي لديها لترتديهم لصاحب فؤادها وعيناها..

****

تململت بين ذراعيه بضيق ليفتح جفونه الناعسة..
وتتوسم ذهبيته في التأمل بجمالها الطبيعي عن كثب..
وسرعان ما خطر بباله فكرة ما، رغب في تنفيذها.. فقام عن السرير بهدوء شديد حتى لا تستيقظ وفتح ازرار قميصه كلها قبل ان يقوم بتجعيده.. ثم بعثر شعره الصفيق بأنامله واقترب منها بحذر ليفعل نفس الشيء بشعرها الحريري..

انزل لها اطراف بلوزتها الواسعة لتظهر اكتافها العارية..
وبعد ان انتهى تمدد على السرير بجانبها وسحب يدها بنعومة ليلصقها على صدره.. وشبك ساقيهما ببعض.. ثم

دفن رأسه بين صدرها ورقبتها لتجتاحه عذوبة سلسال عبيرها المغري..

تذبذبت بخفة بين ذراعيه، دلالة على استيقاظها فأغلق عيناه بسرعة.. وجاهد بصعوبة على كبت ابتسامته كي لا يُكشف..

رفرفت لين برموشها عدة مرات قبل ان تقوم بفغرهم حال ما لاحظت الوضعية التي هما عليها لتصرخ بصدمة، شاهقة بإجفال:

- ما هذا؟!

- ما الأمر؟

غمغم بتثاؤب، مدعيا النوم بعد ان اعتدل بجلسته على السرير لتهدر بحدة:

- ماذا فعلت بي وانا نائمة؟

استبانت ابتسامة طفيفة ماكرة على شفتيه قبل ان يهتف بخبث:

- الا تذكرين حقا؟

- لا.. لا اذكر.. ماذا حدث؟

تمتمت بنفاذ الصبر، مرتجلة من السرير بسخط وحنق لينهض هو الأخر ويهتف بتنكيل ابدع به:

- انا ايضا تفاجأت بك.. فجأة وانا نائم رأيتك تفتحين ازرار قميصي وتقبليني بجوع.. وتهمسي بأنك اشتقتِ الي ولم يعد بإمكانك البقاء بعيدة عني.

صاحت بذهول، غير مصدقة كلامه البتة.. يستحيل ان تفعل ما قاله.. بالتأكيد يكذب عليها حتى يثير ضيقها.. فهي عندما تنام لا تتحرك ابدا وتبقى ساكنة طوال نومها:

- انا؟!

- اجل انت.. لم اتوقع انك متشوقة الي لهذا الحد.. فقبل النوم كان تصرفك يختلف كليا عما فعلتيه وانت نائمة.. ولكن يقال ان افعال الشخص وهو نائم تدل على صراحة وحقيقة شعوره.

هتف بعبث لتقاطعه بهديرها المنفعل:

- انت تكذب.. انا لا اصدقك.

- على راحتك.. انتِ نومك خفيف ولو انني لمستك كنتِ ستستيقظين بكل تأكيد.. اليس كذلك؟

غمغم بهدوء بارع ليشوش تفكيرها اكثر ويستمتع بغبطة بإثارة تشتتها.. فتمتمت بتفكير مضطرب:

- اجل.. ولكن.. لا.. لا.. مستحيل.

- انت حرة حتى تصدقين كلامي ام لا.. انا قلت ما لدي.

رد عليها بإستسلام بريء قبل ان يستطرد متابعا بجدية:

- المهم الان.. جهزي نفسك سنعود الى المنزل.

- لن اتي معك.. سأمكث في منزل والدي.

اجابت بتحدي ليتشدق بسخرية، ساترا اعصابه التي انخرقت وتقطعت بسبب عنادها:

- ومن الذي سمح لك؟

- انا لا اطلب الإذن منك.. لا تنسى انك قريبا ستصبح طليقي.

هتفت بلا مبالاة اضرمت هيجان ثورته ليجذبها اليه بخشونة، ويزأر بصوت همجي ارعد الدماء التي تسري في عروقها:

- اخبرتك سابقا ولن اكرر كلامي مرة اخرى.. طلاق لا يوجد ابدا.. لا تحلمي بحريتك مني لين.. انا اناني لتلك الدرجة التي لا يتصورها عقلك.. ومتملك الى ابعد الحدود.. لا تجعليني اقوم بأسرك كما فعلت ذات مرة.. وانتِ تعلمين جيدا انني في اي لحظة ممكن ان افعلها واكثر منها حتى.

- اتوقع منك كل شيء ايها البربري الهمجي.. انت لعنة ريس.. لعنة واريد التخلص منها.

زمجرت بحقد، غير مدركة فظاعة كلماتها التي القتها على مسامعه كحجارة من قبس وفجرت عروقه بسيفها

الصنديد ليصيح بصوت عال جعلها تنكمش على نفسها بذعر:

- اصمتي.. لا تتكلمين كي لا افعل شيئا نندم عليه انا وانت طوال حياتنا.

وقبل ان ترد تفاجأوا الإثنين بالباب الذي فتح وبالشخص الذي دلف اليهما ليتضاعف غضب ريس الى اضعاف قاتلة، قد تقضي على المشفى والذي به.. ثم هدر بإنفعال حارق:

- انت!!

الفصل التاسع وعشرون (الجزء الثاني)

امتطيت جمل الصحراء ليقلني الى عاهل عرشي..

تخطيت عراقيل الجفاف الجلف لأصَب تحت قدمي اثيري..

**

ولكن، لم اكن ادري انني سأضَل في اجتثاثة مشقات..

ولم اكن ادري ان جَمَلي ماكِرٌ مؤاتٍ مع محبوب الفلذات..

**

انجذمت انفاسي من مكائد النفوس التي لا تحدب ولا تعطف..

وانبتلت حروف اهاتي من اوجاع تتدلهم على وتر العطف..

ربضت عدن على المقعد الأمامي بجانب اوس بعد ان اعلن عن وصوله بإتصاله.. ثم القت عليه تحية السلام ليبادلها اياها بحب كبير..

اعجبها الملابس الرياضية التي يرتديها لأول مرة امامها.. كان يتأزر بنطالا ابيضا قصيرا وبلوزة بنفس اللون دون اكمام، ذات الماركة الشهيرة المعروفة ب "adidas".. لم تستطع اناءة بحريها عن عضلات صدره البارزة، وعضلات ذراعيه الرجولية..

ذقنه الحليقة تثير جنون هيامها به.. شعره المُنسق بإجادة مُتقنة يستلب حواس عقلها، ويُهيجها على التأبط به ودثره بين جناحيها..

لم تكن تعرف ان لمعان مقلتيها المتألق سافرٌ لحدقتيه التي تنسمتها النظرة العاشقة الا ريثما همس لها بغرور مُحبب:

- اعلم انني وسيم.. ولكن ان بقيتِ تنظرين الي بهذه الطريقة لا اعلم ماذا قد افعل في التو وفي هذه اللحظة.

قهقهت بخجل وجذل، موجهة سبيل نظرها الى الطريق، ومغمغمة ببشاشة ناعمة:

- مغرور جدا جدا.

- وانا احبك جدا جدا.

اجابها بنبرة ساحرة لتتورد وجنتيها وتتطلع اليه بحب شديد وتردف لأول مرة له، وجهًا لوجه:

- وانا احبك اوس.. احبكَ انت يا من كنت ابغضه واكرهه.. احبك!

- سأفعل حادثا يا فتاة.. اعترافك ليس بمكانه الان.

تمتم بحنق لتضحك بخفة، لاهثة خرف الغرام..

وما هي الا دقائق قليلة كان اوس يرسي سيارته البيضاء على حبيبات التراب الرطبة لتتوغل حدقتي عدن ببهجة، متوسمة بجمال هذه المزرعة الغريبة والمبهرة من كثر جمال خضارها ومياهها، وجمال الحيوانات التي تتجول بها.. فغمغمت بإنبهار ورواء:

- ما شاءِ اللّه!! اين نحن اوسي؟

اجّمَ عن مقعده، خاطِيًا بقدميه نحوها.. ثم فتح الباب لها ومدّ يده برفق لتمسك بها قبل ان يسوِّغ لماستيه الداكنة التمتع بالنظر بما حوله..

كان يمتد في مدخل المزرعة اعشابا ناعمة متشابكة ببعضها، يتوغلها ورود حمراء.. وفي الجوانب هناك شلالات مائية يستوطنها بعض الحيوانات الصغيرة.. ثم الى الأمام تبدأ المساحة في الإتساع اكثر لتُتضح اشجار الفاكهة الشهية مع حصان ابيض وفرس يسحب العين اليه من شدة جماله..

سار اكثر، مُمسكا بيدها ليحثها على التقدم معه الى جوف المزرعة كي يتأملا الكوخ الصغير الذي يتوسد اشجارا خضراء قبل ان يهمس بإبتسامة حزينة:

- هذه مزرعة ابي وامي.. مزرعة حبهما.. ابي رحمه اللّه بناها واهداها لي في يوم ميلادي الخامس عشر لتكون مزرعتي انا ومحبوبتي.

ابتسمت له ابتسامة دافئة اجدت النيازك المقشعرة في ثناياه لتسحق الامه تحت وطأة حنانها الحبيب واردفت برقة رهيفة:

- فليرحمه اللّه اوسي.. ولو قدرت لأهديتك روحي من شدة حبي لك.. انت هيصري.. اسدي الحامي الحنون.. الذي لو نبشت في الكواكب كلها لن اجد مثلك.

- اعشقك جنة عمري.

عبّر بهذه الجملة القصيرة عن مدى جنونه بها.. وبانت مقلتيه عن صدق مشاعره تجاهها.. تقطعت اوتار لبه من كثر عزف قصائد العشق لها.. يحبها الى ان تنقطع انفاسه في محرم الغرام..

توسمت حدقتيه بعينيها الزرقاء قبل ان يستطرد متابعا وهو يشاور الى زاوية موجودة على الجانب:

- ابي دُفِن هنا.. كانت هذه وصيته.. حلمه كان ان يُدفن بمزرعة الغرام كما اطلق عليها.. وبالتالي تُدفن والدتي بجانبه بعد عمرا طويلا.

تنهد تنهيدة حارة تُعبر عن شوقه لطفولة عاشها مع والده الحبيب، مستأنفا حديثه بنفس النبرة الدافئة:

- تعالي لنزوره.. فأنا اريد ان اريه من اسرت قلب ابنه وتولت على عرش تفكيره قبل ان اخذك في جولة ممتعة في المزرعة على حصاني.

هزت رأسها موافقة بكل رضوخ.. لم تعرف مقدار هذه السعادة الا معه.. رباه على المشاعر التي تجتاحها برفقته.. لا تقدر على تمييز المشاعر التي تكنها له.. اذ كانت عشق ام هيام ام وله ام اكثر بكثير...

****

استدرك الأمر سريعا حالما رأى الباب فُتح ودلف منه الطبيب والممرضة وجده وعمه لينتصب بغضب اثيث، حاجزا امام لين التي كانت دون حجاب، مزمجرا بشراسة للطبيب الذي ارتجف من شدة الذعر الذي اختلج قلبه:

- اليوم ستموت.. يبدو انك لم تأخذ كلامي على محمل جدّي.

- ريس الدكتور لم يقصد.. فهو رفض ان يولج الى لين دون ان يرى احد منا.

تدخل ادم، هاتفا بجدية ليتهكم الاخر بسخرية حادة:

- لا، رحمته! سأدعه يعلم كيف يفتح الباب مرة اخرى دون ان يطرق الباب ودون ان يستمع الى تهديدي.

ارتعشت يداي الطبيب وهو يستنجد ادم وايمن بعينيه المذعورة من جهامة وحدة العرندس الذي خلال ثوان قليلة قد يقضي على روحه.. فأردف الجد بإبتسامة متوترة:

- تعال يا دكتور لثانية معي حتى تتمكن حفيدتي من وضع حجابها.

ازدردت لين لعابها بصعوبة حينما شعرت بتشنج جسد زوجها الذي تستتر نفسها به.. وارتعدت بخوف حالما انبجس الطبيب والبقية ليتمكنا من التحرك بحرية فألقى عليها ريس اوكاح لهيبه وهدر بوحشية، مستوليا على ذراعيها بخشونة:

- وللّه اذ عرفت انه كان يراكِ دون حجاب لأمرغك بآلام بعمرك لم تحلمي بها! اما هو في الأساس ستصعد روحه الى السماء، فبالتأكيد لن انتظر لأعلم اذ كان رأك مسبقا دون حجاب ام لا.

- لم يراني دون حجاب.. فكف عن كونك بدائيًا وهمجيا.

اباحت لين عن ذعرها منه بإرتجاف شفتيها ليتشدق بشراسة اوقعت لبها في ديمومة الخطر لتزداد الامه بصورة رهيبة ادت الى انزلاق دموعا موجوعة على وجنتيها وهو يجهر بعصبية:

- لا تدافعي عنه.. وهذا اخر تحذير مني يكون موجه لك، اياكِ ثم اياكِ يا لين التواقح معي.. لم اعد استطع تحمل كلماتك التي تنحدر على مسامعي مثل السم.

رمقته بنظرات متألمة شجية ترجو ان تتقي قبضتيه المبتركة معصميها النحيلين فنفضها عنه بخشونة وهمس بتمهل جساس ثائر:

- ضعي حجابك.. لنا كلاما من نوع اخر في المنزل.

- لا اريد ان اتي معك.. لا اقدر على نكث الوعد الذي قطعته على نفسي.

تمتمت ببكاء، مثبتة اناملها الرقيقة على فؤادها.. لن ترضخ بالذل مجددا.. لن تعود الى مقصورة أسر غيرته وتملكه.. لن تضعف لينبوع عسله الذي يشطها في امواج قاسية وامواج ناعمة.. تحبه ولو انكرت الاف وملايين المرات.. لا زال وسيزال دوما سلطان لبها الذي لا يهمه سوى قيصر عرشه..

اطلقت شفتي ثغرها صرخة مكدومة من الالام الغريبة التي داهمتها قبل ان يتمكن من الرد عليها ليحل مكان غضبه الخوف والقلق عليها.. فتساءل بجزع:

- ما خطبك لين؟ ما الذي يؤلمك؟

- قلبي.. قلبي يؤلمني.. ارجوك إنْدَه للممرضة التي في الخارج.

ردت عليه ببكاء شجَّ روحه وبخرَّ الحياة المُثلجة على اهداب روحه ليهز برأسه بإرتباك قبل ان يطلب الممرضة التي طلبتها لين.. فلبت الممرضة الشابة طلبه وولجت اليها، مغمغمة بقلق:

- زوجك قال انك تتألمين.. ما الذي يوجعك حبيبتي؟

- بطني وقلبي.

اجابت لين ببكاء لتتنهد الممرضة وتدنو منها، هامسة بنبرة حنونة:

- هذه اثار الحمل.. عليكِ ان تبدئي في متابعة حملك لدى طبيبة مختصة في هذا المجال.

- حسنا.. شكرا لك.

اردفت لين بإرتياح، متحسسة بطنها بأنامل تشع دفئا وحنانا لطفلها الذي ينمو في رحمها، غافلا عن العناء الذي سيسببه لوالدته..

وهناك في الخارج، زلف ريس من الطبيب الذي اخذ يرتجف بطريقة مثيرة للشفقة.. ثم امسكه من رداءه الطبي، زائرا بعنف:

- الم اخبرك ان لا تتحداني ولا تعصي كلمتي؟ الم اخبرك انني اخرج روحك من جسدك اذا تجرأت واقتربت على شيء ملكي لوحدي؟ وانت تجاوزت الخط الأحمر ريثما دلفت الى غرفة زوجتي ورأيت شعرها.. ماذا تعتقد سيكون مصيرك؟ ها ايها الدكتور!

لم يستطيعا ادم وجده تحمل مظهر الطبيب الذي يكاد يموت رعبا فحاول ايمن التكلم بنبرة حازمة، مخافة من تهور حفيده:

- ريس اترك الطبيب حالا وتعال معي.. هناك موضوع هام سأطلعك به.

- ليس قبل ان اقلع عيناه الإثنتين.

رد ريس على جده بحدة قبل ان تنزل قبضاته العنيفة على وجه الطبيب المسكين ليتجمع الأمن والممرضين

حتى يشاهدون المعركة التي قامت.. فصاح ادم بغضب وهو يجاهد لأبعاد ريس عن الطبيب بمساعدة حراس الأمن:

- دعه يا ريس.. هناك امرا اهم بكثير من هذه المهزلة.. الا تريد ان تعرف من وضع لك حبوب الهلوسة ودمر علاقتك الزوجية بإبنتي؟

- ماذا قلت؟!

تمتم بذهول، مطلقا حرية التنفس للطبيب والنجاة من ضرباته المؤلمة قبل ان يزأر كأسد مكبوت:

- من؟ من وضعه لي؟ من هو ذاك النذل؟

- سأخبرك ولكن بعد ان نعيد لين الى المنزل.

اجاب ادم بوقار هادئ، مبزغا زفرة مرهقة من اخماد ثورة ابن اخيه بثورة اخرى قريبة ليهز رأسه بهيجان قبل ان ينضوي الى زوجته الساكنة مكانها، واضعة يدها على بطنها بشرود غريب فهتف بجدية، لاهثا ايونات الغليان التي ارعشت الدماء في عروقه:

- هيا سنخرج.. والدك سيوقع الموافقة على خروجك.

هزت رأسها بموافقة متوترة قبل ان تتساءل بتوجس:

- لم تفعل شيئا بالدكتور، اليس كذلك؟

- ليس من شأنك لين.. انهضي الان دون هذه الأسئلة التافهة.

اجاب بوجوم لتزم شفتيها بحنق وتلبي رغبته الإجبارية.. مجنون بالتأكيد.. هذا هو زوجها الذي سلب حبوب العقل منها لتصبح مثله واقعة في بحر الجنون..

وفي الطريق استغلت لين وجود جدها ووالدها لتغمغم بإرتباك:

- جدي لا اريد ان اعود مع ريس.. اريد البقاء في منزل والدي.. ولا اريد العودة اليه.

- مستحيل.

زمجر ريس بعنف اجفلها قبل ان يتمكن ايمن او ادم من الجواب عليها لتطالعه بتحدي سافر، هاتفة بشموخ واثق:

- لم اتكلم معك على فكرة.. فلا تتدخل فيما لا يعنيك.

- لا بد انك لم تتعافي بعد حبيبتي.. انا زوجك وكلمتي هي التي ستمشي برضاك او دونه.

اجاب بغيظ شديد لتطالعه بإستهتار وتردف:

- كف عن تسلطك ايها الواثق لأنك ستطلقني ولن تبقى زوجي.. واساسا هناك حقوق اسمها حقوق المرأة فلا تنسى ذلك ابن عمي.

- بالتأكيد حقوق المرأة هذه ليست لك.. لأن فقط حقوقي انا هي التي تسير عليك وهي الوحيدة التي بإمكانك الإستعانة بها.

هتف بضجر لتدمدم بعصبية حانقة:

- لا تهمني اراءك ولا اقوالك.

اكتفت برؤية تعابير وجهه المغتاظة لتطالع والدها وجدها اللذان يشاهدان حوارهما بمرح اثار غضبها.. فصاحت بضيق:

- انا لن اعود معه افهمتما؟ لن اعود وانا مصرة ولن اقبل بأي معارضة من قبلكما.

- ونحن لم ولن نعترض.. لك كامل الحرية حبيبتي في اختيار المكان الذي تودي ان تمكثي به.

غمغم ادم بإبتسامة عابثة ليصرخ الغطريف الهائج بعنف:

- ماذا!! ماذا تقول عمي؟! محال، انا اعترض.

- ستقبل بني.. عليك ان تقبل الان.

رد الجد عليه ليُشخِّر بأنفاسه الملتهبة وتقتد حدقتيه بجمر لاسع، هامسا بوعيد:

- حسنا يا لين.. لن اكون ريس الجد اذ لم اجد علاجا للسانك الطويل وتصرفاتك المتعجرفة.

****

على بعد الاف الأميال والأمتار.. هناك في مجمع التجاري الفخم بتلك البلدة الكبيرة، كان يختار بعناية ملابسا

لأخيه ليشتريهم له الى ان ظهرت تلك الفاتنة امامه، مغمغمة بتعجب:

- قيس!! ماذا تفعل هنا؟

استدار اليها، تاركا الملابس التي بيده وممسكا بيد اخيه الصغيرة واردف بإبتسامة:

- اهلا انسة رؤى.. نزهة مع اخي الصغير في اراضي المانيا.. وانت ماذا تفعلين هنا؟

- انا مع اخي.. ومثلك في رحلة نزهة.

اجابت برقة ناعمة قبل ان توجه انظارها الى اخ قيس وتهمس بإبتسامة رغدة:

- ما هو اسمك؟

وحينما لم تستنبط اي رد منه تطلعت الى قيس بحرج ليتنهد الأخر بألم على حال اخيه قبل ان يجيب هو بدلا عنه:

- اسمه مراد انسة رؤى.

اومأت بإبتسامة خفيفة، متوسمة النظر الى ملامحهما المتشابهة الجذابة.. فقط الإختلاف بلون العينان.. قيس ماستيه خضراء غديفة بينما مراد سوداء صافية..

تجولت حدقتيها على وجهه الوسيم، رافعة حدة الإعجاب بالغريب الذي قابلته صدفة..

"رؤى"

صدح صوت اخيها وهو يدنو منها ليتطلعوا اليه جميعا قبل ان يهتف مراد بفرحة ادهشت قيس ورؤى، راكضا نحوه ليعانقه:

- عمرو!

- مراد!! ماذا تفعل هنا حبيبي؟

تساءل عمرو بإبتسامة سعيدة ليتفاقم تعجب وتحيُّر الإثنان اللذان يطالعهما بذهول واستغراب:

- انا مع اخي قيس.. لقد خلصني من ذاك العذاب.. استفقدتك جدا جدا عمرو.

- مراد من اين تعرفان بعضكما؟

غمغم قيس بتساؤل ليزلف مراد، ساحبا معه عمرو من يده، ومجيبا بإبتسامة سعيدة:

- هذا دكتور عمرو الذي كنت دوما اتكلم معك عنه.. هو من كان يشجعني على العلاج وعدم الخوف من الصعوبات.. لذلك انا الان افضل بكثير من الاول.. والفضل له طبعا.

مد قيس يده لعمرو، هامسا بإبتسامة شاكرة:

- شكرا على ما فعلته دكتور عمرو مع اخي.. لن انسى ما فعلته ابدا.. لنا حقا ممنونك.

- العفو هذا واجبي.. ولكن هل تعرف اختي؟

- قيس يكون اخ شام صديقتي وخطيبة مديري في الشركة.

تدخلت رؤى، مجيبة على تساؤل اخيها ليهز رأسه بتفهم قبل ان يغمغم:

- اذا هيا تفضلوا لنجلس بمكان ما بدلا من الوقفة هذه هنا.. ونحن اصدقاء وابناء بلدة واحدة في دولة غريبة لذا كل ما تحتاجاه انا هنا.

- اشكرك عمرو.. نحن بأفضل حال.. وبالطبع انتمت كذلك ان اعتزتما ولو شيئا بسيطا انا هنا.

رد قيس بإبتسامة مهذبة وهم يتوجهوا ناحية مطعم عربي قائما في المجمع..

****

ها هي الدقائق تعدو، راغبة في اتمام توق وامل القلوب التي ترجو اقبال هذا اليوم المُرتقب بشوق لا يُحصى.. مرّت عدة ايام ذاق بها أناسها لحظات فَرحة ولحظات تَرحة..

قعد بجوار قبر والده، يتحسس ترابه بألمٍ لا يشعر به غير اللّه.. اليوم سيُسَلِّم اخته الى صديقه بيده.. لطالما انتظر تلك اللحظة بلهفة.. تمنى رؤية صغيرته بفستان زفافها للرجل الذي يحبها وسيحافظ عليها ويصونها.. وها هي

اخيرا وجدت رجل لا يحبها فقط.. بل يعشقها واكثر.. رجل يخاف عليها من نسمة هواء باردة تضرها.. وهذا ليس اي رجل.. بل هو صديقه المقرب.. اوس!!

تنهد تنهيدة حارة تبوح بكل ما يشعر به من مصاعب ومخاوف.. تنهيدة تنطق خوفه من عدم اتمام الزفاف على خير.. تنطق خوفه على عدنه وزوجته.. المسؤولية المُلقاه على عاتقه ليست بهينة البتة.. هذه اخته، ابنته واغلى ما يملك.. وهناك من جهة الأخرى زوجته التي تصر على معاندته واغاظته.. وكأنها اضحت تهواه غاضبا، ثائرا كالمجانين.. تتعمد اللعب على وتره المنقبض طيلة الوقت بإثارة غيرته عليها، سواءًا كان مع افراد العائلة او غيرهم.. ترفض كفرس شرس ان تُلبي ولو كلمة واحدة مما يقوله لها، مستغلة عمه وجده.. كلما اراد اخبارها بالحقيقة يقفان رادعا امامه بحجة انها يجب ان تنبط وتبتق كل ما في طياتها.. وها هي تتفنن بتعذيبه ببعدها عنه كلبؤة جامحة..

من شدة ما رأه منها خلال هذه الأيام لم يتبقى ولو نوع واحد من الحيوانات الشرسة لم يشبهها بهم!..

خضخض رأسه، مُقصيًا تأثير محبوبة مُهجهِ عن افكاره.. وشردَ بإرهاق صَبًّ حبيبات زبرج صلابته قبل ان يهمس بجمود:

- اتعلم يا والدي؟ لا زلت لا اشعر بالراحة.. هناك خنجرا باسلا يُضرب بقلبي.. لا ادري ما هو السبب.. صحيح انتقمت من السكرتير الذي وثقنا به وعرفنا ان كل ما حدث من تخطيط الخسيس مجد والنذلة ترنيم.. ولكن يا ابي هما مختفيان واللعنة.. لم يتبقى ركنا واحدا في الدولة لم ابحث به انا ورجالي عنهما.. وكأن الأرض قد انثقبت وابتلعتهما.. ومع ذلك انا ابنك يا غالِ.. اقسم بتراب قبرك انني سأخذ حق كل واحد اذوه وخاصة انت ولين.. سأخذ حقكما ابي.. لن اكتفي هذه المرة بتدمير او تهديد.. بل هذه المرة سأخرج روحهما من جسدهما.. حتى ترنيم سأرميها في السجن.. وها انا اقسمت بترابك يا ابو ريس.

وبعد برهة ليست بقليلة توقف بجمود، مُطلقا شعلات التحدي العازمة على نيل مبتغاه ولو كلفه الامر حياته.. ثم سار بخطوات ثابته نحو سيارته، متوجها الى القصر ليطمئن فؤاده على اخته وعلى زوجته.. والأهم من ذلك على ماذا ترتدي فرسته المتمردة..

وما هي الا دقائق معدودة كان يركن سيارته بجوار القصر المرقوم بزخرفات بيضاء ناعمة من ايدي محترفين قبل ان يصعد بهدوء الى ردهة اخته ليتوسم منبع عسله بجمالها وجمال جنونه.. لين!

فتح الباب بهدوء ليصدر صرير خفيف ويولج الى الداخل بخفة.. وهنا تصنمت حدقتيه اللامعة على ملاكه ريثما رأها لوحدها، مُفرجة العنان لشعرها العسلي بالتسبح على ظهرها الأسيلي ليدنو منها مسحوبا العقل بين نجوم سحرها الطاغية ويغمس وجهه بشعرها، متنشقا اكبر قدر من رائحتها العذبة..

شهقت بتفاجؤ لتتسارع خفقات قلبها معلنة حبها لهذا الشعور الذي يمرغها في ارض لا تمت الا لها وله!! كرهت

تأثيره الرجولي الأنِف عليها.. ارادت ان تستدير لتواجهه ولكن انفاسه الحارة التي تطوف بين مسامات خمر جلد رقبتها وظهرها المكشوف كبحتها بإستفحال..
القشعريرة اللذيذة تثير حنقها وغيظها من تحكمه بكل ما هو لها.. جسدها.. قلبها.. عقلها.. يتحكم بهم بقوة وطيدة..

- ري.. ريس!!

همهمت بشفتيها المرتجفتين ليضع قبلة مطولة على ظهرها لتخور قواها وتُخدَّر حواسها وهو يجرفها الى عالم بعيد بقبلاته الراغبة..

ادارها اليه لتقابل عيناه الداكنة ببريق تعرفه جيدا، وهتف بنبرة ثابتة تتناقض كليا مع ارتعاشها بين راحتيه:

- غيّري ثيابك.. بالتأكيد لن ترتدي فستان مكشوف الظهر حتى ولو امام النساء فقط.

- انا مُصرة على ارتدائه.. وليس لك شأنا بي سيد ريس.

تحدثته بعنف، داهسة على كل المشاعر والأحاسيس التي استحوذت عليها قبل قليلا ليتشدق بسخرية:

- سنرى..

تأمل ماستيها المتمردة لوهلة ثم سرعان ما استأنف كلامه بحدة:

- هذا يكفي لين لقد تدللت اكثر مما يجب.

وقبل ان تهم بالرد عليه كان يسحب اسدال الصلاة التي على السرير ويلبسها اياهم رغم اعتراضها وضرباتها المتوالية لتتخلص من قبضتيه الكامشة عليها بتشدد.. ثم سرعان ما لبث ان قذفها على ظهره لتصيح بإجفال، مُخبطة ساقيها في الهواء:

- انزلني ايها المجنون.. ماذا تفعل؟! انا لست كيس بطاطا لتحملني بهذه الطريقة!

اسكتتها زمجرته الغاضبة وهو يهرول الى الأسفل بساقيه الطويلة:

- اخرسي.. ولله اقوم بتغيير ملابسك بنفسي.. وليس ذلك فقط بل احممك انا لأزيل هذا القرف الذي تضعينه على وجهك كي تغضبينني.

وما ان قام بحذفها داخل السيارة تحت انظار جميع العمال المذهولة اوقفه صوتا انتظر سماعه على نار مضطرمة ليخرسه الى الابد..

إستدار بعينيه الملتهبة وهتف بنبرة ذئب وجد ضحيته اخيرا ليتذوق دمائها بشراسة فادحة:

- ترنيم!!

الفصل الثلاثون

امسكتُ كتاب الأيام لأتصفح اوراق غرامنا..

تاهت حدقتي في حروف ابجدية هيامنا..

لتذرف عبرات سقيمة ارهقتها ضراوة معادينا..

وتعج الحان الحقد من مجاثم ماقِتِينا..

يمّمتُ منبعَيّ الى نجومٍ اخجَلَتْ همسات صبابنا..

لتخفي نفسها شُجنًا على حال اثير وجداننا..

وتتوه القلوب والعيون بين غربة ظلام اغارنا..

وما ان قام بحذفها داخل السيارة تحت انظار جميع العمال المذهولة اوقفه صوتا انتظر سماعه على نار مضطرمة ليخرسه الى الابد..

إستدار بعينيه الملتهبة وهتف بنبرة ذئب وجد ضحيته اخيرا ليتذوق دمائها بشراسة فادحة:

- ترنيم!!

اقتربت منه بخطوات متوترة وهي ترى لين تخرج من السيارة لتحتمي بزوجها فإبتلعت ريقها بمرارة وسقطت ارضا، ممسكة بقدمي ريس الذي يطالعها ببرود، وهتفت بنبرة باكية يشوبها الندم:

- سامحني يا بني.. سامحني ارجوك.

تفاجأت لين بما قامت بفعله.. لا تصدق ان هذه المرأة هي نفسها التي كانت تراها قبلا.. لا تصدق ان هذه المرأة هي نفسها من اذتها وتمنت الموت لها ولوالدها.. لا تعلم لما شعرت بالشفقة على حالها.. عيناها تنبعان بالصدق.. تفيضان دموع الندم المُتَرَيِّث.. لم تشعر سوى بقبضتي ريس التي منعتها عن رفع ترنيم عن الأرض.. فنظرت اليه بحدقتيها المذهولة والمتفاجئة بكمية الحقد والكره

التي تطلقه عيناه لتغمغم بهدوء، متوسلة بلؤلؤتيها التي سنت دفئها، متخلية عن كل غضبها منه:

- لا تقم بفعل امرا تندم عليه ريس.. في النهاية هذه امك وهي من انجبتك.

ازداد انهمار مطر دموعها بندم احرقها حية وهي تبصر وتستمع الى زوجة ابنها التي اذتها بلا رحمة وبلا رأفة - مستمتعة بصرخات عذابها والامها - تطلب من ولدها ان يعفو عنها ويغفر لها.. تود ان تقبل قدميها وترجوها ان تسامحها هي ايضا، معترفة لها بكل ذنوبها.. بكل التدبيرات التي خططتها هي ومجد لتُفرح قلبها بأوجاع طفلها وزوجته..

شهقت فجأة بإجفال ريثما زمجر العفريس الذي يرمقها بإستهتار غاضب:

- متأخرة جدا جدا ترنيم.. ندمك لم ولن يشفع عندي.. خيانتك لوالدي لن تذهب سدى.. قتلك له لن يضمحل بأسفك الكاذب.. محاولة خطفك لعدن واحراق قلبي

عليها ليس شيئا بسيطا.. اعتداءك على زوجتي انتِ والحقير الاخر مجد لن اسكت عليه.. محاولتك العابثة في التفريق بيني وبين زوجتي من خلال دس حبوب الهلوسة لي بمساعدة الخائن سكرتيري.. كل هذا يهيجني اكثر للأنتقام منك بأفظع الأفكار التي تداهم عقلي.

لم يغفل عن الشهقة المصدومة التي سرّحتها شفتي تلك الممسك بيدها بصلابة، مستمدا منها القوة ليتمكن من الصمود وعدم الإنهيار.. لم تكن تعرف كل اعمال والدته الفاسقة.. لم تكن تعرف مدى دناءتها غير الان.. ولكنها نادمة والرحمن يسامح ويغفر.. لا تدري ماذا تفعل!! لم تعفو عن حبيب قلبها بسهولة.. فهل ستعفو عن ترنيم، سبب المصائب كلها بهذه البساطة؟!

انزلت بصرها الى الأرض بذهول حينما شعرت بترنيم تتأبط بقدميها، متوسلة اياها ببكاء ومذلة نفسها ولأول مرة:

- ارجوكِ يا لين.. انتِ قلبك طيب.. دعيه يسامحني.. هو يحبك ولله يشهد.. انا نادمة ندما ارهق فؤادي.. انا فقط اتمنى حضور زفاف ابنتي الذي لن يتكرر.. انا اعتذر منك ايضا على ما فعلته ولكن ارجوك.. انا اتوسلك ان تقنعيه.

- انا لا اقدر خالتي ترنيم.. لا اقدر!

ردت عليها بيأس.. كيف تقنعه بعد كل ما قاساه منها؟! كيف وهي قاتلة والده؟! كيف وهي سبب فراقهما؟! كيف؟! لا تعرف.. تشعر بالأسف نحوها.. ربما هناك اسباب لما قامت بفعله.. ولكنها تعلم جيدا من هو زوجها.. لن يرحمها ببعض كلمات.. ليس بعد كل ما مر به بسبب امه!!

" ما الذي يحدث هنا؟ "

صدح التساؤل الحائر من جواد المذبهل من المرأى الذي يراه امامه لتستدير اليه ترنيم وتقف بصعوبة، راكضة نحوه ومدمدمة ببحة شجية:

- انا نادمة يا جواد.. اسمحوا لي بحضور زفاف ابنتي.. اعتذر ولله شاهد اني نادمة ندم البؤساء.. اغفروا لي فالله يغفر.

- وما هو السبب يا ترنيم؟ لن اصدق ان بين ليلة وضحاها اضحيتِ نادمة.

غمغم جواد بإستنكار ليتابع الغطريف - القابض على اعصابه بصعوبة بالغة - استماعه الى دافع تغير المرأة التي يكرهها..

فأجابت ترنيم بغصة مريرة ادمت روحها حسرةً:

- لقد رأيته يخونني على سريري، ويخطط لقتلي.. ربما هذا هو الدافع الذي ادى لندمي.. وانا شاكرة لله اني تبتُ قبل فوات الآوان.. اعرف ان ما قمت به ليس هيّنا ولكني نادمة وساعية الى التوبة.

تأثرت لين من كلماتها التي انزلقت على مسامعها متألمة، ترجو السماح.. فودّت ان تزلف منها وترفعها عن الأرض ولكن يد زوجها التي اعتصرت معصمها بعنف الجمت

مبتغاها قبل ان يجرها خلفه، واضعا اياها في السيارة وسط توسل ترنيم وبكاءها ليصعد هو الاخر وينطلق مسرعا بعينين حمراء ملتهبة، لا تبصر امامها غير الحقد..

لم يأبه بكلمات الراقدة جواره المذعورة من سرعته العالية.. لم يأبه بالطريق الذي امامه.. وجعه استولى على شجرة رشده ليكبح ازدهار تفكيره.. لماذا عليه ان يسامحها؟ لماذا بعد كل المصائب والدمار التي ارْدَتهم بهما؟! من سيعيد والده اليه؟ من سيعوّض طفولته الناقصة التي انهكته بحمل ثقيل لطفل صغير لم يتمتع بطفولته كغيره؟! من سيصلح علاقته بزوجته بعد ظلما باسلا ضعضع رباط العشق والتفاهم الذي كان يُجسد علاقتهما؟! من ومن؟!!

اهات سقيمة جلدت وجدانه دون رحمة ليصرخ بلوعة مكدومة، ضاربا بغل رجل مقهور على مقود سيارته:

- يا رب!!

كانت تتمنى ان تواسيه.. ان تخفف عنه بؤسه وهمه.. ان تفرغ به حنانها بضمه بين كنفيها والربت على ظهره

بأنامل دامثة، تبث الدفئ الى ثناياه.. ولكن ايقافه للسيارة فجأة فور وصولهما الى منزلهما اردعها بقسوة..

نزل من السيارة دون ان يلقي نظرة واحدة عليها لتتبعه بتوتر، والجة الى المكان الذي تمتع بضحكاتها وبكاءها.. وسرعان ما ابثقت شفتيها شهقة متفاجئة حال انتباهها لتغير اثاث منزلهما في الأسفل.. ايعقل انه فعل كل ذلك حتى لا تتذكر اي من الذكريات السيئة التي عاشاها؟! رباه من وال لبها الذي يحيرها ويشدهها بين النجوم وبين راعيهم..

لفت انتباهها العلبة المغلفة بورق احمر ناعم، والموضوعة على الطاولة في الصالة لتسير بخطوات متمهلة نحوها وتفتحها بنبضات قلب متسارعة..

وما ان قامت بذلك تساقطت اشهُب شفافة اغرقت وجنتيها بمحيط عويص من الصدمات المفاجئة..

كان محتوى العلبة فستانا احمرا طويلا يناسب بشرتها، ذو اكمام طويلة لا تغطي الأكتاف.. ويرافقه طقم الماس

يتلاءم مع لون الفستان.. بالإضافة الى كعب عال بنفس اللون..

ضمت حاجبيها بحيرة ريثما انتبهت الى الورقة الملفوفة بشريط احمر لتمسكها وتبدأ بقراءتها بصوت واطٍ ترح:

- "حبيبتي لين.. احترت في طريقة اعبر لك بها عن اسفي.. اعلم انني مهما تكلمت ابقى مخطئا.. تصرفاتي متعجرفة وقحة ومتسلطة.. ما يبدر مني ليس بإراداتي.. طباعي تتحكم بي وتغلب في الكثير من الاحيان حبي لك.. انا رجل يا لين ارهقه اقرب الأشخاص الى قلبه.. رجل ثقته بالغير انحدرت الى قاع الشك.. لا انكر ربما انت تكرهينني الان بسبب اعتقادك انني اذيتك دون سبب او بإرادتي.. اتعرفين ان والدتي التي يجب ان تسعى الى سعادتي هي من دست حبوب الهلوسة لي لأقوم بأذيتك واذية نفسي؟! يا للسخرية بدلا من ان تكون امي ملاذي الحاني تكون هي شقائي ودماري.. معنى كلمة امومة لم اشعر بها يوما فكيف تكون تصرفاتي اكثر تحكما ورشدا؟! كيف يا لين؟! اتعملين ان الخمر الذي

كنت اشربه اتمناه سما.. ان ضربي لك اتمناه نارا على جسدي.. ان كلماتي البذيئة واغتصابي لك اتمناهم يا لين سيوفا من جمر تكوي قلبي وروحي.. ربما يصعب علي قول هذا الكلام وجها لوجه لذا فضلتُ الكتابة التي سأبوح بواسطتها بصدق عما يحوم في اركان عقلي.. انا رجل عقليته شرقية.. كبرياءه اعظم منه.. ومع ذلك معك كنت اكون طفلا، عبدا واكثر وفقط لأنني اعشقك.. لا انكر قسوتي وغيرتي التي لا يتحملها نفرا واحدا على وجه الارض ولكنني سأتغير لأجلك.. سأعمل على نفسي اكثر.. سأتحكم بغضبي وغيرتي وتملكي تجاهك.. انا متعب لين.. متعب للغاية.. جمودي وصلابتي الى الان ليسا الا كذبة احاول ارتداءها فوق ضعفي.. انا اعترف لك ولاول مرة.. انت الاولى والاخيرة كذلك التي سأعترف لها بأنني ضعيف، لم يعد بإمكانه الصمود اكثر وتحمل كل هذه الهموم..

ارتدي الفستان الذي احضرته لكِ.. اريد ان اراكِ بالأحمر..

احبك."

ضمت الرسالة الى فؤادها لتتدحرج خيوط دموعها عليها وهي تردد بصوت حزين ملتاع:

- ريسي بريء..

اجبرت قدميها على السير الى محبوب قلبها لتكون السند له في مثل هذا الموقف.. وما ان ولجت الى غرفتهما تفاجأت ايضا بأثاثها الذي قام بتغييره لتدرك انه غيّر اثاث المنزل برمته..

تقدمت نحو صقرها الغال ومدت يدها لتضعها على كتفه فإستدار لها بعينين باردتين، غلّفها وغطّاها الصقيع القارص لترتجف رغما عنها كغصن ساكن في مضمور عواصف تهب من كلا الجانبين وتتمتم بإسمه بإستنجاد:

- ريس.. نظرتك تخيفني.

- لماذا رأيت بعينيك الغفران عنها وعني لم اراه؟! لماذا سامحتيها ولم تسامحيني؟! الستُ انا اوْلى بالمغفرة؟! الست انا زوجك والرجل الذي تحبيه بينما هي غريبة اذتك

واذتنا جميعا؟! اذا لماذا يا لين؟! لماذا رقَّ قلبك لها وليس لي انا؟! لماذا؟!

زأر بهيجان مكتوم، دافنا انتفاضات عاتية في اوصاله لترد عليه ببؤس، مدركة وجعه وحنقه منها:

- انا اسفة ريس.. اسفة.. لم اكن اعلم كل هذه الأمور الا الان.. هي في النهاية والدتك.. وها هي تعض اصابعها ندم فإغفر لها.

قبض على ذراعيها بضراوة الوحوش، جازا على اسنانه البيضاء ومزمجرا بغضب اسود لا يرى الا الظلم:

- لا يا لين.. لن اغفر لها ولو ندمتْ طوال عمرها وتوسلتني طوال السنوات لن اسامحها.. سأرميها في السجن لتكفر عن ذنوبها هناك.. وبعدها قد افكر بمسامحتها.

صمت لوهلة ليحتد صوت انفاسه الثائرة وهو يحاول اشباع رئتيه بالهواء الشاغر قبل ان يضيف بصوت مخذول:

- وانت يا لين لا يصح لك التكلم عن المغفرة.. انا توسلتك لتسمعيني ولكنك اهنتِ رجولتي مرارا

وتكرارا ولم تقبلي بسماعي حتى.. اعترف اني اخطئت.. لا اقول انني ملاك ولكنني في النهاية انسان.. والإنسان خطاء.

- انا اعتذر منك ريس.. انت محق، ربما قسوت عليك بعدم قبولي بسماع عذرك.. انا اعترف.. وانا نادمة.. ولكن الاهم الان انك لا يجب ان تضعف.. بل عليك ان تكون قويا، صامدا حتى تتمكن من الوقوف بجانب عدن في مثل هذا اليوم المهم لذا ضع كل هذه المشاكل جانبا واذهب اليها لتكن عونا وسندا لها.

غمغمت بنبرة وَقّارة ليتشدق بسخرية تحمل في طياتها الام مبرحة:

- وماذا سأفعل غير ذلك؟ ارتدي الفستان الذي احضرته لك.. والمعطف الخاص به ستجديه في الدولاب مع شال يلائمه.

اومأت بموافقتها ، مُلبية طلب امبراطور فؤادها ليسبقها الى الأسفل ويشرد بما حدث معه قبل لحظات قليلة من توسل ترنيم الى كلام زوجته..

****

اقشعر لب جواد بشفقة زلزلت كرهه لوالدته التي لم يعتبرها يوما اما.. والحنين الى طفولة لم يذقها يوما من قبلها يتقمص اوردته ليدفن رأسه بين حجرها ، راويا روحه بدفئ تمناه دوما.. الا انه الجم رغبته بإستقامة كبرياءه وكرامة والده.. وهتف بجمود فاقمَ من نزول عبراتها المكدومة ندما:

- سأخذك الى عدن.. هي التي ستقرر اذ كانت تريدك ان تحضري الزفاف ام لا.

- اشكرك يا بني.. اشكرك.. عسى ان تنسيكم الايام افعالي المشينة.

غمغمت بنبرة شجية، اترعت الدماء المحروقة في اذنيه بسبب شعوره بالشفقة الحانية تجاهها ليتمتم بغضب:

- هيا انهضي عن الأرض سنصعد لها.. وفي الطريق لا تتكلمي ابدا حتى افكر بما سأخبر جدي قبل ظهوره.. ولو سمحتِ لا تناديني بني فأنا ما زلت لا اثق بك.

اومأت برأسها بطاعة مجروحة من كلامه الذي نزل على مسامعها كحجارة من لهب واستقامت بوهن قبل ان تسير بجانبه بروح منفطرة وقلبا باكيا..

دق جواد الباب بأنامله المتشنجة قبل ان يهم بالدلوف الى ردهة اخته.. وهناك اعتلت الإبتسامة الأخوية المبتهجة ثغره وهو يتأمل بجمال اخته الذي ابدع الخالق بالتفنن به..

فستانها الأبيض الساحر الذي يتناغم مع بشرتها البيضاء الناصعة لقف منه كل ايونات الغضب التي كانت تتراقص في خلاياه وذكرّه بصغيرته الذي يتمنى ان يراها بالأبيض الأمرَه له وحده.. شعرها الأشقر المرفوع للأعلى بتسريحة تخطف الأنفاس مع بعض خصلاته الشكسة المنسابة على جانبي وجهها اثار رغبته لرؤية شعر متمردة عشقه..

كان غافلا تماما عن شهقة اخته الخائفة حال ما رأت
والدتهما.. كان غافلا عن بكاء ترنيم الذي اخترق
صمامي عدن لتتوق الى حضنها الذي تمنته منذ الصغر..
كان غافلا عن ترانيم الأسف التي سرّحتها شفتي امه..
كان تائها.. شاردا.. سحرا من خيالات واوهام لتلك التي
ملكت وجدانه استحوذت على عقله ليكون مغيبا عن
الواقع الذي يحيط به حاليا..

- الن تسامحيني يا عدن؟ الن تسامحيني يا ضناي؟! انا
نادمة يا ابنتي.. ولله يشهد انني مستعدة لتقبيل
اقدامكم لتعفوا عن امٍ حمقاء، اعماها الحقد والكره..
عن امٍ لا تستحق كلمة "امي".

تحشرجت شهقات ترنيم وهي تتوسل ابنتها بعبراتها
الصادقة لتغمض عدن عيناها، راجية وجود اخيها
الكبير ريس او زوجها قريبا اوس بجوارها.. لا تنكر انها
تمنت بأن تتوب والدتها وتحضر زفافها.. لا تنكر ابدا
ولكنها خائفة من الوثوق بها.. كيف تؤمن نفسها لها

وهي من قتلت والدهم؟! كيف وهي سبب كل الدمار والمشاكل التي انحدرت كالصخور على رؤوسهم؟!

هزت رأسها برفض باكٍ ريثما امسكت ترنيم بيداها، مغمغمة برجاء:

- لا تمنعيني من حضور زفافك عدن.. لا تمنعيني.. اشفقي على انسانة نادمة مع العلم انها لا تستحق الشفقة.

- حسنا ستحضرينه.. ولكن بعد ذلك لن ترينا وجهك.. العفو والغفران لن تناليهم بسهولة.

اجابت عدن بعزم لتهز ترنيم رأسها بقلة حيلة وتهمس بليونة لم يعتدها احدا منهم عليها بعد:

- كما تشائين.

****

تغاضت عن بروده عند رؤيته بكامل زينتها، غير عابئا بالأنثى المجروحة في اعماقها والتي ترجو اطراءا بسيط يُقدّر جمالها له في مثل هذا اليوم.. تجاهله، جموده وبروده عقروا صمامي لبها بشراسة كدّست الدموع

المجروحة في زمرديتيها.. قساوة لم تعدها منه.. لم يضربها.. لم يهينها.. ولكنه يجرحها بتصرفاته القارصة.. يُصغر ثقتها بنفسها.. ثقتها بجمالها.. بروده الذي مزق فؤادها يكويها.. متناقضان هما تماما كالثلج والنار.. هو قطعة من ثلج ترسل القشعريرة الباردة الى اوداجها لتناجيه بحضنه ودفئه.. بينما هي نار.. نار مشتعلة، غير قادرة على اذابة جليده.. نار مضطرمة ولكنها لا تحرق الا نفسها.. توسلته بكلمة بسيطة ريثما التقت العيون قبل ان يشيح بوجهه عنها بإستهتار اوجعها، مسببا تلك الغصة المريرة التي على وشك الفتك بروحها.. تود الإنفراد لتشوِّه زينتها الناعمة وتمزق فستانها الابيض وتنخرط في نوبة بكاء على يوم منذ بدايته مشؤوما..

لاحظ ترقرق العبرات في مقلتيها الخضراء ليلعن تحت انفاسه.. لا يعرف على ماذا يعاقبها؟! لا يعرف.. هو فقط غاضب.. غاضب كنمر مغلوب على امره.. تظن انه لم يراها.. فستانها الابيض الذي يلتصق بمنحنياتها، مُبرزا تخطيطاتهن واستدارتهن الفاتنة يلهب اوداجه رغبة وتوقا

لها.. قامتها القصيرة والتي زاد من طولها قليلا كعبها العال لم يجعل سودوتيه الداكنة تتفرسها الا كفتنة اغراء، مشبعة بالجاذبية..

رباه شعرها!! كم يموت شوقا لإغراز انامله بين طياته، متنسما عبيره.. لا يعلم.. نقيض من المشاعر الثائرة عشقًا تائقًا ونقيض من المشاعر الثائرة عنفًا غاضبًا يختلجان دماغه..

زفتهما كانت باردة، عبارة عن صقيع مثلج من كلا الطرفين لا تتماثل مطلقا مع النيران التي تجوب في باطنهما.. ترتسم ابتسامة مزيفة على وجوههما، متمنيان انتهاء مهزلة الزفاف..

تأملت بقلب منشطر الفرحة الحقيقية السادية على وجهي اوس وعدن.. تتمنى لهما الخير ودوم المحبة.. ولكنها تغار!! المّها هذا الشعور بل سلخ جلدها عن عظمها.. لماذا هو بارد، غاضب كالجحيم؟! لماذا يصعب عليهما التفاهم؟! لماذا لا يكونا كبقية الأزواج؟! تشتعل بخناجرها السامة التي تخبط فؤادها لتفاقم من دموعها

التي تكظمها بصعوبة.. هذه ليلة زفافها.. فرحة كل فتاة بهذا اليوم لا تضاهي فرحة اخرى في العالم.. يوما لا يُنسى بذاكرة كل انثى وان هرمت..

يا للسخرية لا مجال حتى للمقارنة بالتفكير كيف كان حالهما عند كتب الكتاب وكيف كان حال الأزواج الاخرين.. كل ذلك لأنه اساء فهمها!! لأنها لم تعطيه الكلمة التي ينتظرها والتي اجلتها ليوم زفافها.. تستشعر طعم المرارة في حلقها وتبتلعها بهوادة صابرة.. ستصبر الى ان ينفردا لوحدهما وتطلعه عما تاق لسماعه منها.. ستصبر لأنه جود.. لأنه هو من احبته بصدق وقبلت على مشاركة حياتها معه.. الان هي تحمل اسمه امام العالم كلها.. تحمل اسم عائلته..

ابتسمت بصدق، متخلية عن اوهام خلق الوال بسعادتها عند اقتراب صديقتها واختها التي تحفظها ظهرا عن غيب.. ودون سابق انذار ارتمت في حضنها، تستمد منها بعض الطاقة لتصمد امام تصرفات زوجها المتعجرفة..

"كبرياء الرجل اعظم منه.."

عرفت هذا الشيء وتأكدت منه خلال ابهة صنديدها وتغطرسه..

انتزحت عن لين بعد لحظات ليست قصيرة وجففت دموعها وسط نظراته الثاقبة نحوها.. وهمست بمرح كاذب لاحظته لين جيدا:

- تبدين اجمل مني انا العروس.

- مبارك لك حبيبتي.. ربي يوفقك انت واخي ويجعل حياتكما الزوجية مليئة بالحب والسعادة.

غمغمت لين بإبتسامة ودودة لترد عليها شام بنفس نبرتها:

- امين.. ارى انك تصالحتِ مع العاشق زوجك.

- اجل تصالحنا.

همست لين بإبتسامة قبل ان تمسك بيدها وتسحبها بخفة الى اخيها الذي يطالعهما بهدوء، وتثبتها تماما بجواره، هاتفة بشقاوة:

- العريس والعروس يجب ان يلتصقا ببعضهما الان لأن بعد قليل سنأخذ عروسته منه.

- لين الا تظني انك اصبحتِ سمينة كما ان لسانك ازداد عبثه.

همس جود ، مثيرا غيظها لتتلبك وتضع يدها على بطنها الذي بدأ بالظهور وتردف بتوتر:

- انا لم اسمن.. ما زلت كما انا.. سأعود بعد قليل.

- ما بها هذه؟

دمدم جود بحنق لتدير شام وجهها اليه وتغمغم:

- جود لماذا تعاملني بهذا البرود؟ لماذا لا تعيرني اي اهتمام؟

- الكلام هذا ليس وقته الان.

- اذا متى يا جود؟! متى؟؟ الا تلاحظ كيف تتصرف معي وخاصة في يوم زفافنا؟؟!!

هتفت بحرقة نابعة من اعماقها ليهز كتفيه بلا مبالاة ويرد:

- متى اشاء يا شام اتكلم.. وانا ارى نفسي اتصرف معك بأفضل صورة.. فكفي عن نكدك وتذمراتك هذه التي لا تنتهي.

- اجل.. انت محق.. انا نكدية واتذمر لأتفه الأسباب.. جود لنلغي زفافنا.. علاقتنا ليست موفقة منذ البداية.

تمتمت بمرارة ليكز على اسنانه بغضب ويقبض على معصمها بشراسة اوجعتها.. وقبل ان تحاول الإعتراض على اسلوبه العنيف كان يسحبها من يدها، راسما ابتسامة مجاملة للمباركات التي تأتيهما في سبيله..

وما ان وصل الى غرفة فارغة في قصر جده دفعها بعنف الى داخل الغرفة واوصد الباب قبل ان يلتفت لها ويصيح بعصبية:

- هل جننتِ شام؟ اياكِ واستفزازي.. انا مجنون.. عقليتي شرسة لن تقدري على تحملها.. لا تثيري غضبي فبرودي لصالحك صدقيني.

- انا لا افهمك.. كل تصرفاتك هذه لأنني لم اعطيك جواب على سؤالك والذي اجلته لليلة زواجنا!! انا اتألم وانت لا تشعر بي.. انا لا اهمك جود.. انظر الى اوس وعدن كم تبدو السعادة جالية على وجوههما وانظر الى حالنا.. حتى تهنيئا بسيطا منك عند كتب كتابنا لم اتلقاه منك.. تمنيت كلمة جميلة منك ولكنك لم تعطيني سوى الصمت.. سوى البرود.. سوي اللا مبالاة.. انا ايضا انثى.. انا ايضا اريد ان استشعر بأن زوجي يحبني.. يقدر جمالي له.. وانه سعيد لأنني اصبحت ملكه امام الكون اجمعه.. ولكنك لست كذلك.. انت تغيرت كثيرا.. انت لست جود ذاك الذي كان يحبني ويستغل اي فرصة لإبقائي بجانبه.. انا تعبت.. ولله تعبت.

هتفت ببكاء حاد لتسيل مستحضرات التجميل على وجهها ، وتولج الى الحمام المرفق بالغرفة، تاركة اياه يشرب كلماتها بهدوء..

هي محقة.. كل كلمة نطقتها تفشي عن حزنها والمها منه.. يوم زفافهما تحوّل الى يوم منحوسٍ منكودٍ..
كَرِههِ.. كره هذا اليوم.. كره الزواج.. يحتاج لان ينفث عن غضبه والا سينفجر وكله سينقلب عليها هي في ليلتهما هذه.. سيؤذيها بكلماته..

منذ رؤيته لترنيم وسماح عدن لها بحضور زفافهم وهو يكاد ان يجن.. هو اساسا ثائر من قبل وثورته ازدادت بعد مشاهدتها تتأمل ابنتها بإبتسامتها اللعينة..

لم يدر الا وهو يلكم الحائط بقبضته ويشتم بصوت عال كثور فقد حبيبات عقله لتنكمش تلك التي تناظر نفسها بالمرآة على نفسها وتهز رأسها بطعنات من احلامها التي خذلتها بزفاف لا تحلم به الأميرات..

****

رفضت الصغيرة ترك زوجة اخيها ولو لوهلة، معلنة عن بهجتها بزواجهما ليغتاظ اوس من تقرب اخته من زوجته بدلا عنه.. انتبهت عدن له وكتمت ضحكتها بصعوبة على احمرار وجهه الذي يدل على ضيقه الشديد.. وهمست بنعومة:

- ما خطبه اوسي؟

القى عليها نظرة حانقة قبل ان يأمر سيلين الممسكة بفستانها بفرحة طفولية:

- سيلين اذهبي والعبي مع اخت ريما "لورين" واتركي زوجتي لي حالا.

- لا اريد.. هي مملة وانا لا احب شعرها الطويل.

اجابت بضيق وهي تزم شفتيها دلالة على غيظها من تلك الصغيرة ليوجز على اسنانه بعصبية من كلماتها الوقحة ويزمجر بها بحدة اخافتها:

- قلت اذهبي.. واحترميها هي ضيفة هنا.. ومنذ متى وانت تغارين من الاخرين؟

- انا لا اغار منها.. سيلين لا تغار.. الجميع يجب ان يغار منها، لا ان تغار هي.. افهمت اوس؟

هتفت بغضب طفولي ادهشه هو وعدن معا لينكرس على الأرض قبالتها تماما ويتمتم بذهول:

- سيلين ما هذا الكلام؟ من اين تعلمتيه؟ الا تعرفين انك يجب ان تحترمي الغير وتتمني لهم كل الخير وان لا تتباهي بنفسك فلا شيء يدوم.

- انا لا يهمني احدا اوسي.. فسيلين لا يهمها سوى من تحب.. وانا لا احب كل الأشخاص.

اجابت بلا مبالاة وهي تلعب بخصلات شعرها المتموجة، المنزلقة على ظهرها واكتافها ليمسكها من وجنتيها بحنان ويتساءل بهدوء:

- سيلين انت تعلمين كم احبك صحيح؟ وانني لا اقبل لأحد ان يتكلم عنك بالسوء؟

هزت رأسها موافقة بحيرة ليسترسل كلامه بنفس النبرة الدافئة:

- اذا ما هو شعور الاخرين وشعور الناس الذين يحبون من تتكبرين عليهم، معتقدة بأنك افضل من الأخرين؟

- فهمت ما تحاول الوصول اليه.. لا تقلق انا لست غبية لتلك الدرجة حتى لا افهم المغزى من كلامك.. ولكن انا فقط من يتجرأ ويحاول ان يقارن نفسه بي سأريه من هي سيلين.

تدخلت عدن برقتها، هامسة لحبيب قلبها ان يدعها تتكلم هي مع سيلين ليومئ بنفاذ الصبر من عجرفة اخته التي قد تضيع مستقبلها وتدمره لاحقا.. وابتعد عنها فاسحا المجال لعدنه حتى تتكلم معها.. فغمغمت حبيبة روحه بنعومة اغرقته في ينابيع من الشوق اليها والى حضنها ليسبح به على هواه:

- سلون حبيبتي انا حقا تضايقت من كلامك الذي لم اتوقعه منك يوما.. وانا متأكدة ان لو سمعته ماما ستخاصمك لأنها ربتك على التواضع والإحترام.. الرسول عليه السلام كان متواضعا فمن نحن حتى نتكبر؟!

- انا اسفة عدوني.. لا تحزني مني.. اعدك انني سأكون متواضعة مثلك ومثل اخي وامي والجميع.

همست بخجل لتقبلها عدن من وجنتيها بحنو، رادفة بإبتسامتها التي تأرجح فؤاد مغوار لبها:

- ولذلك عدن تحب سيلين.

- عدن اليوم اود ان انام معك انت واوس في غرفتكما لتعلماني كيف انجب طفلا عندما اتزوج.

هتفت ببراءة لتحمر وجنتي الاخرى بشدة وتنتصب واقفة بإرتباك شديد بينما تجمد الأخر مكانه بصدمة من الجُمَل التي تبجسها شفتي اخته قبل ان يهتف بغضب:

- سيلين لا يوجد نوم معي انا وعدن في نفس الغرفة.. واياك والتكلم بهذا الموضوع مرة اخرى.. انا لا اعرف من اين تداهمك هذه الافكار!! لا اصدق ان كل هذا الكلام يخرج من طفلة بعمرك!!

- انا لست طفلة.. انا كبيرة.. ومن حقي ان اعرف.. فكيف سأكون اما اذا لم تعلماني؟!

تذمرت بضيق ليستغفر عدة مرات قبل ان يستولي على يدها بخشونة لتتأوه بوجه.. ثم قال لعدن التي تحدق بالأرض:

- سأوصلها الى امي.. لا تتحركي من مكانكِ.

لم ينتظر ردها وهو يجر اخته خلفه والتي تجمهرت الدموع الحانقة في مقلتيها العسلية.. فشهقت عدن للهواء الذي نفذ من رئتيها، محاولة تهدئة كمانتها التي تكرم اذنيها بالعزف الذي فجر الدماء في مساماتها كلها..

****

حاوطت ذراعي رجلها - الذي مهما جاهد في ابعاد شعوره بالتملك نحوها لا يقدر - ظهرها الدافئ، ممررا انامله الخشنة على قماش فستانها لتسري القشعريرة على طول عمودها الفقري وتختنق انفاسها في صدرها من جم الأحاسيس المتلهفة التي تدثرها بها لمساته الشغوفة الناعمة..

تطلعت فضيتها اللامعة بحب الى ذهبتيه التائقة لتدوي قفزات قلبها بعنف صرح عن احتياجها الى حضنه.. الى النوم على اكتافه والتمتع بهمسات الغرام من ثغره.. اشهُر عديدة عانى بها الإثنين عذاب البعد.. عذاب الكره والحقد..

ابتلعت ريقها بتوتر جلي عندما شعرت بأنامله تتحسس خصرها الذي ازداد وزنه قليلا.. تريد اخباره بنفسها عن حملها، لا ان يكتشف لوحده فتسوء علاقتهما وتتدهور بعد ان تصلحت اخيرا..

شعرت بهمسه يوغل عبر حجابها الى اذنيها لتزدرد لعابها بإرتباك لاحظه من احمرار وجهها:

- الا تظني انك تزدادين بالوزن مع انك لا تأكلين كثيرا؟!

- انا.. انا.. لا.. لا زلت كما.. كما انا.

ردت بتحشرج واناملة لا تزال تعبث فسادا مكان امساكه لها ليبتسم بغرور من تأثيره الوثيق عليها ويتمتم ببحة رجولية استلبت دقات خافقها:

- سأعرف اكثر في منزلنا.. اموت شوقا للتأكد بنفسي.

- بماذا تتهامسان؟

تساءل جواد بنبرة تحمل في ثناياها مكر وقح ليزمجر ريس بشراسة:

- وما شأنك؟ اهتم بضيوفك ولا تثرثر اكثر من اللازم.

ضحكت لورين ببشاشة اغاظت جواد بشدة وهي تشمت به:

- قصف جبهتك.

- لورين لا يصح التدخل في كلام الكبار.

دمدمت ريما بجدية لتزم الصغيرة شفتيها وتطلب بطفولية، تثير التعاطف في نفوس السامعين:

- جوجو احملني.

- جوجو؟!!! كل هذا الطول والعرض وفي الأخر تُنادى بجوجو!!

سخر ريس من اخيه ليزفر الاخر بحنق، رادفا للورين التي حملها ووضعها على حجره:

- اهكذا يا لولو تعمليني مسخرة؟!

- انا اسفة جوجو.

همست ببراءة جعلت البقية يقهقهون عليها بينما ريما ترمي اسهُمًا غاضبة من حدقتيها على جواد، التي ما زالت تخاصمه منذ الجدال الذي دار بينهما اخر مرة..

تأملت ترنيم بفطرة امومية بهجة اولادها.. لا تعلم كيف كانت غافلة عن جنة الاطفال في حياتها.. اولادها هم كل شيء الان لها.. سعادتهم لا تساوي شيئا في الدنيا.. كانت حمقاء.. غبية.. تعترف بذلك.. والان هي نادمة ندم لم تتخيله يوما.. تتمنى ضمة خفيفة من بكرها الى عنقودها.. تتمنى ان تمسد على شعرهم بأناملها وتستنشق سلسبيلهم..

تشعر بالخجل من نفسها فها هي في اوائل عقدها الخمسين، ولكنها بعيدة كل البعد عن اللّه.. لا تصلي.. غير متحجبة.. بل كانت تتباهى دوما بجسدها المغري لعيون الرجال.. حافظت على رشاقتها ولم تحافظ على اولادها ولا على دينها!..

ستتوب قبل ان تموت.. ستتحجب وتصلي وتحج بيت اللّه.. ستفعل كل ما يرضي اللّه عسى ان يرضي عنها الماجد ويغفر لها ذنوبها التي لا تُحصى..

انطلقت رصاصة افزعت قلبها لتهب واقفة بجزع على اولادها.. وتزلف منهم، هاتفة بخوف:

- لا بد انه مجد.. سينتقم مني ومنكم.

تجمهر افراد العائلة بجانب بعضهم ورمقها ريس بنظرة قاسية، علمت من خلالها انه يتهمها بما يدور.. ولكنها بريئة.. ليس لها يد بأي مما يحدث.. وقبل ان يقوم برمي كلماته التي ستسلع كبدها على مسامعها غمغمت ببكاء صادق:

- اقسم بالله ان ليس لي اي علاقة فيما يحدث.. لا تتهموني.. انا بريئة.

- انتِ رأس المصائب ترنيم.. لعنة انجبتنا على هذه الحياة.

زأر ريس بعنف لتحاول لين امساكه من ذراعها الا انه لم يأبه لها قط وهو يصيح بمرارة ارهقت روحه:

- كان من الممكن ان اعفو عنك.. ان امنحك فرصة ثانية.. ولكنك ترنيم.. دفتر من الحقد والشر.. لم اقابل في حياتي انسانة بمستوى دناءتك.

- لا تظلمني.. ارجوك.

توسلته ببكاء الا ان غشاء من الضباب اعمى بصيرته... الحقد عماه.. كراهيته تجاهها تغلبت على حواسه ليصدق عباراتها الصادقة..

اشفقت لين على حالتها المزرية فهمست محاولة استعطاف زوجها وتليين قسوته على والدته:

- ريس.. هي ليس لها ذنب.. لا تظلمها.

لم يتمكن من الرد عليها وهو يرى مجد ورجال يدلفون الى قاعة القصر المتواجدين بها ليهدر بعنفوان من بين اسنانه، دانيا من مجد ورجاله:

- اتيت للموت برجليك مجد.

تشدق مجد بسخرية وهو يهتف بصوت عال خبيث، دبَّ الرعب في قلوب النساء:

- لا زلت لا تعلم من هو مجد يا ابن يوسف.. انا شيطان.. شيطان سيدمرك ويدمر عائلتك ويأخذك الى والدك.

تمتع بفرحة شيطانية على تعابير وجوههم التي تضج بالخوف قبل ان يستطرد موجها كلامه لرجاله:

- دعوا الجميع يخرج عداهم.

- مجد ماذا تريد منا؟ لماذا اتيت الان؟!

هتف ادم، محاولا التحكم بأعصابه ليرد عليه الأخر:

- لأنتقم منكم جميعا.. لأستولي على كل املاككم.. لأرى دموع حسرتكم على شباب اسرتكم.

- مجد غادر ارجوك.

كان هذا صوت ترنيم التي اقتربت من مجد هاتفة ببكاء ليقهقه عاليا ويقول:

- ترنيمتي.. انتِ غبية جدا.. اتعلمين؟! لا تقلقي سأرسلك الى زوجك.. اقصد الى الرجل الذي قتلتيه.

- انت مجنون.. لماذا لا تتركنا؟

صاحت لين من مكانها ليغمز لأثنين من رجاله بفعل ما امرهما به سابقا قبل ان يغمغم بنبرة ماكرة:

- انتِ حقا زوجة الريس.. تعجبني شراستك وصمود مقاومتك.. اخبريني هل انت مشتاقة لتكرار تجربة الضرب ولكن هذه المرة مع متعة من نوع اخر؟!

- اخرس.. وللّه اقلع قلبك من جسدك.

زمجر ريس بغضب هاجما على مجد، يتلوه البقية من الرجال.. ولكن قبضاتهم تيبست مكانها عندما دوى صوت رصاص اخر ليلتفتوا نحو المصدر.. والقلق على لين والجد يجلد عظامهم بأسواط حارقة..

جده وزوجته بين براثن رجال مجد، قد يخسرهما في لحظة.. ارتجف قلبه ذعرا عليهما فهتف، محاولا ابتلاع ايونات الهواء التي تبتلعها رئتيه سمًا:

- اتركهما مجد.. وسأفعل ما تريد.

ابتسم بشماتة، ماسحًا على شفتيه بإبهامه قبل ان يهدر:

- خطأ بسيط وسأدع رجالي يفرغا الرصاص في رؤوسهما.. لذلك الان ستنفذ اوامري دون اي اعتراض.

- سأفعل كل ما تريده.. ولكن دعهما.

غمغم بتوتر.. والصرخات الباكية التي تأتيه من النساء تصم اذنيه.. سيموت اذ اصابهما شيئا.. لا يقدر دون لينه.. دون ملاكه..

- قرِّباهما اكثر الى هنا.

امر مجد رجاله بنفس ابتسامته اللعينة ثم هتف بالصاعقة الكبرى التي رفعت الشهقات من جميع النواحي:



- طلِّق زوجتك.. وعليك ان تأتي معي دون اي جدال.

- ماذا؟!

صرخ مبهوتا.. يُطلِّق زوجته؟! يفك الرباط الطاهر الذي يجمعه بحب حياته.. دموعها مزقته.. نحرته.. قتلته.. ليس هناك حلا اخرا.. حياتهما اهم.. اهم من كل شيء في الدنيا..

عرفت انه سيقولها.. سيحررها من اسره التي تعشقه مقابل حياتها وحياة جدها.. لا تود ان تسمعها.. كانت تطلبها قبلا، مدركة انه لن يقولها.. مُدركة انه لن يتخلى عنها ولو عارضت وقامت القيامات.. والان سيقولها..

هزت رأسها ببكاء مرير وشهقاتها التي مزقت نياط القلوب تخنقه بلا هوادة..

توسلته ببؤس قبل ان تنطق شفتيه بتلك الكلمة.. قبل ان تغادر روحها جسدها، عسى ان يرأف بها ولا يقولها:

- انا حامل ريس.. لا تقلها ارجوك.. من اجلنا.

غمَّضَ عيناه بقوة، عاصرا على قبضة يده الى ان ابيضت مفاصلها.. رباه يبكي الما في طياته على قساوة الإمتحان الصعب الذي يختبراه.. لا يود ان يُطلِّقها.. ولكنه مجبرا.. مُجبرا على الإنفصال والفراق.. حياة اعز شخصين على قلبه في خطر..

تمتم بوجع قاتل غرز من تدفق دموعها المكدومة:

- انتِ طالق.

الفصل الحادي والثلاثون

ناجيتك يا حبيبي في الامي..

ناجيتك وبكيت كمدا وقهرا..

توسلت شفتيك الا تبجس كلمة الفراق..

ولكنك نطقها دون تروَّي..

ودون ان تهدهد فؤادي بهمساتك العاشقة قبلا..

قتلني بعدك يا حبيبي..

مزق اوراق ايامي المقبلة وطواها..

ثم طمسها تحت ستار الأوجاع..

اغرقني بعدك يا حبيبي..

ودسَّني في حصن دامس..

ليُطفئَ انارة املي وشعلتها..

ابكي دون صوت يا مغواري..

واناجيك حتى في احلامي..

ولكنك بعيد..

ابعد من ايامي..

شهقات مكدومة هاجمت اذنيه.. شهقات باكية على قلوب لم تعاني الا الوجع والوصب.. شهقات مزقت نياط لبه.. رباه!! كل ذلك لا يضاهي شيئا من دموع محبوبة عمره التي انحدرت على وجنتيها، معلنة اكتفاءها، معلنة استسلامها لكل الالام والاضطهاد التي تتلقاه علاقتهما.. تدمره!! عبراتها المفتوكة تدمر روحه بلا رحمة..

استسلم ليدين رجال مجد التي امسكت بذراعيه ليسحبوه معه.. استسلم وعيناه تتشبع بخيوط عبراتها التي تذرفها منبعي رماديتيها... كانت مصدومة، خائفة وحائرة.. وهو كان خائفا عليها.. خائفا عليها من مرض قلبها.. خائفا على الطفل الذي ينمو في احشائها.. بل يكاد يموت ارتياعا اذ لا سمح اللّه تأذت..

- اعتني بطفلنا يا لين.

انبثقت هذه الجملة من شفتيه بصوت عال حتى يتغلغل في اعماقها جيدا.. كانت هذه الجملة اخر ما نطقته شفتيه قبل ان يختفي من وسطه، ويُوضَع في سيارة من سيارات مجد.. ودعتها عيناه بإشتياق قبل ان يفيض اشتياقه موتا..

يا اللّه!! دوما الفراق يشق طريقهما.. يقضي على احلامهما واما لهما..

اكثر ما يريح قلبه انها لا زالت تحت عصمته.. لا زالت زوجته.. اتقن دور المتألم وهو يبجس طلاقه بإتقان.. كم هو مجد غبي!! يشكر اللّه مئات والاف المرات على عدم معرفة مجد بالطلاق من ناحية الدين.. وربما حبيبته لا تعلم.. ولكنهم سيخبرونها وهو واثق من ذلك وحينها ستتحرر دقات قلبها بإرتياح..

انطلقت السيارة الذي توسدها، ولم يحاول منعهم من القبض على يداه بأغلال حديدية.. جلّ ما يهمه الان هو الابتعاد فقط.. ليتمكن من التصرف كما يجب..

ليتمكن من التصرف بأريحية ودون قلق على اسرته..

يعتقد مجد انه ابله، لم يعدّ نفسه الى هجوم من قبله وخاصة بعد مجيء ترنيم اليه، راجية بالسماح.. خطواته مدروسة بعقل محترف مخطط.. ابتسم بخفوت ساخر ريثما توقفت السيارة في جوف مغارة تبعد عن البلد اميالا طويلة.. لا يعلم كم مضى من الوقت حتى وصلا ولكنه

جازما ان وصوله الى هذا المكان استغرق ساعتين او ثلاثة ساعات وربما اكثر..

- انزل.

امره رجل ما، بنيته ضخمة، فاتحا له الباب بخشونة ليطالعه بإستهزاء شرس قبل ان يترجل، شامخا الرأس ورافعا منكبيه بتغطرس.. ثم هتف بنبرة تحمل الكثير من اللؤم:

- ارى ان رب عملك الوسخ لم يصل بعد.. فما هو السبب يا ترى؟

- هذا لا يعنيك.. واحترم نفسك معي قبل ان اعلمك جيدا كيف تتكلم بلباقة مع اسيادك.

لم يستطع منع القهقهة المتهكمة التي اطلقتها شفتيه المزمومتين، استعدادا للهجوم وهو يرد:

- اسيادي! انت تجعلني اتعجل بقتلك حتى قبل سيدك الحقير.

- ادع لنفسك بالنجاة اولا.. انت لا تعرف ما الذي ستعانيه الان.

هتف الرجل بخبث ليغمغم ريس بغموض متوحش:

- بل اعرف جيدا.. واعرف ما الذي اقحمتم نفسكم به.

وقبل ان يدع مجالا للرد على كلامه هتف بإستهزاء:

- ها قد وصل.. رحِّب به، مقبلا قدميه.

- اخرس.

- ما الذي يحدث هنا فريد؟

قزَّز اذنيه صوت مجد الذي زلف منهما ليرد عليه الاخر:

- لا شيء سيدي.. نحن ننتظرك.

- ادخلوه الان.. وافعلوا ما اخبرتكم به مسبقا.

- اتشوق لسماع صراخك في الداخل.

تمتم فريد الممسك بريس بعدوانية ليهتف الاخر بصلابة:

- ربما لا تعرف من هم رجال الجايد.. يكفيك كلمة رجال لتعلم انهم ليسوا نساءا يبكون ويولولون من ضربات اعدائهم.

- لنتأكد الان.

همس فريد بحقد بعد ان اولجه الى مخزن لا ينيره الا ضوء الشمس المنبعث عبر النافذة الحديدية.. ثم سرعان ما كان يُعلِّق بمساعدة بعض الرجال يدان ريس بحبال، معنفين اياه بقبضاتهم التي بدأت في النزول على جسده بعنف مبالغ به.. تقبل لكماتهم وركلاتهم بهدوء، رافضا بكبرياء رجولي ان يدع مجد يستمتع بأوجاعه الجسدية.. الدماء تنزلق من جسده ولكنه صامدا كنمر متحديا، متربصا للخطوة التالية ليحين دوره..

وهناك بعيدا عنه، حيث تتواجد روح حياته.. تجمهرن حولها الفتيات ليسنداها على الوقوف الا ان ساقاها كانت تخذلها في كل محاولة بائسة منها..

استندت على يداي اخيها جود وتمتمت بصوت شجي ملسوع:

- لقد اخذوه يا اخي.. اخذوه مني.

- اهدأي لين.. سيكون بخير لكن دعينا اولا نطمئن عليك يا قلب اخاكِ.

هتف جود بصلابة دافئة، باغيا ان يبعد عنها هالة الضعف التي احاطتها قبل ان تؤذيها لتهمس بألم:

- اي هدوء يا جود بعد ان اخذوه مني؟! اي هدوء بعد ان تطلقنا؟! اي هدوء وانا وطفلي لا نعلم متى سنراه؟! اي هدوء اجبني وانا ائن اوجاعا لا يتحملها الرجال في داخلي.. اجبني عسى ان تضمحل الامي وتهجرني لتستقر بأجساد اعدائنا.

- معك حق حبيبتي.. معك كل الحق.. انا اشعر بمقدار الامك.. ولكنك ربما انت لا تعلمين بأن طلاقك باطل.. الطلاق لم يتم يا روح جدك.

غمغم ايمن، مقتربا منها وساحبها الى حضنه لتهمس بعد فهم:

- لا افهم جدي.. كيف طلاقنا باطل؟!

- إنما الطلاق ما نطق به المطلِق، مختارًا بلسانه، قاصدًا بقلبه؛ كما أمر اللّه تعالى، والبُرهان على بطلان طلاق المكره: فمن ذلك قولُ رسول اللّه صلَى اللّه عليْه وآلِه وسلَم: "إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنما لكلّ امرئٍ ما نوى"

ولنا قول النبيّ صلَى اللّه عليْه وسلَم: "إنَّ اللّه وضع عن أمَّتي: الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه" (رواه ابن ماجه).

- اي تعني انه ما زال زوجي جدي؟!

اردفت بذهول ليهز رأسه موافقا لتبتسم لبرهة قليلة قبل ان تدس نفسها مجددا في اجتثامة الحزن:

- وما الفائدة يا جدي؟! وما الفائدة ما دام بعيدا عني؟ قلبي يؤلمني عليه.. سيؤذونه، انا اعلم.. وللّه لأموت كمدا اذ اصابه مكروه.. امرني بالإهتمام بطفلنا ولم..

ولم اتمكن ان اطلب منه الصمود والمحاربة لأجلنا.. انا متعبة جدي.. قلبي يقتلني وجعا.

- سيكون كل شيء بخير.. الان اسمعوني جيدا سندخل الى الداخل ونتكلم بهدوء، لان هناك ما على الرجال فعله وفق تخطيط مسبق من قبل ريس.

اومأوا جميعا بحزن قبل ان يولجوا الى الداخل بينما توقفت ريما مكانها مترددة.. هي ليست من العائلة فبأي حق تدلف وتجلس معهم وتستمع الى اسرارهم؟! ولكن ذاك الصوت الرجولي الذي تخلل اذنيها اردع استمرارها في الإستدار:

- الى اين تظنين نفسك ذاهبة؟ ادخلي.

- لا جواد ، سأخذ لورين واغادر.. جدتي لوحدها في المنزل.

همست بهدوء ليدنو منها بغضب، مزمجرا:

- ريما اعصابي ليست بمكانها.. يكفيني ما اعاني منه الان فلا تزيدي من الضغط على اعصابي.. سأوصلك بنفسي بعد ان احل هذه الكارثة.

حدقت بوجهه الأحمر من فرط عصبيته.. فكه المتشنج.. وعيناه البنية التي اسوّد بريقها.. لا تنكر انه يبدو مخيفا.. مخيفا لأقصى درجة حتى تعارضه..

ابتلعت ريقها بصعوبة حينما امسك يدها بخشونة، دافعا اياها للأمام لتتأوه بصمت.. وما ان كادت على التحدث قاطعها بنبرة صارمة:

- لا احب تكرار كلمتي اكثر من مرة.. امسكي لورين واتبعيني.

لم يرى اي اعتراض منها بل فقط طاعة خانعة جعلته يزفر بحنق وضيق شديد.. سارت وراءه بتوتر استنبطه بدهاء.. اضحى يحفظ خيوط تفكيرها التي يرسمها عقلها.. خفقات قلبها الخائفة او العاشقة يميزها برصانة سندري مُتبختر..

وهناك حينما جثموا على الكنبة الطويلة تلاقت عيناه بعينين ترنيم التي تهرق عبراتها الحزينة ليقابلها بقسوة ويزأر بعنف، فاقدا السيطرة على حصافته المعهودة:

- كله منك يا رأس المصائب.. كله منك.. لو انك لم تتزوجي بنذل مثله.. لو انك لم تخوني ابي لما واجهنا كل هذه البلاوي..

سأكرهك طوال عمري اذا تأذى اخي وسيكون مأواك العذاب يا ترنيم.

- جواد اهدأ.

لم يأبه بقول عمه ادم، بل تابع بتشفي، شافيا القليل من غليله بدموعها التي يشك بصدقها:

- قلتِ انه خانك اليس كذلك؟! قلت انه يُدبر مكيدة للتخلص منك وقتلك.. صحيح؟ وتبتِ لهذا السبب..

ندمتِ لأنه فعل ذلك بك.. لن تتمكني من تصديق مدى سعادتي بكل ما يحدث معك.. كل الصعوبات والمقاسات

التي تواجهيها تنزل على صدري ثلوج تهمد القليل من ناري التي قد تحرقك دون لدونة.

صمت لوهلة، يبتلع فيها حبيبات الهواء التي تنضوي الى رئتيه كالجمر.. صدره يرتفع وينخفض دلالة على صبره الذي بدأ بالتبخر كسراب.. مقلتيه تفرج نظرات مفعمة بالشر، لم يعتدها احدا منه.. نظرات شيطانية همجية.. شرسة متمردة.. يود تحطيم كل ما هو امامه.. غاضب غضبًا اسود تنيره هالات حمراء.. غضب لم يعلم انه قد يجده في ثناياه يوما ما.. ولكنها هي السبب.. تلك الانسانة التي يكرهها الان اكثر من كل مرة كرهها بها..

استأنف معاودا في بث سموم كلماته الجارحة:

- ارغب في رؤيتك ميتة حالا ترنيم.. ولكن ما يمنعني فقط هو اخي الذي سأخلصه من براثن الأوغاد امثالك.. وبعدها ستعلمين انك لو قبّلتِ اصابع اقدامنا كلها لن اغفر لك.. والان اخبريني ما هو السبب الحقيقي وراء

عودتك نادمة، مذلة نفسك بصورة لا زال عقلي يرفض تصديقها؟!

ابتلعت كل ما قاله من كلمات لم ترحم روحها.. تحملت السوط الذي كان يسلخ جلدها وينحر لبها.. تحملت الاهانات منه، لأنه محق في كلمة ابثقها في وجهها.. ماذا قدمت لهم غير الألم؟! بالتأكيد لم تكن تتأمل معاملة حسنة منهم، ومقابلتها بالأحضان.. ابنها عرفها اكثر مما تعرفه.. عرف دناءتها.. عرف انها لم تندم فقط بسبب ما فعله مجده لها.. رباه!! دماءها تحرقها بصورة مؤلمة.. غمضت عيناها تتقبل الألم بخشوع.. لن تقاوم بعد الان.. ستدع الألام تفتك بوجدانها وتقضي على جسدها..

واخيرا فتحت عيناها وهمست ببحة باكية تصرح بمعاناة ندمها اكثر من جسدها:

- انت محق جواد.. لم يكن هذا السبب الاول لندمي.. اسبابي لا تحصى يا جواد.. ما سأقوله الان لا لأتوسل شفقتكم ولا مغفرتكم.. بعد ما سأقوله وبعد ان

اساعدكم في العثور على بكري سأغادر ولن تروا وجهي كما تمنيتم.

الغصة التي استحكمت حلقها وهي تلمح نظرة الإستهزاء الذي يسلطها عليها ازهقتها سقما.. ولكنها تابعت مسترسلة بنبرة خافتة تشفق اقسى القلوب عليها الا قلبه حاليا:

- انا مصابة بسرطان الدم.. انا مصابة بلوكيميا الدم.. وفي اخر مراحله.

لم تغفل عن الشهقات التي تعالت لتفاقم من الامها المبرحة الا انها استقامت بثبات حتى لا تئن ذلا في اوصالها اكثر وهتفت بجمود:

- اخبرتكم ان افصاحي بمرضي ليس من اجل نيل شفقتكم علي.. انا اخطأت كثيرا في حياتي وها قد اتى عقابي في الدنيا فربما يخفف اللّه عني في الاخرة.. انا تبت الى ربي من خلال كل ما تعرضت له لأدرك ان الدنيا ما هي الا اختبار سينتهي في يوم من الايام وكل واحد منا سينال علامة حاسمة قاطعة على ما فعله في حياته..

وما هي العلامة الا الجنة او.. او جهنم.. لم اكن اريدكم ان تعرفوا ولكنني اضطررت لذلك.

- امي..

همست عدن ببكاء قبل ان تركض نحوها وتعانقها بعدد الايام التي توسلت حضنها.. لا تقدر على تحمل ان امها التي بكت ليال طويلة، ساجدة للرب تدعوه بأن يبعد الشر عن والدتها وتتوب قبل فوات الاوان ستتركها بعد فترة قصيرة، لا تعلم متى ستكون..

تشبثت بها بقوة.. تخشى تركها بعد كل الذي سمعته.. هي غاضبة منها ومخذولة للغاية من هذه الام التي لم تعرف منها يوما معنى الامومة.. ولكنها في النهاية انثى، قلبها ليّن.. لا تستطع منع عاطفتها اكثر.. ستسامحها ولكنها لن تنسى.. تأوهات ملتاعة تدوي في اعماقها ليسخى بحرها في الإفراط بدموعها..

لم تكن تعلم ان تأثير كلمتها التي تمنتها من تضمها منذ فترة طويلة استبانت على ملامحها وهي تقربها اليها اكثر..

لم تبتعد عنها الا بعد دقائق طويلة لتدقق النظر في ملامحها وتتساءل بنبرة طفلة يتيمة:

- هل انتِ حقا نادمة امي؟ انتِ ان تؤذينا مجددا؟

- ابدا يا ضناي.. ابدا يا طفلتي.

اجابت بحنان قبل ان تغلغلها هي في احضانها هذه المرة..

****

كادت جفونه ان تنغلق من شدة الضرب الذي تعرض له.. ومع ذلك لم يستسلم ولن يرضخ لما يبغونه.. رؤيته تشوشت بسبب الدماء التي تغطي وجهه.. لا يفكر الان سوى بأسرته.. تمنى لو انه ردع عدن عن قرارها في ابقاء ترنيم لتحضر حفل الزفاف.. ولكنه لم يستطع ذلك وسط نظرات اخته التي ترجته بصمت.. لا يدري ما هو الصواب؟! ولأول مرة يكون تائها، عاجزا.. بعدهِ عنها يشلّ

جسده.. بعده عن حبيبته يميت روحه.. ايا ترى هي بخير؟! حينما غادرها كانت منهارة لتفتت عظامه وجعا عليها.. رغب في ضمها الى صدره واشباعها بقبلاته لتنسى كل الام الدنيا وتنجرف معه الى غيمة العشق الخاصة بهما..

انتبه لمجد الذي ولج اليه وابتسامة استفزازية تحتل وجهه المثير للإشمئزاز.. وما ان توقف قبالته رمقه بنظراته المتوحشة على الرغم من الامه التي لا تطاق وجفنيه اللذان يتوسلانه بالإنغلاق.. يتمنى لو ان يداه حرتين ليلقنه درسا ابديا قبل ان يدعه يسقط في قاع هاوية الموت.. ازداد تقززه حينما اقترب الشيطان منه، هاتفا بتشفي:

- منظرك مثير للشفقة يا ابن يوسف.. ولكن اتعلم اكثر ما يثير غيظي وحنقي؟

عدم صراخك.. عدم تأوهاتك على الرغم من كل ما عانيته من ضرب.. لا تصدق كم ارغب الان في ازالة العظم من جسدك كي ارى اذ كنت ستصرخ ام لا.

- انا ابن الجايد يا خسيس.. ابن رجال الاصل والصلابة.. ابن الشجاعة.. يكفيك لتعلم انني ابن يوسف رحمه اللّه لتدرك من هو انا.. ولو قطّعت اعضائي كلها لن تسمع تأوها واحدا مني.. لأنني رجل، اواجه بنفسي ولا احتمي بالذباب مثلك.. انت ضعيف لتتمكن من مواجهتي وجها لوجها.. مسكين جدا انت يا مجد.

بصق الكلام بإشمئزاز في وجهه ليصدح الأخر كخنزير قذر:

- اخرس.. اخرس يا ابن الساقطة.. لو انك ابن خير كما تقول ما كانت انجبتك حثالة خانت والدك وقتلته.

- وانت من انجبتك؟ زانية ام سفاحة؟! فأنت كل الشر والنجاسة الموجودة في العالم بك.. فمن هي التي انجبت شيطان على هذه الارض ودنستها؟!

اجابه بتوحش صنديد، سيشرب من دمه النتنة.. ليرتجف الأخر غضبا ويزمجر بشراسة:

- اريد ان اسمع صراخه.. اضربوه الى ان يستسلم حتى ولو لأيام.. اتسمعوني؟! اود ان اسمع تأوهاته المتألمة لأرتاح.

- لن ترتاح يوما مجد.. سأكون اقبح اشباحك.. اسمك عار عليك.. لا تستحقه.. اخبرني سبب قتلك لوالدي ايها الحقير.. اخبرني قبل ان اتحول الى ذئب لن تتمكن انت وكل رجالك من تحديه.

استدار مجد وهتف بغل:

- انا اكره والدك.. اكرهه.. حتى في قبره اتمنى له اشد العذاب.. اتمنى له نيران تحرقه.. كم اتمنى لسماع صراخه.. كم اتمنى سماع توسله حتى لا اؤذيك.. اتريد ان تعرف سبب كرهي؟ سأخبرك ولكن افتح اذنيك جيدا يا ابن يوسف.. انا وترنيم كنا على علاقة قبل معرفتها بأبيك.. ولكن ما لا تعلمه ولا يعلمه الا يوسف انها تزوجت غصبا منه.. ومثّلت الدور بأنها تحب والدك بأمر مني.. وكنا نتقابل انا وهي على الخفاء.. كنا نفعل الكثير معا.. لذا الذي يكون ابن الزانية هو انت وليس انا.. اتعلم ان خالة والدك والتي تكون امي واللعنة تحب

والدك اكثر مني!.. لذا كان كرهي لوالدك يتفاقم..
الاموال والأراضي التي اهداها له كل فرد من العائلة
بسخاء وبهاء بينما انا يرمقوني بإحتقار مع اني لم اؤذيهم
يزيد من كرهي تجاهه وتجاه كل واحد من طرفه.. جدي
قبل ان يموت لم يبق شيئا الا ولم يسجله بأسماء اولاد
ابنته هيام.. بينما انا ابن ابنته الوحيد، لم يكرم علي
بفلس واحد.. انا احببت ترنيم قبله ولكن اباك اخذها
بمنتهى السهولة.. الزانية امك قبلت ان تنجب منه اولاد
بينما مني لا.. نار تسري في شراييني وتحثني على الانتقام
اكثر واكثر.

ابتسم بشر مستمتعا بنظرات الإستحقار التي تسرحها
عينان ابن عدوه قبل ان يسترسل بكلامه:

- هذه النظرة التي تتوسد عيناك هي اكثر ما تفرحني..
تريحني لأنتقم اكثر واكثر.. اتريد ان تعرف الاكثر؟!
اتريد ان تعرف خطوات قتلي لوالدك؟! اصغ الي جيدا..
بعد ان تشاجرت ترنيم مع يوسف وقام بضربها وطردها
اتت الي متوسلة، تريد مكان ترقد به لأن اهلها

سيقتلونها.. فخططنا انا وهي للتخلص من يوسف قبل ان يقوم بفضحنا وبالتالي تُسلب الأموال مني التي اخذتها قسرا من جيوبهم.. والدك مسكين حقا.. فور ما استفاق من صدمته وشعوره بالغدر كان يريد المجيء لقتلي ولكنني كنت اذكى منه فتدبرت له بحادث ثم احرقت انا وامك سيارته دون ادنى تفكير.. انا دمرته لوالدك.. اخذت منه زوجته.. اراضيه والتي حاليا مسجلة غالبيتها بأسمي بمساعدة ترنيم.. اخذت منه حياته.. والان حان دورك.. حان دورك وسيليكَ اخوتك وزوجتك.. اقصد طليقتك.. وابنك قريبا.

- وللّه.. اقسم بتراب ابي لأقتلك بيداي يا حقير.. لأمزق جلدك.. لأكسر عظامك.. وانهك روحك.

جهر ريس بصوت عاليا كأسد مكبوت.. لا.. لن يستطيع التحمل اكثر.. كرات من اوار تتنافر في اوصاله.. طبلة قلبه تدق بقوة ليرتفع صدره بعنف، شاهقا للهواء بصورة مريعة.. سيموت اذ لم يقتله حالا.. سيموت حسرة اذا لم يأخذ بثأر والده.. والنذل الان يهدده بأغلى ما تبقى له..

اخذ يقاوم الأغلال التي تقيد ذراعيه بهمجية ليقهقه مجد ويردف:

- هوِّن عن نفسك.. لم انتهي من حديثي بعد.

صرخ ريس بشراسة، غير قادرا على الصبر:

- لن تفلت بفعلتك.. والله لن تنجو من وكري.. انا ريس.. انا ريس الجايد.. رجل وعده على رقبته.. رجل سيسفك الدماء للثأر بحق ابيه.. رجل ولست امرأة خبيثة مثلك.. انت قمامة يجدي على الجميع البصق فيها.

- احسدك على لين.. احسدك عليها.

تمتم مجد بخبث ليثور الاخر، فاقدا حبيبات الرش من عقله:

- لا تنطق اسمها.. لا تدنسه يا ابن ال*****.. فك قيودي يا حقير.. حررني لأزهق روحك.

تابع مجد بلا مبالاة ليدعه يصل الى اقصى درجات جنونه:

- اغار منك عليها.. تحبك بعد كل الذي فعلته معها.. بعد كل التملك الذي يسري بدمك نحوها.. بينما انا لم

استطع التحكم بوالدتك ولو لمرة.. لم اتمكن الا من بث افكاري الشيطانية بها.. لم اتمكن من نيل حبها بقدر حب لين لك.. انت تشبهه.. تشبه يوسف كثيرا وهذا يزيد من كرهي لك وله.. دائما تحصلان على افضل الأشياء بينما انا دوما احصل على قمامات.. على بقايا الغير.. ارغب في خطف زوجتك.. ارغب في ضمها الي.. في النوم على صدرها لأنال القليل من الراحة التي توهبها لك بكرم وحب.

- اخرررررس.. لعنك اللّه.. فك وثاقي.. فكني.

صاح ريس بعنف.. يحترق.. نار.. نار لاسعة تتقد في دماءه.. بحر عسله تحوّل الى امواج سوداء تذعر الكبير والصغير..

كان يصرخ بجنون كالليث المأسور، المغلوب على امره.. لم يعد يسمع ولا يبصر امامه.. لا يسمع باذنيه الا ما نطقه عن زوجته.. عن شرفه وعرضه.. وللّه كلمة احتراق قليلة عما يعانيه حاليا.. لا شيء سيمكنه من اخماد ثورته.. لا شيء الا الدم!!

****

الصرخات المفزوعة التي تعالت شقت جدران المنزل برمته.. مصيبة تليها مصيبة اخرى.. انحنى جود ليحمل اخته التي وقعت ارضا ، فاقدة الوعي.. وصاح بعصبية:

- فليتصل احد بطبيب العائلة.

- على احد من الرجال ان يبقى هنا.. علينا اللحاق بريس حالا.. قد يقتله مجد.. لن يذهب احد غير جواد وجود واوس.

هتف الجد بإرتباك وهو يرى حفيدته توضع على الأريكة.. وجهها شاحب كالأموات.. رباه قلبها!! الصدمات كثيرة عليه.. لم تعد تعرف الراحة ولا السعادة.. لبه يبكي حزنا عليها وعلى ابن بكره.. ولم يدري سوى بدمعة خائنة تنزل من بين جفونه.. مساكين احفاده كبروا قبل ان يحين اوانهم.. المشاكل اهرمتهم مبكرا.. الحمل بات ثقيل على اكتافهم.. قد يقعهم ارضا منهارين..

لمح ترنيم تتوقف قبالته، هاتفة بعزم:

- انا سأذهب.. انا اعرف كل الأماكن التي قد يلجأ اليها.. سأحمي ابني.

- لا داعي لمساعدتك ترنيم.. جميعنا نضع اجهزة تعقب في ملابسنا.. حتى الاناث يضعنه دون ان يعرفن.

تدخل جواد ، هاتفا بخشونة لتتوسع عيون المتواجدين قبل ان يتفقدوا انفاسهم بذهول فتابع دون ان يرّف له جفن:

- ريس كان يعلم ان مجد سيهاجمنا اليوم وخاصة بعد مجيئك الينا.. هو استغل جمعتنا في هذه الفرحة ليحوّلها الى تعاسة ومشقات.. ولكن الحلم ابعد من ان يناله ذاك الخسيس.

- لكن كيف؟! متى فعل ذلك وكيف؟!

تساءلت عدن مبهوتة ليدنو منها جواد ، ويقربها الى صدره، مغمغما بحنو:

- ما كان ريس ليسمح بالسهو عن الخطر الذي يلحق بك او بزوجته.. وما فعله الان هو نفس ما فعله يوم خطوبتك ليحميك يا صغيرتنا.

- اذا اين هو الان؟ هل تعلم؟!

تساءلت بلهفة باكية ليبتسم بصعوبة ويرد بهدوء:

- الشرطة هي من تعرف.. كل الأدلة التي يملكها ريس ضد مجد بحوزة الشرطة.. قريبا سيأتون لنذهب معا اليه ونحضره الى هنا يا روح اخاك.

- عدن اصعدي انتِ وزوجة جود الى الاعلى وغيّرا ثوب الزفاف.

هتف اوس بعد صمت دام طويلا منذ ما حدث لتومئ برأسها بطاعة وتصعد ، ساحبة بيدها شام التي تناظر جود بوجع على حاله، متناسية المها من بروده وعجرفته..

ولكنه سرعان ما اوقفها قبل ان تستمر متابعا:

- خذي الفتيات معك.. وابقين في الاعلى الى ان اتصل بك لتتنزلي.

- لكن لماذا؟!

همست بحيرة شجية ليكرر بجمود:

- افعلي فقط ما امرتك به عدن الان.

تنهدت ونادت بصوت منخفض ناعم على سيلين لتأتي معها فركضت اليها مهرولة، سابقة لورين وريما قبل ان يتمكنا من الوصول اليها والى شام..

وبعد ان اختفت من امامه تكلم بصوت اجش:

- يجب ان نذهب الان.. النساء سيبقين هنا وانت ايضا خالة ترنيم ستبقين معهن.

انتفضت ترنيم، هاتفة بسرعة:

- مستحيل.. سأتي معكم وأطمئن على ابني.

كاد جواد ان يفتح فمه ليلقي على مسامعها كلماته السامة ولكن نظرة جده اليه منعته ليزفر بحنق ويدمدم:

- لا مكان للنساء الان بيننا.. عليك البقاء هنا.. وجودك لن يفدنا بشيء.. لذا التزمي مكانك واختصري علينا تضييع الوقت.

- ابدا.. سأتي معكم ولو قطعتم رأسي.

صاحت معترضة ليتمتم بضيق شديد:

- كفى يا امرأة.. انتِ لستِ رجلا.. ابقي هنا دون كل هذه الاعتراضات.

- دعها ترافقكم جواد.

تدخل ادم، امِرًا بنبرة هادئة ليعقد حاجبيه برفض.. الا ان جده هتف بذات النبرة:

- اسمع كلمة عمك.

مرر يده على وجهه بغضب ثم زمجر بحدة:

- تعالي اذا.. ها قد حصلتِ على ما تودين.

- ابنتي يا ادم.. ابنتي.. متى سيحضر الطبيب اللعين؟

صاحت ليان بنفاذ صبر باك، وهي تمسح على وجه ابنتها الذابل بأناملها الحانية الدافئة ليجيبها ادم بتنهيدة مرهقة:

- سيصل خلال بعض دقائق.. لن يصيبها مكروه فهذه ابنتي لذا لا تقلقي وارحي بالك.

****

تأنس مجد بركلات رجاله التي تصطدم بجسد المُقيَّد المترنح امامه قبل ان يهتف بصوت عال:

- توقفوا الان.

ثم تابع بسخرية لريس:

- انت شجاع جدا لتتحمل كل هذا الالم دون صراخ.

بصق ريس في وجهه الدماء التي في فمه ما ان اقترب مجد منه ثم زمجر بتحشرج متعب:

- جيد انك عرفت انني لست مثلك جبان.

كاد مجد ان يرد عليه ولكن صوت سيارات الشرطة التي هاجمت المغارة الجمت لسانه عن النطق لوهلة قبل ان يهدر بغضب من بين اسنانه:

- كيف؟! كيف؟! لا احد يعرف هذا المكان.. من الصعب جدا الوصول اليه!!

- انت تستخف بعقلي يا مجد.. لكنك غبيا جدا جدا لأنك لم تعلم انك اليوم ستأخذ حتفك.

- محال!! محال!! سأهرب.. سأهرب.

تمتم بذهول، هازًا برأسه ليقهقه ريس على مظهره، هاتفا:

- كم انتظرت هذه اللحظة يا مجد.. لحظة اراك بها تكاد ان تجن وتموت ذعرا على نفسك.

"ارفعوا ذراعكم"

دوى صوت احد رجال الشرطة الذي اقتحم المكان هو ورجال عائلته ليسحب مجد المسدس الذي في جيبه ويوجهه ناحية ريس، مزمجرا بخوف:

- سأقتله اذ اقتربتم مني.

- ابتعد عنه يا مجد.

هدرت ترنيم من بين شفتيها ما ان دلفت الى داخل المخزن لينزل مجد المسدس قليلا قبل ان يوجهه نحوها، زائرا بجنون:

- اتيتِ لتدافعي عنه.. اتمنى قتلك الان يا مشعوذة.

قهقهت بتهكم ثم هتفت بإستهزاء:

- انا؟! انظر الى نفسك جيدا قبل ان تتكلم عن الغير يا مجد.

- انزل سلاحك حالا مجد.

امره الضابط بحدة قبل ان يأمر رجاله بالدنو منه بحذر.. وما هي الا ثوان معدودة كان صوت رصاص يعج في الأركان.. ففغر مجد فاهه وهو يحدق بهم بذهول بينما هناك شرطي يأسر يداه..

اطلق النار على شرطيا.. ويا لها من جريمة شنيعة ستودي به الى الاعدام..

كادت الشرطة ان تسحب مجد ورجاله معهم الى الخارج ولكن صوت ريس الذي اخترق الجدران اوقفهم:

- توقفوا.. ليس قبل ان اخذ بثأري.. دم ابي لن يذهب هباء.

تحرك ريس نحو مجد بعد ان حرر اوس وجود ذراعيه من الاصفاد الحديدية ليشبع روحه بالذعر الذي اختلج الشيطان الذي امامه.. كان يتحرك بصعوبة بسبب كمية الضرب الذي تلقاها.. ولكنه قسم ووعد.. ولن ينكث بوعده ولو كان السجن مطافه..

- لا تفعل ما تندم عليه يا ريس.. زوجتك وطفلك الذي لم يلد بعد ينتظروك.

غمغم جود ، محاولا تليين قراره القاتل.. ولكنه كان كالأصم وكالأعمى.. تفهّم الضابط رغبته فطلب من الشرطي الذي معه ان يرمي مجد ارضا.. وما هي الا ثوان

قليلة كان ريس ينفث عن جم غضبه.. عن وجعه.. عن تيتمه.. عن فراقه عن احب الاشخاص لقلبه.. عن كرامته وشرفه به..

لم يكن يبصر امامه الا بخار اسود يعمي حدقتيه الحمراوتين وهو يعنفه بلا رحمة كما لم يرحمهم يوما.. يعنفه بقلب طفل يتيم محروم.. بقلب زوج عاشق مظلوم.. بقلب اهلكته الالام..

"هذا يكفي.. ستقتله"

لم تتسرب هذا الجملة الى اذنيه.. القتل!! ومن قال انه لا يريد قتله.. هذا هو مبغاه.. ان يموت على يداه..

"ابتعد عنه.. ستدمر مستقبلك"

عاود هذا الصوت، محاولا ان يندس الى اذنيه.. ولكنه كان كالضباب.. كذبذبات خافتة لم يفهمها.. روح الإنتقام ارْدَته الى اللا شيء.. الى القاع.. الى المنحدر..

"ارأف بزوجتك وطفلك الذي لم يلد بعد.. لا تحرمه منك كما حرمت انت من والدك يا ريس"

توقفت يداه عن التحرك.. واخيرا تمكن الصوت من ان يوغل الى اعماقه، راجيا اياه ليتوقف فغمض عيناه قبل ان يترك مجد الذي فقد وعيه ويدفعه ليتهاوى ارضا..

تنفس جود الصعداء ثم غمغم براحة للضابط علي:

- خذه علي.. لن ننسى وقفتك بجانبنا يوما.

ابتسم له الضابط علي بود قبل ان يسحبه خلفه احد رجاله ويضعه بنفس السيارة الذي أُصيب بها الشرطي قبله..

- ريس.. بني.. الحمد للّه.. الحمد للّه.. انت بخير.

همست ترنيم بفرحة امومية صادقة وهي تضمه الى ذراعيها ليتطلع امامه بجمود مخيف قبل ان يبعدها عنه، متابعا مساره بكل ثقل..

الفصل الثاني والثلاثون

بين غبار الأحلام استوطنت..

وابيت ان اتركه لأسافر الى واقع بائسٍ..

بين جذور الأشجار لبثت..

واحببت ان اكون سندًا وعونًا في الخفاء..

بين طيات قلبك علنًا هلكت..

وندمت على اختياره مأوًا مُنجِدًا لي..

لا تلمني ان انفعلت فأنت سبب هيجاني..

ولا تقسو علي اذ قررت البكاء على وسادة الخذلان..

فأنت طعنت.. جرحت.. والمت..

لذا يا حبيبي سلبت منك تأشيرة العتاب..

واعلنت عن بداية عصياني وانتفاضاتي..

دموعها تتدحرج مدرار على صفحتي وجنتيها.. وتخدشهن بمخالب ضارسة.. لا تزال قامعة بين تلابيب الضياع والخوف.. حواسها الخمس تشنجت لتُثبت يدها حول بطنها، مستمدة من جنينها القوة التي لم تسعفها بعد..

رفعت حدقتيها لوهلة لتتأمل النجوم البعيدة عنها عبر النافذة.. لم تطئ قدميها الأرض.. متوسدة مقعدها وتتطلع امامها بخور ووهن..

الليل حالك سواده ليدِّسُها في طياته.. تنتظر بإنكسار عودته.. بقلب محروق.. بروح تنازع الموت..

يا اللّه!! بعده يثلبها في بئر ناءٍ لتفرغ شحنات مقاومتها عبثا للنجاة..

اين هو؟! ما الذي يفعله اميرها؟! هل هو بخير؟!

احتدت هذه الأسئلة في ثنايا عقلها لتصيبها بصداع مؤلم ليس له مُسكِّن.. ويلاه حبيبها!! ويلاه من ظلم !!

شعرت بيد ناعمة تُحط على كتفها لتتنهد بتعب قبل ان تستدير لتقابلها العينان العسلية التي

تُذكِّرها بمقلتي عشقها فهمست بإبتسامة حزينة، واضعة يدها الرقيقة على خد سيلين:

- حبيبتي سيلين..

- لا تبكي خالتي لين.. عيناكِ الجميلة لا يجب ان تذرف الدموع.

غمغمت سيلين ببراءة جعلت لين تسحبها الى حضنها وتدمدم بنبرة باكية مزقت نياط القلوب التي تتابع هذا المشهد بحزن:

- يا حبيبة خالتك لين انتِ.. يا حبيبتها..

- ها قد وصلوا.

غمغمت عدن بلهفة لتنهض لين بصعوبة، متسائلة بسرعة:

- هل ريس معهم؟

- لا اعلم.. سوف يدخلون الان وسنعرف.

وما ان فُتح الباب وبدأوا في الولوج.. وما ان لمحت طيفه هبت راكضة نحوه رغم كل وهنها لتدثر نفسها بصدره..

تعلقت به كالأطفال، هامسة بفرحة سادية، غير مُصدقة:

- انتَ هنا.. معي.. يا اللّه!! لا اصدق!!

- معك يا روحي.. معك الى اخر نفس في عمري.

رد عليها بنبرة ضنكة، متنسمًا أريجها السنسبيلي الذي يجتذب وجدانه منه لتبتعد عنه قليلا وتتمعن به.. ثم سرعان ما شهقت بفزع وهتفت ببكاء مذعور:

- يا الهي!! ما الذي فعلوه بك؟! حسبي اللّه ونعم الوكيل.. حسبي اللّه ونعم الوكيل.

- انا بخير لين.. تعالي لنقعد.

غمغم بهدوء لتهدر بحدة:

- لا مستحيل.. عليك الذهاب الى المشفى.. ربي ينتقم منهم لم يبقى مكانا في جسدك سليم.

- لن اذهب الى مكان غير منزلنا لين.

اجابها بجدية لتزمجر بعصبية:

- لن اسمعك.. ستسمع كلمتي حالا وستنفذها.

- لين محقة اخي.. انظر الى نفسك.

اردفت عدن بحزن، دانية منه ليتنهد بنفاذ الصبر ويهتف:

- لين وعدن انا لست صغيرا.. لن اذهب.. لست انا من يدخل المشفى بسبب مجد ورجاله.. كرامتي اكبر من ان تسمح لي بذلك.

- ما هذه التفاهة ريس؟! كل ما تقوله غير منطقي البتة.

تمتمت لين بعصبية ليؤيدها ايمن برزانة:

- لين محقة بني.. جسدك مليء بالدماء والكدمات.. والله اعلم اذ كان هناك كسور.

- اذ كان احد اضلاع جسدي مكسور كنت سأشعر.. انا لا اتألم كثيرا فلا بد انني سليما.. ورجاءا كفوا عن مناقشتي.. وجهزي لين نفسك لأننا سنعود الى منزلنا.

- لكن..

ودّت ان تعترض الا انه لم يسمح لها وهو يزجرها بحدة:

- الان ودون نقاش.

- ونحن سنغادر.. سنسافر صباحا.

غمغم اوس بجدية لترد عليه عدن برجاء:

- اوس انا اريد ان انام في القصر.. ولنؤجل السفر..
المشاكل التي حدثت و..

- عدن ستذهبين مع زوجك.. هذه ليلة زفافكما.

قاطعها ريس بجدية تامة، رافضا كلام اخته وخاصة في هذا اليوم المميز لها ولصديقه.. فحاولت ان تعارض مرة اخرى الا ان اوس صدّ محاولاتها ببراعة:

- وانا هذا ما قلته.. هيا سنغادر.

وسرعان ما قاموا بتوديعهم بحب ولم تنسى عدن ان تودع امها - التي تتابع ما يحدث امامها بصمت تام - بعناق طويل ليرتعش فؤاد ترنيم من طيبة ابنتها التي اسرفت فيها..

- ونحن سنغادر.

هتف جود بهدوء ليلتوي لب شام بوجع فائق وهي تقارن بين الحب الذي يشع من عينان اوس لعدن وبين زوجها المحاط بهالة من البرود.. تختنق.. تود ان تبكي وتصرخ بأعلى صوتها، مفصحة عن المها القاس من جفاءه معها.. لا تستحق معاملته.. ولله لا تستحق..

جاهدت لترسم ابتسامة مصطنعة على شفتيها وهي تودع المتواجدين برفقتها المبهجة قبل ان تسير معه بخطوات متمهلة تتناقض بجنون مع خفقاتها التي تئن بؤسا..

امتطت قدميها القصيرة مقعد السيارة بجواره دون ان تنبس ببنت شفة.. طوال الطريق لم يكن الا الصمت هو الوال على الأجواء بينهما.. ارتقبت ان يصلا الى الفندق اللذان سيمكثان به الى ان يسافرا مساء الغد.. وما ان اوقف سيارته ترجلت بهدوئها الذي كان يمزق ثنايا روحها دون هوادة لتبتلع الغصة التي توطدت في حلقها بمرارة مكدومة..

هو يبالغ.. وهي لم تعد تتحمل.. ستموت قهرا.. ستحترق في سعيره.. يكفيها جفاءه المثلج الذي ارهقها نفسيا وجسديا..

لم تنتبه الى يده التي استولت على يدها بخشونة ليحثها على السير بجانبه الا حينما شعرت بقبضته تزداد عنفا لتتأوه بوجع، وعبراتها الجمرية تنحدر على وجنتيها..

فهمست بصوت واهٍ:

- جود.. انت تؤلمني.

لم يأبه بما قالته وهو يسرع بخطواته.. عقله لم يكن معه.. شاردا بما هو ابعد بكثير مما حوله.. هناك اشياءاً لفتت انتباهه، عليه ان يتأكد منها في اقرب وقت ممكن..

زفر بعنف قبل ان يفلت يدها التي احمرت بشدة بسبب امساكه العنيف لها ما ان ولجا الى جناحهما في الفندق الذي حجز به مسبقا..

ولم تستطع شام تمالك اعصابها وهي تصيح بحدة:

- جود لقد سئمت من تصرفاتك.. انا تعبت.. انا انسانة واشعر ولست بألة تحركها انت كيفما تشاء وعلى مزاجك المبتذل.

- اصمتي.. صوتك لا يرتفع يا شام والا ولله افقد حبيبات رشدي.. ولن يسرك ذلك البتة.

زمجر بغضب اسود لترد عليه بهدوء غصبت نفسها عليه قسرا:

- الا ترى انك تبالغ؟! ليس منطقيا ما تفعله ابدا.. كل ذلك لأجل سبب تافه!

- تافه؟! زوجتي تحب غيري وتقولين ان ما افعله تافها!!

هدر بعصبية اخافتها.. الا ان عقلها ابى الرضوخ.. كل ما يتفوه به غباء.. لا تصدق ما الذي يقوله.. هي تحب غيره!! لا بد انه جن.. فتمتمت بذهول:

- انا احب غيرك جود!! لا بد انك فقدت عقلك لتتهمني بمثل هذه التهم الباطلة.

قبض على كتفيها بوحشية الذئاب وزأر وهو يهز كتفيها بهمجية:

- اجل.. لا تنكري.. لا زلتِ تحبيه.. اياك ان تنكري.. عندما سألتك اذ كنتِ تحبيني لم تعطيني

الجواب الذي يجب ان اتلقفه.. اتظنينني غبي يا شام؟!

- لا اصدق.. اثبت لي انك حقا غبي جود.

همست بإنكسار.. زمرديتيها تشع بخذلانها منه.. الشك!! الشك الذي سعت على طمسه منذ بداية علاقتهما بتصريحها له بكل شيء.. الشك الذي كانت تموت خوفا من ان يطوف في عقول احداهما ذات يوم، ها هو يتحقق في ليلة زفافهما.. تشعر بالذل.. بالمهانة.. تشعر انها عارية وسط عواصف بركانية تهدم قواها..

لم تعي على نفسها الا بصوته الجهوري الذي اخترق اذنيها كطلقات نارية غزَّرت من سيلان دموعها:

- احترمي نفسك شام.. لا تدعيني اتصرف بما لا يعجبك حقا.. لا اسمح لك بإهانتي.. اكبدك في مرارة الجحيم.

ابعدته عنها بعنف يضاهي عنفه وصاحت بذات الحرقة القائمة في طيات قلبها:

- كفى.. اللعنة على هذا اليوم المشؤوم.. انت تبالغ.. تقتلني بلا رحمة.. من تظن نفسك لتقرر من احب ومن لا احب؟! انت ترهقني يا جود.. كرهت هذا اليوم بسببك.. كرهت زواجنا.. الشك.. الشك اراه بعينيك.. بل تخطيت الشك بكثير انت.. انت تؤكد بما هو غير صحيح.. تؤكد التفاهة التي تفوهت بها.. الم اكن انا من اعترفت لك بأنه كان حب مراهقا؟! الم اكن انا من صرحت لك بذلك حتى لا ترى نظرات الشك السفّاكة بعينيك؟! الا تستطع ان تفكر بصورة ثانية ومنطقية اكثر؟! ارحمني.. ارحمني يا جود.

لم تعطيه مجالا للرد عليها وهي تنسحب راكضة من امامه الى غرفتهما التي في الجناح ليتصنم مكانه بصدمة من

انهيارها الذي سبّبه هو في عدم ثقته بها.. لا بد انه بالغ.. بل بالغ بشدة.. طعن قلبها في هذا اليوم مئة طعنة دون ان يدري.. الضغوطات التي يعاني منها حجبت حدقتيه لتستنبط الصدق في زمرديتيها الغريبة.. منعته من التفكير بعقلانية.. المشاكل الذي واجهتها العائلة اجمعها خلال هذه الفترة الجمت دماغه عن العمل كما يجب..

تنهد بإرهاق، مدركا جرحه الغوار في لبابها.. جرح كرامتها.. جرح انوثتها.. هذا اليوم الذي تتمناه الفتيات ان يكون اجمل ايامها كان كابوس شائنًا بالنسبة لها..

دلف الى غرفتهما ليتكلم معها بهدوء الا انه لم يرى لها طيفا ليدرك انها في الحمام ما ان استمع الى صوت المياه..

وبعد ما يقارب النصف ساعة وجدها تخرج من الحمام لتقشعر رموشه وتتوهج مقلتيه القاتمة من جمالها.. قصيرة جذابة.. فستانها الأسود الذي يبرز منحنياتها جسدها الجذابة سلبت حواسه منه.. كان الفستان للنوم.. لم

يكن جريئا بل ناعما يناسب رخاوة مسامات جسدها.. دون اكمام، ذو خطوط رفيعة وينساب الى ما قبل ركبتيها بقليل.. اذ وصفها بالعرهرة المليحة فهو لم يخطأ ابدا.. شعرها لا زالت تستره عن مبعث توسمه به بالمنشفة البيضاء التي اثارت حنقه..

توقفت قبالة المرآة لتحرر شعرها المموّج.. غريب!.. كلها غريبة!! شعرها طويل الى اخر ظهرها ذو تجعدات كثيرة.. متمرد مثلها.. يوحي بهيجانه الناري كشعلة زمردتيها الحادة.. متناقضة كل التناقض.. مزيج بين الرقة والتمرد..

ضاق صدره من الفرشاة التي تمررها بين طيات شعرها.. يود ان يدس انامله بين خصلات شعرها ويحركهم كيفما يشاء..

ازفَ منها بخطوات الفهد.. دون صوت..

كانت هي شاردة، غافلة عن ذاك الذي يراقبها بعيون صقروية، يتابع بصمت تحركاتها العفوية.. وفجأة شعرت بيده تُحط على خصرها النحيل والأخرى تبعد الفرشاة من

يدها ليوغل انامله في شعرها بدلا عنها، متنشقا رائحة الشامبو من بين حناياه.. خوخ شهي يغِزّه على النوم في مضموره..

تلبكت حواسها وتأرّبت خفقاتها من قربه الذي لم تتوقعه بعد الذي دار بينهما قبل قليل.. حاولت ان تبعده عنه الا انه كان كالطفل الصحراوي الظمآن الى ينبوعها الأهيف.. انامله تشتد قوتها على خصرها ليزداد تنفسها بصورة ملحوظة وصدرها يرتفع وينخفض بعنف من جم المشاعر والأحاسيس التي اجتاحتها..

همست بصوت متوانٍ منخفض:

- جود.. ابتعد.. اود ان اصلي.

- سنصلي معا.. ولكن قبلا علينا ان نتكلم.

رد عليها بهمس ناعم اثار القشعريرة في اوصالها..

فاستجمعت قولها المنثورة بسببه وغمغمت بهدوء، مبتعدة عنه بصعوبة:

- لا يوجد ما نتكلم به.. ولو سمحت انا متعبة كفاية لأخوض معارك اخرى معك.

- سنتفاهم شام.

هتف بجدية لتغمض عيناها بتجشّم قبل ان تجيبه:

- ارجوك جود، لا اريد.. انا بحاجة الى النوم.

- انا لا اسألك.. سنتكلم وانتهى الامر.

زمجر من بين اسنانه المصطكين ببعضهم لتهتف بغضب:

- انا لي رأيا على ما اعتقد.. فكِّف عن تسلطك منذ الان جود لأنه لن يجدي نفعا معي.

- اتهدديني شام؟!

تمتم بعصبية لتشيح عنه ببرود فاقم من امتعاضه:

- اعتبره كما تشاء.. لن ابرر لك بعد الان اي شيء.. فأنت في جميع الحالات لا تثق بما اقوله وتحلل الامور على هواك.

- اوه هكذا اذا؟! انا جود.. جود الجايد تهدده زوجته!!
في اي زمن نحن؟! اسمعيني شام وللّه افقد اعصابي واثور
عليك.. لا تستفزيني.. اللوم علي انا لأنني كنت
سأعتذر منك واصالحك.. افعلي ما شئتِ.. تصبحين على
خير.

نفّث عن جم اشتعاله بوجهها قبل ان يتوارى خلف باب
الحمام، عسى ان يركد ناره المحتدمة بالمياه الباردة..

****

انتهت لين من تضميد جراح زوجها وسط بكاءها الذي
ارهق عقل ريس.. تعب لسانه وهو يخبرها انه بخير الا انه
كان وكأنه يتكلم مع نفسه.. كاد يشعر ان رأسه
سينفجر من كلامها ودعائها بالشفاء له وتحسبها على مجد
ورجاله.. اساسا هو سيجن منذ ان اخبرت لين والدته
بالقدوم الى منزلها لتمكث معهما حاليا بما ان لم يعد
لديها مكانا للإقامة به..

- يا حبيبي يا ريس بالتأكيد تتألم.. حسبي الله.. حسبي الله.. عسى ان يعانوا بقدر ما ضربوك واكثر.. لن اسامحهم ابدا ابدا.

كررت عباراتها للمرة التي لا يذكر كم.. تحسسه انه يجلس مع جدته لا زوجته!! من ناحية كان يشعر بالغبطة والفرحة من جم حبها وخوفها عليه.. ومن ناحية اخرى هو متعب وغاضب منها لأنها لم تشاوره قبل ان تصر على والدته بالقدوم معهما..

- لين كفّي عن تعقيدك للأمر بهذه الطريقة.. انا امامك وبخير.. بضعة ايام سأعود كيفما كنت وافضل.. والان انتهي بسرعة لأنني مرهق حتى النخاع وبحاجة الى النوم.

تمتم بضجر لتزم شفتيها وتسارع بالإنتهاء دون ان تضيف حرفا اضافيا.. قبل قليل لم ترحم اذنيه من ثرثرتها والان حتى حرفا واحدا لم تكرم اذنيه به..

وما ان انتهت هتفت بضيق:

- انتهيت، اذهب لتنام.. انا سأنزل لأرى خالة ترنيم لا بد انها تشعر بالخجل والإرتباك لأننا تركناها لوحدها في الأسفل.

- غيّري ثيابك في الأول.

- سأنزل لخالتي ثم سأصعد لأستحم.

غمغمت بلا مبالاة ليردف ببرود:

- افعلي ما شئتِ.. تصبحين على خير.

جزّت على اسنانها بغيظ قبل ان تخرج من الغرفة، مغلقة الباب بعنف وشاتمة بصوت عالٍ اضحكه..

رقدت بجانب ترنيم الشاردة والتي لم تنتبه لوجودها لتهز كتفيها برقة، هامسة:

- خالتي ترنيم.. هل انتِ بخير؟

تيقظت ترنيم لها فهمهمت بإبتسامة، واضعة يدها على يد لين:

- انا بخير حبيبتي.

ثم تنهدت قبل ان تستطرد قائلة بحب واسف شديد:

- سامحيني يا ابنتي على ما فعلته معك قبلا.. انتِ اول من غفرتِ لي وانتِ اكتر من اذيتك واكثر من سعيت لتدميرها ومع ذلك رقّ قلبك لحالي ورأفتِ بي.. وللّه ندمي بلغ مبلغه مني.. الندم يأكل روحي.. اكثر من مرضي يا لين.. لم يخطأ يوسف ولم يخطأ ريس في اختيارك زوجة له.. انتِ نعمَ الزوجات والإناث كلها.

دمّعت مقلتيها وهي تستشعر صدقها، ندمها، واسفها.. عليها ان تقنع ريس بأن يعفو عنها.. هي تابت وتستحق الغفران..

ودون شعور ضمتها الى صدرها، مغمغمة بإبتسامة شجية:

- لا تتأسفين خالتي.. انتِ ندمتِ وللّه غفور رحيم.. بإذن اللّه ريس سيسامحك قريبا وكذلك جواد.. هما قلبهما ابيض ولا تتخيلين كم هما حنونان.. لكن كل ما في الأمر انهما الان غاضبان.. وغضبهما جنوني، يغشي فؤادهما من اللين والتعاطف.. ومع ذلك سيسامحانك.. انا اعدك بذلك.

وكأنها ادركت كم ترنيم بحاجة الى هذا العناق الدافئ والكلام الحسن الأملود حتى تجودها بهما.. اعطتها كامل الحرية لتفرغ عن بؤسها وكل اوجاعها في صدرها.. تقبلت كل ما تفعله وكأنها امها لا ام زوجها..

نشجت ترنيم ببكاء يعبر عن الجمر الذي يكوي دماءها دون شفقة:

- اه يا لين.. طيبتك لا تزدني الا ندما.. اغلالا تكبل قلبي وتضغط عليه ليصرخ من حدة المه.. انتِ انسانة نادر وجودها.. سامحيني يا لين.. سامحيني.

لم ترد عليها، فاسحة لها كل المجال لتحرر اهاتها التي تقضي عليها في احضانها.. تتألم مع المها.. هي ام زوجها.. ام حبيبها.. فكيف لا تعفو عنها؟! كيف لا ترحمها؟! اذ كانت تشفق وتحن على الغريب فكيف لا تعطف عليها هي؟!

فجأة سمعتها ترجوها بما هلّلَ روحها وانعشها لتهتف بفرحة جالية:

- حقا خالتي؟! تودين ان تتحجبي؟!

- اجل حبيبتي.. يكفيني ذنوب ومعاصي.. انا اريد التوبة فلا احد يعلم متى سيموت.

ردت ترنيم عليها بنبرة حزينة لتقف لين بحماس، رادفة:

- هذا اجمل خبر سمعته اليوم.. خزانة ثيابي كلها لك.. انتِ رشيقة جدا فبالتأكيد ستناسب قوامك الرشيق والمتناسق اكثر مني ربما.

قهقهت ترنيم رغما عنها على حماس لين قبل ان تهمس:

- انتِ متشوقة اكثر مني.. انا اود فقط ان استعير منك البعض حتى الغد.. سأذهب في الصباح لأشتري لي ما يلزمني.

- افديكِ كل ثيابي.. غالية والطلب رخيص.

غمغمت لين بإنشراح لتبتسم ترنيم من قلبها على طيبتها وتردف:

- تسلمين يا كل الغلاء.. لين انا لا اريد ان اكون ثقيلة عليك انت وريس.. انا اعرف ان طلبك بأن اتي وامكث

معكما لم يعجبه.. ولكن غدا بأذن اللّه سأبحث عن منزل لي.

- ما هذا الكلام خالتي؟! البيت بيتك.. فلا تقولي مثل هذا الكلام الغير منطقي.

تمتمت لين بعبوس لترد ترنيم بخجل:

- لا لين.. انا لا احبذ ذلك.

قاطعتها لين بسرعة:

- خالتي تعالي لأدلك على الغرفة التي سترقدين بها.

تنهدت ترنيم بقلة حيلة وسارت برفقتها بإنصياع تام.. وما ان وصلت الى الغرفة همست بشكر:

- اشكرك يا ابنتي.. لين لدي طلب واتمنى من صميم قلبي ان لا ترفضيه.

- اطلبي خالتي.

- ناديني امي.. لا تناديني خالتي.. اعلم ان ما اطلبه صعبا و..

دمدمت برجاء وخوف من ان ترفض لتردع لين كلماتها من الزوال وهي ترد عليها:

- لا تزيدي كلمة اخرى امي.. انتِ ام ريس اي مثل امي تماما.

- فليحفظك الله يا ابنتي.. ربي يسعدك بقدر طيبتك العذبة.

همست بدفئ قبل ان تضمها بكل حب وود.. طهارة روحها عجيبة.. تبهج القلوب وتجبرها على حبها.. نقية كنقاوة فؤادها الحنون.. تشعر بالأسف الشديد حيالها.. هي لا تستحق معاملتها ولكنها تعاملها بأفضل ما يكون..

****

جثمت عدن على الأريكة بجوار زوجها بعد ان انهت استحمامها ليبتسم لها بحنو ويغمغم:

- نعيما يا قلبي.

ثم تابع، ممررا انامله بين طيات شعرها الشمسي:

- اشتقت لشعرك.. اخر مرة رأيته قبل العزومة التي عملها ريس اذ كنتِ تذكرين.

- بالتأكيد اذكر.. وكيف انسى؟!

همست بإبتسامة دافئة ليُقبل جبينها بكل الشوق المتأجج في اوصاله.. ضاء بحريها وتلألأت امواجه عشقا.. تنفست عبيره الرجولي الذي يوغلها في متاهة الإنسحار.. وسامة اوسها تحيط وجدانها بنجوم متألقة توهج روحها هياما به..

ابتعد عنها قليلا ليتوسم بجمال بشرتها البيضاء.. ودون ان يدرك تمتم مأخوذا العقل:

- ما شاء اللّه!! ملاكا من الجنة!!

توردت وجنتيها خجلا من كلماته التي مست كل خلية في جسدها.. تحبه الى ان تنقطع انفاسها.. تحبه الى اخر رمح في عمرها.. رباه مغوارها الفاتن يذيبها هوسا به دون ان يفقه.. تتوق له كما يتوق لها.. على الرغم من المآسي التي حدثت في هذا اليوم الا انها لا زالت تعتبره اجمل

يوم في حياتها.. يكفيها ان اسمها ارتبط بأسم فارسها..
بأسم اوسها.. ذئبها الذي يحميها من كل ما قد يؤذيها ولو
بكلمة حتى.. ملاذها ومأواها الحاني..

تحشرجت انفاسها حالما تيقظت الى سودوتيه التي ادلهمت
بسواد حالك.. انتظر طويلا والصبر لم يعد من مرافقيه..
يريدها ليخمد توقه الذي لا يهدأ.. ليمرغها بهمسات
غرامه.. تمناها طويلا.. وصبر اكثر من مقدرته على
التحمل.. هي زوجته الان.. ختمَ صك ملكيته بها.. ربط
اسمها بأسمه لتكون انثاه للأبد.. زوجته.. ملكه..
عشقه.. وهوسه.. هذه هي جنة ارضه..

تقبلت قبلته التي تقسو - دون علمٍ منه - بحضن حبيبة،
تموت في هواه.. قبلة شغوفة تجلي عن لهفته وشوقه لها..
وهي تهوى ان يأسرها في محراب سبيه.. رباه كم تحب ان
تكون طفلة بين ذراعيه!!

ابتعد عنها قليلا بعد ان بثّ سئمه من التجشم والصبر في
شفتيها العذبة.. ثم همس بإنفعال تائق:

- رباه!! ستقتلينني بلا شك!! ما الذي تفعلينه بي يا صغيرة؟! اشعر انني كالسمكة في بحرك.. كالصدفة على شاطئك.. ابحر بك ولا ازال ملهوف وغرسان الى مياهك المستطابة.. ارتوي منك ولا اشبع يا جنة الدنيا.

تفاقم حبها له في ثناياها لتشعر انها كطير شذي لا يقبل الطوفان الا حوله هو.. ارتمت في صدره، تضمه اليها بكل قواها.. واحدودبت بوجهها لتثبته بين مسامات رقبته لتُقبت رئتيها بأكبر قدر من اريجه.. ثم صرحت شفتيها بعشقها دون خجل او تفكير مسبق:

- احبك اوس.. ولله احبك اكثر مما احب نفسي.. اذ كنت جنتك فأنت مَسْكَني.. دونك انا ضائعة.. خائفة.. وحيدة.. بل انا انت.. دونك لا شيء يا روحي.. لا شيء يا نبضي.

- لنصلي اولا يا عدن قبل ان يغويني الشيطان.. لنبدأ بعلاقة ترضي ربنا.. فأنا صبري محدودا يا زوجتي.

هتف بعجلة لتقهقه بخجل من مغزاه قبل ان تلبي طلبه بطوع.. ثم لتشهد الجدران على امتلاكه لقلبها قبل

جسدها.. ولتشهد النجوم على غوصه في بحرها.. ولتشهد السماء على استسلامها لقيصر كل خلية نابضة في مضمورها..

****

تململت بضيق شديد ما ان شعرت بقبلات ناعمة تداهم وجهها.. تود النوم ولكن هناك وقح يردع سلطان نومها من مقاومة هذه القبلات الرقيقة..

فتحت عيناها بحنق ليقابلها وجه حبيبها المبتسم كطفل عابث، يرغب في اثارة غضب امه عليه.. لم تقدر على كبح ابتسامتها من الإنبلاج وهي تلمح الشقاوة في عسليتيه.. فهمست:

- صباح الخير ريسي.

- صباح العسل والجمال والراحة.

غمغم بهيام قبل ان يغرق وجهها بقبلاته المشتاقة لتضحك بصوت عال وتهتف بحب:

- العسل امامي الان.. واود ان اتذوقه حالا.

- يا قلب العسل انتِ.. يا روحه.. يا حبيبته.

همس، تائها في جمالها الصافي لترد بخجل:

- حبيبي استيقظ والشقاوة تملأ روحه.. من يراك الان لا يصدق ان هذا الشخص نفسه الذي كان غاضبا وحانقا البارحة.

- بما انني استيقظت على اجمل وجه في الكون فكيف لا يتغير حالي؟! بل كيف لا ينقلب كياني يا ام ليث؟!

تمتم بنبرة حالمة اضحكتها بشدة قبل ان تتساءل بشرود:

- بماذا تعتقد انني حامل؟ بذكر ام بأنثى؟

- لا ادري.. لكنني راضٍ بكل ما هو منك.

اجابها بإبتسامة هادئة قبل ان يستأنف متسائلا بجدية:

- هل كنتِ تتابعين طبيبة او شيء من هذا القبيل بما انك حامل؟

هزت رأسها بنفي، رادفة:

- لا.. المشاكل والضغوطات لم تسمح لي بذلك.. اتعرف متى علمت بحملي؟

- متى؟

تساءل بحيرة لترد بإبتسامة متوترة، مخافة ان يغضب:

- ريثما كنت في المشفى.. في ذاك اليوم الذي اتيت لي به بعد ان اختفيتَ لفترة طويلة.

- ماذا؟! كل هذه الفترة وانا لا اعلم!! هل كنتِ ستلدين دون ان اعرف؟!

زمجر بحدة، ناهضا عن السرير بغضب لتزدرد لعابها بخوف وتدنو منه، هامسة بإرتباك:

- لا اريد ان اكذب عليك ريس.. رجاءا تفهمني.

- اجيبي لين على سؤالي ولا تتهربي.

صاح بعصبية لتلعن نفسها مئات المرات على غباءها..
كان سعيدا ورومانسيا، ناسيا ان يفتح معها هذا الموضوع..
زفرت بإضطراب من ان يثور اكثر حينما تخبره

بالحقيقة.. الا انها تأكدت انها احمق انسانة في الوجود بعد ان ردت عليه بصراحة:

- في الواقع اجل.. كنت مخططة بعد ان تطلقني ان اخبر والدي فقط.

اكفهرت ملامحه لتدرك فداحة ما كانت تفكر به في لحظة غضب وحزن.. عليه فهمها، لا ان يغضب عليها ويحتدم بهذا الشكل..

ارتعشت بجزع ما ان هدر بصوت منفعل، يوحي بضيقه وغضبه منها:

- هل جننتِ؟! اللعنة يا لين.. دعيني وحدي الان.. انا لا ابصر امامي غير السواد فإنزلي الى الأسفل واتقي شري وغضبي.. واقعدي مع امي الى ان اهدأ.. ولا تصعدي الي في الوقت الحالي.

لم يكن يعلم ما تفوه به.. لم يكن متيقظا الى كلمة "امي" التي ابجستها شفتيه ولأول مرة بعد ان عرف

بحقيقتها من عمه.. كان غاضبا.. وغضبه شرسًا، مكروهًا، وصعبا ارضاؤه..

براكين متنافرة تصفع اعصابه ليحتد اكثر.. كانت ستحرمه من طفلهما!.. كانت ستبتعد عنه!.. ستلد دون ان يعرف!.. كلمة غضب قليلة جدا.. خاصة منها لم يكن يتوقع هذا التصرف..

وما ان اغلقت الباب وطاعت اوامره بمنتهى السهولة زفر بعنف قبل ان يدلف الى دوامة الأفكار..

نزلت لين للأسفل بعينيها الدامعتين لتجد ترنيم قاعدة على الكنبة بنفس الوضعية التي كانت عليها مساء الأمس.. تقدمت نحوها وغمغمت بنبرة عادية جاهدت على اتقانها:

- صباح الخير امي.

- صباح النور حبيبتي.

ردت ترنيم عليها بإبتسامة حبورة قبل ان تنتبه الى الحزن البادي على وجهها وتتساءل بقلق:

- لين حبيبتي هل انتِ بخير؟! هل تشاجرتِ مع ريس بسببي؟

- لا امي.. انتِ ليس لك اي علاقة فلا تحملي نفسك ذنب اكثر.. هو غاضب مني فقط لأنني اخفيت عليه امرا ما.

اجابتها لين بإبتسامة دافئة.. ثم تابعت بحماس كاذب:

- سأذهب لأعد اجمل افطار لأرق ام عرفتها في الوجود.

- سأساعدك.

- لا.. لا داعي امي.. سأدبر نفسي.. واجل لدي خبر سيسعدك.. الان.. قبل قليل اخبرني ريس "انزلي واقعدي مع امي".. هذا دليل انه سيسامحك قريبا.

غمغمت لين بسعادة لتتساءل ترنيم بلهفة وفرحة:

- حقا!! فعلا هكذا قال؟!

- اجل يا غالية.. خمسة دقائق وسيكون الإفطار امامك.

ردت بحب قبل ان تنسحب من امامها وتجهز الأفطار لها ولمغوارها الغاضب.. وما ان انتهت

ترددت قدميها على اطاعة عقلها بالصعود الى غرفتهما لتناديه لينزل ويفطر معها ومع امه.. الا انها لم تتمكن من ان تتركه دون ان يفطر فصعدت بخطوات مضطربة وولجت بإرتباك الى غرفتهما.. ثم همست بصوت منخفض:

- ريس.. تعال لتفطر معي ومع والدتك.

توجهت انظاره لها لتتفطن بصيرته الى ما تتأزره وتهوج غيرته العمياء.. شورت اسود قصير يبرز جمال ساقيها.. وبلوزة بيضاء ذات اكمام قصيرة ويتوسطها كلمات باللغة الانجليزية المبعثرة.. بينما شعرها الذهبي متصببا على ظهرها كشلال من العسل الأصلي..

لم يتحمل جاذبيتها وحلاوتها هذه ليهتف بشراسة:

- نزلتِ للأسفل بهذه الثياب لين!! بثياب تظهر اكثر مما تستر!! هل انتِ مصرّة على اخراج اسوء ما في داخلي ام ماذا؟!

- ما بها ثيابي؟ انا في المنزل ولا يوجد احدا غريبا.. خالتي ترنيم بمثابة امي فبالتأكيد لن ابدل ملابسي لأنها هنا.

تمتمت بلا مبالاة ليجلجل بعنفوان، مستوليا براحتيه على ذراعيها بخشونة:

- اللعنة على الغريب وعلى عقلك.. اسمعيني يا امرأة.. انتِ تعرفين عقليتي جيدا.. انا اكره ان يراكِ احدا بمثل هذه الثياب غيري ولو كانت امك.. انا اغار.. ما الغريب بذلك؟! هذا الأمر ليس جديدا عليك.

- لكنك وعدتني بالرسالة التي كتبتها انك ستتغير.. وعليك ان تفي بوعدك بما انك رجلا لا ينكث بوعده.

هتفت بخبث ليحمر وجهه غيظا منها ويزأر:

- انسي الرسالة.. كنت سأتغير والان لم اعد اريد.. سأبقى كما انا برضاكِ او دونه.

- حسنا حسنا سأغير ثيابي يا قلب زوجتك.

همست بنعومة، واضعة اناملها على بلوزته السوداء لتتشاحن الأحاسيس في جسده رغبة بها..

اسدلت رموشها بنعومة ثم استرسلت بدلال سيقضي عليهما الاثنان دون شك:

- من يقول بأنه يحبني يرفض ان يرأف بي وبطفله.. يؤلمني بجفائه بعد ان ثلبني على وسادة رومنسيته.

- لا تلعبي يا لين بعيار الدلال والدلع لأنك ستكونين الخاسرة دون ادنى شك.

دمدم بسخط ومقلتيه تزداد توهجا لتتابع بذات النبرة التي فكّت عقدة ثباته وصبره:

- اعشق ان اكون خاسرة اذ كان من سأخسر لأجله هو ريسي.. ولكن اولا اود ان اخبرك بعدة امور.. امي ترنيم قررت ان تتحجب فأنا اريد ان انزل الى السوق معها لنشتري ثيابا لها ولي ايضا بكل تأكيد.. الخبر الثاني هو انني سبق وحجزت عند طبيبة مختصة في مجال الحمل والولادة واليوم هو اول موعد لي معها، في تمام الساعة

الثانية عشرا ظهرا.. والخبر بل الطلب الأخير انا اريدك ان تنزل لتفطر معنا.

- لن تذهبي لأي مكان حبيبتي.. انتِ حامل وانا اخاف عليك وعلى طفلي.. وكل ما طلبته سيحضر لك حتى ملابس السيدة ترنيم.

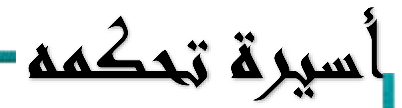
هتف بمكر، مستمتعا بالعقاب الذي قرر فرضه عليها بعد فعلتها الشنيعة لتنبسط فضيتيها وتغمغم بذهول:

- ماذا؟! وامي.. تود الخروج ل..

- اخترا عبر هواتفكما كل ما تودونه وانا ليس لدي اي مشكلة في الدفع عزيزتي.. اما خروج من المنزل فأنسيه كليا.. والان لننزل لنفطر بنا انني جائعا.

قاطعها بجدية لتتكبل قدميها ارضا قبل ان تتذمر بضيق:

- لن اصغي اليك ولن اطاوعك.. سأخرج.. انا لست اسيرة يا ريس.



- بل انت اسيرتي حبيبتي.. اسيرة تحكم زوجك وحبيبك.

رد عليها بإبتسامة مستفزة، منسحبا من ردهتهما دون كلمة اخرى لتتبعه لين، ضاربة قدميها ارضا بكل غل.. يستفزها امبراطور وجدانها.. لن تكون لين، ام ليث الجايد اذ لم ترد له الصاع صاعين..



الفصل الثالث والثلاثون

على ساحل الغرام مشينا..

وتربعنا على ترابه مغتبطين..

تأملنا نيازك العشق التي تضرب قلوبنا..

لنبث اشواقنا في مقصورة الهائمين..

غارت الطيور والأشجار من نقاء حبنا..

لأخطفك الى كوكب شيدِ المغتاظين..

واكيدهم بتيار قبلات جنون هوانا..

تأملت جفونه المنغلقة بمرارة تغض حلقها.. تأملت ذقنه الحليقة التي لا تزده الا هيبة وجاذبية بعيون دامعة تُلهم بسقمها.. نائما كرجل ملائكي لا كرجل شرس بارد تعاني من بطش قسوته.. ارتجفت شفتيها والغصات الحارقة تستشري في صدرها.. تحبه ولكنه ينكر ويشك بها..

رباه!! تتضعضع الى قعر الأوجاع بسببه.. لم تبغي ان تذرف دموعها اكثر مما ذرفت ليلة زفافهما.. ولكنها تُجلد بسياط اهتياجه واحتدامه..

وثبت عن السرير بهدوء حتى لا يستيقظ.. وقبل ان تطئ قدميها السجاد الأزرق المفروش على بلاط الأرض وفاها صوته الناعس:

- الى اين؟

تنهدت بكل نبضة ترحة يدقها فؤادها قبل ان تهمس بنبرة خافتة دون ان تستدير وتواجهه:

- الى الحمام.

لم يستطع اخفاء اعجابه بتجعدات خصلاتها المتمردة.. كمعكرونة البيسلي الرقيقة.. ناعمة ولكن شرسة.. هادئة ولكن ثائرة.. يريدها من براثن اهتياجه.. كمغناطيس اشواق ساحر يجذب اغلال القلوب وايقونته.. ساحرة.. جذابة.. مغرية.. كيف لقصيرة مثلها ان تكون بمثل هذا الإغراء الذي يثلبه على ناصية الطريق، تائقا

لهمسة ولمسة منها؟! شام هي وطن.. من يخشٌ ارضها يُموت شهيدا، مقدِّما توقيعه على اوراق فتنتها.. حارة ودافئة.. كترابها المهلكة.. متعبة ومع ذلك صامدة ومقاومة..

احست بيده تسحبها الى صدره لتشهق بتفاجؤ وتضع راحتها الصغيرة على صدره العاري والذي انتبهت لتوها له لترفرف زمردتيها ببراءة خجولة وتهمس بتوتر:

- ماذا تفعل جود؟!

- مشتاقا لك يا موطني.. زوجة جود تبتعد عنه!! كيف لي ان اكون في وطنك بعيدا كالمغترب؟! اريد ان اجود بأرضك يا شام الحياة.

غمغم بصوت ساحر اجّجَ من خفقاتها التي تبخترت بغرور انثوي اخفاه قبلاً ببروده وقسوته.. تطلعت اليه والخطوط الوردية تشق طريقها الى وجنتيها لتسبل اهدابها الناعمة بخجل.. فتابعت شفتيه بثها بالهمسات المغرية.. ووجدت يده سبيلها الى وجهها ليتحسس كل انش به، متلذذا ببشرتها الدافئة لترتج القشعريرة في ثنايا ثناياها..

لسانها عُقد بمشابك رجولته الآسِرة.. ودت ان تقصيه ولكنها هشة ضعيفة امام لمساته الساحرة.. يداه تستبح حرمة جسدها بإثارة تلين الصخور.. شفتيه اغدقت ثغرها بقبلات تلقفتها الى مقصورة المشاعر الجائشة التائقة لتتزاحم الطبول في عزفها قصائد امواج العشق.. انهارت اخر بقايا مقاومتها لتلك الأحاسيس لتنجرف مع تيار غرامه وتصبح له زوجة اسما وفعلا..

وبينما هي غارقة في اجتثامة نومها ايقظها رنين هاتفها الصاخب لتفتح جفونها بثقل قبل ان تتذكر ما حدث بينها وبين زوجها ويعبُّ الخجل خلاياها.. التقطت اناملها الهاتف لتبتسم بحب وتجيب ببشاشة:

- السلام عليكم اخي.

- وعليكم السلام عروستنا.. كيف حالك وحال زوجك؟

اتاها صوت قيس العابث لتضحك بخجل وترتجل عن السرير، ساحبة معها ملاءة خفيفة لتغطي جسدها العاري.. ثم غمغمت بنبرة دافئة:

- مشتاقة اليكم قيس.. سأطلب من جود ان نزوركم قبل السفر.

- لن يرضى.. الرجل في شهر عسله.. انا لو مكانه لن اقبل ابدا وسأبقى منفردا بزوجتي اربعة وعشرون ساعة.

هتف بشقاوة لتقهقه بصوت عال، رادفة بمكر:

- وهل هناك واحدة استولت على قلب اخي لنطلبها له؟

مرّ على ذاكرته طيف عدن.. اول من احبها.. ولكنها ها هي متزوجة وتحب غيره.. تمنى لها السعادة والتوفيق في حياتها من كل قلبه.. الماضي انتهى وعليه البدء من جديد..

هو يجب ان يتزوج.. الى متى سيبقى مُعلّقا بذكريات الماضي القاسية؟ واخيه.. عليه ان يبقيه بقربه والحل الوحيد هو الزواج..

تبسم بصعوبة وخيال الفتاة الأخرى التي تفاخمت علاقته بها في المانيا يضيء امامه.. رؤى.. الفتاة الراقية، المهذبة والمرحة.. تمنى ان يراها في الزفاف الا انها كانت لا تزال قابعة في المانيا مع اخيها..

ايقظه من تفكيره بها صوت اخته الذي تخلل اذنيه ليهمهم:

- اجل شام انا معك.. لا اعلم.. ربما.. انا بحاجة لوقت اكبر لأخطو خطوة الزواج.

- على راحتك اخي.. ولكن عليك اخباري بكل ما هو جديد.. سأغلق الان لأنني سأصلي.. سأقنع جود بعدم فعل ما انت قد تفعله.

تمتمت بضحك قبل ان تغلق الخط وتلقي نظرة حانية على زوجها النائم كالأطفال.. لا زالت غاضبة منه ومن شكه بها.. ولكن ان استمرت علاقتهما بهذا الشكل سيكون الفشل مصير هذه العلاقة التي لم تبدأ بعد.. على الأقل ستعطيه مجالا ليعتذر منها ويتفاهمان..

يكفيها نكدا وحزنا.. فقد سئمت من علاقتهما المضطربة..

بعد ما يقارب الساعة ونصف فتح عيناه الداكنة لتدور في مخيلته ذكريات ما حدث وتعتلي ثغره الإبتسامة العابثة.. خاض ارض الشام.. وويلاه من جمالها ورقتها.. دافئة ناعمة لا مثيل لها في وجدانه..

وثب عن السرير بثقل وتولت سودوتيه التقصي عنها.. لمحها جالسة في الشرفة التابعة لغرفتهما فدنى منها بخطوات نسر مبتسم..

سمع دندنات تقشعر الأبدان تعزفها اوتارها.. رباه!! صوتها عذبًا تشتهي النفوس سماعه.. تغني بجمّ احاسيسها.. كانت تغني بكل ما يعتمل بها من مشاعر واحاسيس.. من قلب.. بصدق..

شعر بها تُعبّر بكلماتها الشجية عما حدث بينها وبينه.. فلم يتمكن من الصمود اكثر لتحيط ذراعيه وسطها وينثني وجهه على رقبتها، مُنتشيا منها عبيرها الآخاذ..

جفلت لأول وهلة الا انها تداركت الأمر سريعا لتستدير اليه وتواجهه بمقلتيها الدامعة ليبتلع النغزات التي استملكت حلقه بوجع وندم على ما سبّبه لها بكبريائه المتغطرس من الامٍ واحزان.. وهمس بصدق، موغلا انامله بين خصلاتها العنيفة:

- انا اسف شامي.. اسف على تشويهي اجمل يوم في حياتنا.. اسف على شكي وعدم وثوقي بك في لحظة غباء.. انا كنت مضغوطا من المشاكل التي انحدرت على رؤوسنا كالصخور فلم اكن قادرا على التفكير بصورة سليمة.

تنهدت بحرارة، راضية ببلسم كلماته التي تداوي جروحها والتي علقمها سابقا وتمتمت، رافعة خضروتيها اليه:

- لنبدأ من جديد جود.. عوّضني عن كل الالام التي سببتها لي والتي تركت وصما لا ينسى في قلبي.

- سأعوضك دائما وابدا يا ارض العذاب.

اجابها بوعد دافئ قبل ان يسحقها بقبلته التي قصت عليها بقية وعوده..

****

جثمت لين بجانب ترنيم المرتبكة من وجود ابنها الذي لم يسامحها بعد.. والقت على ريس نظراتها الحانقة فتجاهلها ببرود اهاج ثورانها لتخبط بكفها على الطاولة هاتفة بفظاظة:

- لا تتجاهلني يا ريس.

اذبهل ريس وترنيم من هجومها المفاجئ وقبل ان يهم بالرد عليها وجدها تندس في دوامة بكاء غريبة سمّرته مكانه بينما تتابع بصراخ باكٍ:

- انت لم تعد تحبني والا لم تكن لتتجاهلني بهذه الطريقة.. كل الذي فعلته انني لم اخبرك بحملي مسبقا.

صمتت لوهلة تلتقط انفاسها قبل ان تنهض بغضب، رادفة بهيجان:

- لا اريد ان اكل.. لم اعد جائعة.

ضحكت ترنيم بشدة على تصرفات لين المجنونة قبل ان تغمغم بحنو لابنها المتصنم بذهول:

- هرمونات الحمل تؤثر عليها.. صالحها ريس.

- سأنهض واراها.

تمتم مصدوما قبل ان يهرول بالصعود الى غرفتهما.. وما ان وجدها تبكي رقّ قلبه لمجنونته الصغيرة.. فزلف منها، كابحا ابتسامته التي ستثير غيظها اكثر ورقد بجانبها على الأريكة وهمس:

- لماذا تبكين لين؟! لم افعل لك شيئا.

- بلى.. انت لا تود مسامحتي.. لا تريدني ان اخرج مع امي ترنيم.. اقترب منك وتبتعد.. وتعاملني ببرود.. انت كاذب.. لا تفي بوعودك.. انا اكرهك.

اجابت ببكاء طفولي اضحكه من صميم لبه ليسحبها الى حضنه، مغمغما بصوت رجولي ناعم:

- حسنا انا اسف ملاكي.. كنت غاضبا.. وعدتك بالتغير وسأتغير منذ الان.. ولكني لا اصدق انك من صرختِ هكذا في الاسفل!! أهون عليك هكذا يا روح زوجك؟!

- هذا طفلي غاضبا منك لأنك غضبت وضايقت والدته.. سأذهب لأعد نفسي وسنخرج وستأتي معنا.. وستصالح والدتك وتتفاهم معها.

امرته بوقاحة ليقهقه مبهوتا ويردف:

- حبيبتي انتِ تكلمين ريس.. انسيتي من انا؟!

- لا يهمني.. انا زوجتك.

دمدمت بلا مبالاة، مزيلة دموعها عن وجنتيها الحمراوتين ليتشدق هاتفا:

- انهضي يا حبيبتي.. وبعد ان تجهزي نفسك سنتحدث بهدوء.

ابتسمت بسعادة وقبلت وجنتيه، هامسة بحب قبل ان تختفي من امامه:

- احبك يا افضل زوج في العالم.

وما ان اغلقت باب الحمام ظهرت ابتسامة خبيثة على شفتيها وهي تفكر بكم هي ذكية وماكرة..

"لا ينفع مع الرجال غير العين الحمراء"

تمتمت بهذه الجملة مقهقهة بصوت منخفض حتى لا يسمعها..

هناك فائدة كبيرة من حملها.. اذ كان هو ريس فهي لين زوجته وابنة عمه وام اطفاله قريبا..

نزل للأسفل ليجد والدته توضب الطاولة فتتنهد بإضطراب.. يصعب عليه مسامحتها.. ما عاناه منها ليس قليلا ولا هينا.. صحيح انها نادمة وتحاول بكل ما في وسعها ان تنال غفرانهم ولكن ماذا عن دماء والده؟! ايقبل ان تذهب سدى؟! دون ان يأخذ حقه منها؟! عرف انها قررت

ان تتحجب مما يدل على توبتها.. لا يعلم.. نقيض من المشاعر الحانية والرافضة تتقد في اوصاله..

دنى منها وغمغم بصوت اجش:

- دعي ما بيدك.. لين ستكمل الباقي.

استدارت اليه واجابت، متابعة تمسيح الطاولة:

- لا داعي.. انتهيت.

ثم تنحنحت بحرج واستطردت:

- انا.. انا اعلم انني ثقيلة عليك ببقائي في منزلك.. لذا انا.. اقصد بأنني سأمكث اليوم في فندق

ما.. و..

قاطعها بجدية حازمة:

- انا لا اقبل بأن تبقى المرأة التي انجبتني في مكان دون محرم لها.. انتِ شرفي الان.. وانا مُلزم بعنايتك.. ما اقوله ليس لأجلك بل لأن ربي وديني يفرضان علي ذلك.

ودت ان تعترض الا انه ردعها بصوته الجامد:

- اعتبري المنزل منزلك.. ذاك الحقير مجد ستتطلقين منه وستنسين اي رباط يجمعك بصلة معه.. حسابك الحالي في البنك ستلغيه وسأفتح لك حسابا جديدا نظيفا.

- لماذا تفعل ذلك معي؟! انا لا استحق.

تساءلت بنبرة متألمة.. الأوجاع تتفاقم في لبها.. الشعلات المريرة في حلقها تستفحل نارها.. يا اللّه!! ترغب في احتضانه.. بكرها الغال..

سمعت صوته يتغلغل في اعماق مُهجها لتحبس عبراتها بصعوبة بالغة:

- ما افعله للأسف لأنك امي.. لا يمكنني تغيير هذه الحقيقة ولو اردت.. ومع ذلك لا تظني انني سأسامحك بسهولة.. ستتعبين كثيرا.

- انا سأنتظر الى اخر لحظة في عمري.. ولكن لدي طلب.. وارجوك لا ترفضه.

همست برجاء ليزفر قبل ان يهتف بجدية:

- تفضلي.

- ناديني امي.. اعلم ان الطلب صعبا ولكن انا اتوسلك يا ريس.. ناديني امي.. فالإنسان لا يعلم متى سيموت.

لم يتعجب من طلبها.. كان مُيقنًا انها ستطلب منه هذا الطلب ذات يوم لذا اومأ بتفهم وهتف بخشونة كاذبة:

- كما تودين.. امي.

لم تستطع تمالك نفسها وهي ترتمي في حضنه ليخفق فؤاده بقوة من هذا الشعور.. شعوره بحضنها.. ربما هو كان بحاجة الى هذا العناق اكثر منها.. تجمعت العبرات في عسليتيه الا انه كبحها بقسوة.. ليس هو من يضعف ولو لأمه..

طفل يتيم يبتسم في طياته.. طفل وجدا اخيرا ملاذًا له.. وليس اي ملاذ بل ملاذ تمناه دوما.. والدته!..

كان غافلا عن يداه التي اشتدت على ظهرها.. يخاف ان يفقد حضنها يوما.. حضنها الذي لم يشبع منه بعد..

وعى على نفسه بنحيبها الحار ليبتعد عنها ويهدر بحدة وكأنه يأمر نفسه قبل ان يأمرها هي:

- لا تضعفي مقاومتي.. لا تضعفيني.. دعيني اخذ بثأر ابي كما يجب.. انا لم انتقم منك بعد.. لم انتقم.

- اللّه انتقم مني يا ريس.. اللّه اخذ حقك وحق كل مظلوم ظلمته.. انا مريضة باللوكيميا.. ولن اتعالج يا حبيبي.. سأتعذب امامك بني وهكذا ستكون انتصرت واخذت بثأر ابيك يا ولدي.

نشجت ببقاء مزق روحه.. سلخ لبخ بسياط صلد.. غمض عيناه، مُرتشفا عبراتها الترحة.. لماذا تستعطفه بهذه الطريقة؟! هي توهن جبروته وابهته.. تثويهِ من ايوان القوة والصلابة الى قلعة الضعف والهشاشة.. استدار اليها وحدجها بنظرات لم تفهمها اطلاقا ثم هتف بجمود:

- اصعدي الى لين واستعيري منها ثياب الان لأننا سنخرج.

لبّت ما قاله بإنصياع تام.. وبعد نصف ساعة نزلت هي ولين اليه ليتأمل زوجته ووالدته..

تأبطت لين بذراعه، مغمغمة بفرحة:

- يليق الحجاب على امي كثيرا.. انظر اليها.. قمة الجمال.. اليس كذلك؟!

ارتبكت ترنيم من نظرات ابنها المتفحصة.. ثم فجأة سمعته يهمس بما هلّلّ لبها وانعشه:

- اجل، تبدو جميلة.. ربي يهديها ويهدي الجميع.

****

في تلك الجزيرة التي تبعد ملايين الأمتار عن الوطن توسدت صدر زوجها وحبيبها.. ثم رفعت بحريها لتتشاحن نظراتهما العاشقة.. تعيش معه اجمل ايام حياتها.. جسورٌ رومانسي هذا هو معشوقها.. ابتسمت بتغنج ما ان احاطت يداه خصرها وهمست برقة:

- الم تشبع بعد يا اوس قلبي؟

- لا اشبع منك ولو هرمت يا جنتي.. انا غرثان في بحرك.. ابقى ظمآن ليلا ونهارا.

اجابها بصوت ثخنته الأحاسيس الفظة لتبتسم برضى وتغمغم:

- احبك.. ولكن لدي سؤال اوسي.. لماذا لم نسافر مع جود وشام؟! ولماذا اخترت هذه الجزيرة؟

عبس فجأة وانتصب بجلسته لتبتعد عنه بغيظ بينما اردف هو بوجوم:

- لم اصدق ان انفرد بك وتخبريني ان نسافر مع جود وشام.. حبيبتي اذا سافرنا معا سنكون مقيدين ببعضنا.. واساسا هذا شعر عسل.. وانت تعرفين كيف يكون شهر عسلنا.

انهى كلامه غامزا بعينه لتحتقن وجنتيها بالحمرة الذي يهواها.. ويتبرم منبع شهده لتتسخم حدقتيه بسواد داكن.. وقبل ان تفكر بالرد عليه كانت شفتيه تأسر شفتيها بقبلة جائعة تائقة..

- هكذا يجب ان يكون شهر عسلنا.. لا شيء غير هذا الجناح.. سأرتوي منك في كل ثانية، بعيدا عن كل الناس.

تمتم لاهثا انفاسه بصعوبة لتتكئ برأسها على كتفه وتهمس بتقطع:

- ل.. لنخرج قليلا.

- لا اريد.. في المساء سنخرج.

اجابها موزعا قبلاته التي تحرقها في لهيب غرامه على رقبتها لتبعده بتصميم، متحاملة على نفسها حتى لا تضعف قواها امام سحر جاذبيته.. ثم غمغمت:

- لا ، الان.. وعدتني في الطائرة ان لا ندع شبرا واحدا ولا نذهب اليه في جزيرة بالي.

احتقن وجهه بضيق شديد وهتف بإمتعاض:

- حاضر يا اميرة.. انهضي لتجهزي نفسك حتى نخرج.

انفرجت شفتيها بإبتسامة حبورة قبل ان تقبله على وجنته وتردف ببهجة طفولية:

- حبيبي الغالي.. ارغب في السباحة.

- نعم حبيبتي؟! لا بد انك تحلمين.

تشدق ساخرا لتقطب حاجبيها بحنق وترد:

- لا يهمني.. انا اريد الذهاب الى الساونا.

- سأخذك الى اينما تريدين ولكن لا تعبسي كالأطفال امامي يا صغيرة.

غمغم بحب، مقبلا اياها بين حاجبيها لتقهقه بخفة وتقفز كالأطفال:

- خمسة دقائق وسأكون جاهزة.

****

وضع جواد لورين على ساقيه، متجاهلا وجود ريما الحانقة من تصرفاته المتعجرفة قبل ان يتساءل بود:

- كيف اصبحتِ جدتي الان؟

- انا بخير بني.. الفضل للّه.

اجابته بإبتسامة قبل ان تطلب من ريما - الواقفة بجانب باب الصالة - واجمة الوجه:

- تعالي حبيبتي واجلسي.. صحيح الا تودين ان تدعي جواد الى حفل تخريجك؟

- حقا!! متى حفلة تخريجها؟

هتف بلهفة لتغمغم ريما ببرود:

- السبت المقبل.

ثم استأنفت حديثها بتذمر امام جدتها ولورين:

- انا غاضبة منك جواد بسبب تصرفاتك البارحة.

- لماذا انتِ غاضبة من جوجو؟!

تدخلت لورين متسائلة بحيرة لتلقي عليها ريما نظرة حارقة بينما جواد يكتم ابتسامته بصعوبة..

- ماذا فعل جواد حبيبتي؟

تمتمت الجدة بفضول ليهتف جواد ببراءة:

- انا لم افعل شيئا.. اسألي لولو.. اليس كذلك لولو؟

- اجل انا كل وقت معهما.. جوجو عسل.. لا يوجد مثله.. وريما دوما غاضبة دون سبب.. حتى انني اشعر بها تغار مني عندما اكون مع جواد.

هتفت لورين بنبرة طفولية، واضعة يدها على فمها وكأنها تفكر لتفغر ريما فاهها وتزجرها بحدة وتوتر:

- لورين.. ا.. انتبهي لكلامك.. اغار قال!!

لم ينبس جواد ببنت شفة حتى لا يفاقم من توترها وخجلها الملحوظ.. يعلم انها تحبه بقدر ما يحبها.. ولكن الصبر جميلا والحلال احلاه.. ايام قليلة وسيتقدم لها لتكون شريكة عمره.. حبيبته مجنونة تغار عليه من نسمة الهواء.. وكم يبهج لبه هذا الشعور.. غروره الذكوري يشمخ بتبجح فخور.. يعشقها بكل تفاصيلها وتحركاتها.. فرس شرس لم يبان الا بوجوده.. وآه كم يحب شراستها التي تسرُّ كل خلية في جسده والذي يضخ

حرارة حبه وتوقه لها..حاوط ظهر زوجته ووالدته بغضب شديد..

سيُجن لا شك!! الا يكفيه زوجته ليحجبها عن عيون الأخرين لتأتي والدته ايضا.. الجمال لعنة

في حياته.. اكفهر وجهه بسواد حانق لتبتلع المرأتين ريقهما توجسا من وحشية عيناه..

من يراه يظن انه متزوج اثنتين لا واحدة.. على الرغم من كبر سن والدته الا انها تبدو شابة صغيرة.. فقامتها ممشوقة ووجهها صاف كوجه الشابات الحسناوات..

كان يسير محتد الملامح، مُعدًّا نفسه للهجوم على اي من قد يتجرأ وينظر اليهما..

توقف فجأة امام احدى المتاجر الفاخرة وهتف بصيغة امرة:

- اخترا بسرعة.. اعصابي على نار.

امسكت لين بيده القابض عليها بشراسة وسحبته معها الى الداخل وهمست بصوت ناعم:

- لنختار معا.. انا احب ذوقك.

- ما سأختاره لن ينفع الا ان تلبسيه لي وحدي.. والا تعلمين ماذا افعل.

غمغم بخبث لتبتسم على تمكنها من اخراجه من القوقعة الغاضبة التي تغلفه ثم غمغمت بهيام:

- اساسا لا يهمني غيرك.. انت فقط من يهم روحي وقلبي.

- لين ما رأيك في هذا الفستان؟ جميل اليس كذلك؟

تساءلت ترنيم المنهمكة في البحث عن ملابس لها لتقترب لين منها وترد:

- بل يأخذ العقل امي.. انا اعشق اللون الزهر الفاتح.

- لا تعشقيه حبيبتي قبل ان امزقه حالا.

اتاها صوت ريس الساخر لتقهقه ترنيم بسعادة ترافقها ضحكات لين التي اعتادت على جنون زوجها.. رباه لا تزال كالنجمة في سماؤه.. صغيرة جدا.. ترغب في احتلاله كليا.. وسيما بشكل يئن قلبها غيرة عليه وهو بعيدا عنها.. لا يدرك سبعها انها تغار عليه بقدر غيرته.. تموت

في هواه.. متيمة به تتيم لم تحلم به في عمرها كله..
ليعن اللّه قلبها المريض الهش من هذا الحب العميق..

وما انت انتهوا من شراء كل ما يلزمهن صعدت ترنيم بجوار ابنها، بناءا على رغبة لين..

لم تكف لين عن ثرثرتها التي اوجعت رأس ريس والذي كاد على وشك الإنفجار من صخبها المفاجئ.. كانت فعلتها مقصودة حتى تغيظ حبيبها وترح والدته وتبهجها..

- ريس لا تنسى موعدي مع الدكتورة.

هتفت لين بجدية ليجيب ريس بعدم اكتراث:

- لغيته.. حجزت لك مع دكتورة افضل منها بكثير.

- انا اعرف لما لغيته ريس.. يا اللّه منك!! فقط لأن في عياداتها يوجد ممرضين ذكور.. يا ربي ريس.. هذه الدكتورة معروفة بمهارتها.

تمتمت لين بحنق ليزمجر ريس بضيق:

- لا يهم.. انا حجزت لك عند دكتورة ثانية افضل بكثير.. ويكفي جدالات لين.

تأففت لين بضجر لتغمغم ترنيم برزانة:

- حبيبتي لين.. لا داعي للقلق.. بالتأكيد ريس لن يفعل لك الا ما هو الأفضل.. فثقي بقراراته.

- انزلا.

امرهما ريس بجدية ما ان ركن سيارته بجوار بناية المشفى الصغيرة لتتطلع اليه لين بغيظ، اجمة من السيارة وهاتفة:

- ريس امسك يدي.

تفاجأ ريس من طلبها الا انه نفذه بودٍ.. وما ان امسكت يده اطلق آهٍ متألمة بسبب قرصها ليده لتضحك ببشاشة، هامسة بنعومة:

- هذا درس لك حتى تتجرأ وتغيظني مرة اخرى.

- لين حبيبتي الا تلاحظين انكِ اصبحتِ شرسة.

تمتم ريس مشدوها لتضحك بصوتٍ اعلى وترد:

- هذا افضل.. لا يجدي مع الرجال الا هذه الطريقة.

- سأعلمك اي طريقة تنفع معك انت يا قلبي في منزلنا.

دمدم بعبث غامزا لها لتتورد وجنتيها وتهمس بنعومة سلبت خفقاته من صدره:

- اعشق طريقتك.. منتظرة بفارغ الصبر.

- لين امشي امامي يا امرأة.. منحرفة ووقحة وشرسة.. لم اعد اعرفك.

هتف بحنق لتقهقه وتسبقه ثم سارت بجوار ترنيم التي غمغمت بإبتهاج:

- فليدمكما اللّه لبعض حبيبتي.

- امين امي.. وفليديمك الرب لنا.

اجابتها لين بإبتسامة دامثة لترد ترنيم لها الإبتسامة..

- لين الان سنولج انا وانت الى الدكتورة.. حسنا؟

همس ريس بجدية ما ان توقفوا بجانب باب مكتب الطبيبة لتتنهد لين بخوف كانت تقاومه بكل طاقتها قبل ان تردف بقلق:

- ماذا لو تأذى طفلي ريس؟! ماذا لو ضاع مني؟! انا خائفة مما ستقوله الدكتورة.

- انا معك.. سأحميكِ بروحي.

رد عليها بإبتسامة مشجعة.. لا ينكر انه خائف عليها هي اكثر من طفله.. لو فقدها سيموت.. الفزع يتقمص كل ذرة دماء في شرايينه واوردته.. هي شمسه.. من دونها ليس هناك نور.. من دونها ظلام سيوهنه ويثقل كاهله..

توسمت ذهبتيه فضيتيها بحب ادمع لؤلؤتيها ليجذبها الى صدره ويهمس بحنو:

- لين ايمانك بربنا كبير.. لا تضعفي.. فالوهن ليس من اركانك.. انتِ زوجة ريس.. انتِ من عائلة جايد.. وانتِ تعرفين جيدا من تكونين يا روح الروح.

- هو محق حبيبتي.. لا تتخلي عن الكنز الذي بداخلك والذي يفتقره الكثير.. انت قوية وشجاعة ومؤمنة.. وهذه ماسة ثمينة لا تمحقيها.

ايّدت ترنيم بكرها بدعمها للين التي هزت رأسها موافقة بإرتياح قبل ان تغمغم:

- امي لن نتأخر.. ابقي هنا.

اومأت ترنيم برأسها بإبتسامة حنونة قبل ان تشاهدها تدلف برفقة زوجها الى الدكتورة التي استقبلتهم ببشاشة:

- اهلا اهلا.. تفضلا.. تكلمتَ معي مسبقا سيد ريس.

- اجل تكلم معك وحجز لي انا دورا عندك.

ردت لين ببغض على الطبيبة التي تبدو في العقد الرابع من عمرها ليكتم ريس ضحكته بينما تنحنحت الطبيبة بحرج واردفت:

- اجل اعلم.. تفضلا بالجلوس.

قبعا على المقاعد قبالتها لتهتف بجدية:

- مدام لين انا اعرف انك حامل ولديك مرض القلب..
وكذلك اعرف انك تتعلمين الطب اي بالتالي تدركين خطورة حملك على حياتك وعلى حياة الجنين الذي في رحمك.

- نحن نعلم ذلك جيدا دكتورة منال.. ولكن الأهم الان هو طرق الوقاية للحفاظ على الأم والجنين معا..
والتعليمات الذي يجب ان نقوم بها.

اجاب ريس بدلا من لين التي تضغط على يده بقوة خشية من فقدانها لجنينها الذي تنتظره بصبر امومي.. يا اللّه!! اذ كلّف الأمر حياتها لن تتردد.. تتوق بلهفة لتستشعر هذه اللحظة التي تتمناها ملايين النساء.. ان تبزغ روحا منها.. نطفة أُستنبطت منها ومن زوجها الذي تهواه.. لن تحرمه من ان يكون ابا ولو ضحت بحياتها..

تروّت رماديتيها جماله لتتفطن توتره وقلقه عليها وتبتسم بحب.. تعشق كل ما به.. عبثه.. عصبيته.. حنانه.. رومنسيته.. وحتى غيرته المجنونة..

صيدن كل عرق نابض في جسدها.. سلطان خفقاتها ونظراتها..

حرّكت ابهامها بنعومة علي يده ليلتفت اليها وتشع حدقتيه نظرات الوله اليها..

لاحظت الطبيبة منال نظراتهما العاشقة لبعضهما فإبتسمت متمنية لهما دوم المحبة.. لم تشاء ان تبجسهما من هذه الهالة التي تحرر شحنات الغرام والشوق.. لذا انتظرت دقيقتين وهي تتوسم النظر بهما قبل ان تدمدم بخجل:

- اا.. هل استطيع ان اتكلم؟

- بالطبع اجل.

همست لين بإستحياء لتتوسع ابتسامة الطبيبة وتردف:

- اذا اسمعاني.. اولا انا سأكتب لك انواع ادوية عليكِ ان تأخذيها بإنتظام.. وفي الشهور الأخيرة من حملك ستكونين تحت العناية والرقابة.. اي انك ستبقين في المشفى لنهتم بك وبحياة جنينك.. وفي حالة لا سمح اللّه واجهنا اي خطر صغير يهدد حياة اي منكما سنتمكن من التعامل معه بسرعة دون ان نعرضكما لخطر اكبر.

- ان شاء اللّه دكتورة.. سيحدث ما امرتِ به.. الدواء ستلتزم به دون اي خطأ فأنا بنفسي من سيتولى هذا الأمر.

هتف ريس بنبرة حازمة لتومئ الطبيبة برأسها وتسترسل قائلة:

- جيدا.. عليك ايضا ان تبقي بعيدة عن كل الضغوطات والتوتر الذي من شأنه ان يؤثر على صحة قلبك وصحة جنينك.. فبعيدُ الشر اي شيء ممكن ان يؤثر كذلك على صحة الجنين ومن الممكن ان يخلق مشوّها او مُعاقا.

- اخبري ريس بذلك لأنه ما شاء اللّه لا يكّف عن اغاظتي.

تمتمت لين بمكر لتقهقه الطبيبة بخفة على منظر ريس الذي رفع حاجبه ودمدم بحنق:

- وللّه!! من الأفضل ان ابقى صامتا ولا افشي بالخبايا التي لا يعلمها غيري.

- المهم الا تودان ان تعرفا اذ كان الجنين ذكرا ام انثى؟!

تساءلت الطبيبة بمرح لتجيب لين بفضول:

- بلى.. ولكن هل ينفع الان؟ اقصد انا لا زلت في الشهر الثالث.

- انت في اواخر الشهر الثالث.. وفي هذه الفترة عادة يُعرف نوع الجنين.

غمغمت الطبيبة بحنو لتهتف لين بسعادة:

- اذا اخبريني الان.

اجرت لين التحاليل مع الطبيبة بلهفة سعيدة ابهجتها قبل ان تعود وترقد بجانب ريس الذي ابتسم لها بدفئ وهمس متسائلا:

- هل عرفتِ نوع الجنين يا ام ليث؟

هزت لين برأسها نافية وردت بحب:

- الدكتورة منال قالت لي انها ستطلعنا على نوع الجنين معا.

- صحيح مبارك لكما.. المدام لين حامل بتوأم ذكور.

ابلغتهما الطبيبة بلطف لتقفز لين صارخة بفرحة:

- حقا؟! توأم!! يا الهي هذا حلمي.. سأسميهما ليث وغيث.. حسنا يا ابو ليث؟

- من عيوني يا ام ليث وغيث.

اجابها بحب، مقبلا جبينها لتدس نفسها في طيات صدره وتهمس:

- لنزور جدي.. واتصل بأبي ليأتي ويحضر امي معه.. اود ان ازفَّ اليهم هذا الخبر ريسي.

الفصل الأخير

ما بين النجوم شردت..

لأتقصى عن سيماءكِ يا من احببت..

انحنت النجوم خجلا وحبا من تأملي بها..

وتدثرت بحيائها من نظراتي الشغوفة التي لخيالك ابجسها..

ومع ذلك ابقى كالغريب في ماستيك النادرة..

كميناء الملاحم والمعارك انتِ..

صامدة وقاسية وتتلقين افظع القنابل..

اطلق عليكِ صواريخ العشق والغرام..

ولكنك لا تتزعزعين ولا تهتزين..

ولو كنتِ جبلا لأستسلمت صخورك ورمالك توقا لي..

ولو كنتِ بحرا لخمدت امواجك وعواصفك حبا بي..

عجيبة انت كالفارسات والأميرات..

ومع ذلك اهواكِ يا استثنائية فؤادي..

ابتسم على المرح الذي تسرحه مقلتيها الزرقاء..

الإبتسامة لم تفارق وجهها منذ ان بدأا بجولتهما في هذه الجزيرة الساحرة.. لم يرفض لها اي من طلباتها ولم يبخل عليها بتحقيق اي امنية فكرت بها تفكيرا ضئيلا..

تفرست حدقتيه نظراتها المبتهجة وتحركاتها العفوية.. قدميها يتحركان بشرود مستمتع.. غمضت عيناها فجأة، منتشية هواء البحر الذي يلفح وجهها ببرودته وهمست بصوت ناعم لتتوسع ابتسامته المغرية:

- اتَذّكر يا اوس اول لقاء لنا.. لا اصدق كم كنت ابغضك واكرهك.. وخاصة حينما تأخرت على محاضرتي الأولى معك واحرجتني امام الطلاب.. حينها وددت ان اشوّه لك وجهك المستفز.. والان.. والان كلمة اعشقك لا تعبر بما فيه الكفاية عما اكنه نحوك اوسي.

خطت قدميه خطوات تتناسب مع حركة اليخت الصغير الذي يسير ببطئ على امواج البحر الهادئة قبل ان يتوقف وراءها وتمتد راحتيه لتطوّق خصرها الرشيق ويسند رأسه على كتفها

وتتأمل عيناه ما تشاهده حبيبته.. ثم غمغم بصوت اجش:

- لا تكرري كلامك هذا مرة اخرى امامي عدني.. لا احبذ سماعه ابدا.. الماضي وكل الجدالات التافهة التي كانت بيننا تم طيّها ودفنها منذ اللحظة التي رأيت بها الحب بعينيك.. اكره ان اسمعك تهتفين بكرهك لي مسبقا.. حسنا؟

هزت رأسها بتوتر من قربه ومن صوته الثخين الذي اضرم خفقاتها الذائبة غراما ثم وضعت اناملها على انامله المتشبثة بخصرها بقوة وهتفت:

- الى اين ستأخذني ايضا اليوم؟

قهقه بصوت عالٍ تغلغل الى ثنايا روحها لتبتسم وتستدير حتى تواجهه وهي تسمعه يردف:

- الم تتعبين حبيبتي؟ لم يتبقى مكانا واحدا ولم تزوريه.. فلتدعي اماكن نذهب اليها الأيام المقبلة.

- قل انك تود العودة الى الفندق لتستفرد بي، لا ان تتحجج بالتعب.. اساسا لن امانع اذا عدنا فأنا ارغب بالنوم عزيزي.

تمتمت بمكر ليتشدق بسخرية، مُعدِّلا حجابها الذي يتطاير مع نسمات البحر العذبة:

- اضحيتِ تعرفينني جيدا عدني.. ولكن لأذكرك انا من يُقرر متى تنامين ومتى لا.

ابتعدت عنه بحنق وتأففت بسخط:

- انت لا تختلف كثيرا عن ريس حسب ما استنتجت.. الان عرفت سبب هذه الصداقة الوطيدة.. ما شاء اللّه نفس الصفات!! مغروران.. متعجرفان.. مهووسان بالسيطرة.. لم اعد اطيقك اوس.. فليكن اللّه بعوني وبعون لين عليكما.. لا يوجد رجل طبيعي على هذه الكرة الأرضية.. هذا ما اكتشفت.. حتى جواد وجود...

- الم تملين يا زوجتي من السخط على الرجال؟

قاطعها اوس بضيق وهو يعجُّ على اسنانه لتتجهم ملامحها البريئة وترد:

- لا.. لم اتعب ولن اتعب ابدا.. اعدني الى الفندق اوس.

- انتِ مدللة اكثر مما يجب عدن.

تذمر، ممعنا النظر في بحرها الذي هاج بثوران متمردا قبل ان يسمعها تهدر بغيظ، زالفة منه بعنجهية غجرية:

- مدللة!! معك حق.. انا مدللة اكثر مما يجب.. ولكن يا زوجي هكذا اعتدت ان اكون قبل ان اتزوجك.. فأنا صغيرة جدي واخوتي ومدللتهم.

- استغفر اللّه العظيم.. نحن لم نخرج لنتشاجر عدن.. انا وانتِ بشهر العسل.. فمن الأفضل ان تتأجل هذه التفاهات الى وقت اخر.

تمتم بحنق لتكشر عن ابتسامتها الشرسة وتهمس من بين اسنانها المصطكة ببعضها:

- انا ارغب ان نتشاجر اوس.. وخاصة اليوم.. لذلك اياك وان تدنو مني مجددا والا...

- والا ماذا عدن؟

زمجر بغضب، ملجما كلماتها من الإنبثاق لتغمغم بلا مبالاة مزيفة تخفي توترها:

- سأتصل بريس.. وهو سيتولى المهمة بنفسه.

لم يتمكن من التحكم بقهقهته الساخرة التي ابجسها بغل قبل ان يردف بتهكم اغاظها:

- اتصلي به حبيبتي حالا.. لا تصدقين كم اخافني تهديدك لي بصديقي.. من شدة خوفي سأقفز من اليخت.

- لا تسخر مني او من اخي اوس.

حذرته بعنف، رافعة اصبعها امام وجهه ليحتقن وجهه بدماء مشتعلة غضبا.. وبلمحة انزل يدها بعنف، زائرا بحدة:

- عدن انت تجهلين انك تكلمين زوجك لا غريبًا ولا اوس القديم.. احترميني لأحترمك.. انتِ تعرفين مدى طيبتي وحنيتي.. ومن الأفضل ان تعرفي ذلك فقط لأن غضبي وضيقي شائنان للغاية ولن تتمكني من التعايش معهما ابدا.

- اعدني الى الفندق اوس.. اطلب من سائق هذا اليخت القبيح ان يعود ادراجه الى الشاطئ.. لا اريد المكوث بهذا اليخت بعد الان.

هتفت بضيق ومقلتيها التي لمعت بعبراتها تجبره على الخنوع والإستسلام لعطف وحنو قلبه الذي لا يرى سواها فزفر قبل ان يرمس جسدها ووجهها في صدره ويهمس بحنو:

- لماذا المشاكل عدني؟! اتبغين ان نحوّل فرحتنا الى نكد وحزن من اجل سبب تافه لا يسوى؟! اجيبي يا حبيبة اوس.

- انت ماكر، تجيد اللعب على اصوله.

تمتمت بسخط، مجففة دموعها في بلوزته الرياضية البيضاء كقطة ناعسة ليضحك رغما عنه ويردف بحب:

- معك اكون كل شيء ودونك لا شيء.. ولكن ارجوك لا تمسحين وجهك في بلوزتي.. فقد امتلأت بمساحيق تجميلك الكثيرة.

قهقهت وهي تضربه على صدره بخفة وهمست بإستفزاز:

- انا لا اضع مساحيق تجميل وانت تعلم حبيبي.. لذا حاول اغاظتي بشيء اخر.

- لاحقا حبيبتي لاحقا.. بعد ان تنتهي هذه الجولة المملة.

هتف بمكر لتضحك وتغمغم بعبث:

- انت استأجرته يا حبيبي ليوم كامل اذ نسيت.

- تبا لي.. لا يهم يوجد غرفة هنا زوجتي.

اجابها، غامزا بعينه لتستشري الحمرة اللاهبة في وجهها وتتمتم، مغلغلة نفسها في صدره العضلي:

- مغواري الشقي.

حاوطت راحتيه ظهرها، مقربا اياها اليه اكثر وهو يضحك على خجلها قبل ان يهمس بنبرة هائمة:

- ومغوارك الشقي يعشقك امرأتي.

****

فهمت لين ما يتمحور في عقلية زوجها وهو يغير المسار الذي يؤدي الى قصر جدهما ويسلك مسارا اخرا لتبتسم بحب على طيبته وحنيته التي تعشقها.. وما هي الا دقائق معدودة لتتلاقى فضيتها بذهبتيه عبر مرآة السيارة ريثما ركن السيارة بجانب مشفى خاص بأمراض السرطان.. شعّت له رماديتيها نظرات فاخرة وهائمة لتتلقاهم مقلتيه العسلية اللامعة بحب ويغمغم:

- ها قد وصلنا.

- لماذا اتينا الى هنا ريس؟! انا..

تساءلت ترنيم بإرتباك وخجل مما يفعله ابنها معها لترد لين بدلا عن زوجها بإبتسامة حانية:

- لا تقولي شيئا امي.. فقط استسلمي لما يفعله ريسي لأجلك يا غالية.

ابتسم ريس على طيبة زوجته النادرة وهمس بهدوء:

- لنصعد الان.

وما ان ولجوا الى طيّ المشفى هتف بجدية:

- دقيقة وسأعود.. لا تتحركا من مكانكما.

اومئتا له بإبتسامة ليختفي عن انظارهما وتردف ترنيم بإمتنان:

- انا حقا لا اعرف كيف اشكركما.. كل ما تفعلاه لأجلي ثمين جدا وكثير لا اقدر على تعويضه.

- امي.. انتِ ام ريس.. كل ما يفعله لأجلك لا شيء.. هذا واجبه ولا اكثر.. صحيح انتِ اخطأتِ مسبقا ولكنك نادمة وهذا كافٍ.. ريس قلبه طيب.. حنون لأبعد حد.. اسأليني انا وعدن لنؤكد لك ان ما يفعله لك ريس لا شيء بما سيفعله لاحقا لأجلك.

همست لين بنبرة تبث الدفئ في النفوس قبل ان تضع يدها على يد ترنيم وتبتسم بتشجيع لتعانقها الاخرى دون شعور وتغمغم ببكاء واهن:

- يا اللّه!! لين انت نعمة من عند اللّه.. وللّه مكانتك في قلبي الان اعز من مكانة اولادي نفسهم.. انتِ شمعة استثنائية دونها لكنت في ظلام دامس.

ابعدتها عنها بحب وكفكفت لها دموعها بأسالة ودمدمت بحنو:

- فليديمك اللّه لنا يا امي الفاتنة.

ثم استطردت بشقاوة حال ما انتبهت لحبيب روحها يقبل نحوهما:

- ها قد اتى بكرك ومعه دكتورة وليس دكتورا..

ابنك يغار عليك يا قمر.

- السلام عليكم.

هتفت الطبيبة التي تبدو في عقدها الخامس من عمرها ريثما توقفت امامهما ليردا التحية لها بإبتسامة لتسترسل قائلة:

- تفضلي معي سيدة ترنيم.. ابنك تحدث معي اليوم وحجز لك غرفة خاصة في المشفى لنبدأ في العلاج.

- ولكن..

تمتمت ترنيم بتوتر ليقاطعها ريس بجدية حازمة:

- ستذهبين معها امي وتتلقين العلاج حتى تشفين وتعوضيني انا واخوتي على السنوات التي ضاعت هباء..

سأعود مساءا انا ولين وسأحضر جواد معي.

ثم صمت لوهلة وهو يوغل انامله في جيب بنطاله الرمادي ويخرج هاتفا حديثا ليضعه في يدها مستأنفا:

- هذا هاتفك.. رقم هاتفي ورقم هاتف لين مسجلان به.. وانا سأتصل بك وبالدكتورة كل ساعة.

- اشكرك بني.

غمغمت ترنيم بدموع لتنبسط شفتيه لها بإبتسامته الآسرة التي تقشعر لها مسامات لين توقا وشوقا اليه.. ثم ودعها بضمة دافئة حشرجت خفقاتها الامومية وهي تشد على عناقه الدافئ قبل ان تسمعه يوصي الطبيبة عليها ويغادر برفقة زوجته التي فعلت مثله..

اتكأت لين برأسها على ذراع زوجها وهو يقود وهمست:

- ريس انا احبك.

- وانا اكثر يا عشقي.

اجابها بإبتسامة، موزعا انظاره بينها وبين الطريق الذي امامه لتردف بمرح:

- اذا لنتجول قبل ان نذهب الى جدي.

- اين تودين الذهاب يا ماكرة؟

هتف يعبث لتضحك عاليا وتدمدم:

- لم ترى شيئا بعد من مكري.. ارغب في تناول المثلجات على البحر.. هيا خذني الى هناك.

- حبيبتي بدأت تتوحم.

غمغم مقهقها ليزدهر الإحمرار في وجهها ويعتليها الخجل وهي تتذمر بصوت منخفض:

- ريس.. لا تنسى انني حامل بطفلين.. واذا غضبت ستواجه مشاكل عديدة يا زوجي الحبيب.. لذا نفِّذ كل ما اقوله بالحرف الواحد دون اي جدال.

- انا حر.. اود اغضابك لأرى ما ستفعلين.

تحداها بشقاوة لتتمتم بغيظ متحدي:

- اوقف السيارة اذا كنت واثقا من كلامك.

- من عيوني ام ليث.. ها قد وصلنا اساسا.

اردف بمرح لتسحبه اليها من ياقة قميصه الأسود ما ان قَنِع السيارة بجانب البحر وتهمس بمكر:

- لنرى اذ كنت واثقا فعلا.

وقبل ان يستوعب ما فعلته كانت تجرفه معها بقبلة شغوفة الى سحابة الغرام لتنقاص رابطة جأشه.. وما ان تولى هو دور المبادرة ابتعدت بصعوبة ليتذمر بحنق ويجذبها اليه بقوة لتضع

كفها على فمه متمتمة بخبث:

- انت تستحق العقاب حياتي.. اياك ولمسي دون اذني.

- لا بد انك تمزحين لين!

تشدق مبهوتا من تصرفاتها المفاجئة لتغمغم بلا مبالاة:

- لا.. انا جدية.

اكتنف الضيق ملامحه الرجولية لتستولي كفيه على ذراعيها بعنف ويجذبها اليه، موغلا شفتيه بين شفتيها ومرتشفا من سلسبيلها العذب بكل نهم، جارشا كل مقاومتها بهيمنة رجوليته الفذة قبل ان ينتزح عنها، مسندا جبينه على جبينها وهامسا بخشونة عاطفية:

- لا شيء يبعدني عنكِ.. حتى انت.. والان لننزل حتى نشتري لك ما تودين يا متغطرسة.

- كالموج انت يا ريس، يُصعب معرفة كيف هي ردات فعلك.. قاسية وقوية ام ناعمة وضعيفة.. في جوفك لغز معقد.. كلما حاولت حلّه وافراج عقده تنتصر علي انت.

دمدمت بصعوبة، مسبلة رموشها الكثيفة كستار من سواد حالك يحجب رماديتيها اللامعة والواهنة امامه ليبتسم بغرور صنديد مُراوغ:

- لا تحاولي عبثا حبيبتي.. كل ما عليك معرفته هو ان كل ما يطوف في اوصالي هو انتِ.. عشقي لك يا امرأة العجائب.

- كلامك بات يرضيني.. انت تجيد اللعب جيدا في معارك المكر والخداع.. ولكن ايا ترى غرورك وعقليتك الرجولية ستهزم كيدي انا؟! كيدي ومكري

لن تتمكن من تحملهما ابدا.. انا لين.. تذكر ذلك عزيزي.

ردت عليه بثبات غريب عليها قبل ان يكون عليه ثم سرعان ما انبثقت من السيارة متابعة بفظاظة:

- انهض ايها المستفز واشتري لي.

- زوجات اخر زمن!

هتف بسخط، مترجلا هو الاخر من السيارة، ازفا منها لتهز كتفيها وتدمدم:

- هذا ما يستحقه رجال اليوم.

- اذا لا تلقي علي جم اللوم حينما اقرر ان اتزوج.. انظري الى هذه الفتاة كم تبدو جميلة.

غمغم بخبث ليحتقن وجهها بغضب وغيرة شرسة ثم سرعان ما كانت تسحب يده وتعضها بكل

قوتها ليصرخ بوجع، محاولا نزع يده من بين طيات اسنانها المتوحشة دون فائدة وهي تضغط بكل سخط.. فتأوه بألم:

- يا مجنونة فضحتينا! دعي يدي.. شوهتيها لي.

لم تحرر اسنانها يده الا ريثما احست بطعم الصدأ في فمها لتدفعه، مزمجرة بشراسة:

- كرِّر ما قلته.. واقسم باللّه لن اتردد في تشويه وجهك القبيح وتمزيق شعرها المقرف.. جربني يا ريس.

- اعوذ باللّه من الشيطان الرجيم.

تمتم مذهولا وهو يفرك يده مكان عضتها الواضحة لترمي عليه نظراتها الحارقة ليزدرد لعابه بصعوبة ويستطرد مازحا بتوتر:

- وللّه كنت امزح حبيبتي.. لم اعرف انك تغارين علي لهذه الدرجة.. هل من معه القمر ينظر الى النجوم يا قلبي؟

- هذه الشمطاء ليست بنجمة حتى.. اياك ومقارنتي بأحد يا ريس.. من الأفضل ان ابقى لين التي تعرفها صدقني.

حذرته بوحشية ورماديتيها الهادئة التي اعتدها دوما تثلب اسهم حارقة عنيفة قبل ان يقبض كفها على كفه بخشونة متملكة صدمته وهي تجره بجانبها ليكتم ابتسامته بصعوبة على تصرفاتها التي اضحى يهواها والتي باتت ترضي قلبه المغرور التائه بغرامها..

****

ربضت شام على ساقي زوجها الجالس على الاريكة بشرود لتطوّق راحتيه خصرها ويبتسم مدمدما:

- ذات يوم ستقتلينني بجمالك هذا يا قصيرة.

- لست قصيرة.

تذمرت بحنق ليقهقه وحدقتيه السوداء تلتهم جمالها الجذاب.. كانت تتأزر بنطالا اسودا ضيقا وبلوزة بيضاء دون اكمام وضيقة عند الرقبة يظهرا منحنياتها المغرية.. وشعرها المتموج ينحدر على طول ظهرها

بعجرفة وتباهٍ.. فاتنة!! هذا هو الوصف الذي من الممكن ان يلائم جمالها الذي تفنن الخالق بأيقونته..

همس، متنسما اريجها المستطاب:

- بل قصيرة.. واجمل القصيرات.

- حسنا اذا.. كما تشاء يا وسيم.

غمغمت بإبتسامة واناملها تعبث بخصلاتها المجنونة التي تثير حنقه ليبعد اناملها بضيق ويهتف بسخط:

- لا تلعبين بشعرك شام.. هو ملكي.. انا فقط.

قهقهت غير مصدقة وهي تحاوط عنقه بحب:

- ممم.. منذ متى اصبح ملكك يا حبيبي؟!

- منذ اللحظة التي استلب منها حواسي وشتتها.. اساسا كلك ملكي يا شام دنيتي.

رد بنبرة هائمة وهو يوغل انامله بين طيات خصلاتها العنيفة لتردف بشقاوة:

- وانت ملكي اذا.

ثم تابعت بتساؤل:

- الى اين سنخرج اليوم جود؟

- لا ادري.. الى اين ترغبين بالذهاب؟

اجابها بهدوء لتردف بتفكير:

- وانا لا ادري.. هناك الكثير من الأماكن في تايلند التي بإمكاننا الذهاب اليها.

- اذا لنخرج لاحقا.. الان دعيني اقوم بعملي جيدا.

تمتم بعبث وسودوتيه تزداد كُهبةً امست تدركها جيدا ثم سرعان ما كانت تنجرف معه الى وطن مُسالم ليس به عدو ولا مقاتل وهو يغمسها بعاطفته التائقة دون قيود ودون اغلال تكبل همساته وقبلاته الشغوفة..

****

بعد بضعة ايام..

وقف يصفق مع الحضور بفرحة استشرت في ثنايا اعماقه وهو يتأمل صغيرته الحبيبة تتلقى شهادة تخريجها

وترافقها شهادة امتياز بسبب تحصيلها الدراسي المتفوق..
ها هي حبيبته كبرت وتخرجت بتفوق وقريبا ستصبح له وسيعلمها بنفسه لتكون فخرا دائما له ولأسرتها الصغيرة..

توسعت ابتسامته حينما رأها تقبل نحوهم بجسدها الذي يتمايل كعارضات ازياء وقامتها الممشوقة والتي زادها طولا كعبها العالِ..

- انا سعيدة لأنك اتيت جواد.

همست ريما بإبتسامة ريثما توقفت امامه ليرد عليها مبتسما ابتسامته التي تلهب فؤادها حبا به.. وتشع حدقتيه لها نظرات الفخر التي ابهجت لبها وروحها:

- مبارك لك التخرج والتفوق يا ريما.. ترفعين الرأس ولله.

استفحل الحبور في اوردتها وشرايينها واذنيها تستمع الى مدحه بها وتعززه بما اجتهدت عليه طوال سنوات دراستها لترد بخجل:

- اشكرك جواد.

- الن تسلمي علي؟! نسيتني انا!

تمتمت لورين بضيق لتضحك بحنو قبل ان تنحني لتقبلها وتردف بكل حب:

- لك اجمل السلام يا اميرتنا الصغيرة.

- حبيبتي ريما.. بمناسبة تخريجك سأخبرك امرا جميلا سمعت جدتي وجواد يتكلمان عنه.

همست الصغيرة بفرحة وحماس ليتبادل جواد والجدة النظرات المتوجسة، خشية مما ستقوله هذه الطفلة.. وما هي الا ثوانٍ معدودة كانت تغمغم بلهفة:

- قال جواد انه سيطلب يدك اليوم لتكونين له زوجة.. اي سأكون انا ابنتكما وستكونين انتِ الملكة وهو الملك وانا الأميرة الصغيرة كما كنتِ تخبريني دوما.

ضربت الجدة على رأسها بكفها بسخط على ما تفوهت به لورين التي كشفت كل ما خططت له هي وجواد ثم نفثت بغيظ شديد ما قالته، موزعة نظراتها بينها وبين حفيدتها

ريما والتي اطرقت رأسها خجلا وارتباكا من عبوس جواد ونظراته الحانقة التي اطلقها كالحجارة على لورين:

- لورين منذ متى تكذبين؟! كلامك غير صحيح.

اغتاظت لورين من كلام جدتها لتندفع مفشية عن كل ما سمعته:

- بلى انا اقسم.. سمعتكما اليوم تتحدثان وتتفقان على الهدية التي ستحضرانها لها.. وحتى انني سمعتكما تتشاوران على من ستدعون الى الحفلة التي حضرتما لأجلها الليلة و..

- كفى.. جدتي يجب ان نغادر حالا.. رأسي سينفجر.

قاطعها جواد بامتعاض لتصمت خوفا من صراخه قبل ان تتابع بطفولية:

- جدتي دوما معها مسكنا لوجع الرأس فهي طوال الوقت رأسها يؤلمها لذا خذ منها بعد الأقراص قد تطيب.

- لولو تعالي حبيبتي لنغادر.. الا تودين ان تري ما احضرت لك؟

هتف جواد، صاكًا على اسنانه وهو يمد يده لها لترد عليه بضيق:

- لا اريد.. هدية ريما اجمل من هديتي وانا اعرف ما هي وسأخبر..

وقبل ان تتابع ما تقوله اسكتت كلماتها التي لا تعرف السكوت يد جواد التي وضعها على فمها قبل ان يحملها بسرعة ويغادر غاضبا لتقهقه ريما بسعادة وخجل.. اه كم ترغب في تقبيل اختها.. ولأول مرة تعرف قيمة الاطفال في حياتها.. وخاصة اذ كانوا مثل اختها لورين..

****

بعد مرور ثلاثة اشهر مفعمة بالأحداث الكثيرة، كان قد تم خطبة جواد لريما وسط بهجة العائلة وحضور ترنيم المرهقة جسديا ونفسيا من علاجها الذي انهك جمالها وحطم ثقتها بنفسها.. الا انها كانت تستجمع قواها المهلكة من اطفالها الذين غفروا لها كل جرائمها

الفادحة وعفوا عنها بشرط ان تتلقى العلاج وتعوضهم عن سنواتهم التي حُرموا بها من حضنها وحنانها..

وبالرغم من كل خوارها الا ان الاخبار التي كانت تصلها كانت تسرّ وجدانها، وخاصة حمل ضناها عدن الحديث.. ومع كل ما مرت به من فرح وترح لم تقدر على اخفاء خوفها على زوجة ابنها لين والتي لم تعد قادرة على القدوم لها وزيارتها بسبب حملها وهي مريضة قلب..

اما بالنسبة لريس فهو اكثر من كان يعيش في دوامة رعب وقلق.. فها هي زوجته قد انتقلت الى المشفى بناءا على طلب الطبيبة التي تخشى تدهور حالتها الصحية او ولادة مفاجئة وخاصة لأنها حامل بتوأم فهناك خوف كبير على قلبها..

من جهة هناك والدته ومن الجهة الاخرى هناك زوجته.. لم يعد يعرف الى كم قطعة سيُقسِّم نفسه.. الإرهاق صار بادٍ بوضوح على ملامح وجهه الصلدة.. لم يعد ينام كما يجب.. تارة ينام في المنزل وتارة عند زوجته وتارة اخرى عند والدته..

القى سائر الأعمال في شركته على كاهل اخيه جواد الذي تفهم وضعه بكل تؤدة.. ورحَّبَ بمساندته في الشركة وبالإعتناء بوالدته.. فهي ايضا امه ومن واجبه الاهتمام بها..

دلف ريس الى المقصورة الراقدة بها زوجته ليجدها على نفس الوضعية الذي اعتاد على رؤيتها بها مؤخرا.. كانت قابعة على السرير، واضعة كفها على بطنها الذي برز انتفاخه، وشاردة بما لا يدركه.. لم تعد لين الذي عرفها في بداية حملها بل باتت انطوائية، لا تتكلم الا قليلا.. وهذا اضحى يثير هاجسه عليها..حاول رسم الإبتسامة على شفتيه الذابلة وهو يدنو منها ، مغمغما:

- السلام عليكم يا ام ليث.

تيقظت الى صوته الذي تعشق نغمته وردت وهي تتنهد بخور ريثما احست بقبلته الدافئة على جبينها:

- وعليكم السلام ريس.. كيف حال امي؟

- هي بخير.. مشتاقة لك للغاية.

اردف بحب لتومئ وتهمس بصوت واهٍ:

- وانا ايضا ريس.. عليها ان تتعافى لتربي اطفالنا اذ لم اتمكن من النجاة خلال الولادة.

- لا سمح الله يا لين.. اياكِ وتكرار هذا الكلام الغبي مجددا.. انتِ ستعيشين وسنربي اطفالنا سويا وننجب العديد من الاطفال.

قاطعها بحدة لتتدحرج دموعها مدرار على وجنتيها الشاحبة وتنشج ببكاء سلخ روحه بلهيب حارق:

- انا خائفة.. والله خائفة.. انا لا اعترض على حكم ربنا.. الحمد لله على كل حال.. ولكنني خائفة من عدم رؤيتي لطفلَي.. خائفة من تركهما دوني.. من سيعتني بهما؟! من سيرضعهما؟! من سيسكتهما ويهدئهما اذ استيقظا باكيان في الليل؟! اموت خوفا عليهما.. قلبي يؤلمني جدا ريس.. ابقى واضعة يدي على بطني لأشعرهما بوجودي وحناني اذ لم اقدر على فعل ذلك

لاحقا.. اخبرني كيف اخمد قلقي لأعود لين القديمة؟؟ لأتمكن من العيش براحة.. اخبرني يا ريس.. اخبرني.

استفحلت واستشرت الغصة المريرة في حلقه لتدمع حدقتيه وهو يدسها بين ثنايا صدره، متمتما بنبرة مخنوقة تُعبّر عن المه وجزعه:

- ثقي باللّه.. ان اللّه اذا احب عبدا ابتلاه.. وانا ندرت يا لين اذ خرجتِ لي سالمة انتِ وطفلاي من غرفة الولادة لأذبح خروفين واوزعهما على الفقراء.. كل ما علينا فعله الان يا قلب ريس هو الدعاء.. فليس لنا معاونا غير اللّه عز وجل

الخاتمة

أُغلقت دفاتر ذكريات الصبو يا حبيبي..

طبّقنا عليها بأغلال من مستقبل مجهول..

روحي تحترق على الأيام الفائتة.. تحترق كثيرا..

اموت لوعا وكمدا على ناصية الرصيف..

تلاحقني العيون المستفهمة وتتفاقم العبرات..

اعيش لحظات نادرة الكآبة والإبتأس..

ها هي الغربة تدنو مني اكثر واكثر..

تستلني اليها قسرا دون ان ترأف بقلبي المُتيّم..

اتساءل عن ثواني التنائي المُفجع..

اتساءل ولا اقدر على التساؤل عن الدقائق..

اخاف ان تطول واتوه يا حبيبي..

اخاف وخوفي طويلا.. اطول من لحظاتنا..

لم يعرف ماذا يفعل بعد تلقيه هذا الجواب الذي لم يفكر به قط.. خذلان ووجع عميق يتفشى في اوبئة جسده المتهالك على الأريكة الممزوجة باللونين الأسود والأبيض.. لما كل من يفكر بها قلبه ويميل لها لا

تكون له؟! يا اللّه.. ماذا ينقصه؟! لماذا دوما يكون مكبلا بالعطاء والتنازل امام غريمه؟! الى متى؟! كانت امله الوحيد.. ولكنها خطبت!! ويا للسخرية خطبت ابن عمها التي تكلمت عنه في المانيا.. يعرف انه كان يطلبها مرارا وتكرارا دون ان يمل صبره ودون ان يضيق صدره يأسا من النيل عليها ذات يوم.. وها هو قد تم مبتغاه..

احمد.. اسمه احمد وفقا لما يتذكره.. لماذا وافقت عليه؟! لماذا؟! كان يبصر نظرات الحب في عينيها الجميلة حينما يتهاتفان معا.. على الرغم من حبه لعدن الا انه معها يكون باله مشغولا بها.. هي وحدها.. رؤى... ولكن يبدو ان فؤاده عليه الإعتياد دوما على الطعنات المفجعة.. السقم يبث حرارة تأوهاته في روحه التي يأست من تناول ثمرة العشق التي تبدو محرمة عليه..

لا زال رد اخيها عمرو المعتذر بحزن يجلجل في اذنيه..

"انا اعتذر منك قيس.. رؤى خطبت ابن عمي"

قدره محتوم.. عليه ان يذق مرارة الحب.. مرارة الرفض..
مرارة الوحدة الى ان يفرج اللّه ابواب الخير عليه..

مالت مقلتيه العشبية على اخيه الصغير، النائم على فخده بتعب وحنان.. ثم مرر انامله في طيات شعره القصير..

مراد اهم ما لديه في الدنيا كلها.. شقيقه الذي نال على ما يكفي من الالام والاحزان.. الذي لم ينعم بطفولة عادية كباقي الأطفال، بل ولم يقتات طعم الراحة حتى لو لأيام قليلة.. عانى الكثير من عدة اناس سلبوا منه بهجته ولمعة حدقتيه الذابلة..

اه من مقدار الحقد الذي يكنه نحو والده.. يرمي عليه اسهم اللوم.. بسببه والدته توفت.. بسببه تشردت.. بسببه اخيه مراد فقد قواه العقلية لفترة طويلة.. لو انه لم يُطلّق امه ويتزوجها مجددا دون معرفة احد ويطلقها مرة اخرى لما كانت الأمور الت لما هي عليه الان..

عادت ذكرياته الى الكلمات التي لفظتها والدته قبل ان تغادر الحياة.. الى قبل ما يقارب العشرة سنوات..

"همس بصوت باكي مليء بالمخاوف:

- امي.. ابي سيأتي.. اتصلت به.. اصبري ارجوك.

- ا.. اياك يا قيس ان.. ان يعرف والدك ان مراد حي.. لن يعرف ابدا.. كما اخفيناه دوما عنه.

غمغمت بتقطع ووجهها المتعرق يزداد شحوبه ليتأمل بركة الدماء التي تحيطها ويتوسلها ببكاء حاد:

- كل ما تودينه سأفعله.. لكن ارجوك لا تتركيني.. انا ومراد ليس لنا غيرك.. من دونك لا شيء.. ارجوك يا امي.

- انا.. ااا.. اتألم يا بني.. ظهري يؤلمني للغاية.. الوقعة.. ليست هينة.. وهذا.. وهذا الشيء الذي في ظهري يقتلني وجعا.. لا تنسى الوعد يا قيس.. اعتني بشقيقك الى الرمق الاخير الباقي في عمرك.. ا.. احبك بني.

دمدمت بصوت واهٍ قبل ان تشاهد خضروتيه هذه اللحظة التي اضنت روحه.. لحظة نطقها للشهادتين ثم ذهابها بعيدا بعيدا عنه.."

كلما يتذكر ذاك اليوم القاسِ تتدحرج القطرات البائسة والحارقة على وجهه.. يبكي كطفل لا يتعدى عمره الخمسة سنوات.. يبكي بكاء طفل يتيم.. دموع يتيم سلخوا روحه بظلم وعذاب مرير.. يبكي الى ان يستمع الى توسل عيناه بالتوقف لتتمكن من صد دموعه المكدومة.. يبكي ويبكي عسى ان تأتيه ضمة والدته من حيث لا يحتسب.. تلك الضمة الحنونة الدافئة..

تطلع الى اخيه بأسى وهمس:

- سأحميك بروحي يا مراد.. انا سأغادر ذلك المنزل.. لم يعد لي ما افعله به.. حانت الساعة الحاسمة.. اتعرف ان مظهرها بعد ان وقعت من الشرفة لا يزال في رأسي؟!
بكاءها واختناقها.. طلباتها وامانيها.. كل شيء يا اخي.. امي لا تُنسى.. أمنا يا مراد.. أمنا.. غدا سنسافر.. اعدك.

تأكد بأنه قد غفى ليتصل بالمرأة العجوز الذي وكلها بالإعتناء بشقيقه قبل ان يتابع مساره الى النهاية التي سيختتمها بنفسه..

ولج الى المنزل الذي دوما بغضه ونادى بصوت عال:

- ابي.. ابي..

وما هي الا ثوان معدودة ليُقبل عليه صوته وصوت زوجة والده التي كانت دوما طيبة معه.. فإبتسم بتهكم وهتف بنبرة ثابتة لعائس مجروح:

- انا مسافر غدا.. سأغترب.. لن اعود الى هذه البلدة مجددا.

توسعت ابتسامته بتشفي على الصدمة التي اكتست ملامح والده الذي رد مبهوتا:

- ما الذي تقوله يا قيس؟!

- الذي سمعته.. انا لا اريد ان اكون متواجدا في نفس المكان المتواجد به انت.

اردف بجمود ليزمجر والده بغضب:

- لن اسمح لك قيس بذلك.. اياك ان تتحداني.. منذ متى وانت بهذه الوقاحة؟!

- منذ تلك اللحظة التي فارقت بها والدتي الحياة وتركتني لك.. منذ اللحظة التي جعلتها دمية بين يديك، تحركها على مزاجك.. تارة تتزوجها وتارة تطلقها.. لعبت بمشاعرها كثيرا يا ابي.. دمرتها كثيرا.. انا احقد عليك.. لا، بل انا اكرهك.. تزوجتها اول مرة علنا وبعدها طلقتها وتزوجت هذه المرأة التي امامي.. وتزوجت امي مرة اخرى سرا وطلقتها.. انا اكرهك.. بسببك فقدت امي.. بسببك اعاني ما اعانيه الان انا والكثيرون.. لا اود رؤيتك.. اسمعتني؟

صاح بصوت مقتد حقدا وكرها ليزدرد والده لعابه قبل ان يهتف بنبرة جامدة باردة:

- ما حدث بالماض قد حدث.. تصرفاتك هذه لن تعيد امك الى الحياة يا قيس.. ضع هذا الكلام في عقلك.. وانا كيف تصرفت مع امك فهذا يعود لي وحدي.. انا من

يقرر لا انت.. الشخص الوحيد الذي كان يحق له الإعتراض هو امك ولكنها لم تفعل.. فلن اسمح لك على مناقشتي الان بهذا الموضوع.

فقد رجاحة تفكيره وهو يستمع الى كلمات والده الغير مبالية ليدفع المزهرية التي بجانبه بكل غضبه لتنكسر الى اشلاء صغيرة كإنكسار الطفل اليتيم المحروم في جوفه قبل ان يجهر بصوت حاد:

- هذه امي!! امي يا انت!! استغليتها والمتها بما فيه الكفاية.. كلامي لن يأتي بفائدة معك.. انا سأسافر.. لن ابقى مع الانسان الذي حرمني من امي بحقارته.. وداعا.

- بني.. انتظر.

همست زوجة والده المصدومة بما هتف به ولدها بالتربية ببكاء ليتوقف للحظة قبل ان يغمغم بخشونة:

- اشكرك امي على كل ما فعلتيه لأجلي.. سأتصل بك من حين الى اخر.

وفي مطار باريس وبعد ان هبطت الطائرة ترددت يداه في الرد على المكالمة التي تصدر من عمرو فطالعه مراد بإستغراب واردف بحيرة:

- تلفونك يرن قيس.. لماذا لا تجيب؟!

- سأرد حبيبي.

اجاب بإبتسامة قبل ان يرد على المكالمة:

- السلام عليكم.

- كيف حالك قيس؟

اتاه صوت عمرو المرتبك لتنكمش ملامحه بإستفهام ويجيب:

- الحمد للّه بخير.. وانت؟

- الحمد للّه.. لأكون صريحا معك.. اود ان اسألك اذ كان عرضك قائما؟ اقصد طلبك للزواج من اختي.

غمغم بخجل لتزداد معالم الحيرة على وجه الأخر وهو يهتف بهدوء:

- اجل يا عمرو.. ما زال قائما.. ولكن لماذا تسأل؟! اليست رؤى خاطبة الان؟!

- انفصلت عن احمد عندما اخبرتها انك طلبت الزواج منها.. في الواقع لا اعرف سبب انفصالهما جيدا.

انبسطت شفتيه بإبتسامة واسعة بعد ان سمع ما قاله عمرو وتهلل فؤاده بغبطة واسعة.. اخيرا يا اللّه.. اخيرا بدأت ابواب الفرج تُفتح في دربه..

هو متأكد انها تكن له مشاعر الإعجاب.. ربما تأخر بخطوته هذه ولكنها ستصبح له اخيرا..

لم ينتبه الى نبرة صوته التي تضخ لهفة وسعادة وهو يتكلم ليقهقه الاخر عليه:

- اذا انا سأتقدم لأختك بشكل رسمي عمرو.. متى ان شاء اللّه تفضلون ان اتي؟

- متى ما تشاء صديقي.

اجاب عمرو مبتسما ليضع قيس يده على رأسه بضيق وهو يجول بحدقتيه في انحاء المطار، متمتما:

- في الواقع انا في باريس.. بعد اسبوع بأذن اللّه سأعود الى الوطن.. ولكن هل بإمكاني التحدث مع رؤى قليلا؟

- رؤى في العمل حاليا.. عندما تعود سأتصل بك.

- ان شاء اللّه.. نلتقي على خير اذا.

غمغم قيس قبل ان يغلق المكالمة ويتطلع الى اخيه الذي يناظره بتعجب ليهتف بفرحة:

- سأتزوج رؤى يا مراد.. الفتاة التي تحبها.. اخت عمرو.

- حقا؟

همس مراد بسعادة ليبتسم قيس ويضمه، مقبلا جبينه ورادفا:

- اجل يا اخي.. اجل.. وعد مني يا مراد انني سأسعدك دائما.

- قيس وجودك بجانبي يكفيني.. انا ليس لي غيرك.

- اعرف حبيبي.. هيا لنذهب الى الفندق ونرتاح قليلا قبل ان نبدأ جولتنا الممتعة في ضواحي باريس.

دمدم قيس بمرح ليقهقه مراد بسعادة قبل ان يسلكا مسارهما للوصول الى الراحة التي انتظراها طوالا..

****

مطر شَبِم ترشقه الغيوم المدلهمة لتفاقم من كآبة النفوس.. مطر اثيث غزير.. زلزل الجبال واغرق البحار وفلقَ الأراضي..

مع كل رعدة تضربها السماء كانت تتقفقف حول نفسها كطفلة صغيرة يتيمة لا كامرأة على وشك الولادة.. الذعر سيّج فؤادها لتتوه مقلتيها الدامعة كحبيسة تلفظ اخر انفاسها، متقصية عن مُنجِدها وملاذها.. باتت تخاف من كل شيء.. وهو يعرف.. زوجها يعرف كم اضحت تخشى هذا الفصل الذي كانت تعشقه قبلا.. هو يعرف ولكنه ليس معها ليطمئنها..

تصببت عبراتها الحارقة على وجنتيها وهي تتمتم باسمه باستنجاد.. قرأت المعوذات عسى ان يخمد رعب قلبها الذي يؤلمها.. مرّ دقيقة.. دقيقتين.. ولم تلمح له طيفا.. ايا ترى لم يتذكرها في هذه اللحظة التي تكاد تموت بها

من شدة فزعها؟! لما لم يقبل بعد ويضمها الى صدره، مقبلا جبينها وهامسا بأنه بجانبها ولن يدع مكروها يمسها؟!

كررت شفتيها المرتعشة اسمه مرات اخرى باستغاثة، راجية اللّه بأن يظهر امامها..

"ريس.. تعال الي ارجوك"

الهالة النفسية السيئة تحاصرها من كل الجوانب ليستشري الوهن واليأس في اعماقها اكثر واكثر.. وتحتد دموعها الاسيلة تدفقا..

هي في امّس حاجتها اليه ولكنها وحيدة.. حتى دون ممرضة او طبيبة تهدئ من قلقها..

عقارب الساعة تتحرك ببطء مؤلم ارهق لبها وروحها.. عشرة دقائق ولم يُفتح باب ردهتها بعد.. خمسة عشر دقيقة كذلك الأمر.. وها هو بعد عشرون دقيقة يدلف اليها، لاهثا انفاسه وقطرات المطر الباردة تنزلق من ثيابه وشعره على رخام الأرض..

ابتسمت بخور وهي تستشعر الدفء الذي يبثه في ثنايا روحها بضمته الحنونة رغم برودة جسده.. ثم همست بصوت واهٍ:

- تأخرتَ كثيرا ريسي.

- اعرف حبيبتي.. اعرف.. سامحيني.. كنت عند امي.. وانتِ تعرفين المسافة من المشفى الراقدة به هي والمشفى الذي تمكثين به انت.

غمغم بصوت اجش، موغلا انامله الشاحبة من شدة البرد بين خصلات شعرها العسلية لتهمس بصعوبة:

- انا كنت مرعوبة.. خفت كثيرا.

- انا معك.. دائما معك يا روحي.. سأحاول جهدي ان ابقى معك هذه الفترة في المشفى.

همس بنبرة دامئة فاقمت من ضغط اناملها المتزعزعة على قميصه الأسود وهي تردد بإرتعاش:

- اجل ريس.. ابقى بجانبي.. لم يبقى على ولادتي سوى ثلاثة اسابيع.. وبعدها قد اعيش وقد اموت.. فدعني اروي ظمئ عيناي التي تهواك على الأقل.

- لن يصيبك مكروها يا لين.. انت ترثين على نفسك وكأنك بالفعل على حفة الموت.. يجب عليكِ ان تكوني قوية وصامدة امام كل ما قد يضعفك.. يكفي ضعف وبكاء.. الم يكفيكِ كل الأشهر التي فاتت؟!

هتف بجدية لتتمتم بألم:

- ابقى بجانبي واعدك انني سأحاول.. كلما كنت بعيدا عني، انا سأتدهور اكثر واكثر.. قربك مني هو الذي يقويني ريسي.

- سأبقى يا حبيبتي.. سأبقى اذ كان هذا ما يرضيك.

غمغم بحنو، مقبلا جبينها بكل حب لتهمس بإبتسامة مرتاحة:

- انا احبك ريس.. اكثر من حياتي احبك.. اكثر من كل شيء.

- اكثر من التوأم ايضا؟!

تساءل بعبث لتقهقه بخفة وترد بصدق:

- اكثر منهما.. انت سلطان قلبي ومالكه.

- اعشقك يا نادرة الوجود.. اعشقك يا سيدة الوجدان.

دمدم بنبرة تنثر قطرات العشق على بساط حبهما لترفع رأسها اليه ودون اي قيود تولجه الى ساحة الغرام وهي تقبله بكل عرق في جسدها يعشقه قبل ان يتوها في غمرة الحب..

****

دلف الى منزله دون ان يصدر اي صوت ليتأمل بإبتسامة عاشقة تحركاتها الخفيفة التي يقوم بها جسدها الذي ازداد وزنه قبل ان يدنو منها ويدس انفه في حنايا عنقها الناعم، هامسا بعاطفة اجشة:

- اشتقت لك يا جنتي.

انفرجت شفتيها التي تأسره دوما بإبتسامتها الفاتنة وهي تستدير لتطوّق عنقه بذراعيها:

- وانا اكثر اوسي.. لماذا تأخرت في الجامعة اليوم؟

- لأنني مررت على الادارة.. وطلبت لك اجازة مؤقتة الى ان تلدي عدني.

اجابها، مقبلا طرف انفها الزاهِ لتتبرطم بحنق:

- ولكن هكذا لن اراك كما يجب.

- ستريني هنا حبيبتي.. سلامتك اهم لي من اي شيء في الدنيا.. اهم من طفلي نفسه عدني.

غمغم بنعومة اربْت من خفقات فؤادها الذائب هياما به لتسبل رموشها الطويلة وترد:

- اوسي حبيبي..

- ماذا كنتِ تفعلين قبل ان اتي؟ رأيتك تتحركين كثيرا.

تساءل بخشونة، متمالكا نفسه حتى لا يسحبها الى عرينه ويبثها اشواقه وعاطفته الشرسة لتبتسم، مستنبطة جيدا الى ما يشير اليه في سؤاله هذا.. هو خائفا عليها لأنها حامل ويتمالك نفسه بصعوبة حتى لا يؤذيها دون قصد.. فهزت كتفيها بلا مبالاة، هامسة:

- لا شيء اوسي.. كنت ابحث عن دفتر سيلين.. اوقعته في غرفتنا.

- هل كنتِ تدرسينها؟

دمدم متسائلا لتومئ بخفة وتردف بحنو:

- سيلين ذكية جدا اوس.. لديها عقلا لا يناسب جيلها.. انا على يقين انها سترفع رأسكم مستقبلا.

- ان شاء اللّه يا قلب اوس.

غمغم بإبتسامة دافئة لتهمس برجاء:

- اوس اود زيارة امي ولين غدا.. انت تعلم ان لين اقترب موعد ولادتها وهي في وضع سيء جدا.. وحبيبي ريس

يُقطع نفسه الى مئة قطعة.. امي، زوجته وعمله.. فليكن ربي بعونه وبعون لين التي لم تذق طعم الهناء كما يجب.

- بإذن اللّه ستقوم بالسلامة حبيبتي.. سنزور امك وزوجة ريس غدا.. بالتأكيد لن ارفض وقوفك بجانبهما.

اجاب بحنو، ممررا اناملة على شعرها الأشقر بحب لتردف:

- اللّه بعثك لي يا اوس لتعوضني على الحرمان الذي قاسيته.. انت روحي يا اوس.. احبك وللّه احبك.

وقبل ان يتمكن من الرد عليها كانت سيلين تقتحم الغرفة وهي تصيح بصوت عال فرح:

- عدن.. عدن.. انظري الى ما رسمت.

اغتاظ اوس من اندفاع اخته دون ان تطرق الباب لتضحك عدن عليه قبل ان تغمغم بإبتسامة رقيقة للصغيرة الشقية:

- اريني حبيبتي.

- تفضلي عدونتي.. اوس لماذا لم تُسلّم علي؟

تمتمت سيلين بحنق ليرد بإمتعاض:

- لأنك لم تطرقي الباب قبل ان تدخلي.

- واذا؟! ليس وكأنكما كنتما تقبلان بعضكما!! ها انتما مبتعدان عن بعضكما.. واساسا حتى لو دخلت ورأيتكما تفعلان شيئا شنيعا لن اشتكي الى امي.. فلا تقلق عزيزي.

تشدقت الصغيرة بوقاحة لتتنكمش ملامح وجهه ويزجرها بغضب:

- عيب يا بنت.. انتبهي الى الفاظك.. لا زلتِ في هذا العمر ولا اعرف من اين تأتيكِ هذه الأفكار الوقحة.

- وما هو ذنبي؟ انا رأيتك عدة مرات تُقبل عدن وكنتما منسجمان للغاية ما شاء اللّه.

اجابت بسخط قبل ان تقهقه وتستأنف بشقاوة:

- ولكن لا تقلق انا لم اخبر احدا بعد.. في الواقع انتما تفيداني كثيرا.. ونصيحة مني انتبها الى الاماكن التي تكونان بها.

- سيلين حبيبتي الرسمة جميلة جدا.. تعالي لنخرج.

اردفت عدن بتوتر وكل وجهها يشع حرارة من شدة الخجل والإرتباك.. تعرف ان اوس غاضبا من اقوال اخته وقد يحزنها ويضربها على افعالها وكلامها.. هي ما زالت صغيرة وبهذه الجرأة والتغطرس.. اذا كيف لاحقا؟!

وقبل ان تتحرك خطوة واحدة اوقفتها زمجرة اوس المتجهمة:

- توقفي عدن.

حاولت ان تتدخل لتهدئ من غضبه الا انه اوقفها بيده وهو يزلف من سيلين التي خافت من نظراته لتمسك بثيابها بتوتر وهي تسمعه يهتف بإحتدام:

- عدن انتظريني هنا.. وانتِ سيلين تعالي معي.

- لا اريد.

ردت بخوف وهي تتشبث اكثر بملابس عدن ليكرر مرة اخرى بنفاذ الصبر:

- لا تدعيني اكرر كلامي مرة اخرى سيلين.. انتِ تعرفين جيدا من اكون حينما اغضب.

تطلعت الصغيرة الى عدن لتومئ لها الاخرى بإبتسامة قلقة فخرجت برفقة اخيها الذي اولجها الى غرفتها وهدر بحدة:

- ما هذه التصرفات سيلين؟! منذ فترة وانتِ تتفوهين بكلام ليس لبقًا.. انا سكتُ كثيرا على الوقاحة التي تبذر منك.. من هن صديقاتك؟

- انا اسفة.

همست سيلين ببكاء ليصيح بعصبية:

- سألتك وجاوبيني.. من هن صديقاتك؟

- ليس لهن اي علاقة بي.. سأنتبه الى كلامي اوس.. ولكن لا تغضب.. اعدك انني لن اتواقح مرة اخرى.

اجابت وهي تبصر بالأرض خشيةً من غضبه ليهتف بتحذير:

- هذه اخر مرة سيلين.. والا ولله لن اتهاون معك.. لن اقبل بهذا الكلام من اختي التي تبلغ السادسة من عمرها فقط!! حسنا؟

هزت رأسها بإنصياع قبل ان تغمغم بنبرة باكية:

- اعدك.. ولكن اوس لا تغضب مني ارجوك.

تنهد بتعب قبل ان يحملها ويهمس بحنو، مقبلا شعرها الأملس:

- لن اغضب منك اذا وفيتِ بوعدك.. والان امسحي دموعك وانزلي واجلسي مع امي الى ان انزل انا وعدن.

ردت بموافقتها وهي تقبل وجنته بإبتهاج:

- احبك اخي.

- وانا ايضا.. هيا يا حبيبة اخاكِ.

اردف مبتسما قبل ان ينزلها ارضا ويتوجه الى حبيبته القلقة ليطمئن هاجسها المتوتر..

****

انصتت بحب الى ما يبجسه ثغر زوجها، المتمدد على ساقيها بإرهاق.. تتفهم عصبيته ولا مبالاته في بعض الاحيان.. تتفهم خوفه على اخته.. توتره الدائم.. ضغط عمله.. تتفهمه بحنان زوجة مخلصة..

تأملت عيناه التي تنغلق رويدا رويدا وهي تتلاعب بخصلات شعره الأسود بإبتسامة دافئة..

انتظرته الى ان يغط في اجتثامة النوم العميقة لترفع رأسه بصعوبة وتضعه برفق على الوسادة قبل ان تُقبل شعيرات ذقنه الخفيفة بحب وتنزل الى الأسفل..

انتبهت لها ليان الجاثمة في الصالة تُخيّط بعض الثياب الخفيفة لحفيديها المنتظران وغمغمت بإبتسامة:

- تعالي ابنتي واجلسي بجانبي.

تدانت منها بإبتسامتها الناعمة ورقدت بجوارها، هامسة بإنبهار وهي تشير نحو الثياب التي اعدتها:

- ما شاء اللّه! انتِ مبدعة امي.

- ليس كثيرا حبيبتي.. انا احب الخياطة منذ الصغر.. علمتني اياها امي.. وصغيرتي لين طلبت مني كثيرا ان اعلمها كيف تُخيط لكنني لم اقبل خوفا ان تتأذى.

دمدمت ليان بإبتسامة حزينة ودموعها تتكور في مقلتيها الشجية على ابنتها التي قد تفقدها بعد اسابيع معدودة لتضمها شام هاتفة بدموع:

- لين قوية خالتي.. انا صديقتها واعرفها حق المعرفة.. لكن هي بحاجة الينا لنكون سندا لها لذا لا تضعفي امامها واغمريها بحنانك هذا يا ام الكون.

- فليديمك الرب يا شام.. ولله انتِ مقامك في قلبي مثل مقام لين.. حتى قبل ان تتزوجي ابني جود.

اردفت ليان بصدق لتبتسم شام بحب وترد:

- اعلم يا غالية.. اعلم حبيبتي.

ثم استطردت بمرح وهي تبتعد عنها قليلا:

- ما رأيك ان تعلميني الخياطة اذا؟

قهقهت ليان مجففة دموعها بأناملها وغمغمت:

- مستغلة المواقف.. بالتأكيد سأعلمك.. كم شام عنا نحن؟

ضحكت شام بفرح قبل ان تقبل وجنتها وتهمس بحب:

- اجمل حماة في الوجود.

اندمجت شام في الخياطة لمدة طويلة وهي تستمع وتتطلع بتركيز الى ما تفعله ام زوجها قبل ان تنتبه الى صوت زوجها الذي وغل الى اذنيها بنغمته الخاصة لتلتفت اليه وتردف بحنو:

- استيقظتَ حبيبي..

هز رأسه بإبتسامة وهو يربض على الأريكة وسط والدته وزوجته مقبلا يد امه وجبين حبيبته لتغمغم ليان بحنو:

- ربي يحفظكما ويحفظ لين وزوجها.

- امين يا رب.

اجابا جود وشام قبل ان يتساءل بتعجب:

- ما الذي تفعلانه؟!

- امي تعلمني الخياطة.

اجابت شام بإبتسامة ليهتف بذهول:

- ولله انتِ محظوظة اكثر من لين.. لطالما اتعبت رأسي بطلبها ان اقنع امي كي تعلمها الخياطة.

- اعرف اخبرتني خالتي.

همست بإبتسامة دافئة قبل ان تتيقظ حواسها الى دموع ليان التي انهمرت بغزارة على وجنتيها لتشهق وتتصبب عبراتها هي الاخرى بشجن على هذه الاجواء الترحة التي تغلف افراد الأسرة اجمعها..

احتدت دموعها قوة وهي تتطلع الى حبيبها الذي ضم والدته محاولا ان يهدئ من روعها على شقيقته.. استفحل انين لبها وهي تُبصر بسودوتيه اللامعة بعبرات اسرَها بإستفحال..

"يا رب احفظ لين.. يا ربي احميها"

دعت بضعف في طيات عقلها.. استدعت من اجل صديقتها.. من اجل زوجها.. من اجل والديها وكل من يحبها..

تعرف ان لين كالشمس بالنسبة لهم.. اذ غادرت سينطفئ النور من حياتهم.. حتى بوجود طفليها..

ومع ذلك هي على يقين ان اكثر من سيتألم هو زوجها.. تعرف كم يعشقها.. ومن لا يعرف؟! حالته تزداد سوءا.. من يراه لا يصدق ان هذا ريس نفسه، الذي يعرفه الجميع بهيبته وقوته التي يضخها مظهره الرجولي! رأته بعض المرات لينشطر لبها على حال صديقتها وزوجها..

- ما الامر؟

هتف ادم الذي ولج لتوه الى المنزل لتمسح دموعها وترد بحزن:

- السلام عليكم عمي.. امي متعبة فقط.

اومأ برأسه بهدوء ثم دمدم بجدية:

- جود خذ زوجتك واتركني مع امك.. اود التحدث معها على انفراد.

- حاضر.

اجابه جود بخنوع قبل ان يمسك يد زوجته ويصعد برفقتها الى غرفتهما، واهبا كامل حرية

الحديث لوالديه.. وما ان اغلق الباب احس بعناقها الذي كان في امس حاجته اليه..

رفعها عن الأرض، ضاغطا على جسدها بجسده المضطرب لتتأوه بصمت من عنف ضمته.. الا انها لم تبخل عليه ابدا ببثه كلماتها الوقارة التي تهل فؤاده وتخمد اللظى المشتعل في ثناياه..

قبّلت ذقنه بحنو وهو يسير بها نحو السرير قبل ان يجلس ويضعها على حجره لتحيط رأسه بكفها الصغير وتقبله بكل ما تكنه نحوه من مشاعر واحاسيس..

ارادت ان تبجسه من هذا السياج القاس.. ارادت ان توهبه حنانها بلا اكتفاء وفعلت.. طمرته بهمسات ابجدية العشق

التي تعرفها.. ثغرها الذي لم يعد يتمنى لفظ اسما غير اسمه اغرقه بالقبلات الدافئة..

- كن قويا جود كما عهدتك دائما.. انا احبك والله.. يا ليتني اقدر على منحك قواي دون توقف.

همست بين قبلاتها ليوثق زمردتيها التي يهواها بين سودوتيه المتوهجة وهو يغمغم بخشونة عاطفية:

- لا تقولي اكثر يا وطني.. كلامك بحد ذاته قوة عجيبة لي.. انتِ قوتي يا شامي المهلكة.. يا وطني المرهق.

- معك اكون صامدة وقوية امام كل الفظائع جود.

دمدمت بصدق ليبتسم بخفة قبل ان ينضوا الى غارة الغرام التي تشهد على نقاء قلبيهما وصفاءهما..

وهناك في الأسفل هتف ادم بجدية:

- يا ليان اخبرتك مرارا ان البكاء لن يفيد.. انتِ تتشاءمين على البنت.. الدعاء وحده هو من سيفيدنا.. لذا

استدعي لها حبيبتي.. ان اللّه تعالى قال: "ادعوني استجب لكم".

- لا اله الا اللّه.. انا خائفة عليها يا ادم.. هذه لين.. صغيرتي.. وللّه قلبي يتقطع على حالها.. انا ام.. قلب الأم ضعيف يا ادم.. ضعيف جدا.

غمغمت ببكاء ليضمها الى صدره ويردف بحنو:

- لندعو لها يا ام جود.. لندعو لها.

****

ابتسم بحب على الفرحة التي تشعها مقلتيها.. ها هي خطيبته الصغيرة تسلك دربها المليء بالنجاحات بإذن اللّه الى الهدف التي تصر على نيله.. عازمة وطموحة.. احبّ هاتين الصفتين بها.. تعرف ما هي غايتها وكيف تصل اليها..

الإبتسامة الحبورة التي رسمتها شفتيها بعد ان سجلت نفسها بالجامعة لتصبح طبيبة متخصصة في مجال علم النفس انافت من عزف ترانيم فؤاده المغرم..

- جواد انا اطير من الفرح.

دمددت بنبرة مضحكة ليقهقه بصوت عال ويردف بحب:

- دوم الفرحة يا قلبي.

- جواد كم تحبني؟

غمغمت ريما بتغنج لتتنبسط شفتيه اكثر وتحتد كمانة فؤاده قوة في عزفها الناعم وهو يرد بصوت اجش:

- لا يجب ان تعرفي ريما ما دمت لمِ تخبريني بأنك تحبيني.

- انا احبك.

همست بخجل ليشابك انامله بأناملها ويغمغم بنعومة احلقتها الى غيوم السماء الداكنة:

- حبي لك يُصعب تقديره.. كبير جدا الى تلك الدرجة التي جعلتني انتظرك طويلا.. اقتحمتِ قلبي من اول مواجهة.. احبك الى الدرجة التي جعلتني اختلق اتفه الاسباب لأكون معك واراك.. الى تلك الدرجة التي جعلتني اراقبك من بعد.. بل انا تخطيت الحب يا

صغيرة.. تخطيته منذ زمن بعيد.. قريبا جدا ستصبحين زوجتي يا ريما.. بعد ان تولد زوجة اخي على خير ان شاء اللّه.

ادمعت لؤلؤتيها وهي تُمتع فؤادها بالحروف الصادقة التي يبجسها ثغره واجابت وهي تغرق بعينيه الجذابة بلمعتها الغريبة:

- يا اللّه كم احبك يا جواد.. ولكن عليك ان تحذر مني في امر واحد.

- ما هو؟!

تساءل رافعا حاجبة ليزداد فتنة ووسامة اثارا حنقها منه.. فأردفت بضيق:

- انني اغار.. اغار بجنون جواد، كما عرفت منكم كم يغار اخاك على زوجته واكثر.

- اتقبل ذلك بكل سرور يا ملكة القلب.

غمغم بإبتسامة وروحه تتهلل على مقّر العشق بإعترافها الصريح الذي اجج الغرور الذكوري في طياته بتوق وشغف لن يقدر العالم على تحملهما..

ها هي عقارب الساعات تتحرك ويتحرك معها الزمن، مهرولا للوصول الى هذه اللحظة الحاسمة.. اللحظة التي يخشاها..

صرخة واحدة منها زلزلت روحه واوقعت لبه في بئر من لهب..

خفقاته تشتد سرعتها.. عرقه يتصبب من كل انحاء جسده.. الطقس باردا ولكنه يختنق من النار التي تسري في دمائه.. يدور حول نفسه كالمجنون.. الذعر يتقمص روحه وينتزعها من جسده بلا هوادة.. سيجن من شدة قلقه عليها.. بكاءها رجرج اعماقه.. كالأسير لا يدري ما يفعل.. يراها تتألم ولكنه عاجزا حتى ان يخرج من الغرفة لينادي على الطبيبة التي ستولدها.. خوفه من ان تتركه استولى على ثبات عقله ليُقيد تفكيره السليم..

صرخة اخرى مدوية صدرت منها ايقظته ليضغط على زر نداء الممرضات بأنامل مرتجفة.. وما هي الا ثوانٍ معدودة كانت الدكتورة تدلف اليها مغمغمة بنبرة دامثة:

- سيد ريس اهدأ.. من المفضل ان تخرج.

لم يكن رشده معه ليستوعب كل ما تقوله.. بصره تعلق بها.. انكماشها على نفسها بوجع لا يطاق.. زوجته وحياته.. اذ اصابها مكروه لا سمح اللّه لن يقتات طعم السعادة ولو لثانية واحدة..

تفهمت الطبيبة حالته لتطلب من احدى الممرضات المتواجدات معها بالغرفة الإتصال بأحد ارقام عائلتهما التي سجلتها في حال حدوث ظرف طارئ.. ثم طلبت من الممرضة الأخرى التي بجانبها الإتصال بالطبيبة المتخصصة بمجال أمراض القلب حتى تحضر..

- ريس..

نادت عليه ببكاء ليتغلغل نشيجها البائس الى غور ثناياه ويحدق بها لوهلة قبل ان يخطو خطوات متوترة نحوها ويمسك يدها، هامسا بنبرة مخنوقة:

- ستعيشين يا روحي.. ستعيشين.. لأجلي واجل ليث وغيث..

قاومي ولا تضعفي.. سأموت دونك يا لين.. وللّه سأفقد عقلي.

- ابقى بجانبي وستهون كل الصعوبات حبيبي.. انتَ اهدأ واستدعي لنا ريسي.

تمتمت بتقطع وصرخاتها المكتومة تفاقم من الام مغصها.. دموعها تتدحرج على وجنتيها بتأوهاتها الخفيضة.. كالعود الهش تنعقف.. يا اللّه الألم والخوف يخدشان قلبها بمسننات بتّارة تزيد من الغصات الحارقة في حلقها.. على خط قصير تسير.. بين الحياة وبين الموت..

استشرى الوجع في كل خلاياها وهي تبصر دموعه التي تتدحرج كلما تبثق صرخة متألمة من بين شفتيها..

- سأبقى معك لين.. ولكن لا تتركيني.. يا اللّه.. يا اللّه صبرني.

هتف بمرارة وهو يقبل كل انش في وجهها لتومئ برأسها ببكاء..

ادمعت عينان الطبيبة وهي تتطلع الى هذا المظهر المؤثر بحزن.. ترغب بكل مقدرتها ان تعطي افضل ما لديها حتى لا تحرمهما من بعضهما.. لم تشاء ان تفرقهما وتطلب منه الخروج.. فربما وجودهما بجانب بعضهما يمدهما هما الاثنين بالقوة والدعم اللذان في امس حاجتهما اليه..

الوقت يمر والالام تحتد.. الطفلين يتشبثا في الحياة اكثر واكثر.. يجاهدان للخروج اليها.. مرت ساعات وسط صراخها وتعبها الذي انجلى بوضوح من قطرات العرق التي تنهمر من وجهها وعنقها.. تشعر بخناجر تُقطّع روحها.. الالم لا تُحتمل..

وها هي اخيرا تبتسم بوهن حال سماعها صوت بكاء صغيرها الذي وُلد لتوه قبل يتبعه توأمه الاخر..

تصاعد بكاء الطفلين ليبتسم ريس بحب ويردف، مقبلا جبينها:

- انتهى الألم يا قلبي.. انتهى يا روح ريس.. اياكِ وان تضعفي الان ارجوكِ.

- الف مبروك لكما.. ما شاء اللّه مثل القمر الطفلين.

غمغمت الطبيبة بفرحة لتبتسم الطبيبة الاخرى وهي تقوم بفحص مؤشراتها الحيوية قبل ان تهتف بسرور:

- الف سلامة عليها.. والف مبروك لكما الطفلان.

غمضّت رماديتيها بخور وهي تشاهد سجود زوجها وحبيبها ارضا، شاكرا اللّه بقلب ممنونا:

- لك الحمد يا اللّه.. لك الحمد.

- احمل طفليك سيد ريس.. يملكان عينان والدتهما.. ما شاء اللّه جمالهما خلاب.

همست الطبيبة بإبتسامة مبتهجة لينهض ويحملهما بإرتجاف، مؤذنا في اذنيهما بصوت خاشع قبل ان يعطيهما للممرضة حتى تضعهما في الحضانة ويدنو من زوجته التي

خارت قواها من شدة التعب والألم ويقبل طرف شفتيها بكل حب، رادفا بحنو:

- يا روحي انتِ.. الحمد للّه انكِ بخير.. اعشقك يا لين.. اعشقك يا ام ليث.

****

بعد مرور عشرة اشهر مفعمة بالأحداث المُسِرّة للأفئدة.. ابتداءا من زواج جواد وريما بعد ولادة لين بفترة قصيرة الى زواج قيس ورؤى الهادئ، دون قيامهما بحفل زفاف كبير حتى لا يُجبر على دعوة والده.. واضطراره على اخبار شقيقته شام بحقيقة ما فعله والدهما لتتصدم وتتفهم موقفه.. ثم ولادة عدن طفلها الأول "اسر" وتقدم حالة ترنيم وسط مقاومتها الشديدة لمرضها حتى تكون مع اطفالها..

كانوا جميعهم جالسين في منزل ريس الذي دعاهم للإحتفال بمناسبة خروج والدته من المشفى بسبب تحسن

حالتها الصحية المستمر قبل ان تبتسم لين على غيرة طفلها المتضايق من حملها لأسر وتغمغم بحب لزوجها:

- ريس حبيبي امسك اسر قليلا.. سأحمل ليث.. انه يبكي.

- انا ماسك غيث.. اعطيه لعدن.. يكفيها تدلل هي وزوجها.

هتف بحنق لتقهقه بصوت عال وهي تستمع الى صوت عدن الساخط:

- اعطيني اياه.. من يراك يقول ما شاء اللّه انك مؤدب.

ثم استرسلت بضيق:

- انا لا افهم كيف تميزان بين ليث وغيث.. الشبه بينهما كبيرا جدا.

- لأنك غبية لن تميزي.. خذي طفلك من حضن زوجتي قبل ان ارميه.

تشدق ريس بسخرية لتهتف بضيق:

- وللّه لا اعرف كيف لين تتحمل غيرتك وغيرة طفليك.. كلما تحمل صغيري يشرعان في بكاءهما الذي لا ينتهي.

- من الذي تجرأ وضايق عدني؟

تساءل اوس بغضب مزيف لترد عليه عدن بحنق:

- ريس.. لم اعد اطيقه.

- اغرب انت وزوجتك.. هذا ما كان ينقصني.. زوجان احمقان.

دمدم ريس بتهكم لتضحك لين بصوت عال قبل ان تفغر فاهها بتعجب من طفليها اللذان نظرا نحوها بضيق، مقلدان والدهما..

- ابتعدوا عن اختي قبل ان اقتلكم.

زمجر جود بسخط لتقهقه لين، كاتمة جلجلة ضحكتها العذبة وهي تنهض عن مقعدها لتعانق اخيها وزوجته بحنان وسط عبوس ريس الذي يتنفس بصعوبة حتى يتمالك اعصابه بما انه وعدها.. ولكن الذي ادهشه هو

وزوجته هو خدش ليث بأظافيره وجه جود الذي تأوه متألما.. فقهقه بصوت عال واردف:

- طباع اطفالي لوالدهما بينما شبههما لوالدتهما.

- صدقت.

دمدم جواد ضاحكا لتغمغم ريما بسخط:

- لا تبتسم هكذا.. تبدو وسيما جدا.

- حاضر يا ملاكي.

غمغم بإبتسامة لتتوسع ابتسامتها العاشقة وترد:

- احبك.

لم يطق ريس الجلوس اكثر فإنتصب واقفا بضيق، ساحبا زوجته من يدها ليجرها الى الأعلى برفقة التوأم دون ان يلقي اهمية لأنظارهم الساخطة بعد ان هتف بلا مبالاة:

- افعلوا ما تشاءون ولكن نظفوا مكانكم.. زوجتي لا يجب ان تتعب.. وكذلك امي نائمة، لا تزعجوها.

- مجنون.

همست لين بتعجب ما ان ولجوا الى غرفتهم.. ليأخذ ريس ليث من بين ذراعيها ويضعه هو واخيه في سريرهما قبل ان يعود اليها ويهمّ بالبدئ في تقبيل ثغرها بعاطفته الشغوفة، راويا غرثه من سنسبيلها العذب

وهو يردف بتقطع من بين قبلاته:

- مجنون بك.

النهاية..

تمت بفضل اللّه..

يتبع الجزء الثاني (وحينما تغار الذئاب)

من سلسلة هوس العشق

بقلم: اسيل الباش